تفسير
بيان السعادة
في
مقامات العبادة

تأليف
العارف الشهير
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

تأليف

العارف المتبحر

الحاج سلطان محمد الجنابذي

الملقب بسلطان علي شاه

طاب ثراه

المجلد الرابع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۲۴۵۸۷
تاریخ ثبت :

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

سورة الزمر

مكّيّة كلّها، وقيل: سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة وهي قوله: قل يا عبادي (الى آخرهنّ) وهي خمس وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] تنزيل الكتاب مبتدء خبره من الله، اوخبره محذوف، او خبرٌ مبتدءه محذوف اى هذا تنزيل الكتاب و وصف الله بالعزيز الحكيم تفخيماً لشأن الكتاب وتحذيراً عن مخالفته وترغيباً في اتّباعه والمراد بالكتاب القرآن اوالرّسالة والنّبوّة واحكامهما، اوالولاية وآثارها، اوكتاب ولاية عليّ (ع) وخلافته، وقد سبق في اوّل البقرة بيان للكتاب [إِنَّا أَنْزَلْنا] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: من انزل الكتاب؟ وعلى من انزل؟ فقال: انّا انزلنا [إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ] الّذى هوالمشيّة وهوولاية عليّ (ع) وعلويّته اى بسبب الحقّ اومتلبّساً بالحقّ اومع الحقّ [فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ] اى الطّريق، اواعمال الملّة واخلاص الطّريق الى الله بان لا يكون مبدء السّلوك عليه ولا غايته مشوباً بشيء من اغراض النّفس واشراك الشّيطان وهوامر صعبٌ لا يتأتّى الّا من كامل حكيم مراقب لاحواله في كلّ افعاله [أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ] تقديم لله لشرافته وقصد الحصر، و يفيد نفى رجوع غير الخالص اليه بمفهوم مخالفة القيد وذلك لانّه اغنى الشّركاء كلّما كان له فيه شريك يتركه للشّريك [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ] حال اوخبرٌ اومستأنف معترض بين المبتدأ والخبر والكلّ بتقدير القول [إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ] جملة مستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر عن حالهم اوالجملة خبرٌ عن الّذين اتّخذوا اوخبرٌ بعد خبر عنه [فِيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الدّين او من الرّسالة اومن ولاية عليّ (ع) روى عن النّبيّ (ص) في خبر انّه أقبل على مشركي العرب وقال: وانتم فلم عبدتم الاصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرّب بذلك الى الله تعالى فقال: اوهي سامعة مطيعة لربّها عابدة له حتّى تتقرّبوا بتعظيمها الى الله؟ قالوا: لا، قال: فانتم الّذين نحتّموها بايديكم؟ قالوا: نعم، قال: فلأن تعبدكم هي لوكان يجوز منها العبادة احرى من ان تعبدوها اذا لم يكن امركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلّفكم [إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي] في مقام التّعليل اوخبرٌ بعد خبر والرّابط تكرار المبتدء بالمعنى [مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ] لعدم استعداده وعدم استحقاقه [لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً]

كما نسبوا اليه الملائكة و المسيح وعزيراً [لَاصْطَفٰى مِمّٰا يَخْلُقُ] من اصناف الملائكة و انواع البشر و الجنّ [مٰا يَشٰاءُ] من البنين لا مانسبوا اليه من البنات [سُبْحٰانَهُ] عن الشّريك والولد والصّاحبة [هُوَ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ] الّذى لامثل له حتّى يكون له ولدٌ [الْقَهّٰارُ] الّذى لايجوز فى قهّاريّته ان يكون لهشريكٌ ومثلٌ. والولد يكون مثلاً له، والشّريك يكون مثلاً له ومقابلاً لامقهوراً [خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهٰارِ] بمعنى يولج اللّيل فى النّهار، اوهو من تكوير العمامة ولفّ طاقاته كلّ على الاخرى، او بمعنى يغشى اللّيل النّهار، او بمعنى يكرّر تتابع اللّيل للنّهار والنّهار للّيل [وَيُكَوِّرُ النَّهٰارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] وللاشارة الى تتابع اللّيل والنّهار و تكرار تكويرهما اتى بالمضارع فى جانبهما و بالماضى ههنا [كُلٌّ يَجْرِى] على الاستمرار [لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلٰا هُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لا يمنع من مراده حيث لايمنعه مانعٌ من هذا التّكوير و ذلك التّسخير [الْغَفّٰارُ] الّذى لايؤاخذ عباده على ماهم فيه من الاشراك ونسبة الولد اليه و سائر المعاصى لعلّهم يتوبون فيغفر لهم [خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ] قد سبق فى سورة النّساء بيان الآية [ثُمَّ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا] اتى بثمّ للاشارة الى التّعقيب فى الاخبار فانّ خلق الجماعة الكثيرة من نفس واحدة لاغرابة فيه، وخلق الزّوج الّتى تكون شريكة لها فى خلق الجماعة الكثيرة منها امرٌ غريبٌ بالنّسبة اليه [وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعٰامِ ثَمٰانِيَةَ أَزْوٰاجٍ] قد سبق بيان الثّمانية الازواج فى سورة الانعام و انزل بمعنى خلق كما نسب الى امير المؤمنين (ع)؛ واستعمال انزل للاشعار بانّ شيئيّة الشّيء بفعليّته الاخيرة والفعليّة الاخيرة لكلّ ذى نفسٍ هى نفسه والتّحقيق انّ النّفوس وان كانت جسمانيّة الحدوث لكنّها منزلة من سماء الارواح و ارباب الانواع الى افراد الانواع فاستعمال انزل فى معنى خلق لم يكن على سبيل المجاز [يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ] حيواناً سوياً بعد خلق اللّحم والعظام بعد المضغة والعلقة والنّطفة [فِى ظُلُمٰاتٍ ثَلٰاثٍ] ظلمة البطن و الرّحم والمشيمة كما فى الخبر [ذٰلِكُمُ اللّٰهُ] الّذى هذه المذكورات اوصافه و افعاله [رَبُّكُمْ] فلا تطلبوا ربّاً سواه [لَهُ الْمُلْكُ] جملة ما يملك ممّا سواه اوّله عالم الملك مقابل الملكوت [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنّٰى تُصْرَفُونَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ] لمّا بالغ فى وعظهم وصرفهم عن المعبودات الباطلة توهّم انّ الله تعالى للاحتياج اليهم يستصرفهم عن المعبودات، فرفع ذلك التّوهّم بانّ اهتمامه لصرفكم اليه ليس الّا محض الرّحمة والتّفضل عليكم لا لاحتياجه اليكم [وَلَا يَرْضىٰ لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ] .

تحقيق كون الكفر بارادة الله وعدم رضاه به ورضاه بالايمان

قد سبق فى مطاوى ماسلف انّ الرّحمة الرّحمانيّة الّتى بها وجود الاشياء و بقاؤها بمنزلة المادّة للرّحمة الرّحيميّة والغضب، وللرّضا والسّخط، وللهداية والاضلال، وانّ المكوّنات كلّها كمالاتها الاوّليّة الذّاتيّة تحصل بالرّحمة الرّحمانيّة، والكمالات الثّانية الّتى تصل اليها تكويناً ان لم يعقها عائقٌ تحصل بالرّحمة الرّحيميّة ويقال لها: الولاية التّكوينيّة والرّضا التّكوينىّ، وانّ ذوى العقول وصولها الى كمالاتها الثّانية التّكليفيّة بالرّحمة الرّحيميّة، ويقال لها: الولاية التّكليفيّة والرّضا والهداية والتّوفيق وغير ذلك، وانّ انحراف المكوّنات تكويناً عن طريقها المستقيمة الّتى تكون بالفطرة سالكة عليها الى كمالاتها الثّانية و انحراف المكلّفين عن طريقهم المستقيمة التّكليفيّة لا تكون الّا بارادة الله ومشيّته لكن ذلك الانحراف لايكون الّا من نقص مادّته وحدود وجوده فيكون نسبته الى نفسه اولى من نسبته الى خالقه و يكون غير مرضىٍّ لله و ان كان مراداً له فانّ الارادة بحسب الرّحمة الرّحمانيّة. والرّضا بحسب الرّحمة

الرّحيميّة و يكون مبغوضاً ومسخوطاً وصاحبه مخذولاً وضالاً وغير قابل للولاية التكوينيّة اوالتكليفيّة [وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ] لانّ الشكر من الكمالات الثّانية التكليفيّة وقد فسّر الكفر بالخلاف اى خلاف الولاية و خلاف الامام والشّكر بالولاية والمعرفة [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ] ردّ لمن قال للّذين آمنوا بلسان القال كماحكى الله تعالى او بلسان الحال كما هو شأن المنافقين من الامّة وكما هوشأن المترأّسين فى الدّين من غير اذن واجازة : اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] تعريض بمجازاتهم على عملهم فانّ الاخبار بالعمل فى الآخرة ليس الّا للمجازاة عليه [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] قد تكرّر سابقاً انّ ما فى الصّدور امّا من قبيل الارادات والعزمات والنّيّات والخيالات والخطرات و يصدق عليها انّها ذات الصّدور، وامّا من قبيل القوى والاستعدادات المكمونة فى النّفوس الّتى لاشعور لصاحبى الصّدور بها وهى اولى بكونها ذات الصّدور لزوال المذكورات السّابقة عنها بسرعة بخلافها فهى اولى بصدق المصاحبة و الجملة تعليل لقوله تعالى : ينبّئكم وتهديد لمن يخفى اعماله [وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ] عطف على قوله ان تكفروا يعني كيف تكفرون واذامسّكم ضرّ تلتجؤن اليه لا الى غيره يعنى انّكم مفطورون على الاقرار به و الالتجاء اليه فليس كفركم ولا كفرانكم لنعمه الّا لستر ما انتم مفطورون عليه [دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ] لما سبق انّ الخيال بتصرّف المتخيّلة يمنع العاقلة عن التّدبير والتّصرّف ويستر نصحه وردعه وحين مسيس الضّرّ يسكن الخيال عن التّصرّف فيظهر الفطرة وحكم العقل [ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ] اعطاه تفضّلاً فانّه لا يستعمل الّا فى هذا المعنى [نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ] يعنى نسى الضّرّ الّذى يدعوالله الى دفعه ، او نسى اللّطيفة الغيبيّة الّتى كان يدعو قواه واهل مملكته حين الضّرّ اليها فانّ التجاءه اليه دعوة لجميع اهل مملكته اليه ، وان كان نزوله فى ابى الفضيل كماورد ، فانّه روى عن الصّادق (ع) انّها نزلت فى ابى الفضيل انّه كان رسول الله (ص) عنده ساحراً فكان اذامسّه الضّرّ يعنى السّقم دعا ربّه منيباً اليه يعنى تائباً اليه من قوله فى رسول الله (ص) ما يقول ثمّ اذا خوّله نعمة منه يعنى العافية نسى ما كان يدعو اليه من قبل يعنى نسى التّوبة الى الله تعالى ممّا كان يقول فى رسول الله (ص) : انّه ساحر، ولذلك قال الله عزّوجل: قل تمتّع بكفرك قليلاً انّك من اصحاب النّار يعنى امرتك على النّاس بغير حقّ من الله عزّوجلّ ومن رسوله (ص) قال ثمّ عطف من الله عزّوجلّ فى علىّ (ع) يخبر بحاله وفضله عندالله تبارك و تعالى فقال : امّن هو قانت (الآية) [وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا] امثالاً وشركاء مثل الاصنام و الكواكب او جعل لله اندادا فى وجوده من اهوية نفسه ومشتهياتها [لِيُضِلَّ] النّاس او اهل مملكته [عَنْ سَبِيلِهِ] و قرئ ليضلّ بفتح الياء [قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا] يا اباالفضيل او يا ابافلان او يا ايّها المنصرف من باب القلب الى باب النّفس ومشتهياتها [إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ] فانّ الانصراف من الله ومن الولاية ومن علىّ (ع) ، اومن باب القلب ليس الّا للمبتلى بدواعى النّفس، ودواعى النّفس ليست الّا النّشواظ من النّار [أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ] كمن ليس كذلك؟ ! حذف الخبر لدلالة الحال ودلالة قوله قل هل يستوى الّذين يعلمون (الآية) عليه ، او المعنى امّن كفر خيرٌ امّن هو قانت ، فحذف المعادل الاوّل لدلالة القرينتين عليه، وقرئ امن هو قانتٌ بتخفيف الميم ، وعليه يكون الخبر محذوفاً اى امن هو قانتٌ كمن ليس كذلك؟ ! او الخبر والمعادل جميعاً والتّقدير امّن هو قانت خيرٌ ام من كفر ، وقد فسّر القانت بعلىّ (ع) ومن ليس كذلك ليس الّا اعداءه، والتّخصيص فى الذّكر بعلىّ (ع) لكونه اصلاً فى الخصال الحميدة والاعمال الرّضيّة لا ينا فى تعميمها كما

تكرّر سابقاً [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ] الّذين يقومون آناء اللّيل ساجداً وقائماً فانّ العلم يلزمه ذلك لتلازم العلم والعمل كما سبق في فصول اوّل الكتاب [وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] فيكفرون بالله، او بنعمه، او بالرّسول (ص)، او بعليّ (ع) [إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ] عدم التّسوية بينهما [أُولُوا الْأَلْبَابِ] لاغيرهم كأنّه قال: لكن لافائدة في تذكرتك ذلك لخلوّهم من اللّبّ ومن كان خالياً عن اللّبّ لايتذكّر ولوذكر له كلّ آية واتى له بكلّ آية، وقدتكرّر انّ الانسان بدون تأييد الولاية وبدون الاتّصال بوليّ الامر كالجوز الخالي من اللّبّ اللّائق للنّار، وبعدالاتّصال والدّخول في امر الائمّة (ع) ودخول الايمان في القلب الّذي هو بمنزلة لبّ القلب يصير ذا لبّ ولذلك فسّروا عليهم السّلام اولى الالباب في الآيات بشيعتهم بطريق الحصر، عن الباقر (ع): انّما نحن الّذين يعلمون، وعدوّنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا اولوا الالباب، وعن الصّادق (ع): لقد ذكرنا الله وشيعتنا وعدوّنا في آية واحدة من كتابه فقال: هل يستوي (الآية)، وبتلك المضامين اخبار كثيرة [قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا] امره (ص) ان يخاطب عبيده بنسبة عبديّتهم الى نفسه اشعاراً بانّه (ص) خليفة له في ارضه بل في ارضه وسمائه ومظهر لجميع اوصافه ونسبه فكلّ من كان عبداً له تعالى يكون عبداً لخليفته (ص) عبدطاعة لاعبدعبادة [اتَّقُوا رَبَّكُمْ] اى سخطه [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا] متعلّق باحسنوا اوحال عن قوله تعالى حسنة فانّ المحسن كما يكون له الحسنى في الآخرة يكون له الحسنة الّتي هي سهولة الطّريق والسّلوك عليه والالتذاذ به في الدّنيا، ونعم ماقال المولوىّ في تفسير الحسنة في الدّنيا والآخرة بقوله:

آتنا في دار دنيانا حسن — آتنا في دار عقبانا حسن
راه را برما چو بستان كن لطيف — مقصد ما باش هم تو اى شريف

والجملة في موضع تعليل بملفوظها ومحذوفها لمنطوق قوله تعالى اتّقوا ربّكم ومفهومه كأنّه قال: اتّقوا سخطه فانّ العاصي معذّب والمطيع مثاب، لانّه للّذين احسنوا [حَسَنَةٌ] وللّذين أساؤا عقوبة [وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ] فان لم تتمكّنوا من الاحسان في ارض فهاجروا الى ارض يمكنكم الاحسان فيها [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ان لم يمكن الهجرة فما لمن صبر على مشاقّ الاحسان في محلّ يشقّ عليه الاحسان؟ اوكأنّه قيل: فما لمن هاجر وصبر على مشاقّ الهجرة؟ اوكأنّه قيل: مالمن صبر على الاحسان في الاوطان؟ اوعلى الهجرة؟ فقال: انّما يوفّى الصّابرون على ذلك [أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] كناية عن عظمة الاجر وكثرته، وفي الاخبار اشارة الى انّ المراد اعطاء الاجر بدون محاسبة الاعمال [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ] اى طريق السّلوك اواعمال الملّة عن اشراك الشّيطان واشراك النّفس ومداخلة الهوى فاعبدوا ماشئتم واشركوا في الدّين والاعمال ما شئتم فهو تعريض بهم وبانّ اشراكهم غير مرضيّ لله وغير مأمور به منه تعالى [وَأُمِرْتُ] بذلك [لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ] فمن شاء ان يكون اقدم المسلمين فليعبد مخلصاً له الدّين، اوالمعنى: امرت بان اكون اوّل المسلمين، فيكون اللّام زائدة للتّقوية [قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي] في ترك ما امرني به من اخلاص الدّين [عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] فافعلوا ما شئتم من الاشراك والاخلاص [قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ] تقديم الله للحصر يعني قل امتثل امره واعبده [مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ] واشركوا في دينه ما شئتم [قُلْ] انتم خاسرون لاضراركم بانفسكم وقواها وجنودها، وهذا الخسران هو الخسران العظيم [إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ]

الداخلة والخارجة [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبِينُ] لاخسران المال الذى هو مغاير معكم ولا نسبة بينه وبينكم الا بمحض الاعتبار الذى اعتبره الشرع اوالعرف [لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ] استعمال الظلل التى هى ماتظلك فيما كان تحت الاقدام امامن باب المشاكلة اومن جهة انها ظلل لمن تحتها [ذٰلِكَ] المذكور من الخسران اومن التظليل بالظلل من النار [يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبٰادَهُ يٰعِبٰادِ فَاتَّقُونِ] قوله تعالى الا ذلك هوالخسران مما امر الرسول (ص) ان يقوله ، او ابتداء كلام من الله ، اوقوله لهم من فوقهم ابتداء كلام منه اوقوله ذلك يخوف الله ابتداء كلام منه ، اوقوله ياعبادفاتقون ابتداء كلام منه [وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّٰاغُوتَ] مقابل قوله الذين خسروا وفى موقع ان الرابحين كذا لكنه عدل الى هذا لبيان ما فيه الرابح [اَنْ يَعْبُدُوهٰا] بدل من الطاغوت [وَاَنٰابُوا اِلَى اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرٰى] ولما كان الطاغوت مفسرة ببعض اعداء على (ع) فليكن المراد بالانابة الى الله التوبة على يدعلى (ع) والبيعة معه وهوكذلك لان الرجوع الى الله ليس الا بالسير الى طريق القلب، ولايعلم طريق القلب ولايفتح الا بالولاية التى هى البيعة على يد ولى الامر، والاصل فى ذلك هوعلى (ع) [فَبَشِّرْ عِبٰادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَهُ] وضع الظاهر موضع المضمر تشريفاً لهم باضافتهم اليه وترغيباً وتوصيفاً لهم بوصف مدح تشويقاً لهم الى ذلك الوصف والاهتمام بالعبودية.

بيان اتباع احسن القول و تحقيقه

واعلم ، ان القول يطلق على الاقوال اللفظية والاقوال النفسية والكلمات الوجودية التى هى بالنسبة الى الله تعالى كالاقوال النفسية بالنسبة الينا واللام فى القول امالجنس ولما لم يكن استماع الجنس الا فى ضمن الافراد فالمراد به اما استغراق الافراد بنحوالعموم الجمعى او بنحوالعموم البدلى لكن مع التقييد بما يخرجه عن المحالية ويكون المعنى والتقدير : الذين يستمعون جميع الاقوال التى يتفق سماعها لهم ، اوالذين يستمعون كل قول يتفق سماعه لهم بقرينة الحال وتقدم الاستماع ، اوالمراد به فرد منكر من القول ويكون المعنى والتقدير : الذين يستمعون قولا منكراً لايمكن تعريفه وهوقول الولاية وهذا الوجه بحسب اللفظ بعيد ، واللام فيه للعهد والمنظور من القول المعهود هوعلى (ع) وولايته، ولما كان الاقوال دوال المعانى لم يكن المنظور منها ومن حسنها الا حسنها بحسب المدلولات لان الدال على الشيء لايحكم عليه ولا به من حيث انه دال كما ان الاسم من حيث انه اسم لايحكم عليه ولا به فعليهذا لم يكن المقصود من حسن الاقوال حسنها بحسب الفاظها بل حسنها بحسب مدلولاتها، والمقصود من اتباع الاحسن ان كان المراد من القول الاستغراق اتباع اوامره و نواهيه بالامتثال والانتهاء ، والاتعاظ بمواعظه ونصائحه، والاعتبار بحكاياته وامثاله، ولما لم يمكن لكل احد اتباع الاحسن المطلق فالمراد بالاحسن الاحسن بالاضافة فانه وردفى الكتاب والسنة الامر بالاقتصاص من المسيء والامر بكظم الغيظ والصفح اى عدم الحقد على المسيء والاحسان اليه وهذه اوامر اربعة مترتبة فى الفضيلة ويأمر النفس بالاقتصاص والزيادة على اساءته ، ومن الناس من لايمكنه كظم الغيظ فان امر بكظم الغيظ كان امراً بالمحال فالاحسن فى حقه الاقتصاص وعدم التجاوز منه الى الزيادة، فلواستمع سامع تلك الاقوال الخمسة وميز بين حقها وباطلها وحسنها واحسنها بالاضافة اليه واتبع ماهواحسن بالنسبة اليه كان ممن استمع القول واتبع احسنها سواء كان ممن كان الاحسن بالنسبة اليه القصاص اوكظم الغيظ اوالصفح والاحسان الى المسيء، اوالمراد اتباع احسنه بحسب حكايته فان الحكاية بلفظه احسن من الحكاية بمعناه ، والحكاية بالمعنى بالاتيان بتمام المعانى احسن من الحكاية ببعض معانيه كما عن الصادق (ع) هوالذى يسمع الحديث فيحدث به كماسمعه، لايزيد فيه ولاينقص منه ، وهذا احد وجوه الآية، اوالمقصود

من اتّباع احسن الاقوال اتّباع احسن جهاتها فانّ لكلّ قولٍ يسمعه السّامع جهة لتقوية نفسه اوجهة لتقوية عقله ، و بعبارة اخرى كلّ قولٍ يسمعه السّامع امّا يسمعه بسمع نفسه او بسمع عقله، فان سمعه بسمع عقله واتّبع حكم العقل فيه كان ممّن اتّبع احسن جهاته، وان كان المراد به الولاية وصاحبها فالمقصود من اتّباع احسنها احسن جهاتها فانّ للولاية جهةً الى الكثرات واحكام الرّسالات وجهة الى الوحدة وآثارها، واذا دار الامر بين اتّباع جهة الوحدة وجهة الكثرة فليرجّح جهة الوحدة وهي احسن جهاتها ، وهكذا الامر اذا دار الامر بين اتّباع خليفة الرّسالة وخليفة الولاية وهما الشّيخان في الرّواية والطّريقة فليرجّح شيخ الطّريق اذا كان الانسان فارغاً من احكام قالبه ، واذا لم يكن عالماً باحكام قالبه فليرجّح شيخ الرّواية ، واذا كان محتاجاً اليهما في احكامهما فليرجّح كلّ من كان حاجته اليه اشدّ ، فانّه احسن الاقوال بالنّسبة اليه ، وهكذا في اتّباع جهات الولاية والرّسالة [أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدٰيهُمُ اللّٰهُ] الى الولاية فتمسّكوا بها فانّ الهداية ليست الّا بالتّوسّل بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَ أُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبٰابِ] بتلقيح الولاية كما مرّ مراراً [أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذٰابِ] كهؤلاء المبشّرين او التّقدير خير ام هؤلاء المبشّرون؟ او التّقدير يتخلّص منه او الخبر فانت تنقذ من في النّار بتقدير القول [أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّٰارِ] يعني انّ من حقّ عليه كلمة العذاب واقع في النّار ليس لوقوعه في النّار انتظار القيامة وليست بقادرٍ ان تنقذه منها فهذه الجملة كناية عن وقوعهم في النّار ولذلك اتى في جانب مقابليهم باداة الاستدراك كأنّه قال: ليس من حقّ عليه كلمة العذاب حالهم مثل من كان مبشّراً من الله فانّهم واقعون في النّار في هذه الحيوة الدّانيّة فكيف بالحيوة الآخرة [لٰكِنِ] المبشّرون [الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ] واتى بالاسم الظّاهر للاشعار بوصفٍ آخر لهم، وبانّ التّقوى محصورة فيهم وانّهم محشورون بذلك [لَهُمْ غُرَفٌ] جمع الغرفة بمعنى القصر الرّفيع [مِنْ فَوْقِهٰا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ] في الجنّة بناها الله بأيدي عمّاله لهم وهذا تشريف لهم ببناء القصر لهم [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] قد مضى في آخر سورة النّساء بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [وَعْدَ اللّٰهِ] وعد الله وعداً [لٰا يُخْلِفُ اللّٰهُ الْمِيعٰادَ] عن الباقر(ع) انّه قال: سأل علىّ(ع) رسول الله (ص) عن تفسير هذه الآية بما ذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله (ص)؟- فقال: يا علىّ(ع) تلك غرفٌ بناها الله لاوليائه بالدّرّ والياقوت والزّبرجد، سقوفها الذّهب محبوكة بالفضّة لكلّ غرفة منها الف بابٍ من ذهبٍ على كلّ بابٍ منها ملك موكّل به، وفيها فرش مرفوعةٌ بعضها فوق بعضٍ من الحرير والدّيباج بالوانٍ مختلفةٍ وحشوها المسك والعنبر والكافور وذلك قول الله و فرش مرفوعة [أَلَمْ تَرَ] الخطاب عامّ والاستفهام للتّقريع اوخاصّ بمحمّد (ص) والاستفهام للتّقرير لانّه (ص) يرى ذلك وان كان غيره لا يراه [أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَسَلَكَهُ يَنٰابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوٰانُهُ] اصنافه وانواعه، والمقصود اختلاف الالوان حقيقةً [ثُمَّ يَهِيجُ] يثور عن منبته بالجفاف [فَتَرٰيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطٰاماً] متفتّتاً [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ] تذكيراً بالصّانع وكمال حكمته و قدرته وعنايته بخلقه لاسيّما ببني آدم لانتفاعهم بما سواهم وكون ما سواهم لانتفاعهم دون ما سواهم و تذكيراً بانّ الاحياء بالحيوة الدّنيا مثل انبات النّبات واخضراره وانحطاطه ويبسه واصفراره و تفتّته فلا يغترّ بها و يعلم انّها ايضاً ليست مقصودة بالذّات بل هي كسائر الموجودات مقدّمة لغيرها و ليطلب ذلك وليعمل له [لِأُولِي الْأَلْبٰابِ] الّذين قبلوا ولاية علىّ(ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة كما تكرّر انّه لا يحصل اللّبّ للانسان الّا بتأبير الولاية [أَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ [صَدْرَهُ لِلْإِسْلٰامِ] يعني اولى الالباب هم الّذين شرح الله صدورهم للاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام خيرٌ ام

من شرح الله صدره للكفر؟ اومثل من جعل الله صدره ضيّقاً حرجاً وقد مضى بيان شرح الصّدر فى سورة الانعام عند قوله تعالى: يشرح صدره للاسلام [فَهُوَ عَلٰى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ] والنّور هو الولاية الّتى هى الحافظة له عن اتّباع الشّيطان و الاصل فى ذلك النّور علىّ (ع) و بعد شيعته الّذين قبلوا ولايته بالبيعة الخاصّة ، ثمّ شيعته الّذين قد تنعّش فيهم الولاية التّكوينيّة و تنعّش تلك الولاية هو النّور الّذى يقذف فى قلب العبد فيعبّر عنه بالعلم كما ورد ، انّ العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء [فَوَيْلٌ لِلْقٰاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] فى مقام كمن قسى قلبه لكنّه ادّاه هكذا لافادة هذا المعنى مع شيء آخر [مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ] لاجل ذكر الله اومعرضين من ذكر الله [أُولٰئِكَ فِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ] اى ولاية علىّ (ع) فانّها النّبأ العظيم واحسن من كلّ حديث والقرآن صورتها فانّ اصل الولاية هى المشيّة وقد نزّلها الله عن مقامها العالى ومقام جمع الجمع على مراتب العقول والنّفوس وعالم المثال وعالم الطّبع ، و بعد نزولها على مراتب الانسان صارت حروفاً واصواتاً وكلمات واقوالاً فصارت كتباً سماويّة واصل الكلّ هو القرآن وهو صورة الولاية فصحّ تفسيره بالقرآن [كِتٰاباً] بدل من احسن الحديث اوحال اوتميز [مُتَشٰابِهاً] فانّ مراتب العالم كلّ مرتبة منها مشابه لعاليتها وسافلتها فانّ السّافلة صورة مفصّلة نازلة من العالية والعالية صورة مجملة بسيطة من السّافلة ، وصورة القرآن ايضاً متشابهة من حيث دلالة كلّ اجزائه على مبدء قدير وصانع حكيم عليم ذى عناية بخلقه ومن حيث دلالته على صدق الآتى به ومن حيث ظهور تنزيله و بطون تأويله ومن حيث اشتماله على البطون ومن حيث اشتماله على الوجوه العديده الصّحيحة بحسب مراتب الخلق ، ومن حيث فصاحته و بلاغته بحسب قد فاق كلّ خطاب وكلام ، اوالمراد المتشابه فى مقابل المحكم فانّ القرآن وكتاب الولاية بعد نزوله الى عالم الطّبع مخفىّ المقصود غير ظاهر المراد [مَثٰانِيَ] قد مضى بيان كون القرآن وكون فاتحة الكتاب مثانى فى اوّل الفاتحة وفى سورة الحجر [تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ] وهم الّذين قبلوا ولاية علىّ (ع) بالبيعة الخاصّة اوظهر فيهم ولايته التّكوينيّة الّتى هى ظهور العلم التّكوينىّ فيهم فانّ العلم التّكليفىّ محصور فيمن قبل الولاية التّكليفيّة ، والتّكوينىّ محصور فيمن ظهر فيه الولاية التّكوينيّة وخرج من حجب الاهويّة واليهما اشار النّبىّ (ص) حين سئل عنه : ماالعلم ؟ فقال : الانصات ، ثمّ سئل عنه ، فقال : الاستماع فانّ الانصات اشارة الى ظهور العلم التّكوينىّ المعبّر عنه بالولاية التّكوينيّة ، والاستماع اشارة الى الولاية التّكليفيّة فانّ الاستماع ليس الّا بعد الانقياد والانقياد لايحصل الّا بالبيعة الخاصّة الّتى هى الولاية بوجه وهى سبب حصول الولاية بوجه ، والخشية لاتكون الّا بعد العلم والخشية محصورة فيمن له العلم بنصّ الآية الشّريفة فلاتكون الخشية الّا لشيعة علىّ (ع) تكويناً او تكليفاً ، ومن قبل الولاية ودخل فى الطّريقة يدرك اقشعرار الجلد من تذكّر الولاية و مشاهدة وليّ امره وقراءة القرآن [ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ] عطف على جلودهم [إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ] متعلّق بتلين بتضمين تسكن او قلوبهم مبتدء وخبره الى ذكر الله والجملة حال يعنى تسكن جلودهم عن الاقشعرار والحال انّ قلوبهم مائلة اوساكنة الى ذكر الله ، وذكر الله هو الولاية اوولىّ الامر او الذّكر المأخوذ من ولىّ الامر او ملكوت ولىّ الامر او القرآن او المراد تذكّرهم لله اوذكر الله لهم الجنّة والنّار والثّواب والعقاب [ذٰلِكَ] الكتاب المفسّر بالولاية وولىّ الامر والقرآن او ذلك الاقشعرار ولين الجلود او ذلك التّنزيل [هُدَى اللّٰهِ] حمل الهدى من قبيل حمل المصدر على الذّات على بعض الوجوه [يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ] اى من يخذله اومن لم يجده الله ، من اضلّ الدّابّة بمعنى لم يجدها كما قيل [فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ] الّذى هو اشرف اعضائه و يجعل سائر اعضائه جنّة له فى كلّ حال [سُوءَ الْعَذٰابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] لشدّة العذاب بحيث لايقدر على تحريك اعضائه ، اولكون اعضائه مغلولة ، اولدهشته

وحيرته بحيث لا يميّز بين الاشرف وغيرالاشرف ، والخبرمحذوف او الخبر والمعادل كلاهما محذوفان [وَقِيلَ لِلظّٰالِمِينَ] وضع الظّاهرموضع المضمر اشارة الى ظلمهم وذمّهم بذلك وتلويحاً الى علّة الحكم وهوعطف على يتّقى والاختلاف بالمضىّ والمضارعة للاشارة الى استمرار العذاب والاتّقاء بخلاف هذا القول كأنّه قال : افمن يتّقى بوجهه سوء العذاب ويتّهكم به بهذا القول خيرٌ ام من هوآمن؟ [ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ] اى نفس ما كنتم تعملون اوجزاءه على ما مضى من تجسّم الاعمال وجزائها ايضاً بالجزاء المناسب لها [كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل لهم نظير فى تكذيبهم؟ فقال تعالى: كذّب الّذين من قبلهم [فَأَتٰيهُمُ الْعَذٰابُ مِنْ حَيْثُ لٰا يَشْعُرُونَ فَأَذٰاقَهُمُ اللّٰهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] تفصيل لعذابهم الآتى يعنى اتاهم العذاب فاذاقهم الله ذلك العذاب بالمسخ اوالخسف اوالقتل اوالاجلاء اوالسّبى اوالنّهب اوالبلايا الواردة الآلهيّة فانّها ان كانت نعمة بالنّسبة الى المؤمنين كانت نقمةً بالنّسبة الى المنافقين والكافرين [وَلَعَذٰابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ] فانّ عذاب الدّنيا وان كان اشدّ مايكون يكون جزءً من سبعين جزءً من عذاب الآخرة [لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ] لاجتنبوا او لفظة لو للتّمنّى [وَلَقَدْ ضَرَبْنٰا لِلنّٰاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] اى بعضاً من كلّ مثل يحتاج اليه النّاس فى معاشهم ومعادهم [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] احوالهم واحوال دنياهم وآخرتهم [قُرْآنًا] حال موطّئة [عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ] غير ذى انحراف عن الطّريق المستقيم الانسانىّ [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] الانحراف عن طريق الانسان [ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا] للكافر والمؤمن والمنافق والموافق حتّى يتذكّر المؤمن المخلص حاله ويشكر ربّه والكافر والمنافق فيتزجر عنها ويتوب [رَجُلًا] بدل من مثلاً بتقدير مثل رجل [فِيهِ شُرَكٰاءُ مُتَشٰاكِسُونَ] اى مختلفون متعاسرون [وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ] فانّ المتّبع للاهواء الّذى يتّبع غير ولىّ الامر ينبغى ان يرى فى نفسه تجاذب اهويته له الى ارادات عديدة ومشتهيات كثيرة بحيث قد يتحيّر ويقف عن الكلّ ويبغض نفسه فى ذلك ، وما لم يتّبع هواه لم يتّبع رئيساً باطلاً و المتّبع لولىّ الامر الغير المتّبع لهواه يرى فى نفسه انّه مستريح الى ربّه لايجذبه ارادة وهوى الى غير ربّه ، وهذا النّاظر اذا نظر الى حال المتّبع للاهواء يشكر ربّه لامحالة والمتّبع للاهواء ان تنبّه بحاله انزجر لامحالة وتاب منه لكن قلّ من يتنبّه لانغمارهم فى اهويتهم وسكرهم وغفلتهم وقد فسّر السّلم فى اخبار عديدة بعلىّ (ع) وشيعته والرّجل الّذى فيه شركاء بأعداء علىّ (ع) [هَلْ يَسْتَوِيٰانِ مَثَلًا] حالاً او حكايةً [اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ] اظهار للشّكر على نعمة عدم الاستواء تعليماً للعباد [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] ليس لهم مقام علم، اولا يعلمون عدم الاستواء لطموح نظرهم على المتاع الفانى، اولا يعلمون احوالهم حتّى يتزلواهذا المثل على احوالهم فيتنبّهوا و يتزجروا [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ] بشارة وتسلية له ولموافقى امّته وتهديدٌ لمخالفيه ومنافقى امّته [ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ] تسلية تامّة لعلىّ (ع) وشيعته ، وتهديد تامّ لمخالفيهم وقد فسّر المتخاصمون بعلىّ (ع) واعدائه .

[الجزء الرّابع والعشرون]

[فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللّٰهِ] يعنى فلم يكن حينئذ اظلم منهم وهذا تهديدٌ آخر لهم وتسلية اخرى لعلىّ (ع)

وموافقيه، ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بوصف ذمّ لهم والاشارة الى الحكم وعلّته فانّ كلّ من ترأّس في الدّين باىّ نحو من التّرأّس من القضاء والفتيا وامامة الجماعة والجمعة والوعظ والتّصرّف في الاوقاف واموال الايتام والغيّاب واخذ البيعة من العباد وتلقين الذّكر وتعليم الاوراد من دون اذن وأجازة من الله بتوسّط خلفائه فهو ممّن كذب على الله، وهكذا من اتّبع هذا المترأّس فانّه بحاله كذب على الله حيث اعتقد انّ هذا المترأّس رئيس من الله في الدّين واتّبعه ولم يكن رئيساً من الله [وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ] الّذى هو ولايته التّكوينيّة حيث انّها تزجره عن هذا التّرأّس و ذلك الاتّباع و ولايته التّكليفيّة ان كان قد حصّل الولاية التّكليفيّة وولىّ امره ، فانّ هذا المتّبع مكذّب بالكلّ والكلّ صدق و صادق [إِذْ جٰاءَهُ] تكويناً او تكليفاً في الباطن او في الظّاهر بنفسه اوعلى لسان نبيّه اوعلى لسان قرينه [أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما حالهم في الآخرة ؟ فقال : انّهم في جهنّم [وَالَّذِي جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ] وهو كلّ من قبل الولاية التّكليفيّة فانّه جاء بالولاية التّكوينيّة والولاية التّكليفيّة وصدّق بها فانّه ان لم يتّبع هواه يصدّق الولايتين في احكامهما و يصدّق ولىّ امره في كلّ امر ونهي وقول وفعل وخلق صدر منه [أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] يعنى من الظّلم وهو في مقابل من اظلم ممّن كذب كما انّ قوله والّذى جاء بالصّدق في مقابل كذب على الله (الى آخره) [لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ] مقابل اليس في جهنّم مثوى للكافرين [ذٰلِكَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِينَ] بسط ذكر الجزاء بالنّسبة الى المصدّقين دون المكذّبين تشريف لهم وتحقير لمقابليهم [لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ] علّة لحصر التّقوى فيهم وكون مايشاؤن لهم عند ربّهم يعنى لمّا كفّر الله و جزاهم باحسن اعمالهم صار لهم ذلك، اوغاية لماذكر يعنى انّ التّقوى و اعطاء ماشاؤا صار سبباً لتكفير سيّئاتهم [أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا] فكيف بغيره [وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كٰانُوا يَعْمَلُونَ] قد سبق انّ المقصود جزاءهم لجميع اعمالهم بجزاء احسن الاعمال وقد سبق وجهه وانّ كلّ عمل سيّئة كانت اوحسنة يحصل منه فعليّة ماللنّفس فان كانت الاعمال حسنات يحصل منها فعليّة في جهتها العقلانيّة و ان كانت سيّئات يحصل منها فعليّات في جهتها الشّيطانيّة وكلّ فعليّة تحصل في جهتها الشّيطانيّة اذا تسلّط العقل واخذ الملك من الشّيطان صارت من سنخ الحسنات لصيرورة الفعليّات حينئذ كلّها سيّئاتها وحسناتها من جنود العقول فصارت السّيّئات حسنات اذلا معنى للحسنة الّا كون الفعليّة الحاصلة منها من جنود العقل وهذا معنى تبديل السّيّئات حسنات وبهذا الاعتبار يجزى تمام السّيّئات جزاء احسن الاعمال فضلاً عن الحسنات [أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكٰافٍ عَبْدَهُ] تسلية للرّسول (ص) عن تخويف قومه اياه او تخويفهم عليّاً (ع) اوعن تخويفهم اياه بان لايدعوا الامر في علىّ (ع) والمراد بالعبد محمّد (ص) اوعلىّ (ع) [وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] قيل: قالت قريش: انّا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها، وقيل: يقولون لك: يامحمّد (ص) اعفنا من علىّ (ع) و يخوّفونك بانّهم يلحقون بالكفّار [وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ] جملة حاليّة [فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ] يعنى انّهم اضلّهم الله ولست انت تهديهم اولايهتدون الى مايتخيّلون من اللّحوق بالكفّار، اومن منع علىّ (ع) من الخلافة [وَمَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ] فلا تخف من آلهتهم ولاممّا قالوا في علىّ (ع) فانّ الله هداك وعليّاً (ع) [أَلَيْسَ اللّٰهُ بِعَزِيزٍ] غالب لايغلب في مراده حتّى تخاف منهم وممّا قالوا في علىّ (ع) [ذِي انْتِقٰامٍ] فلا تحزن على تقلّبهم في البلاد وتمتّعهم في الايّام فانّا ننتقم منهم بل تقلّبهم وتمتّعهم باسر النّفس والخيال انتقامنا منهم [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ] عطف على من يضلل الله و هو حال في مقام التّعليل [مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ] فكيف

يخوفّونك بالّذين من دونه [قُلْ] ردّاً عليهم في تخويفهم [أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ] والحال ان لاضرّ الّا منه ولا رحمة الّا باذنه فكيف تخوفّونني بها والخوف لايكون الّا بالاضرار اومنع النّفع و في ايراد الضّمائر مؤنّثات توهين لآلهتهم سواء اريد بها الاصنام والكواكب وامثالها اوالمتر أسّين في الدّين مقابل الرّؤساء الحقّة [قُلْ] لهم بنحو التّجرى ولا تخف [حَسْبِيَ اللهُ] ولا حاجة لي الى غيره فلتفعل آلهتكم بي ماقدروا [عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ] يعني ينبغي ان يتوكّل عليه المتوكّلون لانّه لا فاعل في الوجود باقرار الكلّ الّا هو [قُلْ] لهم تهديداً لهم مقابل تهديدهم لك [يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ] اى على منزلتكم اوعلى مقدرتكم سواء جعل من كان اومن مكن [إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ] قد مضى الآية بعينها في اوائل سورة هود [إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ] جملة مستأنفة في مقام التّعليل للامر بالقول يعني انّا انزلنا عليك الكتاب [لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ] لاجل تهديدهم وترغيبهم فمالك لاتقول لهم فقل لهم ماانزلنا اليك ولاتبال سمعوا اولم يسمعوا [فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] حتّى تراقب عدم ضلالهم وتحزن لضلالهم [اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ] كلام منقطع عن سابقه وقد مضى في سورة النّساء وجه الجمع بين توفّي الله وتوفّي ملائكته ورسله وتوفّي ملك الموت [حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ] عطف على الانفس من قبيل عطف العامّ على الخاصّ وقوله [فِي مَنَامِهَا] متعلّق بلم تمت يعني انّ للانسان نفساً حيوانيّة ونفساً عقلانيّة والله يتوفّى جميع الانفس حين الموت ويتوفّى ايضاً حين الموت الانفس الحيوانيّة الّتي لم تكن تخرج من الابدان حين النّوم فانّ الّتي تخرج حين النّوم هي الانفس العقلانيّة ويشبه ان لايكون الله يقبضها حين الموت لتسفّلها وعدم الاعتناء بها بل تكون تفنى اوتقبضها الملائكة ، اوفي منامها متعلّق بيتوفّى الانفس والمعنى انّ الله يتوفّى الانفس ، ويتوفّى بان يقبضها حين نومها ومعنى قوله تعالى [فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى] على الوجه الاوّل انّه يمسك الانفس الّتي قضى عليها الموت من الانفس المتوفّاة ويرسل الاخرى الّتي لم يتوفّها بالموت يعني يبقيها في ابدانها الى اجلها ، اويمسك الانفس العقلانيّة الّتي يتوفّيها بالنّوم ويرسل الانفس الحيوانيّة الّتي لم يتوفّها يعني يبقيها في ابدانها والمعنى على المعنى الثّاني انّه يمسك الانفس الّتي يتوفّيها بالموت ويرسل الاخرى الّتي توفّيها بالنّوم بان يرسلها بعد توفّيها الى ابدانها [إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى] موقّت معلوم [إِنَّ فِي ذَلِكَ] التّوفّي والارسال حين الموت والنّوم [لَآيَاتٍ] عديدة على مبدئيّته وعلمه وقدرته وكمال حكمته ، وبقاء عالم آخر غير هذا العالم وعود الانفس الى ذلك العالم ، وكون الانسان ذامراتب وانّ بعض مراتبه حكمها حكم الطّبع ، وبعض مراتبه حكمها حكم العقل المجرّد وانّه يمكن ان يشاهدما في العالم الباقي كما انّه يشاهدما في هذا العالم وغير ذلك [لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال المفكّرة باستخدام العقل في استنباط المعاني الدّقيقة والنّتائج الخفيّة من المقدّمات الجليّة وغيرهم وان كانوا ذوى شعور وعلم وذوى عقول والباب وذوى تذكّر وتنبّه لاينتقلون الى آياته من مشهوداته [أَمِ اتَّخَذُوا] ام منقطعة متضمّنة للاستفهام اومجرّدة عنه ، اومتّصلة محذوف معادلها والتّقدير اتّخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ام اتّخذوا [مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ] لهم اتتّخذونهم آلهة اوشفعاء [أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا] ممّا يملك

[وَلَا يَعْقِلُونَ] بمنزلة بل لا يعقلون [قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا] فمالكم تجعلون غيره شفيعاً عنده، او المعنى بل اتّخذوا من دون علىّ (ع) الّذى هو مظهر تامّ لله و بهذه المظهريّة يطلق اسم الله عليه شفعاء قل لهم اتّخذونهم شفعاء و ائمّة لكم ولو كانوا لا يملكون شيئاً ممّا يملك حتّى نفوسهم و قوى نفوسهم الّتى تكون مملوكة لكلّ ذى نفس ولا يعقلون خير انفسهم وشرّها الانسانيّين فكيف بغيرهم قل لهم ايّتها العصابة الّذين تطلبون شفعاء عند الله لعلىّ (ع) الشّفاعة جميعاً يعنى بجميع مراتب الشّفاعة وجزئيّاتها ليس لاحد شيء منها فمالكم تنصرفون عن علىّ (ع) الى غيره [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ] فى مقام التّعليل [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنى انّ الشّفاعة فى الدّنيا مختصّة به لانّ له ملك السّماوات والارض، والشّفاعة فى الآخرة مختصّة به لانّ الكلّ يرجعون اليه لا الى غيره [وَإِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ] بمنزلة الاستدراك كأنّ متوهّماً توهّم انّه لا ينبغى ان يتوجّه احد مع ذلك الى غير الله فقال ولكن اذا ذكر الله وحده [اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] لانّهم ادبروا عن الله واقبلوا على اهويتهم والمدبر عن الشّيء مشمئزّ عنه وعن ذكره، والمقبل على الشّيء مستبشر به و بذكره [وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] كالاصنام والطّواغيت ومعاندى علىّ (ع)، وعن الصّادق (ع) انّه سئل عنها فقال: اذا ذكر الله وحده بطاعة من امر الله بطاعته من آل محمّد (ص) اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة، واذا ذكر الّذين لم يأمر الله بطاعتهم [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ قُلِ] معرضاً عنهم مقبلاً على ربّك [اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] يعنى توجّه الى ربّك واذكره بما فيه تسليتك عن عدم اجابة قومك وعن خلافهم من كونه خالق كلّ ما سواه وعالم كلّ المعلومات ومنها عناد قومك معك و خلافهم لك وحصر الحكم بين العباد فيه [وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] عطف على اللّهمّ ومن جملة ما أمره الله تعالى ان يقول تسلية لنفسه، او عطف على جملة اذا ذكر الله، او حال من احد اجزائها، او حال من اجزاء قل اللّهمّ (الى آخر الآية) ولفظة لو للشّرط فى الاستقبال او للشّرط فى الماضى لانتفاء الثّانى لانتفاء الاوّل بادّعاء مضىّ يوم القيامة لتحقّق وقوعه، والمراد بالظّلم ظلم آل محمّد (ص) لعدم ارادة مطلق الظّلم لانّ اكثر اصنافه مغفور فليخصّص بما هو المعهود من ظلم آل محمّد (ص) [مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] وهذا تهديد بليغ لهم [وَبَدَا لَهُمْ] عطف على افتدوا او حال [مِنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى العمل الّذى كانوا به يستهزؤن، او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن [فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ] اى اذا مسّهم ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ هذا فى فطرة الانسان، والفاء لسببيّة ما بعدها لما قبلها، او عاطفة على جملة اذا ذكر الله (الى آخرها)، او على جملة لو انّ للّذين ظلموا (الى آخرها) ودالّة على التّرتيب فى الاخبار [ضُرٌّ دَعَانَا] لظهور فطرته حينئذ وعدم احتجابها بحجب الوهم والخيال واقتضائها التّعلّق بالله والتّضرّع اليه [ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا] وظهر الخيال بانانيّته ونسى حال تضرّعه ودعائه [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ] منّى بطرق كسبه او على علم باتيانه لانّى علمت انّ الله يعطينى ذلك لمكانى عنده [بَلْ] ليس اتيانه بكسبه ولا بشعور منه باتيانه انّما [هِيَ فِتْنَةٌ] من الله وفسادٌ له او امتحان له لئلّا يبقى عليه شوبٌ من العلّيّين حتّى يدخل النّار من غير شوب من العلّيّين [وَلٰكِنَّ

اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم مقام علم حتّى يعلموا انّ ذلك بنا فى مقام علمهم اولا يعلمون انّ ذلك فتنة لهم واستدراج [قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كقارون حيث قال: انّما اوتيته على علم [فَمَا اَغْنَى] عذاب الله [عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] من الاموال والقوى والاولاد والخدم والحشم [فَاَصَابَهُمْ] عطف عطف التّفصيل على الاجمال [سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا] بأنفسها على تجسّم الاعمال اوجزاء تلك السّيّئات [وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ] اى ظلموا آل محمّد (ص) اوظلموا ولايتهم التّكوينيّة الّتى هى ولاية آل محمّد (ص) بعدم ضمّها الى الولاية التّكليفيّة فانّ الظّلم ليس مراداً مطلقاً فيكون المراد هو الفرد المعهود منه [سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ اَوَلَمْ يَعْلَمُوا] استفهام توبيخىّ يعنى لولا يعلمون ذلك مع وضوح برهانه وظهور آثاره [اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّ فِي ذٰلِكَ] اى فى بسط الرّزق لبعض من دون مداخلة كسبه وتدبيره فى ذلك وقدره لبعض مع كمال سعيه وتدبيره [لَاٰيَاتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى وقدرته وحكمته ومراقبته لعباده [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] يذعنون بالله وصفاته، او يسلمون بالبيعة العامّة، او يؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [قُلْ يَا عِبَادِيَ] قد مضى انّ الخطاب للعباد من محمّد (ص) بياعبادى فى محلّه فانّ عباد الله كما انّهم عبادٌ لله عبد عبوديّة عباد لمظاهره عبد طاعة، على انّ حكم الظّاهر قد ينسب الى المظهر اذا انسلخ المظهر من انانيّته وظهر فيه انانيّة الظّاهر كما انّ حكم المظهر قد ينسب الى الظّاهر ويشهد لذلك قوله تعالى: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم، وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى وقوله قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم وقوله انّ الله اشترى من المؤمنين وقوله انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله وقوله الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده ويأخذ الصّدقات فانّ الاشتراء والبيعة وقبول التّوبة واخذ الصّدقات ليست الّا بتوسّط المظاهر والخلفاء [الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ] بالافراط فى حقوقها الدّنيويّة والتّفريط فى حقوقها الاخرويّة [لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا] وهذا لمن كان له سمة العبوديّة بالنّسبة الى مظاهره وخلفائه ولا يكون سمة العبوديّة الّا لمن باع معهم البيعة العامّة او البيعة الخاصّة، بل نقول: لا يكون سمة العبوديّة الّا لمن باع البيعة الخاصّة فانّ الايمان الّذى هو سمة العبوديّة لا يدخل فى القلب الّا بالبيعة الخاصّة، وامّا المسلمون فدخولهم فى الاسلام ليس الّا كدخول من دخل تحت حكم السّلاطين الصّوريّة ولذلك لا يكون الاجر والثّواب الّا على الايمان دون الاسلام، اونقول هو عامّ لكلّ من لم ينسلخ من عبودية الله تكويناً سواء صار عبداً له تكليفاً او لم يصر، وانسلاخه من عبوديّته التّكوينيّة لا يكون الّا بالتّمكّن فى اتّباع الهوى والشّيطان فانّ المتمكّن فى اتّباعهما لا يغفر له لانّه الشّرك الّذى قال الله انّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك فالمراد بالذّنوب ههنا غير الشّرك الّذى لا يغفره الله، وغير المتمكّن فى اتّباع الشّيطان هو الباقى على ولاية آل محمّد (ص) تكويناً وان لم يبايع بالولاية معهم تكليفاً فلا منافاة بين هذا التّعميم، وما ورد فى الاخبار من اختصاص الآية بشيعة آل محمّد (ص) فانّه قال القمىّ: نزلت فى شيعة علىّ بن ابى طالب (ع) خاصّة، وعن الصّادق (ع) لقد ذكركم الله فى كتابه اذ يقول: ياعبادى (الآية) قال (ع): والله ما اراد بهذا غيركم، وعن الباقر (ع): وفى شيعة ولد فاطمة (ع) انزل الله عزّ وجلّ هذه الآية خاصّة، وعن الصّادق (ع): ما على ملّة ابراهيم (ع) غيركم، وما يقبل الّا منكم، ولا يغفر الذّنوب الّا لكم، وعن امير المؤمنين (ع): ما فى القرآن آية اوسع من ياعبادى الّذين اسرفوا (الآية)، وعن النّبىّ (ص): ما احبّ انّ لى الدّنيا وما فيها بهذه الآية، واذا جمع ما ورد فى شيعة علىّ (ع) مع هذه الآية علم ان ليس المراد بعبادى الّا شيعته، مثل:

حبّ عليّ (ع) حسنةٌ لا يضرّ معها سيّئةٌ ومثل: دينكم دينكم فانّ السّيّئة فيه مغفورة، والحسنة في غيره غير مقبولة، ومثل: اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره، ومثل: ولىّ عليّ (ع) لا يأكل الّا الحلال، ومثل: انّ الله عزّ وجلّ فرض على خلقه خمساً فرخّص في اربع ولم يرخّص في واحدة، وغير ذلك ممّا يدلّ على انّ الرّجل ان وصل الى الاحتضار بالولاية غفر الله له جميع ذنوبه [إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ] المضاف الّذى هو علىّ بن ابى طالب (ع) وولىّ امركم، والانابة اليه بعد البيعة ليست الّا بالحضور لديه بمعرفته بالنّورانيّة الّذى هو الحضور عند الله والمعرفة بالله [وَأَسْلِمُوا لَهُ] اى انقادوا له بالخروج من جميع نيّاتكم وقصودكم وليس الّا بالحضور عنده [مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ] اى عذاب الاحتضار اوعذاب القيامة [ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ] اذا لم تكونوا تسلمون له [وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم] قد سبق بيان اتّباع احسن القول في اوائل هذه السّورة، وقد مضى انّ احسن القول هو الولاية [مِن رَّبِّكُم] ولاشكّ انّ احسن ما انزل الى العباد من ربّ العباد من جملة اركان الاسلام واحكامه الولاية فانّها اسناها وازكاها وانماها واشرفها والدّليل عليها، واحسن ما انزل اليهم من جملة قواهم وفعليّاتهم هو الولاية التّكوينيّة الّتى هى حبل الله، والولاية التّكليفيّة الّتى هى حبل النّاس، وهى الايمان الدّاخل في القلب، وهى الفعليّة الاخيرة الّتى بها شيئيّته وهى ما يصحّح نسبة البنوّة والابوّة بينه وبين ولىّ امره، ونسبة الاخوّة بينه وبين سائر المؤمنين [مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ] عذاب حال الاحتضار اوالقيامة [بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ] بمجيئه حتّى تتهيّؤا لدفعه او لوروده ليكون ايسر ايلاماً [أَن تَقُولَ] امرنا اوقلنا ذلك كراهة ان تقول، اولئلّا تقول، اوهو بدل من ان يأتيكم العذاب نحو بدل الاشتمال اى اتّبعوا احسن ما انزل اليكم من قبل ان تقول [نَفْسٌ] ارادة العموم البدلىّ اوالاجتماعى من النّفس ههنا بعيدة لفظاً ومعنىً، وارادة فرد ما لا على التّعيين مفيدٌ معنىً وقريب لفظاً لكن ملاحظة التّحقير من التّنكير وهى المنظور منه [يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ] اى فى علىّ (ع) اوفى ولايته كما ورد اخبار كثيرة فى انّ المراد بجنب الله علىّ (ع)، اوهو والائمّة من بعده، اوولايته، فعن الباقر (ع) اشدّ النّاس حسرةً يوم القيامة الّذين وصفوا عدلاً ثمّ خالفوه وهو قوله عزّ وجلّ: ان تقول نفس (الآية)، وعن الكاظم (ع) جنب الله امير المؤمنين (ع)، وعن الباقر (ع): نحن جنب الله، وعنه (ع) وعن السّجّاد (ع) والصّادق (ع)، جنب الله علىّ (ع) وهو حجّة الله على الخلق يوم القيامة، وعن الرّضا (ع) فى هذه الآية انّه قال: في ولاية علىّ (ع)، وعن علىّ (ع): انا جنب الله، والاخبار فى هذا المعنى كثيرة [وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ] لجنب الله [أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] ولفظة او للدّلالة على انّها قد تقول هذا وقد تقول ذلك لغاية تحيّره ووحشته [بَلَىٰ] جوابٌ للنّفى المستفاد من قولها: لو انّ الله هدانى واثباتٌ لما نفت وردّ عليها كأنّه قيل: ما يقال لها حين تقول ذلك؟ فقال تعالى: يقول الله بلى ردّاً على قولها ما هدانى الله [قَدْ جَاءَتْكَ] قرئ بتذكير ضمير الخطاب اعتباراً للمعنى وقرئ بتأنيثه [آيَاتِي] نقل انّ المراد بالآيات الائمّة وعلى ما ذكرنا من اشارات الاخبار جاز ان تفسّر الآيات بعلىّ (ع) والائمّة (ع) من بعده [فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ] عن الانقياد لها [وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ] بالله بكفرك بالآيات من حيث انّها آيات لانّها مظاهر الله وبكفرك بالولاية فانّ الايمان بالله لا يحصل الّا بالايمان بالولاية، وبكفرك بنعم الله فانّ الولاية من اعظم نعم الله على خلقه، والكافر بها كافر باعظم النّعم بل بجميع النّعم لانّ النّعمة ليست نعمة الّا بالولاية [وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ]

بادّعاء منصب دينيّ ليس باذن من الله وخلفائه كادّعاء الامامة والخلافة من الرّسول، وادّعاء القضاء والفتيا، وادّعاء الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وادّعاء الوعظ والامامة للجمعة والجماعة، والتّصرّف في الاوقاف واموال الايتام والغيّاب، واجراء الحدود والتّعزيرات، واخذ الفيء والانفال والصّدقات؛ وغير ذلك من المناصب الدّينيّة المحتاجة الى الاذن والاجازة من الله عموماً اوخصوصاً، وروى بطرق عديدة انّ المراد: من ادّعى انّه امام وليس بامام، قيل: وان كان علوياً فاطمياً؟ قال: وان كان علوياً فاطمياً [وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما حالهم ومقامهم؟ فقال: حالهم انّهم في جهنّم لكنّه ادّاه بصورة الاستفهام تأكيداً لهذا المعنى [وَيُنَجِّي اللَّهُ] عطف على قوله تعالى اليس في جهنّم فانّه في معنى يكون في جهنّم مثوىً للكافرين و ينجّي الله [الَّذِينَ اتَّقَوْا] قد مضى في اوّل البقرة بيان التّقوى وتفاصيلها [بِمَفَازَتِهِمْ] بنجاتهم يعني باستعدادهم للنّجاة او في محلّ نجاتهم والمفازة المنجاة والمهلكة ضدّ والفلاة التي لاماء بها [لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] جواب سؤال مقدّر في مقام التّعليل اومنقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] بالحفظ والابقاء على ما هو خير له [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] يعني مفاتيحها و مقاليدها عبارة عن الوجود الّذي به قوامها وبقاؤها، واذا كان ذلك الوجود مملوكاً له لم يكن لها شيء لايكون مملوكاً له فهو مالكٌ لها بتمام اجزائها لا انانيّة لها في انفسها، والجملة في مقام التّعليل [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ] اى بعليّ (ع) وولايته [أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] لاخسران سوى الكفر به لانّ من كفر بالله اذا لم يبطل استعداده الفطريّ يمكن له التّوبة والرّجوع وكذا حال من كفر بالرّسول واليوم الآخر، وامّا من كفر بالولاية بان قطع الولاية التّكليفيّة والولاية التّكوينيّة لايبق له استعداد التّوبة وهو المرتدّ الفطريّ الّذي لاتوبة له وليس له الّا القتل بخلاف غيره من الكفّار ولذلك ادّعى حصر الخسران فيه [قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ] غير الله مفعول اعبد و تأمرونّي معترض بينهما، ومفعوله محذوف اى تأمرونّي بعبادته، اوغير الله مفعول تأمرونّي واعبد بدل منه بتقدير ان بدل الاشتمال، وقرئ تأمرونّي بالاوجه الثّلاثة (الحذف والادغام والفكّ) الجائزة في نون الوقاية مع نون الجمع [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ] ابتداء كلام من الله ردّاً عليهم في قولهم لمحمّد (ص) استسلم بعض آلهتنا تؤمن با لهتك كما انّ قوله: قل اغير الله تأمرونّي كان ردّاً عليهم في قولهم ذلك [وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ] يعني هذا الوحي كان مستمرّاً من اوّل زمن النّبوّة ولم يكن له اختصاص بنبيّ دون نبيّ ووقت دون وقت لانّ البعثة لم تكن الّا لنفي الشّرك خصوصاً اذا كان المراد بالشّرك الشّرك في الولاية لانّها كانت مبدء للبعثة وغايةً لها [لَئِنْ أَشْرَكْتَ] بالله في العبادة او لئن اشركت بعليّ (ع) والولاية [لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] تعريض بالامّة وباشراكهم بالولاية لكنّه خاطب النّبيّ (ص) بهذا الخطاب مبالغةً في تهديد الامّة ودلالةً على انّه (ص) مع كمال عظمته ومقام نبوّته لواشرك حبط عمله فكيف بغيره ممّن لامقام له [بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ] تقديم الله للاشارة الى الحصر [وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] لنعمة العبادة وحصرها فيه: عن القمّيّ في تفسير الآية: هذه مخاطبة للنّبيّ (ص) والمعنى لامّته والدّليل على ذلك قوله تعالى: بل الله فاعبد و كن من الشّاكرين وقد علم انّ نبيّه (ص) يعبده ويشكره لكن استعبد نبيّه بالدّعاء اليه تأديباً لامّته، وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية فقال: تفسيرها لئن امرت بولاية احد مع ولاية عليّ (ع) من بعدك ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين، وعن الصّادق (ع): ان اشركت في الولاية غيره قال

بل الله فاعبد بالطّاعة وكن من الشّاكرين ان عضّدتك بأخيك وابن عمك ، والغرض من نقل امثال هذه الاخبار ان تعلم انّه كلّما ذكر اشراكٌ وتوحيدٌ كان المراد الاشراك بالولاية والتّوحيد لها سواء اريد من ظاهره غيره او اريد بظاهره ايضاً ذلك فقوله تعالى بل الله فاعبد كان معناه بل عليّاً (ع) فتولّ ، لانّه مظهر الله ولانّ عبادة الله لا تتيسّر الّا بالولاية وكن من الشّاكرين على نعمة الولاية وكان معنى قوله تعالى [وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ] ما قدروا عليّاً (ع) اوما قدروا الولاية حقّ قدره ، ولمّا كان المقصود التّعريض بالامّة عطف بيان حالهم على اشراكه كأنّه قال: لكن ما قدروا الله حقّ قدره لانّه كما لا يمكن قدر الذّات الاحديّة لاحد من مخلوقه لا يمكن قدر الولاية حقّ قدرها لاحد سوى صاحب الولاية المطلقة ، وقال القمّيّ: نزلت في الخوارج ، والسّرّ في انّهم لا يقدرون الله قدره انّهم محدودون بحدود لا فرق في ذلك بين الانبياء (ص) والاوصياء (ع) الجزئيّين وبين سائر الخلق غاية الامر انّ الانبياء (ع) قد خرجوا من بعض الحدود البشريّة والانسانيّة وغيرهم ما خرجوا والذّات الاحديّة وكذلك المشيّة الّتي يعبّر عنها بالولاية الّتي هي عليّ (ع) مطلقة من الحدود ، والمحدود لا يقدر على ادراك المطلق فلا يقدر قدره لانّ قدر القدر مسبوق بادراكه ، واما النّبيّ الخاتم (ص) والوليّ الخاتم (ع) فيقدران قدر الولاية ولا يقدران قدر الله ، والله تعالى شأنه هو الّذي يقدر قدر الكلّ [وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ] القبضة المرّة من القبض وفيه تفخيم لعظمته من حيث انّ الارض بعظمتها كانت قبضة واحدة له والمراد بالارض كما مرّ مراراً اعمّ من عالم المثال السّفليّ وعالم المثال العلويّ وعالم الطّبع بجميع سماواته وارضيه [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيّٰتٌ بِيَمِينِهِ] اطلاق القبضة في الارض عن اليمين وعن الطّيّ واستعمال الطّيّ في السّماوات وتقييده باليمين للاشارة الى حقارة الارض بالنّسبة الى السّماوات ورفعة السّماوات وعظمتها وشرافتها بالنّسبة الى الارض يعني انّ له تعالى تلك العظمة ومع ذلك يشركون به جماداً منحوتاً لهم او مخلوقاً ضعيفاً له [سُبْحٰانَهُ وَتَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ] من الاصنام والكواكب وانواع المخلوقات من العناصر ومواليدها وعمّا يشركون به في الولاية وعمّا يشركون به في العبادة من الاغراض والاهوية [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ] الاتيان بالماضي للاشارة الى تحقّقه ، اولانّ القضيّة قد مضت بالنّسبة الى النّبيّ المخاطب له او صارت القضيّة واقعةً حين الخطاب بالنّسبة اليه [فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] تقديم من في السّماوات لشرافتهم والّا فمن في الارض يصعق اوّلاً فانّ المراد النّفخة الاولى وبها يصعق من في الارض اوّلاً ثمّ من في السّماء [إِلّٰا مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ] في خبر من شاء الله ان لا يصعق جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، وفي خبر: هم الشّهداء متقلّدون اسيافهم حول العرش [ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ] نفخة [أُخْرىٰ] وهي نفخة الاحياء [فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ] قد مضى في سورة النّمل بيان الآمنين يوم القيامة وحين النّفخة الاولى والثّانية ، وبيّنا في سورة النّور معاني الصّور ووجوه قراءتها وكيفيّة النّفخ فيها وكيفيّة الاماتة والاحياء بها [وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا] .

تحقيق تبديل الارض واشراقها بنور ربّها

اعلم ، انّ نسبة الامام الى الارض والارضيّين مثل نسبة الرّوح الى البدن وقواه ، وكما انّ نور الرّوح لا يظهر الّا في القوى المدركة دون سائر آلات البدن لكونها منغمرة في ظلمة المادّة كذلك نور الامام في الدّنيا لا يظهر الّا في الكمّل من شيعتهم ، واما غيرهم من العناصر ومواليدها انساناً كانت او حيواناً او نباتاً وجماداً فلا يظهر نور الامام فيها لانغمارها في ظلمات المادّة وعوارضها فاذا انقضى الدّنيا وانقضى البرازخ الّتي هي معدودة من الدّنيا بوجه وانتهى الانسان الى الاعراف اوالى عالم المثال النّوريّ العلويّ صارت الارض مبدّلة والمادّة ولوازمها مطروحة وصارت تلك الارض مستشرقة بنور الامام (ع)

كما انّ هذه الارض مستشرقة بنورالشّمس، واذا تبدّل ارض العالم الصّغير وصارت ارض الملكوت غالبة على ارض الملك استشرقت ارض البدن بنورملكوت الامام بل ارض العالم الكبيرتصير مشرقةً بنور ملكوته ويصيرالانسان مستغنياً بنور الامام عن نور الشّمس كما قال المولوىّ قدّس سرّه عن الشّيخ المغربىّ :

گفت عبدالله شیخ مغربی شصت سال از شب ندیدم من شبی
من ندیدم ظلمتی در شصت سال نی بروز و نی بشب از اعتدال

ولمّا كان الانسان انموذجاً من العالم كان اذا تولّد بالولادة الثّانية وظهر عليه ملكوت امامه ظهر عليه كيفيّة اشراق الارض بنور ربّها، قال الصّادق (ع) : ربّ الارض امام الارض ، قيل: فاذاخرج يكون ماذا ؟- قال: اذاً يستغنى النّاس عن ضوء الشّمس ونورالقمر ويجتزؤن بنورالامام، وعنه (ع) : اذاقام قائمنا اشرقت الارض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشّمس وذهبت الظّلمة، وكلّ ذلك فى العالم الصّغير اشارة الى التّولّد الثّانى وظهور ملكوت الامام [وَوُضِعَ الْكِتٰابُ] قد مضى فى سورة الكهف بيان وضع الكتاب [وَجِيءَ بِالنَّبِيّٖنَ] الّذين هم رسل الله الى الخلق ليسئلوا عن اجابة الخلق لهم وطاعتهم وانقيادهم لله [وَالشُّهَدٰاءِ] اى خلفاء الرّسل (ع) فى دعوة الخلق الّذين يشهدون بافعالهم واحوالهم واخلاقهم واقوالهم على النّاس بعد الانبياء (ع) [وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين العباد او بين النّبيّين والشّهداء وبين الخلق [بِالْحَقِّ] بحيث لايشوب القضاء باطل اصلاً [وَهُمْ لٰا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ] قد سبق معنى توفية كلّ نفسٍ ما عملت فى سورة آل عمران [وَهُوَ اَعْلَمُ بِمٰا يَفْعَلُونَ] حال يعنى انّ الاتيان بالنّبيّين والشّهداء ليس لجهل الله بهم وبافعالهم [وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية بقطعها تكليفاً وتكويناً حتّى يموتوا وهم كافرون [إِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا] جمع الزّمرة الفوج والجماعة فى تفرقة ، ولمّا كان اهل الجحيم بحسب اختلاف احوالهم متفرّقين بالسّبق وعدمه وشدّة العذاب وخفّته استعمل الزّمر فيهم [حَتّىٰ إِذٰا جٰاؤُهٰا فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا] جعل فتحت ههنا جواباً لاذا اشارةً الى انّ ابواب الجحيم مغلقة قبل الوصول اليها فاذا وصلوا اليها تفتح لهم بخلاف ابواب الجنان فانّها مفتوحة على الخلق قبل اتيانهم اليها، ووجهه انّ الانسان بعد خلق آدم من التّراب المجموع من السّماوات والارضين والسّجّين والعلّيّين فى ارض بدنه يؤوى آدمه فى الجنّة الدّنيا فيكون آدمه فى الجنّة من اوّل خلقته فأبواب الجنّة من اوّل خلقته مفتوحة عليه وهو داخل فيها وليس يخرج منها الّا بعصيانه ، واماّ ابواب الجحيم فهى مغلقة لانّ الجحيم وابوابها ضدّ لفطرة آدم فهى مغلقة عليه الّا اذاخرج من الجنان وسيق الى النّيران فاذاسيق الى النّيران تفتح ابوابها عليه ولذلك لم ينسب الله تعالى فى شيء من الآيات الدّخول الى ابواب الجنان ونسب الدّخول فى كثير من الآيات الى ابواب الجحيم [وَقٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا اَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ اٰيٰاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا قٰالُوا بَلىٰ وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذٰابِ عَلَى الْكٰافِرِينَ] كانّهم قالوا: لكنّا كنّا كافرين وحقّت كلمة العذاب علينا لكفرنا فلم نتنبّه بتنبيههم [قِيلَ ادْخُلُوا اَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا] فى جهنّم [فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ] قد مضى بيان التّقوى ومعانيها ومراتبها فى اوّل البقرة وفى اواسطها وفى غيرها [إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا] جماعات مختلفين بحسب الحال والمراكب والمراتب والمنازل [حَتّىٰ إِذٰا جٰاؤُهٰا وَفُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا] جواب اذا محذوف اى دخلوها، اوكان لهم من الكرامة ما لايمكن وصفها وقد ذكرنا فى قرينه وجه اسقاط الواو هناك والاتيان بها ههنا ، وقيل : الاتيان بالواو ههنا لكون ابواب الجنان ثمانيةً

وابواب الجحيم سبعة، والعرب يأتي بالواو في الثّمانية و تسمّيها واوالثّمانية [وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ] تهنئة لهم مقابل التّهكّم بالكفّار [فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ] عن الصّادق (ع) عن ابيه (ع) عن جدّه (ع) عن علىّ (ع) قال: انّ للجنّة ثمانية ابواب، بابٌ يدخل منه النّبيّون (ع) والصّدّيقون، و بابٌ يدخل منه الشّهداء والصّالحون، وخمسة ابواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا ازال واقفاً على الصّراط ادعو واقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وانصاري واوليائي ومن تولّاني في دارالدّنيا، فاذا النّداء من بُطنان العرش؛ قد اجبت دعوتك وشفّعت في شيعتك، و يشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حارب بفعل او قول في سبعين الفاً من جيرانه واقربائه، و بابٌ يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد ان لا اله الّا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا اهل البيت [وَقَالُوا] بعد مشاهدة الجنّة و نعيمها وسعتها و منازلهم فيها وانعام الله عليهم بانواع نعمه [الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ] اى ارض الجنّة او ارض الدّنيا او ارض الآخرة لانّ الكامل في الجنّة يكون له التّصرّف في جميع اجزاء الدّنيا [نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ] الخطاب لمحمّد (ص) او عامّ والمعنى يقال حينئذ لكلّ راء: ترى الملائكة، وان كان الخطاب لمحمّد (ص) فالعدول الى المضارع للاشعار بانّ حاله في الحال انّه يرى الملائكة [حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] قد مضى في اوّل سورة الفاتحة وجه تقييد التّسبيح بالحمد وانّ تسبيحه تعالى ليس الّا بحمده كما انّ حمده ليس الّا بتسبيحه وقد مضى في سورة البقرة في اوّلها وجه الفرق بين التّسبيح والتّقديس و بيان معنى التّسبيح والتّقديس عند قوله تعالى: و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك [وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين الملائكة بان جعل كلّ في مقامه اللّائق به وحكم على كلّ بالعبادة اللّائقة به، او بين الخلائق و يكون تأكيداً لسابقه، واشعاراً برؤية محمّد (ص) ذلك [بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ] اتى بالفعل مبنيّاً للمفعول تلويحاً الى انّ هذا القول يجرى على كلّ لسان من غير اختصاص بقائل خاصّ [رَبِّ الْعَالَمِينَ] فانّه يظهر حينئذ لكلّ احد انّه تعالى ربّ جميع اجزاء كلّ العوالم، عن الصّادق (ع): من قرأ سورة الزّمر استخفافها من لسانه اعطاه الله من شرف الدّنيا و الآخرة واعزّه بلامال ولاعشيرة حتّى يها به من يراه وحرم جسده على النّار و بنى له في الجنّة الف مدينة في كلّ مدينة الف قصر وفي كلّ قصر، مائة حوراء، وله معهذا عينان تجريان، وعينان نضّاختان، وجنّتان مدهامّتان، وحور مقصورات في الخيام، وذواتا افنان، ومن كلّ فاكهة زوجان.

سورة المؤمن

مكّيّة كلّها، وقيل: سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما: انّ الّذين يجادلون في آيات الله (الى قوله) لايعلمون، وقيل: سوى قوله: وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والابكار يعنى بذلك صلوة الفجر وصلوة المغرب وقد ثبت انّ فرض الصّلوة نزل بالمدينة؛ خمس وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ [حٰمٓ] قد مضى فى اوّل البقرة وفى غيرها بيانٌ وافٍ للفواتح [تَنْزِيلُ الْكِتٰابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غٰافِرِ الذَّنْبِ وَقٰابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقٰابِ ذِي الطَّوْلِ] جمع تعالى فى اوصافه بين الجلال والجمال، والقهر واللّطف [لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ] لمّا كان الجمع بين الاوصاف الجلاليّة والجماليّة والقهريّة واللّطفية والحقيقيّة والاضافيّة بوهم تعدّداً وكثرةً فى الموجودات نفى الكثرة واثبت التّوحيد بعدها [إِلَيْهِ الْمَصِيرُ] اشارة الى توحيد المبدء والمنتهى [مٰا يُجٰادِلُ فِي آيٰاتِ اللّٰهِ] فى اخفائها وابطالها والاستهزاء بها [إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية التّكوينيّة والولاية التّكليفيّة فانّ الكفر بالله وبملائكته وكتبه ورسله ونعمه واليوم الآخر لا يكون الّا بعد الكفر بالولايتين فانّ الانسان ما لم يستر وجهة القلب الّتى هى الولاية التّكوينيّة وليست الولاية التّكليفيّة الّا معينةً لكشف الحجاب عن تلك الوجهة لا يكفر بالله ولا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونعمه [فَلٰا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلٰادِ] بالتّجارات الرّابحة والاعتبارات الّتى هى راجعة الى الدّنيا لانّهم مأخوذون عن قريب كما اخذ الّذين من قبلهم [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزٰابُ] اى الفرق المختلفة والامم المتفرّقة كذّبوا كلّهم رسلهم [مِنْ بَعْدِهِمْ] من بعد قوم نوح [وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ] من تلك الامم المذكورة اوكلّ امّة من الامم الماضية الّذين ارسل اليهم رسولٌ [بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ] فيمنعوه من رسالته او يعذّبوه او يقتلوه كما همّ قومك بك ليأخذوك فيحبسوك او يقتلوك [وَجٰادَلُوا] اى رسولهم [بِالْبٰاطِلِ لِيُدْحِضُوا] اى يزيلوا [بِهِ الْحَقَّ] كما يجادل قومك لان يزلقوك ويزيلوا الحقّ [فَأَخَذْتُهُمْ] بسبب الهمّ والجدال فلا تحزن فانّا نأخذ قومك ونعاقبهم [فَكَيْفَ كٰانَ عِقٰابِ] يعنى انّكم ان لم تشاهدوا عقوبتى لهم فقد سمعتم اخبارها وتشاهدون فى مروركم بديارهم آثارها فلم لا تعتبرون بهم؟! وممّ تغتمّ يا محمّد (ص) بهمّة قومك وجدالهم؟ [وَ كَذٰلِكَ] اى مثل ذلك العقاب المسموع للكلّ [حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] بالعذاب [عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ولاسيّما الكافرين الّذين كفروا برسالتك والمنظور الكافرون بولاية علىّ (ع) [أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ النّٰارِ] عن الباقر (ع) يعنى بنى امية [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ] جوابٌ لسؤال مقدّر ومقابلٌ لقوله: مايجادل فى آيات الله كانّه قيل: هذا حال الكافرين والمجادلين فى آيات الله فما حال المؤمنين؟ ـ فقال: حالهم انّ الّذين يحملون العرش [وَمَنْ حَوْلَهُ] عطف على الّذين يحملون العرش او عطفٌ على العرش [يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] قد مضى فى اوّل الفاتحة وفى غيرها وجه تقييد التّسبيح بالحمد [وَيُؤْمِنُونَ بِهِ] ذكرهم بوصف الايمان تفخيماً لشأن الايمان وتعظيماً لاهله وبشارةً لهم [وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا] واستغفارهم مستجاب لخلوّهم عن الهوى واغراض النّفس، والمراد بالّذين آمنوا الّذين يستغفرلهم الملائكة من آمن بالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة الولويّة دون من اسلم بالبيعة العامّة النّبويّة فقط، فانّهم وان كانوا مغفورين اذا لم يتنبّهوا بالبيعة الاخرى ولم يتذكّروا بالولاية، وانّ الايمان ليس الّا

بالبيعة الخاصّة الولويّة وكانوا فى متابعتهم للرّسل (ص) ثابتين غير متلوّنين لكن ما به استغفار الملائكة ليس الّا انفحة الولاية كما ورد فى اخبارنا تفسيرهم بشيعتهم، فعن الرّضا (ع) لِلَّذِينَ آمَنُوا بولايتنا، وعن الصّادق (ع) انّ لله ملائكةً يسقطون الذّنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الرّيح الورق فى اوان سقوطه وذلك قوله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ (الآية) قال استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق [رَبَّنَا] استيناف جوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول، او حال بتقدير القول [وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا] يعنى بالتّوبة الخاصّة الولويّة الجارية على يد ولىّ الامر فى ضمن البيعة الخاصّة [وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ] فى مقام عملوا الصّالحات المذكور فى سائر الآيات مع الايمان [وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ] هى جنّات الاقامة الّتى لا يخرج منها الى غيرها لكونها آخرة الجنّات [الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ] عطف على مفعول وعدتهم او على مفعول أدخلهم والمراد بالصّلاح استعداد الصّلاح فانّه نحو صلاح لا الصّلاح بالفعل الحاصل بالولاية والبيعة الخاصّة فانّه لو اريد ذلك الصّلاح لم يكن دخولهم بتبعيّة الغير ولم يثبت بذلك للمتبوع شرافة فانّ شرافة المؤمن بان يكون يدخل الجنّة بواسطته آباءه واتباعه الّذين لم يستحقّوا دخولها بانفسهم، فانّ من لم يبطل استعداده من آباء المؤمنين واولادهم وازواجهم يدخل الجنّة ان شاء الله بواسطتهم، ويجوز ان يراد بالصّلاح الصّلاح بالفعل فيكون للآباء والاتباع استحقاق الدّخول بسبب الايمان وبسبب نسبتهم الى المؤمن فانّهم ينتفعون بتلك النّسبة ايضاً [وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ] تقديم الازواج لمراعاة التّرتيب فى الوجود لا فى الشّرف ولا فى النّسبة [إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ] اى الغالب الّذى لا يمنع من مراده [الْحَكِيمُ] الّذى يعلم دقائق الاستعداد والاستحقاق وتفعل على حسبها بحيث لا يمكن ابطال فعلك والسّؤال عنك فيه [وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ] اى الشّرور الّتى تصيب النّاس يوم القيامة ويوم دخول اهل الجنان فى الجنان واهل النّيران فى النّيران لانّ سيّئات الدّنيا ان كانت شروراً بالنّسبة الى المراتب الحيوانيّة ومداركها تكون رحمات من الله بالنّسبة الى المراتب الانسانيّة ومداركها بخلاف سيّئات الآخرة فانّها شرور بالنّسبة الى المقامات الاخرويّة، وليس للانسان مرتبة حينئذٍ سوى المراتب الاخرويّة حتّى تكون هى خيرات بالنّسبة اليها [وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ] يوم دخول اهل الجنان فى الجنان [فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] لانّ الرّحم الدّنيوىّ فوز مشوب بالآلام بخلاف الرّحم الاخروىّ فانّه فوز غير مشوب فكأنّ الرّحم الدّنيوىّ ليس برحم، ولكون المراد الرّحم الاخروىّ حصر الفوز العظيم فيه، وفسّر القمّىّ الآية هكذا: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يعنى رسول الله (ص) والاوصياء (ع) من بعده يحملون علم الله ومن حوله يعنى الملائكة الّذين آمنوا يعنى شيعة آل محمّد (ص) الّذين تابوا من ولاية بنى اميّة واتّبعوا سبيلك اى ولاية ولىّ الله ومن صلح يعنى من تولّى عليّاً وذلك صلاحهم فقد رحمته يعنى يوم القيامة وذلك هو الفوز العظيم لمن نجّاه الله من هؤلاء [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] جواب سؤال مقدّر كأنّه سئل: هذا حال المؤمنين فما حال هؤلاء الكافرين الّذين يجادلون بالباطل ويهمّون برسولهم؟ او ما حال هؤلاء الّذين كفروا بولاية علىّ (ع)؟ وهذا هو المراد ولتأكيد عقوبتهم والتّغليظ عليهم أتى بانّ ههنا [يُنَادَوْنَ] يعنى يناديهم الملائكة تهكّماً بهم [لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ] الامّارة او ذواتكم، او المراد بأنفسهم ائمّتهم الحقّة فانّهم انفسهم حقيقةً لا نفسيّة لهم الّا بائمّتهم (ع) ويؤيّده قوله تعالى [إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ] بالله او بالرّسول (ص)

او بولاية عليّ (ع) وهوالمراد [فَتَكْفُرُونَ] فانّه بظاهره متعلّق بالمقت الثّاني ومقتهم فى الدّنيا ليس الّا لامقت من كانوا يدعون اليه يعنى مقت الله فى الدّنيا لكم اكبر من مقتكم فى الدّنيا امامكم ، او مقت الله فى القيامة لكم اكبر من مقتكم فى الدّنيا امامكم ، و يجوز ان يكون المراد انّ مقت الله فى القيامة اكبر من مقتكم انفسكم الامّارة اوذواتكم فى القيامة ، و يكون اذتدعون متعلّقاً بمحذوف او تعليلاً لمقت الله، وعن القمّيّ الّذين كفروا بنواميّة والى الايمان يعنى الى ولاية عليّ (ع) [قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ] قد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى كيف تكفرون بالله و كنتم امواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم بيان الاماتتين والاحيائين ، والغرض من مثل هذا النّداء والتّضرّع والمناجاة استرحامه تعالى ولذلك قالوا بعده [فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ] سؤال للخروج بصورة الاستفهام و يأتون بالخروج منكّراً اشعاراً بفرط قنوطهم كأنّهم يسألون شيئاً يسيراً من الخروج [ذَلِكُمْ] العذاب وعدم الاجابة الى الخروج [بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ] ضمير بانّه للشّأن وكان مع اسمه مقدّر بعده حتّى يصحّ الاتيان باذا يعنى ذلكم بانّه كنتم اذادعى الله وحده والمقصود من دعوة الله وحده دعوة وليّ الامر لانّه بدعوته يُدعى الله وحده يعنى يحصل التّوحيد للسّالك الى الله بسبب الولاية والسّلوك على طريقها ، و بالاقبال على وليّ الامر يقبل على الله ، و بمعرفته يعرف الله بل معرفته بالنّورانيّة هى معرفة الله فالمعنى اذادعى مظهر الله الّذى هو خليفته كفرتم به [وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا] تذعنوا وتسلّموا ، عن الصّادق (ع) انّه قال: اذا ذكر الله وحده بولاية من امر الله بولايته كفرتم ، وان يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بانّ له ولاية ، وعنه (ع) ايضاً: اذا دعى الله وحده واهل الولاية كفرتم [فَالْحُكْمُ لِلَّهِ] تعليل للمعنى المستفاد من المقام كأنّه قال: فذوقوا فانّ الحكم لله [الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ] لا حكم لغيره [هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ] ابتداء كلام منقطع عن سابقه ، او جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : انكان الحكم له وحده فما له لايحكم على العباد بالايمان؟! واراءة الآيات امّا باراءة معجزات الانبياء (ع) او باراءة آيات صدقهم ، او باراءة آيات قدرته وحكمته وعلمه ، او باراءة آيات تدبيره على وفق حكمته ، او باراءة الآيات الانفسيّة الّتى لايخلو احدٌ منها [وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا] اى رزقاً عظيماً هوالرّزق الانسانيّ من العلم و الحكمة [وَ] لكن [مَا يَتَذَكَّرُ] بالآيات ولا بنزول رزق الانسان من السّماء [إِلَّا مَنْ يُنِيبُ] الى الله بالتّوبة على يدوليّ أمره [فَادْعُوا اللَّهَ] يعنى اذاكان الامر كذلك فادعوا الله [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] دعاءكم لله او اخلاصكم له الدّين [رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ] خبرٌ بعد خبر لقوله هو فى هو الّذى يريكم ، او صفة لله مقطوعة عن الوصفيّة بناءً على اكتسابه التّعريف من المضاف اليه على قراءة الرّفع ، او باقية على الوصفيّة على قراءة النّصب، او حالٌ عنه بناءً على عدم اكتسابه التّعريف عن المضاف اليه ، والرّفع بمعنى المرفوع بمعنى انّ درجات وجوده مرفوعة بحيث لاينالها ادراك مدرك سواه، او بمعنى الرّافع بمعنى انّه رافع درجات عباده، اودرجات خلقه، اودرجات فعله وصفاته [ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ] قد فسّر الرّوح ههنا بالقرآن وبالوحى وبالنّبوّة وبجبرئيل وورد فى اخبار عديدة انّ الرّوح ملك اعظم من جبرائيل ولم يكن مع احدٍ من الانبياء (ع) وكان مع محمّد (ص) وهو كان مع الائمّة (ع)، وفسّر الرّوح فى الاخبار بمعانٍ اُخر مثل روح الايمان وروح القوّة وروح الشّهوة وغير ذلك، و يجوز ان يفسّر بالولاية الّتى هى مصدر النّبوّة والرّسالة و روحهما فانّها حقيقة المشيّة الّتى هى متّحدة مع ربّ النّوع الانسانيّ الّذى هو ربّ جميع الارباب وعنه يعبّر بروح القدس الّذى لم يكن مع احدٍ من الانبياء (ع) وكان مع محمّد (ص) [مِنْ أَمْرِهِ]

اى من عالم امره ، اومن امره الّذى هو كلمة كن الوجوديّة،وهى المشيّة الّتى هى فعله وكلمته وأمره [عَلٰى مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاٰقِ] اى يوم تلاقى اهل الارض واهل السّماء ، اوتلاقى المحسن و المسيء ، اوتلاقى الاحبّاء ، اوتلاقى المظلوم والظّالم ، اوتلاقى المسرع والبطيء و تلاحق الكلّ ، اوتلاقى الاتباع والمتبوعين وهو يوم القيامة [يَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ] عندالله من قبورهم اومن استارهم الّتى هى عبارة عن حدودهم و تعيّناتهم لانّهم يخرجون يومئذ من جميع التّعيّنات والحدود ولذلك قال: [لاٰ يَخْفىٰ عَلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ] من اعمالهم واقوالهم واحوالهم و مراتب وجودهم و دقائقها يعنى يظهر على الخلق انّهم كانوا على الدّوام بارزين عندالله وكانوا لا يخفى على الله منهم شيء [لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ] بتقدير القول وحكاية لما يقوله تعالى فى ذلك اليوم لهم، اوابتداء كلام منه واخبار بانّه لم يكن فى ذلك اليوم احد مالكاً لشيء [لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ] جواب منه لسؤاله [الْيَوْمَ تُجْزىٰ] تكرار اليوم لتمكين ذلك اليوم فى القلوب تهديداً منه وترغيباً اليه [كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ لاٰ ظُلْمَ الْيَوْمَ] بنقص ثواب اوزيادة عقاب [إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: النّفوس البشريّة غير متناهية فكيف يمكن محاسبة الكلّ فى يوم واحد؟ - فقال : انّ الله سريع الحساب يحاسب الكلّ فى وقت واحد لانّه لا يشغله شأن عن شأن ولا حساب عن حساب، عن امير المؤمنين (ع) : الميم ملك الله يوم لا مالك غيره و يقول الله لمن الملك اليوم؟ - ثمّ تنطق ارواح انبيائه و رسله و حججه فيقولون : لله الواحد القهّار ، فيقول الله جلّ جلاله : اليوم تجزى (الآية) وعنه (ع) : انّه سبحانه يعود بعد فناء الدّنيا وحده لاشيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال و الاوقات ، وزالت السّنون والسّاعات ، فلا شيء الّا الواحد القهّار الّذى اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، و بغير امتناع كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ] الآزفة اسم يوم القيامة لقربها فيكون اضافة اليوم اليه مثل اضافة العامّ الى الخاصّ [إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنٰاجِرِ] من شدّة الخوف والوحشة فانّه وقت الخوف والاضطراب يتحرّك القلوب من مواضعها كأنّها تبلغ الحناجر [كٰاظِمِينَ] حال من القلوب او المستتر فى الظّرف، ونسبة الكظم الى القلوب امّا مجاز عقلىّ اولتشبيه القلوب بالعقلاء [مٰا لِلظّٰالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ] قريب ينفعهم ويدفع عنهم [وَلاٰ شَفِيعٍ يُطٰاعُ] توصيف الشّفيع للاشعار بانّ الشّفيع اذا لم يكن مطاعاً لا ينفع شفاعته فكأنّه لم يكن شفيعاً، وليس المقصود انّه قد يكون لهم شفيع غير مطاع [يَعْلَمُ خٰائِنَةَ الْأَعْيُنِ] الخائنة مصدر مثل الكاذبة او وصف والمعنى يعلم العين الخائنة من الاعين، وخيانة العين عبارة عن النّظر الى ما لا يحلّ لها النّظر اليه ، اوكناية عن نظرها الى شيء بحيث لا يظهر نظرها على احد اوكناية عن الاشارة بالعين، وقيل: كناية عن قول الرّجل: ما رأيت وقد رأى ، او رأيت وما رأى ، اوعبارة عن النّظرة الثّانية الّتى هى عليك كما فى الخبر : النّظرة الاولى لك والثّانية عليك [وَمٰا تُخْفِي الصُّدُورُ] من العزمات والنّيّات والخطرات الّتى لم تظهرها لاحد ، اومن القوى والاستعدادات الّتى لم يطّلع صاحبوا القلوب عليها فكيف بغيرهم [وَاللّٰهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ] عطف بمنزلة النّتيجة كأنّه قال: اذا كان الله ذا العرش يعنى كان مالك جملة الخلق وكان واحداً قهّاراً ليس يعجز عن شيء ولا يخفى منهم عليه شيء ولم يكن منه ظلم على احد وكان عالماً بجميع الخلائق بتمام اوصافهم واحوالهم وقواهم واستعداداتهم فهو يقضى بالحقّ بينهم لا غيره وعلى التّفاسير السّابقة للآيات السّابقة فالمعنى انّ عليّاً (ع) الّذى هو مظهر الهة الله يقضى بالحقّ [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ] اى يدعونهم [مِنْ دُونِهِ] وهم

بنو اميّة ومن وافقهم ، ويجوز ان يكون عائد الموصول ضمير الفاعل [لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ] فضلاً عن القضاء بالحقّ [إِنَّ اللّٰهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] فى موضع تعليل لحصر القضاء بالحقّ فيه [أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] فيشاهدوا آثار الماضين وآثار قضائه تعالى بالحقّ [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَاقٍ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] كما أتيتهم بها [فَكَفَرُوا] كما كفر هؤلاء [فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فليحذر هؤلاء ممّا نزل بهم [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا] اشارة الى حال بعض الّذين من قبلهم [وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ] اى استبقوا بناتهم، اوامنعوا نساءهم من مضاجعة ازواجهم، او تجسّسوا حياء نساءهم لتجسّس العيب او الحمل [وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ] وضياع [وَقَالَ فِرْعَوْنُ] مثل من يخاف من خصمه ومعذلك يهدّده [ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ] فانّه لم يكن له مانع من قتله لكنّه كان يخاف منه ومن ثعبانه و يخوفه بالقتل، وقيل: كانوا يكفّونه عن قتله و يقولون : انّه ليس الّذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظنّ انّك عجزت عن معارضته بالحجّة [إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ] بان يفرّق النّاس عن الاجتماع اوخرج عن الطّاعة وادّعى السّلطنة [وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ] من اقاربه، فى خبر: انّه كان ابن خاله، وخبر آخر: كان ابن عمّه [يَكْتُمُ إِيمَانَهُ] قال القمّى كان يكتم ايمانه ستّمائة سنة [أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا] عظيماً اوذكراً من الاناسىّ او رجلاً حاله [أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ] صفة لرجلاً كما ذكر او بتقدير اللّام علّة لتقتلون [وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] على صدق دعواه [مِنْ رَبِّكُمْ] فاحذروا من مخالفته ومؤاخذة ربّكم [وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا] لا يضرّكم كذبه شيئاً [فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ] ان لم يصبكم كلّه [إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ] متجاوز عن حدّه فى امره [كَذَّابٌ] ظاهره انّه تعليل لقوله ان يك كاذباً يعنى انّه ان يك كاذباً لم ينل ما اراد منكم من كذبه لانّ الله لا يهدى الى مراده من هو مسرف كذّاب ولكنّه فى الحقيقة تعريض بفرعون وقومه بحيث لا يصير سبباً لشغبهم لانّه اثبت صدق موسى (ع) بقوله: وقد جاءكم بالبيّنات [يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ] غالبين [فِي الْأَرْضِ] ارض مصر وشكر هذه النّعمة ان تجيبوا رسول الله الّذى آتاكم هذا الملك لا انكار رسوله [فَمَنْ يَنْصُرُنَا] ادخل نفسه فيهم ليظنّوا انّه منهم [مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ إِنْ جَاءَنَا] فلا تتعرّضوا لبأس الله بانكار رسوله و ايذائه وقد اجاد فى الجدال حيث انكر قتله عليهم و اسند انكاره بما لا يمكن ردّه والشّغب معه فانّه قال اوّلاً: انّه يقول: ربّى الله فان لم تعترفوا ولم تذعنوا بالله فليكن ذلك محتملاً لكم ودفع الضّرر المحتمل واجب عقلاً فترك التّعرّض واجب عقلاً، وقال ثانياً: انّه جاء بالبيّنات على صدق دعواه فكيف تجترؤن عليه و تقتلونه؟ ! وثالثاً انّه غير خارج من الكذب اوالصّدق و كذبه لا يضرّكم وصدقه يضرّكم لامحالة ، والضّرر

المحتمل واجب التّحرّز، وقال رابعاً : انّه ان كان كاذباً لايهتدى الى مراده وان كنتم انتم كاذبين لم تهتدوا الى قتله فلاتتعرّضوا لقتله لكنّه لمّا اثبت صدقه كان كأنّه قال: انتم كاذبون ولاتهتدون الى قتله [قَالَ فِرْعَوْنُ] تليناً لقومه [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى] وأعتقد [وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ] الّذين تحزّبوا على رسلهم ولم يقل مثل ايّام الاحزاب لارادة الجنس من اليوم وتفسيره بايّام نوح (ع) وعاد وثمود [مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ] مثل سنّة الله وعادته فيهم [وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ] كقوم ابراهيم (ع) ولوط وشعيب (ع) [وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ] فلا يعاقبكم ان كنتم صالحين [وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ] اى شدائده، و يوم التّناد يوم القيامة لتنادى النّاس فيه واستغاثة كلّ بالآخر لغاية وحشتهم مثل الغرقى يتشبّثون بكلّ حشيش ،اولتنادى اهل الجنّة واهل النّار بقولهم: أفيضوا علينا من الماء او ممّا رزقكم الله و قولهم: انّ الله حرّمهما على الكافرين ، فعن الصّادق (ع) : يوم التّناد يومٌ ينادى أهل النّار أهل الجنّة : افيضوا علينا من الماء او ممّا رزقكم الله ، وقيل : لانّ بعض الظّالمين ينادى بعضاً بالويل والثّبور، وقيل: لانّه ينادى فيه كلّ أناس بامامهم [يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ] حالٌ مؤكّدة اى تدبرون عن الموقف اوعن الله ليأسكم من رحمته، اوعن النّار فارّين منها [مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ] من بأس الله اومن قبل الله [مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] عطف فيه معنى التّعليل لسابقه ، اومعنى الاستدراك كأنّه قال: لكن لاينفعكم نصحي لانّ الله اضلكم ومن يضلل الله فما له من هاد [وَلَقَدْ جَاءَكُمْ] عطف اوحال فيه معنى التّعليل [يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ] اقررتم به لارتضائكم بالغائب عن انظاركم دون الحاضر عندكم وجعلتموه خاتم الرّسالة و [قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا] اوالمعنى حتّى اذا هلك بقيتم على كفركم وقلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً [كَذَلِكَ] الضّلال الّذى كنتم انتم واسلافكم عليه [يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ] متجاوزٌ عن حدّه [مُرْتَابٌ] اى شأنه الارتياب وليس له حالة يقين بما ينبغى ان يتيقّن [الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ] بالابطال والاخفاء والازدراء والتّنقيص [بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ] بغير حجّة بل محض التّقليد والتّشكّك وهوى النّفس او بغير ذى سلطنة اتاهم واجبرهم على ذلك [كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا] اعراب الآية انّ من من قوله من هو مسرفٌ موصولة مفعول ّليضلّ والّذين يجادلون بدلٌ منه اوصفةٌ له، اوخبرٌ لمحذوف اومفعولٌ لفعل محذوف، اومبتدءٌ خبره قوله تعالى: بغير سلطان، او كبر مقتاً بتقدير جدال الّذين يجادلون كبر مقتاً، اوقوله تعالى [كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ] بتقدير العائد اومن من هو مسرفٌ موصولة مبتدءٌ والّذين يجادلون خبره ، او بغير سلطان او كبر مقتاً ، او كذلك يطبع الله ، اومن استفهاميّة، والّذين يجادلون بتقدير مبتدء ،او بتقدير خبر جوابٌ للاستفهام من الله ، اوالّذين يجادلون مبتدءٌ ، وبغير سلطان خبره ، او كبر مقتاً ، او كذلك يطبع الله وكذلك يطبع الله استيناف كلام اوخبر كماذكر، او كذلك فاعل كبر بجعل الكاف اسماً و يطبع الله استيناف كلام ، اوخبرٌ للّذين يجادلون اولمن [عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ] قرئ باضافة القلب وحينئذٍ يكون اشارةً الى تفرّق قلب

المتكبّر وتوزيعه على مهامّ عديدة كرجل فيه شركاء متشاكسون، وقرئ بتنوين القلب، وحينئذ يكون نسبة التكبّر الى القلب مجازاً، وقد مضى فى اوّل البقرة بيان ختم القلوب وطبعها [وَقَالَ فِرْعَوْنُ] تمويهاً على العوامّ [يٰاهٰامٰانُ ابْنِ لِي صَرْحًا] قصراً مرتفعاً ظاهراً على الانظار من صرح الشّيء اذا ظهر [لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبٰابَ أَسْبٰابَ السَّمٰوٰاتِ] كلّما يتوصّل به الى شيء آخر يسمّى سبباً، والاضافة الى السّماوات بيانيّة، لانّ السّماوات اسباب ايجاد المواليد وابقائها، او بتقدير اللّام والمراد بها الطّرق الّتى بها يوصل الى السّماوات [فَأَطَّلِعَ] قرئ بالرّفع عطفاً على ابلغ، وبالنّصب جواباً للتّرجّى [إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كٰاذِبًا] كان تأمّله فى قتل موسى (ع) وتصريحه بظنّه كذب موسى لرشدته (اى ولد الحلال) كما فى الخبر [وَكَذٰلِكَ] التّزيين الّذى زيّن له فى بناء الصّرح والصّعود الى السّماء [زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ] فى سائر اعماله [وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ] قرئ مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول [وَمٰا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلّٰا فِي تَبٰابٍ] فى نقصان اوخسار [وَقٰالَ الَّذِي آمَنَ يٰا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشٰادِ يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا مَتٰاعٌ] تمتّع يسير بحسب المدارك النّازلة الحيوانيّة فانّه اذا نسب الى المدارك الانسانيّة لم يكن يعدّ تمتّعاً على ان تمتّعها مشوب بالآلام والاسقام والبلايا والمخاوف ومع ذلك لم يكن مدّة بقائه الّا قليلاً من الايّام واذا لوحظ مع الايّام الآخرة الغير المتناهية لم يكن يعدّ فى شيء [وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دٰارُ الْقَرٰارِ] فلا امد لمداه ولا نقص ولا شوب لتمتّعه [مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلٰا يُجْزىٰ إِلّٰا مِثْلَهٰا وَمَنْ عَمِلَ صٰالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ] وهذا جواب لسؤال مقدّر من حزقيل او من الله [وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهٰا بِغَيْرِ حِسٰابٍ] بسط فى جانب الثّواب واقتصر فى جانب العقاب على ذكر الجزاء المقيّد بكونه مثل السّيّئة ترجيحاً لجانب الوعد [وَيٰا قَوْمِ مٰا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجٰاةِ] لم يقل مالكم نصفاً من نفسه فى مقام النّصح [وَتَدْعُونَنِي إِلَى النّٰارِ تَدْعُونَنِي] بدل من الاوّل [لِأَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مٰا لَيْسَ لِي بِهِ] اى بربوبيّته واستحقاق آلهته [عِلْمٌ] تعريض بهم وانّ عبادة ما ليس على جواز عبادته برهان ليست الّا سفاهة وانتم تعبدون ما ليس لكم با لهته علم [وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ] المنيع الّذى لا يمنعه عن مراده مانع وعزّته دليل آلهته [الْغَفّٰارِ] الّذى ينبغى ان يطلب بعبادته غفرانه [لٰا جَرَمَ] يقال: لاجرم، ولا ذاجرم، ولا ان ذاجرم، بزيادة ذا، اوان المفتوحة مع ذا، ولا عن ذاجرم، كلّ ذلك مثل ضرب ولاجرم ككرم ولاجر باسقاط الميم ولاجُرم بضمّ الجيم وسكون الرّاء كأنّه كان فعلاً ماضياً ثمّ كثر استعماله فدخل عليه ذا، اوان وذا، اوعن وذا، ولم يغيّر عن صورته وهو من مادّة الجرم بمعنى الذّنب بقرينة استعماله لاجُرم بضمّ الجيم وسكون الرّاء فى مقام الباقى، اومن الجرم بمعنى القطع بقرينة استعماله فى مقام لابدّ ولامحالة، وفى مقام حقّاً، وهذا كان اصله ثمّ كثر استعماله فى مقام تأكيد الكلام حتّى تحوّل الى معنى القسم فانّه يقال: لاجرم لآتينّك باتيان الجواب له مثل جواب القسم وقد سبق فى سورة النّحل بيان اجمالىّ للاجرم [أَنَّمٰا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ] من الاصنام اوفرعون [لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ] اى دعوة مقبولة حقّة [فِي الدُّنْيٰا وَلٰا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنٰا] اى مردّى ومردّكم جميعاً [إِلَى اللّٰهِ] فينبغى الاعراض عن الهتكم والاقبال الى الله الّذى ينتهى امرنا اليه والى محاكمته [وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ] المتجاوزين عن حدّهم الانسانىّ بالادبار عن الله والاقبال على ما ليس له

دعوة فی الدّارین [هُمْ اَصْحٰابُ النّٰارِ فَسَتَذْكُرُونَ] عند معاینة الموت و تهیّؤ اسباب العذاب لکم [مٰا اَقُولُ لَكُمْ وَاُفَوِّضُ اَمْرِی اِلَى اللّٰهِ] لانّه العزیز العلیم القدیر ذوالعنایة بأمر العباد ولا أخاف ما تخوّفوننی به لعدم قدرته علی شیء [اِنَّ اللّٰهَ بَصِیرٌ بِالْعِبٰادِ] فیحفظ من توسّل به [فَوَقٰیهُ اللّٰهُ سَیِّئٰاتِ مٰا مَكَرُوا وَحٰاقَ بِاٰلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذٰابِ] قد ورد فی الاخبار انّهم قطعوه ارباً اربا ولکن وقاه الله ان یفتنوه فی دینه، وعن الصّادق (ع) فی حدیث: کان حزقیل یدعوهم الی توحید الله و نبوّة موسی (ع) وتفضیل محمّد (ص) علی جمیع رسل الله وخلقه وتفضیل علیّ بن ابی طالب (ع) والخیار من الائمّة علی سائر اوصیاء النّبیّین والی البراءة من ربوبیّة فرعون، فوشی به الواشون الی فرعون وقالوا: انّ حزقیل یدعوهم الی مخالفتک و یعین اعداءك الی مضادّتک فقال لهم فرعون: ابن عمّی و خلیفتی علی ملکی وولیّ عهدی ان فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب علی کفره بنعمتی، وان کنتم علیه کاذبین فقد استحققتم اشدّ العذاب، لایثارکم الدّخول فی مساءته فجاء بحزقیل وجاء بهم فکاشفوه، وقالوا: انت تجحد ربوبیّة فرعون الملک و تکفر بنعمائه؟ ـ فقال حزقیل: ایّها الملک هل جرّبت علیّ کذباً قطّ؟ ـ قال: لا، قال فسلهم من ربّهم؟ ـ قالوا: فرعون هذا، قال: ومن خالقکم؟ ـ قالوا: فرعون هذا، قال: ومن رازقکم الکافل لمعایشکم والدّافع عنکم مکارهکم؟ ـ قالوا: فرعون هذا، قال حزقیل: ایّها الملک فأشهدك وکلّ من حضرك انّ ربّهم هو ربّی، وخالقهم هو خالقی، ورازقهم هو رازقی، ومصلح معایشهم هو مصلح معایشی، لا ربّ لی ولا خالق ولا رازق غیر ربّهم وخالقهم ورازقهم، واشهدك ومن حضرك انّ کلّ ربّ ورازق وخالق سوی ربّهم وخالقهم ورازقهم فانا بریء منه ومن ربوبیّته وکافر بالهیّته، یقول حزقیل: هذا وهو یعنی انّ ربّهم وهو الله ربّی، ولم یقل: انّ الّذی قالوا: انّه ربّهم هو ربّی، وخفی هذا المعنی علی فرعون ومن حضره وتوهّم انّه یقول: فرعون ربّی وخالقی ورازقی، فقال لهم فرعون: یا رجال السّوء و یا طلّاب الفساد فی ملکی و مریدی الفتنة بینی و بین ابن عمّی وهو عضدی انتم المستحقّون لعذابی لارادتکم فسادامری واهلاك ابن عمّی والفتّ فی عضدی، ثمّ أمر باوتاد فجعل فی ساق کلّ واحد منهم وتداً وفی صدره وتداً، وامر اصحاب أمشاط الحدید فشقّوا بها لحومهم من ابدانهم فذلک ماقال الله تعالی: فوقیه الله سیّئات ما مکروا به لمّا وشوا به الی فرعون لیهلکوه، وحاق بآل فرعون سوء العذاب وهم الّذین وشوا بحزقیل الیه. لما اوتد فیهم الاوتاد ومشط عن ابدانهم لحومها بالامشاط [النّٰارُ] ان کان المراد بسوء العذاب عذاب البرزخ والآخرة جازان یکون النّار بدلاً منه بدل الاشتمال، وجازان یکون مبتدءً وقوله تعالی [یُعْرَضُونَ] خبره والجملة تفسیراً لسوء العذاب، وان کان المراد به عذاب فرعون فی الدّنیا فالنّار مبتدء و یعرضون خبره والجملة مستأنفة منقطعة او حالیّة حالاً مقدّرة ای حالکونهم بعد سوء العذاب النّار یعرضون [عَلَیْهٰا غُدُوًّا وَعَشِیًّا] فی اخبار کثیرة انّ هذا فی نارالدّنیا یعنی نارالبرزخ لانّ فی نارالقیامة لایکون غدوٌّ و عشیٌّ وامّا نارالخلد فهو قوله تعالی [وَیَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ اَدْخِلُوا اٰلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذٰابِ] بتقدیر القول، وقری ادخلوا من الثّلاثیّ المجرّد [وَاِذْ یَتَحٰاجُّونَ فِی النّٰارِ فَیَقُولُ الضُّعَفٰاءُ] الاتباع [لِلَّذِینَ اسْتَكْبَرُوا] المتبوعین [اِنّٰا كُنّٰا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّٰا نَصِیبًا مِنَ النّٰارِ قٰالَ الَّذِینَ اسْتَكْبَرُوا اِنّٰا كُلٌّ فِیهٰا اِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَكَمَ بَیْنَ الْعِبٰادِ] قدمضی الآیة فی سورة ابراهیم (ع) وقدمضی مکرّراً انّ امثال هذه تعریض بمنافقی الامّة [وَقٰالَ الَّذِینَ فِی النّٰارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ یُخَفِّفْ عَنّٰا

يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] المعجزات او براهين صدقهم او احكام الرّسالة [قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا] تهكّموا بهم وسخروا منهم ولذلك قالوا [وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ] ١ اى فى ضياع ، ويحتمل ان يكون هذا من الله [إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ] المراد بالحيوة الدّنيا ان كان الحيوة المصاحبة للحيوة الحيوانيّة الطّبيعيّة فالمراد بالنّصرة نصرتهم فى دينهم لا فى دنياهم لانّ اكثر الانبياء لم ينصروا بحسب دنياهم ، وان كان المراد الحيوة البرزخيّة فلا اشكال ، والمراد بالاشهاد الانبياء (ع) واوصيائهم (ع) [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ] يعنى جهنّم [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى] اى اعطيناه وصف الهداية للخلق بان جعلناه رسولاً اليهم ، اوكونه مهديّاً بان هديناه الى ما ينبغى ان يهتدى اليه ، او آتيناه ما يهتدى به من الآيات اومن الاحكام اومن التّوراة [وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة واحكامها ، اوكتاب التّوراة [هُدًى وَذِكْرَى] اى ذا هدىً ، او هادياً ، اوما يهتدى به [لِأُولِي الْأَلْبَابِ] قد تكرّر انّ الانسان بدون الاتّصال بالولاية كالجوز الخالى من اللّبّ ويكون اعماله خاليةً من اللّبّ وان كانت مطابقةً لما ورد فى الشّريعة كما أفتى به الفقهاء موافقاً لما ورد فى الاخبار وكان هو واعماله لائقةً للنّار ، واذا اتّصل بالولاية صار ذا لبٍّ وصار اعماله ذوات الباب [فَاصْبِرْ] لمّا كان ذكر الامم الماضية ورسلهم (ع) وهلاكهم بسبب تكذيب الرّسل (ع) وذكر موسى (ع) وفرعون كلّها لتسلية الرّسول (ص) فى تكذيب قومه وتركهم للولاية قال بعد ما ذكر حكايتهم بطريق التّفريع فاصبر [إِنَّ وَعْدَ اللهِ] بنصرتك [حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيَهُمْ] كرّر الآية لتعليل امره بالصّبر [إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ] اى الانصراف عن الحقّ والاستكبار على اهل الحقّ [مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ] اى بالغى ذلك الكبر ومقتضاه [فَاسْتَعِذْ بِاللهِ] منه اومنهم [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاستعاذتك فيعيذك ولما يقولون فيك ويدبّرونه فلايدعهم ينفذ مكرهم فيك [الْبَصِيرُ] بك وبهم ، وبما تفعل ويفعلون ، وبكبرك ان استكبرت وبكبرهم [لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ] فلا ينبغى للنّاس الضّعيف الخلق الكبر فى مقابل ماهو اكبر منه وانّما قال لخلق السّماوات ولم يقل السّماوات والارض للاشعار بانّ الصّورة الخلقيّة منهما اكبر من الصّورة الخلقيّة الانسانيّة ، واما النّشأة الرّوحيّة الانسانيّة فهو اكبر بمراتب من صورة السّماوات والارض ومن نشأتهما الرّوحيّة الامريّة ، والمجادل تنزّل من مقام روحيّته الامريّة الى الصّورة الخلقيّة كأنّه ليس له نشأة روحيّة [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم مقام علم حتّى يعلموا ضعفهم ، اولا يعلمون ضعفهم وحقارتهم بالنّسبة الى السّماوات [وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ] رفع لتوهّم انّ عدم العلم يكون عذراً لهم فى كبرهم وجدالهم ولذلك قدّم الاعمى والمراد بالعمى عمى القلب الّذى يكون من اوصاف القوّة العلّامة بمعنى الجهل كما انّ المراد بالبصر بصيرة القلب الّتى هى عبارة عن العلم [وَالَّذِينَ آمَنُوا] لم يقدّم المسيء ههنا لحصول الغرض من تقديم الاعمى [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ] والمراد بالايمان الانقياد والتّسليم الحاصل بالبيعة العامّة ، اوالخاصّة ، اونفس البيعة العامّة اوالخاصّة ، والمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة ، اوالعمل بالشّروط الّتى تؤخذ فى البيعتين ، وايّاً ما كان فالمقصود بيان عدم التّسوية بين من كمّل قوّته العمّالة ومن لم يكمّلها ، وزيادة

لا فی المسیء لاشارة خفیّة الی انّ المسیء منفیّ معدوم بخلاف المحسن کأنّه لایجوز ان یدخل علیه النّفی و الّا فسوق العبارة ان یدخل لا الّتی هی لتأکید النّفی علی الّذین آمنوا وعملوا الصّالحات [قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّر کأنّه قیل: فلم لایظهر الفرق بین المحسن والمسیء ؟ـ فقال: یظهر الفرق عند قیام السّاعة [إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا] قد مضی فی اوّل البقرة وجه عدم الرّیب فی الکتاب مع کثرة المرتابین فیه فقس علیه وجه عدم الرّیب فی القیامة و السّاعة و ظهور القائم (ع) و الرّجعة مع کثرة المرتابین فیها [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ] لایذعنون بها اولا یؤمنون بالله حتّی یعلموا مجیء السّاعة، اولا یؤمنون بک حتّی یصدّقوک فی مجیء السّاعة [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] قد مضی فی سورة البقرة وفی سورة النّمل بیان تعلیق الاستجابة علی الدّعاء وکیفیّة الدّعاء وکیفیّة اجابة الله للدّاعین، من اراد فلیرجع الیه ؛ وهل الظّفر بالمراد بعد الدّعوات والتّصدّقات والبرکة فی الاموال والاولاد عقیب الصلات من الاتّفاقیّات ؟ اوهی من الاسباب للوصول الی المراد؟ـ قال بعض الفلاسفة: انّ ذلک من الاتّفاقیّات ، و برهان انکارهم لسببیّة ذلک انّ العالی لا التفات له الی الدّانی وانّه لاتأثیر للدّانی فی العالی فلایکون الظّفر بالمقصود عقیب ذلک الّا محض الاتّفاق ، وصریح الآیات والاخبار یثبت التّسبیب بین الدّعوات والاجابات و بین الصّدقات ودفع البلایا وجذب البرکات ، و بین الصّلات وزیادة الاموال والاعمار والاولاد .

تحقیق البداء ونسبة التّردّد والمحو والاثبات الی الله تعالی

و تحقیق ذلک ، انّ العوالم بعد مقام الغیب المعبّر عنه بالعمی الّذی لا خبر عنه ولا اسم له ولا رسم ، و بعد مقام الواحدیّة المعبّر عنه بمقام الاسماء والصّفات ، و بعد مقام الفعل المعبّر عنه بالمشیّة بوجه ستّة و بوجه سبعة ، و بوجه سبعون ، و بوجه سبع مائة ، و بوجه سبعة آلاف ، و بوجه سبعون الفاً ، و بوجه غیر متناهیة ، و انّ کلّ عالم عالٍ بالنّسبة الی الدّانی حاله حال النّفس بالنّسبة الی قواها و مدارکها ، و انّ عالم المثال مرتبته من عالم الطّبع مرتبة الخیال الانسانیّ من بدنه وقواه فکما انّ قوی النّفس الخیالیّة تتأثّر من بدنها ومن غیر بدنها و بذلک التّأثّر یتأثّر الخیال وتأثّر الخیال هو بعینه تأثّر النّفس کذلک عالم المثال یتأثّر من عالم الطّبع ، و تأثّره بعینه تأثّر النّفوس الکلّیّة ، و تأثّرها تأثّر العقول الکلّیّة، وتأثّرها تأثّر المشیّة ، وهو تأثّر الا له ، وکما انّ النّفوس البشریّة بعد التّأثّر من الابدان وقواها تحرّک قوّتها الشّوقیّة والارادیّة لدفع الموذی اوجذب النّافع کذلک النّفوس الکلّیّة بعد تأثّر قواها المثالیّة الخیالیّة تهیّج اسباب دفع الموذی وجذب النّافع لما تأثّرت منه ، وانّ الحوادث کما تکون باسباب طبیعیّة ارضیّة تکون باسباب آلهیّة سماویّة وانّ الاسباب السّماویّة قد تؤثّر بتسبیب الاسباب الطّبیعیّة و قد تؤثّر بمحض التّصوّر والارادة لانّها مظاهر ارادة الله ، وافعالها مظاهر افعال الله ، اذا ارادت شیئاً تقول له: **کن، فیکون** ، من غیر تسبیب اسباب طبیعیّة ، وعالم المثال کعالم الخیال یضیق عن الاحاطة بجملة المدرکات دفعةً بل یرد علیه الصّور بالتّعاقب و یتجدّد علیه الادراکات متبادلةً و لذلک قد یثبت ضرّ شخص او خیره فیه ثمّ یقع من ذلک الشّخص او من غیره دعاء لدفع ذلک الضّرّ اوعمل یدفع ذلک الخیر فیقع صورة ذلک الدّعاء اوالعمل فیه و یقع صورة لازمه من دفع الضّرّ اودفع الخیر فیه ، وکلّما تصوّره النّفوس العالیة الجزئیّة او الکلّیّة یقع صورته فی هذا العالم امّا علی مجری العادة و بالاسباب الطّبیعیّة اوخارجاً عن مجری العادة ومن هذه الالواح المثالیّة ینسب البداء الی الله تعالی ، و ینسب التّردّد الّذی هو عبارة عن ترجیح احد المتصوّرین تارةً والآخر اخری ، فانّه اذا تعارض دعاء مؤمن لشخص بالخیر ودعاء آخر علیه بالشّرّ فیثبت صورة دعاء هذا تارةً مع لازمها وصورة دعاء ذاک اخری مع لازمها ، فیظهر فی نظر النّاظر صورة التّردّد

فى الصّورتين المتقابلتين و ينسب هذا التّردّد الى الله تعالى كما ينسب افعال القوى الانسانيّة الى النّفوس، وهكذا حال نسبة البداء الى الله تعالى وقد يتّصل المكاشف من النّبيّ (ص) اوالوليّ (ع) بتلك الالواح فيشاهد فيها بعض الاسباب والمسبّبات ولا يشاهد منافيات تلك الاسباب والمسبّبات ان كان منافياتها ثابتةً فيها لضيق النّفوس البشريّة الخياليّة عن الاحاطة بجميع ما ثبت فيها فيخبر بذلك ولا يقع ما يخبر به فينسب البداء الى تلك الالواح لقصور نظره لا لعدم ثبت ماوقع، وما كذب فى ذلك لانّه أخبر عن عيانه [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي] لمّا كان اقتضاء العبوديّة الخروج من الانانيّة والتّعلّق بالحقّ الاوّل تعالى شأنه وكان اقتضاء ذلك التّعلّق استدعاء استقلال الحقّ بالانانيّة فى وجود العبد قال تعالى فى مقام يستكبرون عن دعائى يستكبرون عن عبادتى اشارةً الى هذا التّلازم [سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ] صاغرين [اَللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ] الجملة مستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر وتعداد لنعمه تعالى على العباد فى مقام التّعليل [وَالنَّهارَ مُبْصِراً] قد سبق الآية مع بيانها فى سورة يونس (ع) [إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ] بحسب مقاماتهم النّباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ] نعمه وفضله عليهم لانكار بعضهم مبدءً عليماً قديراً ذا عناية بالخلق، وعدم تفطّن بعضهم بكون النّعم منه، وعدم تفطّن بعضهم بنفس النّعمة، وغفلة بعضهم عن المنعم والنّعمة [ذٰلِكُمُ اللّٰهُ] الموصوف بانعام تلك النّعم [رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ] اثبت اوّلاً ربوبيّته لهم حتّى يتنبّهوا بانّه المستحقّ للعبادة دون غيره الّذى لم يكن لهسمة الرّبوبيّة ثمّ ذكر خالقيّته لكلّ الاشياء، ومنها معبوداتهم، ثمّ حصر الالهة فيه نفياً لالهة معبوداتهم بعد ما اشار الى عنايته بخلقه وافضاله عليهم ليظهر بطلان انصرافهم الى غيره قبل انكار الانصراف [فَأَنّىٰ تُؤْفَكُونَ كَذٰلِكَ] الصّرف مع وضوح بطلانه [يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ اَللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ] فى مقام ابدانكم ومقام ارواحكم [فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] فى كلا المقامين [وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ] من الارزاق الطّيّبة النّباتيّة الارضيّة فانّ رزق مقام نبات الانسان اطيب ارزاق سائر الحيوان بحسب الشّرف واللّطف واللّذّة والنّصح، ومن الارزاق الطّيّبة الحيوانيّة الارضيّة والسّماويّة فانّ رزق الحيوان هو الاتّخاذ بغذاء النّبات والالتذاذ بادراك مدارك الحيوان ومن الارزاق الطّيّبة الانسانيّة السّماويّة من العلوم والمكاشفات والمعاينات والتّحقّق بالحقائق [ذٰلِكُمُ] الموصوف بتلك الاوصاف [اَللّٰهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعالَمِينَ] مدح نفسه على خلق الانسان و تهيّة رزقه بحسب جملة مقاماته من ألطف المأكول و المشروب والمدرك والمتخيّل والمعلوم والمكشوف لانّ فى خلقه دقائق عظيمة عديدةً وصنائع متقنة وحكماً بالغة يعجز عن ادراكها العقول، وكذا فى تهيّة اسباب رزقه بحسب مقاماته الثّلاثة [هُوَ الْحَيُّ] بعد ما اشار الى بعض اضافاته بالنّسبة الى خلقه اشار الى بعض صفاته الحقيقيّة تعريضاً بمعبوداتهم و فنائها وتعريضاً بهم و بموتهم و انتهائهم اليه ليكون حجّة على عبوديّتهم لله و بطلان معبوديّة غيره [لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ] كرّره للاهتمام بتوحيده فى مقام ردّ آلهتهم [فَادْعُوهُ] يعنى اذا كان هو الباقى والباقون هم الفانين فادعوه ولا تتركوا دعاءه ولا تدعوا غيره لفنائكم وانتهائكم اليه لبقائه ولفناء غيره [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى الطّريق او الاعمال الشّرعيّة الملّيّة [اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ] انشاء حمد منه تعالى على تفرّده بالآلهة كما ورد عن السّجّاد (ع): اذا قال احدكم: لا آله الّا الله فليقل: الحمد لله ربّ العالمين فانّ الله يقول: هو الحيّ (الآية) فانّ ظاهره الامر بانشاء الحمد عند توحيده، او اخبار منه بحصر الحمد فيه تعالى بعد حصر

الآلهة فيه فيكون بمنزلة النّتيجة لسابقه ، ولمّا كان الآيات في مقام تعداد النّعم لم يأت باداة الوصل في رؤس الآى [قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جاءَنِيَ الْبَيِّناتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ] يعنى بعد ما ذكّرتهم بنعم الله وحصر الالهة فيه تعالى اظهر براءتك عن عبادة معبوداتهم [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ] ذكر نعمة اخرى بطريق تعداد النّعم اوفى مقام التّعليل لقوله نهيت [مِنْ تُرابٍ] فانّ تولّد مادّة النّطفة ليس الّا من حبوب النّبات و بقولها ولحوم الحيوان وألبانها والكلّ يحصل من التّراب [ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ] اتى بالثّلاثة منكّرة للاشارة الى انّ التّراب الحاصل منه مادّة النّطفة لابدّ وان يكون تراباً مخصوصاً متكيّفاً بكيفيّة مخصوصة ممتزجاً مع سائر العناصر، وانّ النّطفة الّتى تصير مادّة الانسان تكون نطفةً مخصوصةً ممتازةً عن سائر النّطف وكذا العلقة [ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا] عطف على لتكونوا اوعلى محذوف اى لتستكملوا فى نفوسكم ولتبلغوا [أَجَلًا مُسَمًّى] ويكون قوله ومنكم من يتوفّى بين المعطوف والمعطوف عليه، او بين العلّة ومعلولها ، اومتعلّق بمحذوف اى ومنكم من يبقى لتبلغوا اجلا مسمّى [وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تدركون بعقولكم ، او تصيرون عقلاء ، او تعقلون امر الآخرة من امر الدّنيا ، فانّ الانتقالات فى الحالات اماتات واحياءات، وليدرك الانسان من تلك الانتقالات النّقلة العظمى وانّها ليست افناءً واستيصالاً بل هى افناء لصورة واحياء بصورة اتمّ واكمل، وقد سبق فى سورة الحجّ الآية باكثر اجزائها مع بيان لها [هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] من قبيل تعداد النّعم او تعليل لسابقه واشارة الى نعمه تعالى [فَإِذا قَضى أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] قد مضى الآية مع بيانها فى سورة البقرة عند قوله تعالى : بديع السّماوات والارض واذا قضى امراً (الآية) وفى غيرها [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللهِ أَنّى يُصْرَفُونَ] من الله [الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ وَبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا] بدل اوصفة للّذين يجادلون، اوخبرٌ اومفعولٌ لمحذوف اومبتدءٌ خبره [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ] اذ مفعول يعلمون اوظرفٌ له، والفعل منسيّ المفعول، او مقدّر المفعول [وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النّارِ يُسْجَرُونَ] يحمون او يوقدون [ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ] ما زائدةٌ اوموصولةٌ اوموصوفةٌ والعائد محذوف [مِنْ دُونِ اللهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا] اخبروا اولاً بانّهم اقلتوا من ايديهم ، ثمّ التفتوا الى انّهم كانوا مدعوّين بحسب حدودهم وتعيّناتهم، والحدود كانت عدميّةً ولكن كانت على القاصرين كالسّراب تظهر بصورة الموجود وفى القيامة يرتفع الحدود و يعلم كلّ احد انّها كانت سراباً لاحقيقة لها فأضربوا عن اخبارهم بضلال الشّركاء عنهم وقالوا [بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا] وقد ورد الاخبار بانّ الآية فى المعرضين عن الولاية وعن علىّ (ع) ،والمراد بما يشركون رؤساء الضّلالة وعليهذا فالمراد بالّذين يجادلون فى آيات الله الّذين يجادلون فى خلافة علىّ (ع) ،والمراد بالّذين كذّبوا بالكتاب الّذين كذّبوا الآيات الواردة فى الولاية، وبما ارسلنا به رسلنا هو الولاية لانّها غاية الرّسالة بدليل ان لم تفعل فما بلّغت رسالته ، والمراد بما يشركون ما جعلوه شريكاً لعلىّ (ع) فى الخلافة ، ومن دون الله من دون اذن الله، اوحالكون الشّركاء غير علىّ (ع) الّذى هو مظهر الله [كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكافِرِينَ] فى الدّنيا او فى الآخرة ، عن الباقر (ع) فامّا النّصّاب من اهل

القبله فانّهم يخدّ لهم خدّاً الى النّار الّتى خلقها فى المشرق فيد خل عليهم منها اللّهب والشّرر والدّخان وفورة الحميم الى يوم القيامة ثمّ مصيرهم الى الحميم ، ثمّ فى النّار يسجرون ، ثمّ قيل لهم : اينما كنتم تشركون من دون الله اى اين امامكم الّذى اتّخذتموه دون الامام الّذى جعله الله للنّاس اماماً [ذٰلِكُمْ] العذاب [بِمٰا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] يعنى بالباطل فانّه يستعمل فى هذا المعنى [وَبِمٰا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ] المرح شدّة الفرح وهو مذموم لانّه اسراف فى الفرح سواء كان بالحقّ او بغير الحقّ [اُدْخُلُوا اَبْوٰابَ جَهَنَّمَ] قد سبق فى سورة الزّمر وجه تقييد الدّخول بابواب جهنّم [خٰالِدِينَ فِيهٰا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بانّ المتكبّر من خرج من طاعة الامام ، وسرّه انّ الخروج من طاعة الامام ليس الّا من الانانيّة ، والانانيّة ورؤية النّفس هو التّكبّر [فَاصْبِرْ] يعنى اذا علمت حال المنافقين الّذين ينافقون بالنّسبة اليك والى علىّ (ع) فاصبر ولاتجزع ولاتحزن [إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ] لاخلف فيه [فَإِمّٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ] من العذاب [اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنٰا يُرْجَعُونَ] وقد سبق الآية فى سورة يونس وسورة الرّعد [وَلَقَدْ اَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنٰا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ] فانظر الى حالهم ومآلهم من الله وما ورد عليهم من امتهم ، ولينظر قومك الى ما كان منهم حتّى تتسلّى وتصبر على اذى قومك ، ويعلم قومك انّ الرّسول لايكون الّا بشراً ، ولايكون حاله سوى حال سائر النّاس [وَمٰا كٰانَ لِرَسُولٍ اَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلّٰا بِإِذْنِ اللّٰهِ] فانّ الآيات تنزل من الله على وفق الحكم والمصالح فليس لاحد ان يقترح وليس لك ان تسأل ما اقترحوا [فَإِذٰا جٰاءَ اَمْرُ اللّٰهِ] بالعذاب فى الدّنيا او الآخرة او بانقضاء الاجل او بالحساب فى القيامة او بظهور القائم عجّل الله فرجه [قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنٰالِكَ] الزّمان والمكان [الْمُبْطِلُونَ اَللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعٰامَ] فى مقام التّعليل او مقام تعداد النّعم [لِتَرْكَبُوا مِنْهٰا وَمِنْهٰا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهٰا مَنٰافِعُ] اخر كالالبان والجلود والاوبار وغير ذلك [وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهٰا حٰاجَةً فِي صُدُورِكُمْ] بحمل الاحمال على ظهورها ونقلها الى ما تريدون [وَعَلَيْهٰا] فى البرّ [وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ] قد سبق الآية ببعض اجزائها فى سورة المؤمنون [وَيُرِيكُمْ آيٰاتِهِ فَأَيَّ آيٰاتِ اللّٰهِ] الدّالة على علمه وقدرته وحكمته وعنايته ورأفته بخلقه [تُنْكِرُونَ اَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى ارض العالم الكبير حتّى يشاهدوا آثار الامم الهالكة الماضية ويسمعوا اخبارهم ، او ارض العالم الصّغير فيعلموا ويجدوا آثار الامم التّابعة لشهوتهم وغضبهم وشيطنتهم ، او ارض الاخبار وسير الامم الماضية ، او ارض القرآن [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كٰانُوا اَكْثَرَ مِنْهُمْ وَاَشَدَّ قُوَّةً وَآثٰاراً فِي الْأَرْضِ فَمٰا اَغْنىٰ عَنْهُمْ] اى عن عذابهم [مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] ما الاولى نافية او استفهاميّة ، والثّانية موصولة او موصوفة او مصدريّة او استفهاميّة [فَلَمّٰا جٰاءَتْهُمْ] عطف من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَرِحُوا بِمٰا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ] من دقائق العلوم الحكميّة من الطّبيعيّة والرّياضيّة والآلهيّة ولم يعلموا انّ هذه العلوم ان لم تكن باذن من الله وخلفائه ولم يكن صاحبها فى الطّريق تكون حجاباً عظيماً وسدّاً سديداً عن السّلوك الى الله بل السّلوك الى الله لايكون الّا بطرح جملة علوم النّفس والخروج من العلوم النّفسانيّة الى الجهل كما قيل : الخروج من الجهل جهل ، والخروج الى الجهل علم ، لانّ النّفس اذا كانت متصوّرة بصور تلك العلوم ظهرت بالانانيّة ، والانانيّة كبرياء النّفس الّتى من اتّصف بها بادر الله

بالمحاربة ونازع الله ، اعاذنا الله منها، ولذلك ترى انّ اكثر المعاندين لاهل الحقّ هم المتشبّهون بالعلماء المتصوّر نفوسهم بصور العلوم الحكميّة اوغيرها [وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى العذاب اوالفعل والقول الّذى كانوا به يستهزؤن [فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا] عذابنا عند معاينة الموت [قَالُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ] والمراد بما اشركوا به الاصنام والكواكب ورؤساء الضّلالة الّذين اشركوهم بالانبياء والاولياء (ع) خصوصاً من اشركوه بعلىّ (ع) فى الولاية فانّهم حينئذٍ يرون بطلان الشّركاء [فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا] لانّ الايمان حين رؤية البأس ليس الّا لخوف الخيال لا لشوق العقل ولذلك كانوا لو زال الخوف لعادوا كما قال تعالى: ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه فلم يك ينفعهم ايمانهم لتارأوا بأسنا يعنى انّهم تمكّنوا فى الكفر والنّفاق بحيث لا يقلعون منه وكلّما ارادوا ان يخرجوا منه من غمّ اعيدوا فيه لتمكّنهم فيه بحيث لا يزال عنهم [سُنَّةَ اللّٰهِ] سنّ الله عدم قبول التّوبة حين رؤية البأس يعنى عدم قبول التّوبة اذا كان من غمّ وخوف السّنة [الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ] المقام او الزّمان [الْكَافِرُونَ] لانّ المقام مقام ظهور الحقّ وبطلان الباطل .

سورة حٰمٓ السّجدة

اربع وخمسون آية، مكّيّة كلّها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[حٰمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ] بعد ان كان فى المقام العالى مجملاً ومجموعاً [قُرْآنًا] حالكونه قرآناً ومجموعاً فى المقامات العالية ومجموعاً ومضموماً فيه الاحكام مع المواعظ والعبر والقصص والعقائد والعلوم [عَرَبِيًّا] يعنى بلغة العرب اومنسوباً الى العرب دون الاعراب من حيث اشتماله على الآداب والاحكام والعلوم [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] يعنى هذه الاوصاف للكتاب لقومٍ يعلمون لا لغيرهم، اوكونه منسوباً الى العرب لقومٍ يعلمون اى لقومٍ خرجوا من جهالاتهم السّاذجة وجهالاتهم المركّبة الّتى هى صور العلوم العاديّة ونقوش الفنون الاصطلاحيّة الى دار العلم الّتى اوّل حريم حرمها مقام الانصات للانسان والتّحيّر فى طريقه ، وآخر مقاماته نشر العلم فى العباد ؛ اولقومٍ يعلمون انّ ذلك الكتاب منزل من الله [بَشِيرًا] لمن بقى فيه الفطرة الانسانيّة وتوجّه الى تلك الفطرة [وَنَذِيرًا] لمن ادبر عن تلك الفطرة سواء كان بايع كلّ منهما البيعة التّكليفيّة العامّة او الخاصّة اولم يبايع [فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ] عن هذا الكتاب [فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] لا يقبلون فانّ السّماع كناية عن القبول والانقياد كما انّه كناية عن ثانى مقامات العلم [وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ] اى ثقل وهو كناية عن الصّمم [وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ] بيننا وبينك من حيث ادّعائك للرّسالة حجاب يمنعنا عن ابصار

ما تدّعیه یعنی انّ ما تدّعیه ان کان من المعقولات فلاتکن منتظراً لتعقّلنا ، وان کان من المسموعات فلاتنتظر لسماعنا، وان کان من المبصرات بالبصر او بالبصیرة فلاتنتظر لابصارنا للحجاب المانع من الابصار بیننا و بینک [فَاعْمَلْ] ما شئت فی دینک المبتدع [إِنَّنَا عَامِلُونَ] فی دیننا القدیم، اوکان مقصودهم من ذلک تهدیده یعنی فاعمل ما شئت بنا فانّنا نعمل ما قدرنا علیه بک [قُلْ] فی جواب تهدیدهم [إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ] لا اقدر [مِثْلُكُمْ] علی ما لایقدر علیه البشر حتّی افعل بکم ما ارید لکن بینی و بینکم فرقٌ و هو انّه [يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] اوالمعنی قل لهم: انّما انا بشرٌ من جنسکم ولست خارجاً من جنسکم حتّی لاتکونوا مناسبین لی فیستوحش قلوبکم اولاتفهموا لسانی فینصرف قلوبکم عنّی، وادعوکم الی التّوحید الّذی لایضرّکم شیئاً ان کان لاینفعکم [فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ] واخرجوا من اعوجاجکم [وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ] اقتصر علی نفی اتیان الزّکوة اشعاراً بانّ المشرک لیس اشراکه الّا من انانیّته الّتی ینبغی ان تطرح فانّ اصل اتیان الزّکوة هو طرح الانانیّة والاعطاء منه فی طاعة الله ، ومن بخل بطرح الانانیّة بخل باعطاء المال والقوی والجاه، ولو اعطی لم یکن اعطاؤه اعطاءً للزّکوة بل کان ممّن قال الله : کالّذی ینفق ماله رئاء النّاس ولا یؤمن بالله ولا بالیوم الاخر فمثله کمثل صفوانٍ علیه ترابٌ فأصابه وابلٌ فترکه صلداً لایقدرون علی شیءٍ ممّا کسبوا [وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ] وقد فسّر الاشراک بالاشراک بالولایة، عن الصّادق (ع) اتری انّ الله عزّ وجلّ طلب من المشرکین زکوة اموالهم وهم یشرکون به حیث یقول: وویل للمشرکین الّذین لایؤتون الزّکوة وهم بالاخرة هم کافرون ؟ قیل: جعلت فداک فسّره لی ، فقال: ویلٌ للمشرکین الّذین اشرکوا بالامام الاوّل وهم بالائمّة الآخرین کافرون ، انّما دعی الله العباد الی الایمان به فاذا آمنوا بالله و برسوله (ص) افترض علیهم الفرائض [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] غیر مقطوعٍ اوغیر ما یمنّ به علیهم [قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ] الّتی هی مقرّ قراركم ومحلّ معاشکم [فِي يَوْمَيْنِ] قد یعبّر عن مراتب العالم باعتبار بالامام، وباعتبار بالاشهر، و باعتبار بالاعوام، والارض اسمٌ لکلّ ما کان فیه جهة القبول اظهر وجهة الفاعلیّة اخفی ، وجملة عالم الطّبع وعالم المثال هکذا کان حالهما، والتّعبیر عن هذین العالمین بالارض کثیر ، فالمراد بالارض الاجسام الظّلمانیّة والاجسام النّورانیّة وخلقهما لیس الّا فی المرتبة الاخیرة النّازلة الّتی هی عالم الطّبع وفی المرتبة السّابقة علیها اعنی عالم المثال وقد عبّر عنهما باعتبار امد بقائهما بالیومین، وقد مضی فی سورة الاعراف بیانٌ لخلق السّماوات والارض فی ستّة ایّامٍ وقد کان الارض باعتبار وجودها العینیّ مخلوقةً فی ذینک الیومین ولکنّها باعتبار وجودها المطلق مخلوقة فی ستّة ایّام کالسّماوات ، والسّماوات یعنی سماوات الارواح باعتبار وجودها العینیّ مخلوقة فی اربعة ایّام؛ یوم النّفوس الجزئیّة، و یوم النّفوس الکلّیّة، و یوم العقول و یوم الارواح المعبّر عنها بیومین ، یوم المدبّرات و یوم المجرّدات الصّرفة ای النّفوس والعقول بالمعنی الاعمّ وتقدیر اقوات الارض والارضین لیس الّا فی تلک الایّام الّتی هی ایّام السّماوات فانّه ینزّل من السّماء رزقاً لکم [وَتَجْعَلُونَ] مع ذلک [لَهُ أَنْدَادًا] لایقدرون علی شیءٍ ولایخلقون ولایرزقون [ذَٰلِكَ] الموصوف [رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا] لئلّا تمیدبکم ولتولید الماء من تحتها ولسهولة جریان الماء من تحتها فی سفحها [وَبَارَكَ فِيهَا] فی الرّواسی اوفی الارض فانّ الرّواسی بحسب التّنزیل منبع برکات الارض و محلّ المعادن النّافعة والنّباتات النّافعة الغذائیّة والدّوائیّة ، و بحسب التّأویل لابرکة الّا منها ، والارض محلّ البرکات

الكثيرة الّتى منها الانسان والنّفوس الكاملة الّتى لا بركة الّا منها [وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ] حالكون الاقوات مساوية لجملة السّائلين بسؤال الحال والاستعداد لاتفاضل فيهم فى الاقوات المسؤلة بسؤال الحال وان كان سؤال القال قد يتخلّف المسؤل عنه و يتخلّف السّائلون فيه بحسب الاجابة وعدمها، اوحالكون الاربعة الايّام سواء للسّائلين فانّ ايّام الآخرة نسبتها الى مادونها نسبة الحقّ الى الخلق بالنّسبة الرّحمانيّة الّتى لاتفاوت فيها بالنّسبة الى شيء من الاشياء، وقرئ سواء بالجرّ و بالنّصب و بالرّفع [ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ] اى قصد الى خلقها و ثمّ للتّرتيب فى الاخبار لا فى الوجود اوفى الوجود لكن فى العالم الصّغير، فانّ حدوث سماء الارواح فى العالم الصّغير بعد وجود ارض البدن وقواها وتقدير رزقها [وَهِيَ دُخَانٌ] اى حالكون السّماء قبل تماميّة خلقتها كانت بخاراً فانّ النّفوس المعبّر عنها بالارواح مركبها ومادّتها البخار المتولّد من القلب المختلط مع الدّخان المتصاعد الى الدّماغ لتعديله و بعد تعديله ببرودة الدّماغ يتعلّق بل يتّحد معه النّفس الحيوانيّة ثمّ الانسانيّة [فَقَالَ] بعد خلق الارض و تسوية السّماء [لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا] الاتيان الى الله وطاعته طوعاً حقّ السّماوات، والاتيان كرهاً حقّ الارض، واعتبر ذلك بارض وجودك وسماواته فانّ القوى و المدارك الّتى هى سماويّة مطيعة للنّفس بالطّوع والفطرة بحيث لايتخلّف طاعتها عن امر النّفس والبدن الّذى هوارض وجودك واعضائه طاعتها للنّفس ليست الّا بخلاف فطرتها، لكن اذا تبدّل الارض غير الارض وصارارض البدن الطّبيعىّ مغلوبة لارض البدن المثالىّ بحيث لايبقى حكم الطّبيعىّ وكان الحكم للمثالىّ كان اتيانه الى الله و طاعته للنّفس طوعاً كالمثالىّ [قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] بعد ما صارت الارض مغلوبة للسّماوات، وانّما أتى بجمع العقلاء الذّكور لانّ هذا الخطاب ليس الّا للعقلاء فلمّا خوطبن بخطاب العقلاء أتى لهنّ بجمع العقلاء الذّكور [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ] كناية عن المراتب السّبع السّماويّة الانسانيّة اوعن اللّطائف السّبع القلبيّة [فِي يَوْمَيْنِ] يوم الانشاء و يوم الابداع او يوم المدبّرات و يوم المجرّدات وقد ذكر فى الاخبار، وذكر الكبار من العلماء بعض وجوه اخر للايّام السّتة والايّام الاربعة واليومين المخلوق فيهما الارض والمخلوق فيهما السّماء من اراد فليرجع الى المفصّلات [وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا] الوحى غلب على القاء العلوم بواسطة الملك او بلاواسطة، ولمّا كانت العلوم فى المجرّدات عين ذواتها غير منفكّة ولامتأخّرة عن ذواتها كان وحيها عبارة عن خلقتها على ذلك والمراد بالامر الحال والشّغل يعنى اوحى الله فى كلّ سماء امر تلك السّماء الى اهلها ولم يقل الى كلّ سماء للاشارة الى انّ المراد بالسّماوات المراتب واوحى فى كلّ مرتبة امر تلك المرتبة وماتحتاج اليه من تدبير اهلها وتدبير ما دونها الى اهل تلك المرتبة من الملائكة [وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا] اى السّماء الطّبيعيّة الّتى هى عبارة عن الفلك المكوكب والافلاك السّبعة الاخر والسّماء الدّنيا الّتى هى الصّدر المنشرح بالاسلام [بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا] من الشّياطين المسترقين للسّمع وقد سبق فى سورة الحجر وكذا فى سورة الصّافّات بيان للآية [ذَٰلِكَ] القدر [تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ] الّذى لايمنع من مراده [الْعَلِيمِ] الّذى لايقع قصورٌ فى فعله لجهله بعاقبته [فَإِنْ أَعْرَضُوا] عنك اوعن الايمان بالله بعد ما بيّنت لهم حجّة صدقك وحجّة آلهة الله و تدبيره لكلّ الامور [فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ] بالكنايات السّابقة اوانذرتكم بالتّهديدات الّتى هدّدتكم بها اوانذركم بهذا الكلام [صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ] يعنى فى زمانهم [وَمِنْ خَلْفِهِمْ] يعنى قبل زمانهم اوجاءتهم الرّسل بالمواعظ من جهة دنياهم وآخرتهم، اوحفّوا بهم من جميع جوانبهم، اومن بين ايديهم يعنى الرّسل الظّاهرة ومن خلفهم

اى الرّسل الباطنة، او بالعكس [اَلَّا تَعْبُدُوا] ان تفسيريّة ولاناهية اومصدريّة ولاناهية اونافية [اِلَّا اللّٰهَ قَالُوا] فى جواب الرّسل [لَوْشَاءَ رَبُّنَا] ارسال رسول الينا [لَاَنْزَلَ مَلٰئِكَةً] مناسبة له تعالى خارجة من جنسنا [فَاِنَّا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهٖ] على زعمكم [كٰفِرُونَ] لانكم بشر مثلنا لامزيّة لكم علينا حتّى نطيعكم بذلك ونقبل منكم [فَاَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ اَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً] اغترّوا بقوّتهم لانّ الرّجل منهم يقلع الصّخرة بيده [اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِاٰيٰتِنَا يَجْحَدُونَ] اى يعرفونها ثمّ ينكرونها [فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا] باردا [فِى اَيَّامٍ نَحِسَاتٍ] ميشومات [لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] حين ابتلائهم بالعذاب وخروج ارواحهم بتلك الرّيح [وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اَخْزٰى] لانّ عذاب الدّنيا وان كان اشدّ مايكون لايكون الّا عشرا من اعشار عذاب الآخرة [وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ وَاَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنٰاهُمْ] اى أريناهم طريق النّجاة والهلاك بارسال الرّسل وانزال الكتب وخلقهم على فطرة الاهتداء وصورة الانسان الّتى هى طريق الى الرّحمن [فَاسْتَحَبُّوا الْعَمٰى عَلَى الْهُدٰى] بان تنزّلوا عن مقام الانسانيّة وتركوا الفطرة واخذوا البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة وتركوا مافى الكتب ونبذوها وراء ظهورهم واستهزؤا بالرّسل واخذوهم اعداء ١٨ [فَاَخَذَتْهُمْ صٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وَيَوْمَ ١٩ يُحْشَرُ اَعْدَاءُ اللّٰهِ] عطف على صاعقة فى انذرتكم صاعقة اوعلى اذجاءتهم الرّسل على ان يكون اذبدلا من صاعقة عاد اوعطف على قل انذرتكم بتقدير اذكر، اوعطف على محذوف والتّقدير نجّينا الّذين آمنوا فى الدّنيا ويوم يحشر اعداء الله ٢٠ [اِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ] وزعه كفّه والمعنى يحبسون ليتلاحقوا [حَتّٰى اِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ٢١ وَاَبْصٰارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا اَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِى اَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] عن القمّى، انّ الآية نزلت فى قوم تعرض عليهم اعمالهم فينكرونها فيقولون: ماعملنا شيئا منها، فيشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا اعمالهم، قال الصّادق (ع) فيقولون لله: يا ربّ هؤلا ملائكتك يشهدون لك ثمّ يحلفون بالله مافعلوا من ذلك شيئا وهو قول الله عزّوجلّ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وهم الّذين غصبوا امير المؤمنين فعند ذلك يختم الله تعالى على السنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السّمع بماسمع ممّا حرّم الله، ويشهد البصر بما نظر الى ماحرّم الله عزّوجلّ، وتشهد اليدان بما اخذتا، وتشهد الرّجلان بماسعتا فيما حرّم الله عزّوجلّ، ويشهد الفرج بما ارتكب ممّا حرّم الله، ثمّ ينطق الله عزّوجلّ السنتهم فيقولون هم لجلودهم: لم شهدتم علينا (الآية) [وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ اَنْ يَشْهَدَ] من ان يشهد [عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا اَبْصٰارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ] والمراد بالجلود كما فى اخبار كثيرة الفروج [وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ] يعنى انّكم كنتم لاتخفون عن حضور جوارحكم ولكن تجرّأتم على المعاصى لظنّكم [اَنَّ اللّٰهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ] من غير حقيقة [اَرْدٰيكُمْ] ظنّكم خبر ذلكم او بدله وأرديكم خبره اوخبر بعد خبر اومستأنف اوحال بتقدير قد [فَاَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰسِرِينَ] لضياع بضاعتكم الّتى هى امداعماركم وشهادة ماكان لكم عليكم، عن الصّادق (ع) انّه قال، قال رسول الله (ص): انّ آخر عبد يؤمر به الى النّار فاذا امر به التفت فيقول الجبّار جلّ جلاله: ردّوه، فيردّونه فيقول له: لم التفتّ الىّ؟ فيقول: يارب لم يكن ظنّى بك هذا! فيقول: ماكان ظنّك بى؟ فيقول:

يارب كان ظنّي بك ان تغفرلي خطيئتي وتسكنني جنّتك، قال: فيقول الجبّار: يا ملائكتي لا وعزّتي وجلالي وآلائي وعلوّي وارتفاع مكاني ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قطّ ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنّار، اجيزوا له كذبه وادخلوه الجنّة، ثمّ قال رسول الله (ص): ليس من عبد يظنّ بالله عزّ وجلّ خيراً الّا كان عند ظنّه به وذلك قوله عزّ وجلّ وذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذي ظننتم بربّكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين [فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ] يعني سواء عليهم صبروا او جزعوا او سألوا الرّاحة والرّضا [وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا] يسترضوا [فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ] من المعطون للرّضا [وَقَيَّضْنَا] عطف على نجّينا والمعنى انّا قدّرنا وسبّبنا [لَهُمْ] في الدّنيا [قُرَنَاءَ] يعني شياطين الانس والجنّ [فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ] قدمضى مكرّراً انّ ما بين ايديهم فسّر بالدّنيا وبالآخرة وكذا قوله تعالى [وَمَا خَلْفَهُمْ] يعني انّ القرناء زيّنوا لهم الشّهوات ومقتضى السّبعيّة والشّبطانيّة وزيّنوا لهم ما ظنّوه وقالوا في امر الآخرة من الرّدّ والانكار، او بان قالوا ان رددنا الى ربّنا لكان لنا خيراً منها منقلباً [وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بسوء اعمالهم واقوالهم واحوالهم [فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] من الامم الفاجرة [إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ] اى مطلق القرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) [وَالْغَوْا فِيهِ] لغى في قوله كسعى ودعا ورضى اخطأ والمقصود اقرأوه مغلوطاً مخلوطاً بغيره اوادخلوا على قرائه ماليس منه اوعارضوه بالباطل واللّغو [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ] قرّاءه او تغلبون محمّداً (ص) [فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ] بازاء جميع اعمالهم حسناتها وسيّئاتها كبائرها وصغائرها [أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ] نفس اسوء اعمالهم او جزاء اسوء اعمالهم على تجسّم الاعمال وجزائها بالجزاء الاخروىّ، وقد مرّ بيان جزاء الاعمال للمؤمن بأحسن اعماله وبيان معاني هذه العبارة في سورة التّوبة [ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللّٰهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ] كثرة وجوه اعراب الآية لاتخفى على العارف بقوانين الاعراب [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] أتى بالماضي لتحقّق وقوعه، اولكونه ماضياً بالنّسبة الى من خوطب به [رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] قد فسّر المضلّان من الجنّ والانس بابليس الّذي عصى الله اوّل ما عصى وبقابيل من آدم (ع) وبابليس الّذي دخل في شوريهم في دار النّدوة وفي غيرها فأضلّهم عن الحقّ [نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا] انتقاماً منهما [لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ] من حيث المذلّة والمكان [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هذا حال الكافرين والمنافقين، فما حال المؤمنين بالولاية والمقرّين بالخلافة؟ فقال: انّ الّذين قالوا ربّنا الله انّما قال: قالوا ربّنا، دون علموا او ايقنوا او شاهدوا لانّه اشارة الى الاسلام والبيعة العامّة النّبويّة وبالاسلام وبتلك البيعة لايحصل الّا الاقرار بانّ الله ربٌّ ولو حصل اعتقاد بذلك كان ذلك الاعتقاد من علوم النّفس المنفكّة عن معلوماتها المعبّر عنها بالظّنون كما اشرنا اليه في مطاوي ماسلف، وقد ورد في الاخبار انّ الاسلام اقرارٌ باللّسان دون الايمان [ثُمَّ اسْتَقَامُوا] اى اعتدلوا، والاعتدال الاضافيّ لايحصل الّا بالبيعة الايمانيّة الولويّة الخاصّة كما انّ الاعتدال الحقيقيّ الّذي هو عبارة عن الخروج من الاعوجاج في جميع المراتب لايحصل الّا بتلك البيعة والعمل بشروطها فان اريد بالاعتدال الاعتدال الاضافيّ كان المراد بالمعتدلين مطلق من بايع البيعتين ودخل في امر الائمّة، ودخل الايمان في قلبه كما ورد في الاخبار تفسيرهم بشيعتهم ان اريد الاعتدال الحقيقيّ كان المراد الانبياء والاولياء (ع) كما فسّروا بالائمّة واذا اريد الشّيعة من المستقيمين كان نزول الملائكة على بعضهم في مطلق الحيوة الدّنيا وعلى بعضهم خاصّاً بوقت الاحتضار وكان معنى قوله: نحن اولياؤكم في الحيوة

الدّنيا بالنّسبة الى من كان نزول الملائكة عليه خاصّاً بوقت الاحتضار انّا كنّا في الحيوة الدّنيا اولياؤكم كنّا نحرسكم و نحفظكم و نثبّتكم على الخير، و بالنّسبة الى من تنزّل الملائكة عليه مطلقاً فالمعنى ظاهر، وعن الصّادق (ع) انّه قال: استقاموا على الائمّة (ع) واحداً بعد واحد، وعن الرّضا (ع) انّه سئل: ما الاستقامة؟ قال: هي والله ما انتم عليه [تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰائِكَةُ] في الدّنيا بالنّسبة الى الانبياء والاولياء (ع) و بعض الاتباع، وفي آخر الحيوة الدّنيا بالنّسبة الى بعض الاتباع [اَلّٰا تَخٰافُوا] ان تفسيريّة ولا ناهية اومصدريّة و لا ناهية اونافية اى مخاطبين بان لا تخافوا [وَلٰا تَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] بواسطة الانبياء (ع) [نَحْنُ اَوْلِيٰاؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] قد مضى بيانه آنفاً [وَفِي الْاٰخِرَةِ] يعنى من اوّل مقامات البرزخ الى الاعراف ومن الاعراف الى الجنّة و بعد الدّخول في الجنّة الى الابد [وَلَكُمْ فِيهٰا مٰا تَشْتَهِي اَنْفُسُكُمْ] اى ذواتكم اوما تشتهى انفسكم الّتى هى مقابل عقولكم لانّ العقول تشتاق الى الرّبّ، والاشتهاء خاصّ بالنّفوس يعنى انّكم منعتم نفوسكم عن مشتهياتها في الدّنيا فتفضّل الله عليكم في الآخرة بتهيئة ما تشتهى انفسكم لها [وَلَكُمْ فِيهٰا مٰا تَدَّعُونَ] تطلبون سواء كان باقتضاء نفوسكم او باشتياق عقولكم [نُزُلًا] حالكون ما تشتهى نفوسكم وما تدّعون مهيّأ لكم لتشريف نزولكم [مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ] عن الصّادق (ع) قال: ما يموت موالٍ لنا مبغضٌ لاعدائنا الّا و يحضره رسول الله (ص) واميرالمؤمنين والحسن (ع) والحسين (ع) فيرونه و يبشّرونه، وان كان غير موالٍ يراهم بحيث يسوءه، والدّليل على ذلك قول اميرالمؤمنين (ع) لحارث الهمدانيّ:

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمنٍ او منافقٍ قبلا

وفي تفسير الامام (ع) عند قوله تعالى: و يظنّون انّهم ملاقوا ربّهم من سورة البقرة، قال رسول الله (ص): لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ولا يتيقّن الوصول الى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك انّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدّة علّته وعظيم ضيق صدره بما يخلّفه من امواله و بما هو عليه من اضطراب احواله من معامليه وعياله قد بقيت في نفسه حسراتها و اقتطع دون امانيّه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: مالك تجرّع غصصك؟[1] قال لاضطراب احوالي واقتطاعك لي دون آمالي! فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف واعتياض الف الف ضعف الدّنيا؟ فيقول: لا، فيقول ملك الموت، فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها الّتى يقصر دونها الامانيّ، فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك و اموالك واهلك وعيالك ومن كان من اهلك ههنا وذرّيّتك صالحاً فهم هنالك معك، أفترضى بهم بدلاً ممّا ههنا؟ فيقول: بلى والله، ثمّ يقول: انظر، فينظر فيرى محمّداً (ص) وعليّاً (ع) والطّيّبين من آلهما في اعلى عليّين، فيقول: اوتريهم؟! هؤلاء ساداتك وائمّتك هم هناك جلاسك وانّاسك، أفما ترضى بهم بدلاً ممّا تفارق هنا؟ فيقول: بلى و ربّي، فذلك ما قال الله عزّوجلّ: انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة الّا تخافوا ولا تحزنوا فما امامكم من الاحوال فقد كفيتموها ولا تحزنوا على ما تخلّفونه من الذّراري والعيال فهذا الّذي شاهدتموه في الجنان بدل منهم و ابشروا بالجنّة الّتى كنتم توعدون وهذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم أنّاسكم وجلّاسكم [وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعٰا اِلَى اللّٰهِ] يعنى ممّن دعا الى الله في مملكة وجوده اعوانه وجنوده اذا لم يكن من اهل دعوة غيره الى الله اوممّن دعا اهل العالم الكبير اذا كان نبيّاً اوخليفته (ع) والجملة معطوفة على جملة انّ الّذين قالوا باعتبار المعنى فانّه في معنى لا احسن قولاً اوحاليّة بهذا الاعتبار او بتقدير القول وعلى اىّ تقدير فهي في معنى التّعليل [وَعَمِلَ صٰالِحًا وَقٰالَ

(١) ـ غصص بالطّعام و الماء = اعترض في حلقه فمنعه التّنفّس.

[إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] يعنى لا احسن قولاً ممّن دعا بأفعاله و اقواله و احواله و اخلاقه الى الله وعمل صالحاً باركانه اى صالحاً عظيماً هو الولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة اونفس البيعة الخاصّة فانّه لايراد به فردٌ من الصّالح لدلالته حينئذ على انّ من دعا الى الله وعمل صالحاً ما، وان كان ترك جملة الصّالحات يكون احسن قولاً من جميع الخلق، فانّ هذه العبارة قد مرّ مراراً انّها تستعمل فى هذا المعنى وان كان مفهومها اعمّ ، او المراد فردٌ ما من الصّالح والمقصود انّ من بايع البيعة الخاصّة ودخل الايمان فى قلبه واظهر اثر تلك البيعة على اعضائه من دعائه الى الله بحاله وقاله ومن عمله باركانه صالحاً ما من الصّالحات واظهر اثر تسليمه على لسانه بان يقول: انّنى من المسلمين فانّه قد يؤتى بهذه العبارة عند المبالغة فى امر الولاية كما ورد انّ الله فرض على خلقه خمساً ، فرخّص فى اربع ولم يرخّص فى واحدة اشار الى الولاية، وهذا من باب المبالغة فى امر الولاية ، وامثال هذا الخبر للمبالغة فى الولاية عنهم كثيرة ، وللاشارة الى انّه يلزم ظهور اثر التّسليم على اللّسان قال تعالى: و قال انّنى من المسلمين ولم يقل وكان من المسلمين وكما انّ الآية السّابقة كانت فى علىّ (ع) وشيعته من غير اختصاص لها بعلىّ (ع) او بالائمّة (ع) كذلك هذه الآية لا اختصاص لها بعلىّ (ع) والائمّة (ع) بل تجرى فى شيعتهم كما ذكرنا [وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ] تمهيدٌ لما يأتى وتعليلٌ لما مضى والاعتقاد بعدم استواء الحسنه والسّيّئة من الفطريّات فمن اختار عليه غيره ممّن اطّلع عليهما كان خارجاً من الفطرة [ادْفَعْ] سيّئة من اساء اليك [بِ] الفعلة [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] وقد مضى بيان هذه الآية فى سورة المؤمنون [فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] اى محبٌّ قريبٌ فى النّسب وقد فسّر فى الخبر الحسنة بالتّقيّة والسّيّئة بالاذاعة وهو وجهٌ من وجوه الآية ، ويجوز ان يفسّر الّتى هى احسن بالولاية اى ادفع سيّئات نفسك وسيّئات غيرك بتذكّر جهة الولاية او تمبول الولاية او بتذكيرهم بالولاية ولعلّ التّعبير عن الاساءة بالسّيّئة كان لهذا الوجه [وَمَا يُلَقَّاهَا] اى هذه السّجيّة والخصلة الّتى هى دفع الاساءة بالحسنة [إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا] لانّ النّفس فى جبلّتها هيجان الغضب عند ورود ما لا يلائم ، والغضب اقتضاؤه الدّفع بأشدّ ما يمكن فمن لا يمكن له حبس النّفس عن هيجان غضبها لا يدرك من هذه الخصلة شيئاً [وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ] من كمالات الانسان وقد قيل بالفارسيّة: «نيكى را نيكى خرخارى ، بدى را بدى سگ سارى، بدى را نيكى كار عبدالله انصارى» والخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّد (ص) مع التّعريض بامّته [وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ] نزغه كمنعه طعن فيه واغتابه و وسوس و بينهم افسدوا غرى [مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ] مصدر بمعنى الفاعل اومن قبيل جدّ جدّه يعنى ان يوسوسك من قبل الشّيطان موسوسٌ او يطعن فيك طاعنٌ او يدفعك دافعٌ حال ارادتك الاحسان الى المسيء [فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ] من نزغه فانّه يعيذك [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاستعاذتك [الْعَلِيمُ] باستجارتك، اوفاستعذ بالله من طاعته فانّه السّميع لاقتصاصك القولىّ ، العليم لاقتصاصك الفعلىّ فيؤاخذ عليه .

سجدة واجبة

[وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ] عطف باعتبار المعنى كأنّه توهّم متوهّم انّه قال: من آياته من دعا الى الله ومن آياته عدم استواء الحسنة والسّيّئة فقال تعالى: و من آياته اللّيل و النّهار [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] قد مضى مكرّراً انّ فى انتضاد اللّيل و النّهار الطّبيعيّين و اتّساق حركة الشّمس والقمر و تخالف اللّيل والنّهار بالظّلمة و النّور والبرودة والرّطوبة و الحرارة واليبوسة و الاتّساق فى الزّيادة والنّقيصة وغير ذلك من لوازم ذلك الّذى نيط بها توليد المواليد و بقاؤها و تعيّشها آياتٌ عديدةٌ دالّة على علمه وقدرته و ربوبيّته ورأفته بخلقه وغير ذلك من اضافاته [لَا تَسْجُدُوا] تفريع على سابقه لكنّه ادّاه بطريق الجواب لسؤال مقدّر ليتمكّن حال الشّمس والقمر فى ذهن السّامع [لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ] لكونهما من آياته تعالى ولا يخفى

على المستبصر تعميم اللّيل والنّهار والشّمس والقمر [وَاسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ] أتى بالجمع امّا لكون المراد بالشّمس والقمر الجنس وتعدّد افرادهما وعمومهما كما عليه حكماء الافرنج، و يستفاد من تلويحات الاخبار، اوللاشارة الى التّأويل وكثرة الشّمس والقمر بحسب التّأويل فانّ النّبيّ (ص) وخليفته يعبّر عنهما بالشّمس والقمر وكذلك خلفاؤهما ومشايخهما والعقل والنّفس يطلق عليهما الشّمس والقمر، والعقل الكلّيّ والنّفس الكلّيّة شمس وقمر، وكلّ معلّم ومتعلّم شمس وقمر، وفي عالم البرزخ وعالم المثال شموس واقمار [إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] يعني ان كنتم تحصرون العبادة فيه، فانّ النّظر على الواسطة وجعله مسمّىً مع انّه كان اسماً امّا كفر اوشرك، والنّظر على ذي الواسطة من مرآة الواسطة عبادة للمسمّى بايقاع الاسماء عليه وتوحيدٌ لذاته ولعبادته ، وههنا احد مواضع السّجود الفرض الاربعة [فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا] صرف الخطاب عنهم الى نبيّه (ص) لانّ النّهي والامر كانا للمشركين بالاشراك الصّوريّ الّذين كانوا يعبدون الشّمس والقمر ، اوللمشركين بالاشراك المعنويّ الّذين كانوا يعبدون النّفس واهويتها ، اوالّذين كانوا يرون النّبيّ (ص) اوخليفته (ع) منفكّاً عن الله تعالى، اوالّذين كانوا يعبدون الملائكة وكانوا يرونهم غير الله، وكان المناسب ان يكون الخطاب لهم حتّى يكون سبباً لنشاطهم في الاستماع، وهذا تسليةٌ له (ص) عن حزنه على استكبارهم [فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ] من الملائكة المقرّبين الّذين لهم مقام العنديّة بالنّسبة اليه تعالى ومن الاناسيّ الكاملين الّذين حصل لهم مقام العنديّة [يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] الاتيان باللّيل والنّهار قيداً لتسبيحهم دليلٌ على ارادة الكمّلين من الاناسيّ [وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً] كناية عن يبسه وقراره [فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ] اهتزاز الارض بهيجان حبوبها وعروقها لنبت النّبات وورق الاشجار [وَرَبَتْ] بالنّبات [إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا] بالنّبات بعد موتها عن النّبات [لَمُحْيِي الْمَوْتَى] بالحيوة الشّريفة الانسانيّة بعد موتهم عن الحيوة الحيوانيّة بل عن الحيوة البشريّة عند النّفخة الاولى [إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] من الاماتة والاحياء وغير ذلك [إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما نمن يرى تلك الآيات وينصرف عنها بل يصرفها عن وجهها بالتّحريف والتّأويل واللّغو فيها والطّعن والرّدّ والاستهزاء بها ؟ ـ فقال : انّ الّذين يميلون عن الاستقامة في الآيات [لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ] في مقام فيلقون في النّار لكنّه أتى بتلك العبارة اشارةً الى هذا المعنى مع شيء آخر [خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] وعيدٌ شديدٌ [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ] جملة لا يخفون خبراً اوحالاً اومستأنفةً وجملة افمن يلقى خبراً اوخبراً بعد خبر اوحالاً اومستأنفة والكلّ بتقدير القول وجملة اعملوا خبراً او خبراً بعد خبر اوحال او مستأنفة والكلّ بتقدير القول وانّ الّذين كفروا تأكيد لقوله انّ الّذين يلحدون وخبر انّ محذوف بقرينة خبر انّ الاولى اومستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر والخبر محذوفٌ بقرينة السّابق اى لا يخفون او هم الّذين يلحدون اوالخبر قوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ] مكرّم [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ] اى من بعده باتيان رسول وكتاب ينسخه اومن قبله بان يبطله الكتب الماضية مثل التّوراة والانجيل [وَلَا مِنْ خَلْفِهِ] بالوجهين [تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] في مقام التّعليل لعدم البطلان سواء كان خبر مبتدء محذوف والجملة مستأنفة اوحالا اوكان خبراً بعد خبر [مَا يُقَالُ لَكَ] جوابُ سؤال مقدّر كأنّ محمّداً (ص) قال: ما افعل بهم وبما يقولون

فی حقّی او فی حقّ علیّ (ع)؟ فقال تعالی تسلیة له: ما یقال لک [اِلَّا مَا قَدْ قِیلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ اِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ] فیغفر لهم کثیر اقوالهم ولا یؤاخذهم بما یقولون فتأسّ بهم واغفر لهم [وَذُو عِقَابٍ] فیؤاخذهم بمعاصیهم فلا تعجل لمؤاخذتهم [اَلِیمٍ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا اَعْجَمِیًّا] کأنّهم قالوا بینهم اولمحمّد (ص): لوکان من عندالله لکان بلسان مغایر للسان البشر، وقد قیل: انّه جواب لقولهم هلّا نزل هذاالقرآن بلغة العجم؟ [لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ اٰیَاتُهُ] یعنی لولانزلت بلغتنا حتّی نفهمه؟ [ءَاَعْجَمِیٌّ] یعنی لقالواءاعجمیّ؟ [وَ] المخاطب، اوالمنزل علیه [عَرَبِیٌّ] والاعجمیّ هوالّذی لایفهم کلامه، ویقال لکلامه ایضاً اعجمیّ وقریء اعجمیّ بفتح العین وهمزة واحدة [قُلْ هُوَ لِلَّذِینَ اٰمَنُوا هُدًی وَشِفَاءٌ وَالَّذِینَ لَا یُؤْمِنُونَ فِی اٰذَانِهِمْ] من حیث سماع المعنی والاعراض منه [وَقْرٌ وَهُوَ عَلَیْهِمْ عَمًی] غیر مفهوم لهم یقول للکلام الّذی لایفهم معناه عمیّ ومعمّیّ [اُولٰئِكَ یُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِیدٍ] یعنی هذه الفرقة ینادون بهذا الکتاب من مکان بعید لایصل النّداء الیهم لانّ الکتاب نزل من مقام عالٍ الی صدرٍ منشرحٍ بالاسلام و هؤلاء فی غایة البعد من مقام الصدر المنشرح بالاسلام لوغولهم فی البهیمیّة و السّبعیّة والشّیطنة [وَلَقَدْ اٰتَیْنَا مُوسَی الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ] بالردّ والقبول و العمل فیه وترك العمل والعمل ببعضه وترك بعضه کمااختلف قومک فی کتابک [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] بالامهال الی مدّةٍ معیّنةٍ [لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ] ای بین المختلفین من قوم موسی (ع) اوبین قومک [وَ اِنَّهُمْ لَفِی شَكٍّ مِنْهُ] من القرآن اومن کتاب موسی (ع) [مُرِیبٍ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا] ای صالح کان، اوصالحاً عظیماً هوالولایة والبیعة الخاصّة [فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ اَسَاءَ] ای عمل سیّئة [فَعَلَیْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ] ای بذی ظلم یعنی لایفعل بهم مالایستحقّونه.

[الجزء الخامس والعشرون]

[اِلَیْهِ یُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ] قد فسّر السّاعة بحین الموت و بالقیامة و بظهور القائم (ع) والکلّ واحد علی التّحقیق وعلم ذلک مختصّ به تعالی واممّا قولهم (ع): عندنا علم البلایا والمنایا، فهم فی ذلک آلهیّون لابشریّون [وَمَا تَخْرُجُ] ماموصولة معطوفة علی علم السّاعة اونافیة والجملة معطوفة علی جملة الیه یردّعلم السّاعة [مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ اَكْمَامِهَا] جمع الکمّ بالکسر وهو اوالکمامة وعاء الطّلع وغطاء النّور [وَمَا تَحْمِلُ مِنْ اُنْثَی وَلَا تَضَعُ اِلَّا بِعِلْمِهِ] وعلم من یعلم ذلک من افراد البشر من علمه تعالی [وَیَوْمَ یُنَادِیهِمْ] متعلّق بمحذوف ای اذکر او ذکّرهم او متعلّق بقالوا [اَیْنَ شُرَكَائِی] الّذین جعلتموهم شرکائی فی الوجوب او فی العبادة او فی الطّاعة او أین شرکائی بحسب مظاهری وخلفائی من مقابلی علیّ (ع) [قَالُوا اٰذَنَّاكَ] اعلمناك بضلالهم عنّا او ببراءتنا منهم اوقوله تعالی [مَا مِنَّا مِنْ شَهِیدٍ] مفعولاه معلّق عنهما العامل و المعنی ما منّا شاهدٌ یشهد لهم بالشّراکة، اوما منّا احدٌ یشاهدهم لضلالهم عنّا، اوانکروا اشراکهم وقالوا: ماکان احد منّا یشهد بشرکهم فی الدّنیا [وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا یَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ] من الاصنام والکواکب وائمّة الضّلال ومطلق الرّؤساء [وَظَنُّوا] ای ایقنوا [مَا لَهُمْ مِنْ مَحِیصٍ] مهرب [لَا یَسْأَمُ الْاِنْسَانُ] الجملة منقطعة عن سابقها لفظاً ومعنیً، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: لم ظنّوا ذلک؟

فقال: لانّ الانسان لايسأم [مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ] فلذلك ظنّوا انّهم لا محيص لهم [وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى] وذلك لما تكرّر منّا انّ الخيال حين الاستيحاش وغلبة الهمّ يفرّ كالشّيطان ويظهر سلطان العقل فاذا رفع الخوف لايدّعي الحكم للعقل ويظهر بانانيّته وينكر المبدء والمعاد كما هو شأنه وشأن الشّيطان، ويظنّ انّه ان كان ما يقولون صادقاً فالله لايختار عليه غيره لكرامته عليه [فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا] كناية عن جزائهم باعمالهم السّيّئة خلاف ماظنّوه [وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ] عنّا وعن شكر نعمنا [وَنَأَى بِجَانِبِهِ] اى نأى عنّا ومال الى جانبه بمعنى انّه ظهر بانانيّته ورؤية نفسه والاعجاب بها وظنّ انّ النّعمة باستحقاقها ونسي انعامنا وانّ النّعمة عارية عليها لامدخليّة لها فيها [وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ] لحفظ انانيّته ووجوده [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] قد مضى بيان هذه الكلمة في سورة الانعام عند قوله تعالى: قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله [إِنْ كَانَ] هذا الانعام اوالرّسول اوالقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) اونصب علىّ (ع) [مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ] في طرف من الله اومن الرّسول (ص) [بَعِيدٍ] الجملة جزاء الشّرط بتقدير القول او بتقدير الفاء فقط اوالجزاء محذوف ومن اضلّ مستأنف [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا] جوابٌ لسؤال مقدّر ولمّا كان القرآن خوان اطعام الله وكان فيه وفي آياته طعام الادانى والاعالى والكافر والمؤمن والضّال والمهتدى كما يرى من تمسّك كلّ فرقة في مذهبهم به، ونعم ماقيل:

منعم كامل چوخوانباشي بود ... برسر خوانش ز هر آشي بود

كان الآية بالنّسبة الى كلّ فرقة جواباً لسؤال غير ما للفرقة الاخرى فكأنّه قيل: بالنّسبة الى الجاحدين والمنكرين: متى يعترف هذه الفرقة؟ـ فقال تعالى: سنريهم آياتنا [فِي الْآفَاقِ] بالنّقص في اموالهم وانفسهم بانواع البلايا الّتي كانت خارجة من عاداتهم [وَفِي أَنْفُسِهِمْ] بانواع الامراض والاوجاع [حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ] اى لمن لم يكن له استعداد التّوبة والسّعادة عند معاينة الموت، ولمن كان له استعداد التّوبة قبل ذلك [أَنَّهُ الْحَقُّ] فيتوب من يتوب ويشقى من يشقى، وكأنّه قيل بالنّسبة الى الضّالين المتحيّرين في الله اوفي الرّسالة اوفي الولاية: متى يهتدون ويخرجون من التّحيّر والضّلال؟ـ فقال تعالى: سنريهم آياتنا الدّالّة على مبدء عليم قدير حكيم رؤف رحيم، اوعلى صدق رسولنا (ص) ورسالته، اوعلى الولىّ (ع) وولايته في الآفاق من الآيات السّابقة وجبران مافات منهم، وترتّب الفوائد الكثيرة على البلايا الواردة في الآفاق وفي انفسهم ممّا ذكر سابقاً وممّا يشاهدونها في المنام اوفي اليقظة من تبدّلات احوالهم ومن بسطاتهم وقبضاتهم وممّا القي في قلوبهم من العلوم والخوف والاستبشار حتّى يتبيّن لهم انّ الله حقّ اوالرّسول (ص) حقّ اوعليّاً (ع) حقّ، وكأنّه قيل بالنّسبة الى المسلم الّذي كان واقفاً عن الولاية: متى يظهر عليهم حقيّة الولاية؟ـ فقال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّ الله هو الحقّ المضاف الّذي هو علىّ (ع)، وبالنّسبة الى المؤمن الّذي بايع البيعة الخاصّة الواقف عن مقام الحضور سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتّى يتبيّن بظهور ولىّ الامر في صدورهم انّه الحقّ، وبالنّسبة الى من كان له مقام الحضور عند ربّه قوله تعالى [أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ] ولكون هذا لمن كان له مقام الحضور أتى بالخطاب عامّاً اوخاصّاً بمحمّد (ص) [أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] حاضر أتى بعلى للاشارة الى

احاطته بكلّ شيء ولذلك قال [أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ] لمّا كان الله تعالى بحسب وجوده ذاته بلانهاية وليس له حدّ يحدّ وجوده ولا نهاية ينتهي اليها فلابدّ ان لا يخرج من حيطة وجوده شيء من الاشياء فانّه لو خرج من وجوده ذرّة تحدّ به ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، ونعم ماقيل برهاناً عليه :

ای خدای بی نهایت جز تو کیست　　چون توئی بیحد تو غایت جز تو کیست
هیچ چیز از بی نهایت بیشکی　　چون برون ناید کجا ماند یکی

واحاطته بالاشياء ليست كاحاطة الظّرف بالمظروف او المكان بالمتمكّن بل كاحاطة المقوّم بالمتقوّم فانّه مع كلّ شيء بالقيّوميّة وغير كلّ شيء بحسب حدوده .

سُورَةُ الشُّورى

ثلاث وخمسون آيةً ، وقيل : خمسون آية مكّيّة ، وقيل : الّا قوله : والذين استجابوا (الى قوله) لايحبّ الظّالمين ، وقيل : الّا اربع آيات نزلن بالمدينة : قل لااسألكم عليه اجراً الّا المودّة فى القربى (الى قوله) والكافرون لهم عذابٌ شديدٌ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[حم عسق كَذلِكَ] الوحى الّذى اوحينا اليك قبل ذلك من اخبار المغيبات ومن الاحكام والمواعظ [يُوحِي إِلَيْكَ] بعد هذا الزّمان ، اوكذلك الوحى بالرّمز والحروف المقطّعة الّذى اوحينا اليك قبل ذلك يوحى اليك بعد ذلك ، اوكذلك الوحى المحفوف باذى القوم وانكارهم الّذى اوحينا اليك يوحى بعد ذلك ، اوكذلك الوحى باهلاك القوم واسكان الارض يوحى اليك [وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ] اى واوحى الى الّذين من قبلك وأتاه بطريق عطف المفرد للاغتفار فى الثّوانى اولتقدير المعطوف بقرينة المعطوف عليه ، وقرئ : يوحى بالبناء للفاعل ، وبالبناء للمفعول ، واذا كان مبنيّاً للمفعول فقوله تعالى [اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] يكون فاعل فعل محذوف او مبتدء والجملة مستأنفة فى موضع التّعليل وخبره العزيز اوالحكيم اوقوله تعالى [لَهُ ما فِي السَّمواتِ وَما فِي الْأَرْضِ] والمعنى له السّماوات والارض وما فيهما [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ تَكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ] من جهة فوقهن اومن فوق الاراضى [وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ] عطف على السّماوات عطف المفرد ، ويسبّحون مستأنف او عطف مع يسبّحون على اسم تكاد وخبره ، او الجملة معطوفة على جملة تكاد السّماوات (الى آخره) [بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ] يعنى لمؤمنى الارض فانّهم عقلاء حقيقةً وغيرهم ملحقون بالبهائم كما سبق

فی سورة المؤمن عند قوله تعالی و یستغفرون للّذین آمنوا قال القمیّ ، للمؤمنین من الشّیعة التّوابین خاصّة ، و لفظ الآیة عامّ والمعنی خاصّ ومراده بالتّوابین التّوابون فی ضمن البیعة الخاصّة ، وعن الصّادق (ع) یستغفرون لمن فی الارض من المؤمنین لانّ المؤمن الّذی بایع البیعة الخاصّة الولویّة یحصل فی قلبه کیفیّة الهیّة هی بمنزلة الانفحة و بتلک الجوهرة الالهیّة یتوجّه الیه الملائکة السّماویّة و یحفّ به الملائکة الارضیّة و یطلبون مترمساویه من الله و یسترون مساویه و یحفظونه من ظهور المساوی عنه ، وامّا غیره فلا التفات للملائکة السّماویّة الیه و یتنفّر عنه الملائکة الارضیّة فلا یحفّون به ولا یسترون مساویه [اَلَا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ] جواب لسؤال مقدّر [وَالَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِیَاءَ] ای اولیاء حالکونهم غیره ، او اتّخذوا من دون اذنه اولیاء وعلی ای تقدیر فالمقصود منهم مقابلوا المؤمنین الّذین اتّخذوا علیّاً (ع) ولیّاً [اللّٰهُ حَفِیظٌ عَلَیْهِمْ] مقابل استغفار الملائکة للّذین یایعوا مع علیّ (ع) اومعنی حفیظ علیهم حافظ جمیع اعمالهم علی ضررهم ومن کان الله حافظاً علیه لایدع صغیراً ولا کبیراً من اعماله [وَمَا اَنْتَ عَلَیْهِمْ] برسالتک [بِوَکِیلٍ] حتّی تحزن بخلافهم لک او بعنادهم لعلیّ (ع) ، او تحفظ علیهم اعمالهم ، او تحفظهم عن المخالفة لعلیّ (ع) [وَکَذٰلِکَ] الوحی الّذی نوحی الیک فی علیّ (ع) اومطلقاً [اَوْحَیْنَا اِلَیْکَ] قبل [قُرْاٰنًا عَرَبِیًّا] بلسان العرب لا بلسان العجم اوذا حکمة وعلم ومواعظ واحکام ، لا اعرابیّاً لم یکن فیه حکمة ومواعظ واحکام [لِتُنْذِرَ اُمَّ الْقُرٰی] اهل امّ القری [وَمَنْ حَوْلَهَا] من اهل الارض جمیعاً ، فانّ تمام الارض بالنّسبة الی عالم المثال تکون حول مکّة [وَتُنْذِرَ یَوْمَ الْجَمْعِ] لتنذر جمیع الخلق من کلّ ما ینذر منه من امور الدّنیا و امور الآخرة و تنذر من یوم الجمع مخصوصاً وهو یوم القیامة لاجتماع الخلائق فیه [لَا رَیْبَ فِیهِ] قدمضی بیان عدم الرّیب فی امثاله فی اوّل البقرة عند قوله تعالی لا ریب فیه [فَرِیقٌ] من المجتمعین [فِی الْجَنَّةِ وَفَرِیقٌ] منهم [فِی السَّعِیرِ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَهُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً] علی دین واحد ومذهب واحد وارادة واحدة هی ارادة الطّاعة ولمّا کان مشیّته بحسب استعداداتهم ماشاء ذلک [وَلٰکِنْ یُدْخِلُ مَنْ یَشَاءُ] بحسب استعداده [فِی رَحْمَتِهِ وَالظّٰالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِیٍّ] یتولّی اموره و یجذب خیراته [وَلَا نَصِیرٍ] یدفع الضّرّ عنه و ینصره فی شدائده وقد مضی مکرّراً انّ النّبیّ (ص) بولایته ولیّ و برسالته نصیر ، وغیّر الاسلوب اشعاراً بانّ الادخال فی الرّحمة من اوصافه تعالی الذّاتیّة وعقوبة الظّالم من عرضیّات رحمته الرّحمانیّة دون اوصافه الذّاتیّة [اَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِیَاءَ] ام ههنا بمعنی بل مع الهمزة اومجرّدة عن الهمزة فلا یر بحوا [فَاللّٰهُ هُوَ الْوَلِیُّ] لاولیّ سواه [وَهُوَ یُحْیِی الْمَوْتٰی] عن الحیوة الحیوانیّة اوالموتی عن الحیوة الانسانیّة الّتی هی الولایة التّکلیفیّة [وَهُوَ عَلٰی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِیهِ مِنْ شَیْءٍ] ای ممّا یصدق علیه اسم الشّیء من امر الدّین اومن امر الدّنیا من المعاملات اوالمعاشرات اوالمناکحات اوالتّوارث [فَحُکْمُهُ] راجع [اِلَی اللّٰهِ] یعنی الحکم فی ذلک الشّیء بکونه حقّاً او باطلاً صحیحاً اوفاسداً ینبغی ان یرجع فیه الی الله فی الدّنیا بحسب مظاهره الّذین هم مظاهر الولایة واصل الکلّ علیّ (ع) فانّه لیس عند احدکم حقّ الّا ماخرج من ذلک البیت ولا یصل البشر الی مقام الغیب حتّی یکون الله یحکم بنفسه بینهم ، و ینتهی حکم ذلک فی الآخرة الی علیّ (ع) لانّ ایاب الخلق الیه وهو قسیم الجنّة والنّار ، وامّا رجوعه الی کتاب الله بمعنی استنباط حکمه منه فممّا لاحاصل له لانّ الکتاب مجمل متشابه والرّجوع الیه من دون الرّجوع الی الامام المبیّن له غیر مجدٍ [ذٰلِکُمُ اللّٰهُ رَبِّی] حکایة لقول الرّسول (ع) ای قال الرّسول

لهم، اوامره (ص) بهذا القول بتقدير الامر من القول اى قل لهم، ذلكم الموصوف بهذه الاوصاف ربّى [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ] فيما تخوّفونى به [وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] فى جميع اموری ، اوانيب بذاتى فى آخر امری [فَاطِرُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجًا] هو من قول الرّسول (ص) او ابتداء كلام من الله [وَمِنَ الْأَنْعٰامِ] الثّمانيّة كما مضى فى سورة الانعام [أَزْوٰاجًا] اى وخلق من الانعام ازواجاً ذكراً و انثى ، او ازواجاً اهلية و وحشيّة ، او خلق لكم من الانعام ازواجاً [يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ] اى يكثّركم و يبثّكم فى جعل الازواج من انفسكم و الازواج من الانعام وهذه الجملة ايضاً من قول الرّسول (ص) اومن الله تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] الكاف زائدة اواسميّة وهى خبر ليس وحينئذ يكون الكلام مبالغة فى نفى المماثلة لا انّه يكون اثباتاً للمثل له وقد مضى فى اوّل البقرة انّ الله تعالى وجود بحت و بسيط الحقيقة، واقتضاء بساطته ان لايكون له ثانٍ والّا كان مركّباً واذا لم يكن له ثانٍ لم يكن له مثلٌ ولاضدٌّ [وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] بمنزلة النّتيجة لنفى المثل عنه لانّه اذا لم يكن له مثل فلم يكن سمعٌ الّا كان سمعه ، ولا بصرٌ الّا كان بصره ، والّا كان غيره سميعاً و بصيراً مثله فيكون السّمع و البصر محصوراً فيه [لَهُ مَقٰالِيدُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] المقاليد كالمفتاح والقليد كالسّكيت الخزانة [يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَقْدِرُ] على قدر استعداده [إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم قدر استعداد كلّ و استحقاقه [شَرَعَ لَكُمْ] اى جعل لكم مشرعاً وجادّة [مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحًا] الجمل السّابقة يحتمل كلّ منها كونه من قول الرّسول (ص) وكونه ابتداء كلام من الله كما اشرنا اليه وكان قوله تعالى [وَالَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ] عطفاً على ما وصّى به نوحاً عطف المفرد ويجوز ان يكون مستأنفاً من الله سواء جعلت الجمل السّابقة من الله اومن الرّسول (ص) ويكون حينئذ مبتدءٌ وخبره ان اقيموا الدّين اوكبر على المشركين ويكون العائد مستتراً فى كبر وما تدعوهم اليه بدلاً منه [وَمٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ] ان تفسيريّة اومصدريّة والدّين يطلق على الطّريق الى الله، والطّريق الى الله تكويناً هى الولاية التّكوينيّة و تكليفاً الولاية التّكليفيّة وقد فسّر بعلىّ (ع) وعلى الاعمال الّتى تعين السّالك على الطّريق فى سيره و لذلك يسمّى الملّة ديناً ، واقامة الدّين بوصل كلّ مرتبة من الطّريق الى المرتبة الاخرى و بوصل اعمال كلّ مرتبة منها الى اعمال المرتبة الاخرى نظير اقامة الصّلوة وقد مضى تفصيل اقامة الصّلوة فى اوّل البقرة [وَلٰا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] فى الدّين اى الاعمال اللّازمة للطّريق اونفس الطّريق اوفى علىّ (ع) وولايته بان اختار كلّ عملاً وطريقاً مغايراً لعمل الآخر و طريقه ، اوبان يكون كلّ له طرقٌ عديدة و اعمال مختلفة ، اويكون فى عمله اهوية عديدة و اغراض كثيرة [كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ] بالله اوبالولاية [مٰا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ] من التّوحيد وحصر العبادة فى الله اومن الولاية [اَللّٰهُ يَجْتَبِي] اى يولّى بالاجتباء [إِلَيْهِ مَنْ يَشٰاءُ] فلاتحزن انت على ادبارهم عن الله اوعن علىّ (ع) [وَيَهْدِي] اى يوصل اويسلك [إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ] من يرجع اليه، عن الصّادق (ع) ان اقيموا قال الامام (ع) ولا تتفرّقوا فيه كناية عن امير المؤمنين (ع) ماتدعوهم اليه من ولاية علىّ (ع) من يشاءُ كناية عن علىّ (ع) و بهذا المضمون و بالقرب منه اخبارٌ كثيرةٌ ، ولمّا كان القرآن ذا وجوه كثيرة كان هذا احسن وجوهه [وَمٰا تَفَرَّقُوا إِلّٰا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْعِلْمُ] بصحّة دين نبيّهم او بصدق خلافة علىّ (ع) فقبل بعضهم عن علم ، وانكر بعضهم حسداً [بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلٰا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] بامهالهم [إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بالاهلاك للمنكر والخلاص للمقرّ من بين المنكر

[وَاِنَّ الَّذِينَ اُورِثُوا الْكِتٰابَ مِنْ بَعْدِهِمْ] بعد الانبياء (ع) وامهم [لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ] وقد فسّر بغياً بينهم ببغي بعضهم على بعض لمّا رأوا من تفاضل امير المؤمنين (ع) وقوله تعالى لفي شكّ منه مريب بانّه كناية عن الّذين نقضوا امر رسول الله (ص) [فَلِذٰلِكَ فَادْعُ] اى للدّين واقامته، اولعليّ (ع) وولايته واللّام بمعنى الى اوللتّعليل، ويكون المعنى ادع جميع النّاس الى الشّريعة الّتى شرعتها لكى لاجل الولاية فانّ الاسلام اى الشّريعة هداية الى الولاية، ولولم يكن الولاية لم يكن للاسلام فائدة، وعن الصّادق (ع) يعنى الى ولاية امير المؤمنين (ع) [وَاسْتَقِمْ] واعتدل وتمكّن فى الدّين [كَمٰا اُمِرْتَ] كاستقامة امرت بها وهى الاستقامة فى جميع المقامات وفيما فوق الامكان وهو حقيقة الولاية ولعدم انضمام الامّة معه (ص) ههنا لم يرد منه ما ورد فى سورة هود من قوله: شيّبتنى سورة هود [وَلٰا تَتَّبِعْ اَهْوٰاءَهُمْ] فى الدّين اوفى ولاية امير المؤمنين (ع) [وَقُلْ اٰمَنْتُ بِمٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنْ كِتٰابٍ] فى الامم الماضية وفى هذا الزّمان حتّى يكون تعريضاً بالايمان بكتاب ولاية علىّ (ع) وتعريضاً بهم فى عدم الايمان بولاية علىّ (ع) [وَاُمِرْتُ لِاَعْدِلَ بَيْنَكُمْ] ومن العدالة بينكم اقامة رجل منكم اماماً لكم لرفع الخلاف بينكم بعد وفاتى واقامة عوجكم [اَللّٰهُ رَبُّنٰا وَرَبُّكُمْ لَنٰا اَعْمٰالُنٰا وَلَكُمْ اَعْمٰالُكُمْ] فما اقول لكم من الامر والنّهى نفعه لكم وضرّه عليكم لانفع ولاضرّ منه علىّ حتّى تتّهمونى فى ذلك [لٰا حُجَّةَ] لامحاجّة [بَيْنَنٰا وَبَيْنَكُمْ] لظهور الحقّ وبرهانه وعدم الحاجة الى المحاجّة فهو بمنزلة المتاركة معهم [اَللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنٰا] تهديدٌ لهم بمحاكمة الله بينهم [وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ] فيحكم للمحقّ على المبطل [وَالَّذِينَ يُحٰاجُّونَ فِي اللّٰهِ] اى يحاجّون الله فى علىّ (ع) بعد الموت اوفى القيامة او فى عبادة الله ومعصيته بعد الموت اوفى القيامة، اويحاجّون خلفاء الله والمؤمنين فى حقّ الله اى فى دينه اوفى حقّيّته وثبوته اوفى عبادته اوفى الاشراك به اوفى السّلوك اليه اوفى توحيده اوفى مظاهره يعنى فى نبوّتهم وخلافتهم خصوصاً فى خلافة علىّ (ع) اوفى اعادته، وفى الجملة فى جملة صفاته الحقيقيّة اوالاضافيّة وفى جملة افعاله وفى مظاهره [مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ] فى ندائه ونداء ملائكته للموت اوفى ندائه فى القيامة للحساب، اومن بعد ما استجيب له فى نداء خلفائه ودعوتهم وظهور حجّتهم وعدم بقاء الاشتباه فى حقّيّتهم، اومن بعد ما استجيب للنّبىّ (ص) دعاءه على الكافرين والمشركين بقتلهم يوم بدر وبقحط اهل مكّة وبنى مُضر، اومن بعد ما استجيب للنّبىّ (ص) فى اعطاء المعجزات اومن بعد ما استجيب لاجل النّبىّ (ص) فانّ اليهود كانوا يستفتحون بمحمّد (ص) ويجابون فى استفتاحهم [حُجَّتُهُمْ دٰاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ] اى باطلة [وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ] لكونهم ظالمين فى محاجّتهم [وَلَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ اَللّٰهُ الَّذِي اَنْزَلَ الْكِتٰابَ] كتاب النّبوّة والرّسالة اوكتاب الولاية والقرآن صورة الكلّ [بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ المخلوق به اومتلبّساً بالحقّ والجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر وتسلية للرّسول فى محاجّتهم كأنّه قيل: هل لهم ان يبطلوا الكتاب او يمنعوا علياً (ع) عن مقامه او يبطلوا الدّين؟ فقال تعالى: الله لاغيره هو الّذى انزل الكتاب بالحقّ فلا يأتيه البطلان [وَالْمِيزٰانَ] قد سبق فى اوّل سورة الاعراف وفى سورة الانبيا بيانٌ اجمالىّ للوزن والميزان، ولمّا كان المراد بالكتاب النّبوّة اوالرّسالة اوالولاية اوالكتاب التّدوينىّ الّذى هو صورة الكلّ اوالاحكام الملّيّة الّتى هى ايضاً صورة الكلّ وكان كلّ منها ميزاناً لوجود العباد واعمالهم واحوالهم واخلاقهم واقوالهم عطف على الكتاب الميزان [وَمٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السّٰاعَةَ قَرِيبٌ] فلا تحزن على عدم مؤاخذتهم، والخطاب عامّ اوخاصّ بالنّبىّ (ص) وتعريض بالامّة وتهديدٌ للكفّار ومنافقى الامّة، ولجعل قريب شبيهاً بالفعيل بمعنى المفعول قد يسوّى فيه بين المذكّر والمؤنّث [يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهٰا] اى لايذعنون

فيسخرون منها و يستعجلون بها [وَالَّذِينَ اٰمَنُوا] اى اذعنوا بها والّذين اسلموا بالبيعة العامّة اوآمنوا بالبيعة الخاصّة [مُشْفِقُونَ مِنْهَا] خائفون منها لعلمهم بالحساب على الجليل و القليل فيها [وَيَعْلَمُونَ اَنَّهَا الْحَقُّ] الثّابت [اَلَآ اِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ] سواء اريد بالسّاعة ساعة ظهور القائم او ساعة القيامة اوساعة الرّجعة اوساعة الموت [لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ] قيل: كانوا يقولون لرسول الله (ص): اقم لنا السّاعة وائتنا بما تعدنا ان كنت من الصّادقين فردّ الله عليهم [اَللّٰهُ لَطِيفٌ] اى برّ [بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ] العلم والفهم والايمان ويؤخّر عنهم السّاعة لعلّهم يتوبون و يتذكّرون فيعترفون [وَهُوَ الْقَوِيُّ] الّذى يقدر على ما يشاء [الْعَزِيزُ] الّذى لا يمنعه مانع من فعله فتأخير مؤاخذتهم ليس لعجز ولا لمانع منه عن ذلك بل للطفه بهم [مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فليس لمن سعى للآخرة اوللدّنيا شيء من سعيه؟ـ فقال تعالى: من كان يريد بسعيه حرث الآخرة [نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ] اعطيناه بقدر سعيه وزدناه على سعيه [وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا] بقدر حرثه او اقلّ منه فانّه لا يفيد في مقابل نزدله في حرثه ازيد من ذلك [وَمَا لَهُ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ] لانّه ما زرع للآخرة، عن الصّادق (ع): المال والبنون حرث الدّنيا، والعمل الصّالح حرث الآخرة، و قد يجمعهما الله لاقوام، وعنه (ع): من اراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن اراد خير الآخرة اعطاه الله خير الدّنيا والآخرة، والاخبار في انّ من كان همّته الدّنيا باعماله واقواله فرّق الله عليه امره ، و شتّت باله وجعل الفقر بين عينيه، ولم يأته من الدّنيا الّا ما كتب له ، ومن كانت همّته الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدّنيا وهي راغمة كثيرة، وقيل للصّادق (ع): الله لطيف بعباده يرزق من يشاء؟ـ قال: ولاية امير المؤمنين (ع)، قيل من كان يريد حرث الآخرة؟ـ قال: معرفة امير المؤمنين (ع) والائمّة (ع)، قيل نزدله في حرثه؟ـ قال: نزيده منها يستوفي نصيبه من دولتهم و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب ، قال: ليس له في دولة الحقّ مع الامام (ع) نصيبٌ [اَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ] لله يأمرونهم بخلاف ما يأمرهم الله [شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَاْذَنْ بِهِ اللّٰهُ] ممّا جعلوه ملّة من البحيرة والسّائبة وغير ذلك [وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] كلمة الفصل هي اللّطيفة الانسانيّة الفاصلة للانسان من سائر الحيوان وهي الولاية التّكوينيّة وهي ما به عناية الحقّ للانسان و تكريمه له و يمهل الله الانسان حتّى تظهر تلك اللّطيفة و تستكمل او تذهب من الانسان و يلتحق الانسان بالانعام بل يصير اضلّ منها واذا خرجت من الانسان و انقطعت منه يصير الانسان مرتدّاً فطريّاً غير مقبول التّوبة و واجب القتل بحسب احكام الشّرع ، وما ورد عن الباقر (ع) في تفسير الآية من قوله: لولا ما تقدّم فيهم من الله عزّ ذكره ما ابقى القائم منهم احداً ، ولعلّ المراد بالقائم هو خليفة الله القائم بأمره للعباد، يؤيّد ما ذكرنا في تفسيره كلمة الفصل [وَاِنَّ الظّٰالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ] جملة حاليّة والمعنى انّ الظّالمين لآل محمّد (ص) في وجودهم وهم اللّطيفة المذكورة وكلّ من تولّد منها سواء كانوا ظالمين لآل محمّد (ص) في الخارج او لم يكونوا لهم عذابٌ اليمٌ في الدّنيا والحال الحاضر لكن لخدارة اعضائهم لا يشعرون به ، اوفي الآخرة لكن لعدم تيقّنهم بالعذاب في الآخرة ظلموهم [تَرَى] في الحال اوسوف ترى في الآخرة والخطاب خاصٌّ بمحمّد (ص) اوعامّ [الظّٰالِمِينَ مُشْفِقِينَ] خائفين [مِمَّا كَسَبُوا] من جزاء ما كسبوا من الاعمال او من نفس ما كسبوا بناءً على تجسّم الاعمال في الدّنيا كما هو حال بعض المذنبين اوفي الآخرة كما هو حال الجميع [وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ] في الدّنيا

ولكن لايشعرون به اوفى الآخرة [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ] عطف على مفعولى تَرى اى وترى الّذين آمنوا (الى آخرها)، اوعطف على اسم انّ وخبرها، اوعلى جملة انّ الظّالمين (الى آخرها) اوعلى جملة ترى الظّالمين اوعلى جملة هو واقع بهم [لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ] الظّرف مستقرّ وحال عن فاعل يشاؤن اوعن الموصول اوعن مجرور لهم اوعن المستتر فيه اوخبرٌ بعد خبرٍ اوخبر مبتدء محذوف، اومتعلّق بيشاؤن اوبل هم [ذَلِكَ] المذكور [هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ] المذكور العظيم القدر البعيد المنزلة [الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] قد مضى مكرّراً انّ المراد فى امثال هذه العبارة بالايمان الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة، اونفس البيعة العامّة و بالعمل الصّالح الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة، اونفس البيعة الخاصّة، اوالمراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة اونفس تلك البيعة، و بالعمل الصّالح العمل بشروط تلك البيعة [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على هذا الامر الّذى انا فيه من تبليغ رسالة الله ودعائكم الى الايمان بالله [أَجْرًا] منكم حتّى تتّهمونى بطلب الدّنيا فى ادّعائى [إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] الاستثناء متّصل و المودّة فى القربى وان كانت نافعةً لهم وتكميلاً لنفوسهم ولكن باستكمالهم ينتفع النّبىّ لكونهم (ص) اجزاءً له وسعةً لوجوده فقوله تعالى: قل ماسألتكم من اجرٍ فهو لكم اشارة الى كلا الانتفاعين حيث جعله اجراً له من حيث انتفاعه بمودّتهم لاستكمالهم بها وسعته (ص) باستكمالهم، فما قيل: انّه استثناء منقطع، ليس فى محلّه، والقربى مصدر قرب و المقصود المودّة فى التّقرّب الى الله او فى حال قربكم من الله فيكون بمعنى الحبّ فى الله اوالمعنى التّحابّ فى ما تقرّب الى الله من الاعمال، اوالمعنى لا أسألكم اجراً الّا ان تودّونى لاجل قرابتى منكم، هكذا قيل، ولكن ما وصل الينا من ائمّتنا (ع) فى اخبارٍ كثيرةٍ انّ المعنى لاأسألكم اجراً الّا ان تودّوا أقربائى، فيكون القربى مصدراً بمعنى اسم الفاعل، ويكون التّعبير بالمصدر للاشعار بانّ مودّة أقربائى نافع لكم من حيث قرابتهم لى جسمانيّة كانت القرابة اوروحانيّة، وروى انّ رسول الله (ص) حين قدم المدينة واستحكم الاسلام قالت الانصار فيما بينها: تأتى رسول الله (ص) فنقول له: انّه يعروك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرجٍ ولا محظورٍ عليك، فأتوه فى ذلك، فنزلت: قل لا اسألكم عليه اجراً الّا المودّة فى القربى، فقرأها عليهم وقال: تودّون قرابتى من بعدى، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله فقال المنافقون: انّ هذا لشيءٌ افتراه فى مجلسه اراد بذلك ان يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت: ام يقولون افترى على الله كذباً، فأرسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله وهو الّذى يقبل التّوبة عن عباده (الآية) فارسل فى اثرهم فبشّرهم، وبهذا المضمون و بالقرب منه اخبارٌ كثيرةٌ [وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً] قد مضى منّا مكرّراً انّ الحسن الحقيقىّ و الحسنة الحقيقيّة هى الولاية لاغير، وكلّما كان متعلّقاً بالولاية من قولٍ وفعلٍ وحالٍ وخلقٍ وعلمٍ وشهودٍ وعيانٍ فهو حسن بحسنها، وكلّما لم يكن متعلّقاً بالولاية كان قبيحاً ولذلك فسّروا فى اخبارٍ كثيرةٍ اقتراف الحسنة بولايتهم ومودّتهم سواء جعل التّنكير للتّفخيم اوللتّحقير [نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا] اى نزده فى تلك الحسنة حسناً لانّ الحسنة اذا حصل منها فعليّة حسنة للنّفس وبقى الفاعل على تلك الفعليّة ولم يبطلها ولم يحرقها زادها الله تعالى لانّ الكون باقتضاء ذاته فى التّرقّى [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما كسب من سيّئة قبل تلك الحسنة [شَكُورٌ] و اقتضاء شكوريّته الزّيادة فى تلك الحسنة الى عشرٍ الى ماشاء الله [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] قد مضى وجه نزول هذه الآية [فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ] حتّى تفترى على الله فاشكر نعمة عدم الختم والايحاء اليك فيكون اظهاراً لمنّته عليه بشرح صدره وعدم ختمه، اوالمعنى

ان يشأ الله عدم اظهار فضل عترتك يختم على قلبك حتّى لا يوحى اليك فضل اهل بيتك فأظهر فضل اهل بيتك ولا تبال بردّهم وقبولهم فانّ الله حافظٌ لهم ومظهرٌ لفضلهم ويكون تسلية له (ص) عن انكار قومه [وَيَمْحُ اللّٰهُ الْبٰاطِلَ] فلو كان قول محمّدٍ (ص) افتراء و باطلا لمحاه الله عن الايّام و الحال انّه في ازدياد الثّبات في الايّام [وَيُحِقُّ الْحَقَّ] فلو لم يكن قوله حقّاً لماحقّ بكلماته التّكوينيّة الّتي هي افراد البشر، او المعنى انّه يمح الله الباطل فلا تحزن يا محمّد (ص) على ما قالوا من قولهم: لو امات الله محمّداً (ص) لاندع الامر في اهل بيته، او المعنى انّه يمح الله الباطل عن القلوب من الشّكّ والرّيب في اهل بيتك و يحقّ الحقّ الّذي هو ولاية اهل بيتك في القلوب في امداد الزّمان، او المعنى انّه يمح الله الباطل عن الزّمان و يحقّ الحقّ الّذي هو علي (ع) والائمّة (ع) وولايتهم [بِكَلِمٰاتِهِ] الّذين هم خلفاؤك بعدك [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] فيعلم ما يلج في قلوب المنافقين من عداوتك وعداوة اهل بيتك [وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبٰادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئٰاتِ] قد مضى وجه نزول الآية. اعلم انّ اكثر ماورد من ذكر التّوبة في الكتاب كان المراد منها التّوبة الّتي تكون على ايدي خلفائه تعالى في ضمن الميثاق والبيعة، والقابل لتلك التّوبة في الظّاهر هو خليفة الله الّذي يكون البيعة على يده لكنّه لمّا كان مظهراً لصفاته تعالى خصوصاً حين اخذ البيعة من العباد نسب قبول التّوبة الى نفسه بطريق الحصر كما في قوله تعالى: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم [وَيَعْلَمُ مٰا تَفْعَلُونَ] قرئ بالخطاب و بالغيبة [وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] اى يستجيبهم في دعائهم مطلقاً، او في دعائهم لله ولقائه، او في دعائهم لاخوانهم بظهر الغيب كما في الخبر والمراد بالايمان الاسلام، او الايمان الخاصّ، وعلى الاوّل فالمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة والايمان الخاصّ، او المعنى يستجيب الّذين آمنوا لله او للنّبيّ (ص) في مودّة اقربائه (ص) [وَيَزِيدُهُمْ] على مسؤلهم [مِنْ فَضْلِهِ وَالْكٰافِرُونَ] بولاية علي (ع) [لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ] وللاشارة الى انّ عذاب الكافرين من لواحق اعمالهم ومن توابع مشيّته بالعرض غيّر الاسلوب [وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبٰادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ] اعلم، انّ النّفس الانسانيّة لبس اختيالها و ظلمها و عداوتها مع خلق الله وعدولها عن الحقّ انّما لانانيّتها و اعجابها بنفسها، وكلّما قلّ حاجتها وزاد غناءها زاد في انانيّتها، وكلّما زيد في انانيّتها زاد اعجابها بنفسها ولوازم اعجابها من تحقير العباد والعداوة مع من يظنّ انّه يريد الاستعلاء عليه والمظلم على من يقابله ولا يكون ملائماً لحاله والعدول عن الحقّ، واذا بسط الله الرّزق النّباتيّ من المأكول و المشروب او الرّزق الحيوانيّ من الشّهوات البهيميّة والبسطات السّبعيّة والاعتبارات الشّيطانيّة او الرّزق الانسانيّ من الالهامات والعلوم والحكم والمكاشفات الصّوريّة والمعنويّة على العباد عدوا على العباد وظلموهم و حقّروهم وعدلوا عن الحقّ فانّ الانسان ما كان باقياً عليه شوبٌ من نفسه كانت العلوم الصّوريّة مورثة لازدياد انانيّته وكذلك المشاهدات الصّوريّة والمكاشفات المعنويّة فانّ المذاهب الباطلة اكثرها تولّدت من المشاهدات الّتي كانت للنّاقصين كما سبق منّا تفصيل ذلك [وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ] الارزاق الثّلاثة على العباد [بِقَدَرٍ مٰا يَشٰاءُ] يعني ينزّل ما يشاء ان ينزّل بقدر استحقاق المنزّل عليه لانّه لا يشاء ما يشاء الّا بحسب حال من يشاء له وقوله لو بسط الله الرّزق (الى قوله) بصيرٌ لرفع توهّم نشأ من قوله تعالى يستجيب الّذين آمنوا فانّه يورث توهّم انّه لو كان هذا حقّاً لكان ينبغي ان لا يكون من المؤمنين فقيرٌ محتاجٌ مع انّ اكثر المؤمنين محتاجون في امر معيشتهم [إِنَّهُ بِعِبٰادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] تعليل لسابقه يعني انّه يعلم قدر استحقاقهم وقدر ما يصلحهم وما يفسدهم فيعطي المؤمنين قدر ما يصلحهم، والكافرين قدر ما يصلح العالم والنّظام الكلّيّ، و قدر

ما يصلح المؤمنين فانّ من العباد من لا يصلحه الّا الفقر ومنهم من لا يصلحه الّا الغنى ولواصبح المؤمن يملك ما بين المشرق والمغرب لكان خيراً له ، ولو اصبح يقطع اربا اربا لكان خيراً له [وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ] المطر النّافع الّذى يغيثهم من الجذب ولذلك سمّى غيثاً والجملة فى معنى التّعليل لقوله ينزّل بقدر [مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ] بيان لانزال الغيث وتسميته للمطر باسم آخر فانّه يسمّى المطر فى العرف بالرّحمة لانّه رحمة من الله على العباد والحيوان والنّبات ، اوالمراد مطلق الرّحمة سواء كانت مطراً اوغيره فيكون تعميماً بعد التّخصيص [وَهُوَ الْوَلِيُّ] الّذى يتولّى امور عباده وسائر مخلوقاته فيربّيهم احسن التّربية [الْحَمِيدُ] الّذى لا محمود سواه وكان محموداً فى نفسه [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ] فانّ فى خلق السّماوات بهيئة خاصّة وحركة مخصوصة وكوكب ومدار خاصّ ، وفى خلق الارض بسيطة قابلة لانحاء التّصرّف فيها من بناء الابنية وزرع الزّراعات وغرس الاشجار واجراء المياه على وجهها ، وقبولها تأثيرات السّماوات والسّماويّات ، وفى خلق الموالد على وجهها كلّ بنحو خاصّ لائق بنوعه وبقائه آيات عديدة دالّة على علمه بالجزئىّ والكلّىّ واحاطته وقدرته ورأفته بخلقه وغير ذلك [وَهُوَ عَلٰى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ] بمنزلة النّتيجة فانّ الّذى نشر هذه الموالد بعد ما لم تكن اذا شاء ان يجمعهم جمعهم وهو اسهل عليه من نشرهم [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ] عطف فيه ايضاً رفع توهّم انّه لوكان ينشر رحمته وكان وليّاً لعباده حميداً فى صفاته فلم يصاب العباد بالمصائب [فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو] برحمته وتربيته [عَنْ كَثِيرٍ] ممّا كسبت ايديكم وهل ذلك عامّ لكلّ من يصاب اوخاصّ ببعض والبعض الآخر مصيبته لرفع درجته لا للذّنب وقع منه كما فى الاخبار ، ويمكن التّعميم بتعميم الذّنب للذّنوب الّتى عدّوها فى الشّريعة ذنوباً ولما يعدّ فى الطّريق ذنوباً ولما يعدّ من المقرّبين ذنوباً ، فانّ خطرات القلوب ذنوب الاولياء (ع) ، والالتفات الى غير الله ذنوب الانبياء (ع) ، مع انّهم كانوا مأمورين بالتّوجّه الى الكثرات ، وعن الصّادق (ع) انّه سئل : ارأيت ما اصاب علياً (ع) واهل بيته (ع) من بعده ؟ اهو بما كسبت ايديهم ؟ وهم اهل بيت طهارة معصومون ؟ ! فقال : انّ رسول الله (ص) كان يتوب الى الله ويستغفره فى كلّ يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب ، انّ الله يخصّ اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب ، وعن علىّ (ع) انّه قال : قال رسول الله (ص) : خير آية فى كتاب الله هذه الآية ، يا علىّ ما من خدش عود ولا نكبة قدم الّا بذنب ، وما عفا الله عنه فى الدّنيا فهو اكرم من ان يعود فيه ، وما عاقب عليه فى الدّنيا فهو اعدل من ان يثنّى على عبده [وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ] قانتين عن الله [وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] قد مضى مكرّراً بيان الولىّ والنّصير [وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ] قرئ بحذف الياء فى الوصل والوقف اجراء للوصل بنيّة الوقف ، وقرئ باثباتها فيهما ، وقرئ بحذفها فى الوصل دون الوقف [فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ] العلم محرّكة الجبل الطّويل اوعامّ [إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ] ثوابت [عَلٰى ظَهْرِهِ] اى ظهر البحر [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ] لكلّ مؤمن كامل الايمان فانّ الايمان نصفان ، نصف صبر ونصف شكر ، ولاختفاء دلالة السّفن على علمه وقدرته وحكمته واعتنائه بخلقه واحتياجها فى الدّلالة المذكورة الى تأمّل تامّ وتوجّه كامل الى الحقّ الاوّل بحيث يرى كلّ النّعم منه ويراه فى انعامه قال لكلّ صبّار شكور [أَوْ يُوبِقْهُنَّ] يهلكن بالاغراق واهلاك اهلهنّ [بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ] قرئ يعف بالجزم عطفاً على يوبقهنّ اى ان شاء يوبقهنّ بارسال الرّيح العاصف وان شاء يعف عن كثير ، وقرئ يعفو بالرّفع على الاستيناف ومعنى

ومعنى الاستدراك والمعنى لكنّه يعفو عن كثير [وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا] قرئ بالجزم و بالرّفع وهو واضح، وقرئ بالنّصب بجعل الواو بمعنى مع ونصب الفعل بعده [ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ] مخلص من العذاب [فَما أُوتِيتُمْ] عطف وتعقيب باعتبار الاخبار يعنى اذا علمتم ذلك فاعلموا انّ ما اوتيتم [مِنْ شَيْءٍ] من حيث انّكم من ابناء الدّنيا [فَمَتاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] ولا بقاء له ولا خلوص من شوب الآلام وخوف الزّوال [وَما عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ] لعدم شوبه بالآلام وخوف الزّوال [وَأَبْقىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا] متعلّق بخير وابقى، اوخبر مبتدء محذوف اى ذلك للّذين آمنوا [وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] والمراد بالايمان الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهرة فيكون قوله وعلى ربّهم يتوكّلون اشارة الى الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة [وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ] جمع الفاحشة الزّنا مخصوصاً، اومايشتدّ قبحه من الذّنوب، اوكلّ ما نهى الله عزّوجلّ عنه، وعلى الاوّلين يكون من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام به، و يجوز ان يكون عطفاً على الاثم وعلى كبائر الاثم، وعلى الثّالث يكون مرادفاً للاثم وعطفاً عليه تأكيداً وقدسبق فى سورة النّساء بيان الكبيرة والصّغيرة عند قوله: ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه [وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ] هم مبتدء و يغفرون خبره والجملة جواب بحذف الفاء، او بجعل اذا خالية من معنى الشّرط، اولعدم حاجتها الى الفاء لضعف معنى الشّرطيّة فيها، اوهم تأكيد للضّمير المتّصل اوفاعل غضبوا راجع الى النّاس وهم مفعول غضبوا بحذف الخافض اى اذا غضب النّاس عليهم يغفرون، او هم فاعل فعل محذوف والمذكور يفسّره [وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ] فى دعوة خلفائه (ع) دعوة عامّة اسلاميّة اودعوة خاصّة ايمانيّة، اوالّذين استجابوا لربّهم المضاف وهو ربّهم فى الولاية فى دعوته الباطنة الى الولاية [وَأَقامُوا الصَّلٰوةَ] بعد قبول الولاية فانّ اقامة الصّلوة لا يتيسّر لاحد بدون قبول الولاية [وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ] اى امرهم ذوشورى يعنى يستشيرون فى امورهم ولا يستبدّون بآرائهم لخروجهم من انانيّاتهم واعتماد كلّ على الآخر فى طلب الخير و بيانه له [وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان اقامة الصّلوة وكيفيّة الانفاق وفى سورة النّساء عند قوله: لا تقربوا الصّلوة وانتم سكارى بيان معانى الصّلوة [وَالَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ] هم تأكيد للضّمير المنصوب، اومبتدء مثل هم يغفرون، ولمّا كان الانظلام مذموماً ومعدوداً من الرّذائل ذكرهم بوصف الانتصار يعنى انّ شأنهم الانتصار، واما العفو عن المسيء و ترك الانتقام مع وجود قوّة المدافعة فى المظلوم فليس انظلاماً مذموماً بل هو عفو ممدوح، والانظلام ان لا يكون فى المظلوم قوّة ثوران الغضب عند الظّلم، ولمّا كان النّفس المنتصرة لا تقنع فى الانتصار بقدر الظّلم بل تطلب الزّيادة على الجناية قال تعالى: تأديباً لعباده [وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها] وسمّى الثّانية سيّئة للمشاكلة، اولانّها اساءة بالنّسبة الى الجانى يعنى لا تزيدوا فى الانتصار عن المماثلة [فَمَنْ عَفا] عن المسيء بترك الانتقام بعد الاقتدار عليه، والجملة معطوفة على جملة جزاء سيّئة سيّئة والفاء للتّرتيب فى الاخبار يعنى اذا علمت انّ التّجاوز فى الانتصار عن المماثلة ليس جزاءً للسّيّئة بل كان ظلماً فاعلم انّ من عفى [وَأَصْلَحَ] اساءة المسيء بالعفو [فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ] غاية تفخيم للعفو حيث لا يوكّل اجره الى غيره [إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ] جواب سؤال مقدر كأنّه قيل: ايحبّ الله الظّالم فيأمر بالعفو عنه؟ فقال: انّه لا يحبّ الظّالمين فلا يرغّب فى العفو

حبّاً لهم بل حبّاً للمؤمنين بتعرّضهم للثّواب الجزيل ، اوتعليل لقوله ينتصرون اولقوله جزاء سيّئة سيّئةٌ اولقوله فمن عفى واصلح فأجره على الله اى لما يستفاد منه من التّرغيب على العفو كأنّه قال: انّ الانتقام نحوظلم بالنّسبة الى القوّة العاقلة الّتى شأنها العفو فانّ شأنه شأن الله العفوّ الغفور ، وانّه لا يحبّ الظّالمين فاتركوا الانتقام واعفوا عن المسيء [وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ] عطف قبه رفع توهّم انّ المنتصر ظالم وغير محبوب فكان له مؤاخذة دنيويّة وعقوبة اخرويّة [فَأُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ] لافى الدّنيا ولافى الآخرة [إِنَّمَا السَّبِيلُ] فى الدّنيا بالمؤاخذة وفى الآخرة بالعقوبة [عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ] فى العالم الصّغير اوالكبير [بِغَيْرِ الْحَقِّ] والمنتصر وان كان ظالماً بوجه على المسيء وعلى قوّته العاقلة لكنّه ظلم بالحقّ [أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ] اى لكن من صبر عن الانتقام [وَغَفَرَ] بتطهير القلب عن الحقد على المسيء [إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] اى الامور الّتى ينبغى ان يعزم عليها لكونها من اجلّ الخصال [وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ] استدراك اى ولكن من يضلل الله عن هاتين الخصلتين بالاقدام على الاقتصاص [فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ] سمّى عدم الوصول والاهتداء الى تينك الخصلتين ضلالاً لانّه انحراف عن الكمال الانسانىّ الّذى هو الجادّة الى الله ، او المعنى ومن يضلله الله بالجناية والظّلم على العباد بغير الحقّ [وَتَرَى الظّٰالِمِينَ] الخطاب خاصّ بمحمّد (ص) وحينئذ جاز ان يكون ترى للاستقبال وجاز ان يكون للحال فانّه يرى حالهم فى الحال ، اوالخطاب عامّ وحينئذ يكون للاستقبال اوللحال بمعنى ينبغى ان ترى [لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلٰى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرٰيهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا] اى على النّار قبل دخولهم النّار [خٰاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ] والخشوع من الذّلّ لاينفع بخلاف الخشوع من الحبّ فانّه متى وجد نفع [يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ] الطّرف العين اوحركة جفنيها ، فان كان بمعنى العين فالمعنى من طرف خفىّ النّظر ، وان كان بمعنى حركة الجفنين فالمعنى ينظرون نظراً ناشئاً من حركة خفيّة لاجفانهم والمقصود انّهم لغاية خوفهم ووحشتهم لايقدرون على النّظر التّام الى النّار [وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا] التّأدية بالماضى لتحقّق وقوعه ان كان المراد انّهم يقولون يوم القيامة ذلك بعد ما رأوا الظّالمين فى العذاب اولكونه بالنّسبة الى محمّد (ص) ماضياً، اوالمعنى قال الّذين آمنوا فى حال الحيوة الدّنيا بعد ماعلموا بحال الظّالمين وسوء عاقبتهم [إِنَّ الْخٰاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا] يعنى انّ الخاسرين هؤلاء الظّالمون الّذين خسروا [أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَلٰا إِنَّ الظّٰالِمِينَ فِي عَذٰابٍ مُقِيمٍ] هذا من قول المؤمنين اومن الله [وَمٰا كٰانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيٰاءَ] هذا ايضاً من المؤمنين اومن الله [يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ] الى الخير والنّجاة [اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ] هذا بمنزلة النّتيجة وجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فماتفعل حتّى لانكون ظالمين؟ فقال: استجيبوا لربّكم المطلق فى دعوة مظاهره وخلفائه اولربّكم المضاف الّذى هو ربّكم فى الولاية [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ] المراد باليوم البليّة والعذاب فانّه كثيراً ما يستعمل فيها، اوالمراد يوم الموت اويوم القيامة، والضّمير المجرور راجع الى صاحبه اوعذابه اى لامردّ لصاحبه الى الدّنيا، اولعذابه عن اهله، اوالمعنى لامردّ بتأخيره [مٰا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمٰا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ] يعنى لاتقدرون على انكاره اوما لكم من منكر ينكر ما حلّ بكم ويدفعه عنكم وينصركم

فيه [فَإِنْ أَعْرَضُوا] صرف الخطاب عنهم الى محمّد (ص) [فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا] يعنى لا تغتمّ باعراضهم لانّا ما ارسلناك عليهم حفيظاً [إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ] وقد بلّغت [وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً] نعمةً دنيويّةً اونعمةً اخرويّةً من العلوم والالهامات والمكاشفات [فَرِحَ بِهَا] اى بالرّحمة من حيث صورتها لا من حيث انعامنا لانّ نفس الانسان مادامت حاكمة فى وجوده لاتنظر الى المنعم وانعامه فى النّعمة بل تنظر الى صورة النّعمة و نسبتها الى نفسها لانسبتها الى المنعم والّا لم يفرح بصورة النّعمة بل بالمنعم او يغتمّ بصورة النّعمة لاحتمال استدراجه تعالى بالنّعمة [وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ] للنّعمة السّابقة ولا يتذكّرها ولا يشكرها، وتكرار الانسان للاشارة الى انّ ذلك من مقتضى خلقته ، ولا يخفى وجه تخالف الفقرتين فانّ الرّحمة لمّا كانت ذاتيّةً لمشيّته تعالى أتى فى جانبها بالتّأكيدات و باداة التّحقيق ونسب اذاقتها الى نفسه ونسب الرّحمة ايضاً الى نفسه ، وأتى فى جانب المصيبة باداة الشّكّ ولم يأت بالتّأكيد ولم ينسب المصيبة الى نفسه وجعل سبب وصولها اليهم ماكسبت ايديهم [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما لله فى المصائب من صنع [يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ] من خير وشرّ ورحمة ومصيبة [يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ] نكّر الاناث وعرّف الذّكور للاشارة الى انّ الاناث لتنفّر الاناسىّ منهنّ كأنّهنّ منكورات عند نفوسهم ، وانّ الذّكور لحبّهم لهم معهودون عندهم حاضرون فى اذهانهم [أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا] يعنى يعطى لبعض الاناث فقط، ولبعض الذّكور فقط ، ويجمع بينهما لبعض [وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا] فكلّ ذلك باعطاء الله ومنعه لاباسباب طبيعيّة كما يقوله الطّبيعىّ والّذين ينظرون الى الاسباب الطّبيعيّة [إِنَّهُ عَلِيمٌ] بصلاح كلّ وما يصلحه وما يفسده فيعطى مايصلحه و يمنع مايفسده [قَدِيرٌ] على ذلك سواء وافقه الاسباب الطّبيعيّة ام لم توافقه [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ] ما ينبغى له و ماكان فى سجيّته [أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ] لانّ البشريّة لتحدّدها بحدود كثيرة سفليّة لوسمعت كلام الله من دون تنزّله الى مقام البشريّة المحدودة لفنت وهلكت لانّه كالشّمس وحدود البشريّة كالفيء [إِلَّا وَحْيًا] الوحى فى اللّغة الاشارة والكتابة والمكتوب والرّسالة والالهام والكلام الخفىّ وكلّما القيته الى غيرك لكنّ المراد معه هنا معنىً اعمّ من الالهام و الكتابة اى الكتابة فى الالواح الغيبيّة و الرّسالة لكن رسالة الملك مثل جبرئيل [أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ] مثل تكلّمه مع موسى (ع) من الشّجرة و مثل تكلّمه مع محمّد (ص) ليلة المعراج من وراء السّتر [أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا] اى الّا ان يرسل رسولاً بشريّاً [فَيُوحِيَ] ذلك الرّسول البشرىّ [بِإِذْنِهِ] اى يتكلّم مع سائر البشر بكلام خفىّ البطون جلّى الظّهور فانّ كلام ذلك الرّسول البشرىّ لكونه نائباً عن الله تعالى شأنه ومظهراً له كلام الله، ولكلامه بمضمون ما ورد فى الاخبار الكثيرة انّ حديثهم صعبٌ مستصعبٌ وسرٌّ مستسرٌّ ومقنّع بالسّرّ بطون خفيّة غاية الخفاء وظهر جلّى غاية الجلاء ، وقرئ يرسل و يوحى بالنّصب عطفاً على وحياً بجعله تميزاً اومفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل، وقرء بالرّفع عطفاً على وحياً بجعله حالاً بمعنى الفاعل [مَا يَشَاءُ] الرّسول اوالله تعالى اوما يشاء ذلك البشر الّذى ارسل الله اليه بلسان استعداده [إِنَّهُ عَلِيٌّ] فلايقدر على سماع كلامه بشر دانٍ [حَكِيمٌ] لايدعهم من غير تكلّم معهم لاقتضاء حكمته القاء الحكم والمصالح اليهم واقتضائها جعل الوسائط فى ذلك الالقاء حتّى لا يهلكوا حين الالقاء [وَكَذَلِكَ] التّكلّم بالانحاء الثّلاثة [أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] اى ارسلنا

[رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا] اى روحاً عظيماً ناشئاً من محض امرنا من غير مداخلة مادّة فيه ، او بعضاً من عالم امرنا والمراد به جبرئيل او روح القدس الّذى هو اعظم من جبرائيل وميكائيل [مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ] المراد بالكتاب النّبوّة و الرّسالة و احكامهما و بالايمان الولاية و آثارها و القرآن صورة الثّلاثة [وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا] اى الكتاب او الايمان اوالمذكور منهما اوالرّوح الموحى اليك وقدفسّر بعليّ (ع) ، فعن الباقر (ع) ولكن جعلناه نوراً يعنى عليّاً وعليّ (ع) هوالنّور هدى به من هدى من خلقه [نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا] سئل الصّادق (ع) عن العلم ، اهوشيء يتعلّمه العالم من افواه الرّجال؟ام فى الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ـ قال : الامر اعظم من ذلك واوجب ! اماسمعت قول الله عزّوجلّ و كذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان ثمّ قال : بلى ، قدكان فى حال لايدرى ما الكتاب ولاالايمان حتّى بعث الله عزّوجلّ الرّوح الّتى ذكر فى الكتاب فلمّا اوحاها علم بها العلم والفهم وهى الرّوح الّتى يعطيها الله عزّوجلّ من شاء فاذا اعطاها عبداً علّمه الفهم [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] يعنى انّك برسالتك تهدى الى الولاية فانّ الرّسالة وقبولها هداية الى الايمان والولاية كما قال تعالى : قل لا تمنّوا علىّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ؛ عن الباقر (ع) يعنى انّك تأمر بولاية علىّ (ع) وتدعو اليها وعلىٌّ (ع) هوالصّراط المستقيم [صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] وعنه (ع) يعنى عليّاً انّه جعله خازنه على ما فى السّموات وما فى الارض من شيء واتمنه عليه ، ولعلّه (ع) ارجع الضّمير المجرور الى الصّراط ، اوفسّر الصّراط بعليّ (ع) [أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ] اى تنتهى جميع الامور اليه فى الواقع ، اوتنتهى بلحاظ اللّاحظ اليه بمعنى انّه اذا نظر الى جزئيّ من جزئيّات الوجود ولوحظ مصدره ومصدر مصدره تنتهى المصادر كلّها الى الله فيكون مصدر الكلّ .

سورة الزخرف

٤٣ / ١و٢ مكّيّة كلّها ، وقيل : الّا آية واسئل من ارسلنا من رسلنا ، ثمان وثمانون آية ، وقيل : تسع و ثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

[حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ] اى جعلنا ذلك الكتاب المبين الّذى لارطب ولايابس الّا فيه بحيث لايعتريه ريب وشكّ ولاخفاء واجمال وتشابه [قُرْآنًا] مجموعاً فيه جميع المطالب [عَرَبِيًّا] بلغة العرب او ذا حكم وآداب واحكام ومواعظ ونصائح [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون باستماعه وتدبّره عقلاء ، اوتدركون مافيه من المواعظ والحكم [وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ] وهو الكتاب المبين الّذى هو اللّوح المحفوظ المعبّر عنه فى لسان الحكماء بالنّفس الكلّيّة ، اوهوالقلم الاعلى فانّه بوجه قلم و بوجه كتاب وهوالمسمّى فى لسان الحكماء بالعقل الكلّىّ ، او هو مقام المشيّة المعبّر عنها بنفس الرّحمان والاضافة الاشراقيّة فانّها بوجه اضافة الحقّ ، وبوجه فعله ، وبوجه

كلمته ، وبوجه كتابه وهي امّ جميع الكتب [لَدَيْنا لَعَلِيٌّ] على الكلّ لا اعلى منه [حَكِيمٌ] ذوحكم او محكم لا يتطرّق الخلل والشّكّ والرّيب والفساد اليه، وعن الصّادق (ع) : هو امير المؤمنين (ع) في امّ الكتاب يعني الفاتحة فانّه مكتوب فيها في قوله تعالى : اهدنا الصّراط المستقيم قال : الصّراط المستقيم هو امير المؤمنين (ع) ومعرفته، ولامنافاة بين هذا الخبر وبين ما ذكرنا في تفسير الآية فانّ عليّاً (ع) والقرآن في هذا العالم منفكّان وإلّا ففي العوالم العالية علىّ (ع) هو القرآن والقرآن هو علىّ (ع)، كما انّ فاتحة الكتاب في العوالم العالية هي النّفوس الكلّيّة والعقول الكلّيّة وهي المشيّة الّتي بها تحقّق كلّ ذي حقيقة [أَفَنَضْرِبُ] الهمزة على التّقديم والتّأخير والمعنى جعلناه قرآناً عربيّاً لتعقلكم واستكمالكم فهل نضرب [عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا] اى اعراضاً ونصرفه الى غيركم ، او المستفهم عنه مقدّر بعد الهمزة والمعنى انهملكم ولاندعوكم فنصرف عنكم القرآن [إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ] قرئ بفتح الهمزة بتقدير اللّام وبكسر الهمزة [وَكَمْ أَرْسَلْنا] يعنى لاتطمعوا في صرف الذّكر عنكم وعدم دعوتكم فانّا ما اهملنا الامم الماضية مع انّهم كانوا اشدّ منكم اسرافاً وعصياناً وارسلنا فيهم رسلاً ولمّا تجاوزوا الحدّ في العصيان اهلكناهم فاحذروا عن عذابنا واهلاكنا ولاتتجاوزوا الحدّ في العصيان [مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] كما تستهزؤن انتم ان كان الخطاب للمشركين ، ويجوز ان يكون الخطاب مصروفاً الى محمّد (ص) ويكون المقصود تسليته والمعنى كما يستهزئ قومك بك [فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا] يجوز ان يكون الضّمير المجرور للاوّلين ، ويكون من تبعيضيّة او تفضيليّة يعنى اهلكنا اشدّاءهم فليحذر الّذين يستهزؤن برسولنا ، او اهلكنا الّذين كانوا اشدّ منهم فكيف بهم وبكم ؟ ! ويجوز ان يكون لقوم محمّد (ص) وكان المقصود اهلكنا الاوّلين الّذين كانوا اشدّ من قومك فكيف بهم ان فعلوا مثل فعلهم؟ ! لكنّه ادّاه بهذه الصّورة لافادة هذا المعنى مع الاختصار [وَمَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ] يعنى مضى صفة الاوّلين وقد بلغ النّوبة الى قومك اومضى حكاية حال الاوّلين فيما انزلنا اليك سابقاً فليرجعوا اليه وليتدبّروا فيه [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ] فما لهم يقرّون بانّ الله خالق السّماوات والارض ويشركون به ما خلقوهم ونحتوهم بايديهم ، أويشركون ما خلقه بيده [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا] هذه الكلمة ضمّها الله الى ماحكاه منهم سواء جعل صفة للعزيز العليم اوخبراً لمحذوف فانّه قد يضمّ الحاكى شيئاً من نفسه الى الحكاية ، اوهو ايضاً جزء الحكاية ويكون الخطاب من بعضهم لبعض آخر [وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا] تسلكونها الى مقاصدكم ولاتتحيّرون في بيدائها [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى حاجاتكم ومقاصدكم ، اولعلّكم تهتدون الى مبدئكم وصفاته من العلم والقدرة والرّأفة والتّدبير ، او تهتدون الى امامكم الّذى هو سبيل الى المقصد الكلّيّ الّذى هو الفوز بنعيم الآخرة فانّه لم يدع مقاصدكم الدّنيويّة الدّانية الّتي لااعتناء بها بدون السّبيل الّذى يسلك اليها فكيف يدع المقصد الكلّيّ من غير سبيل [وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ] من جهة العلو او من السّحاب [ماءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنا بِهِ] التفات الى التّكلّم تجديداً لنشاط السّامع واشعاراً بانّ انبات النّبات بكيفيّات مخصوصة وتصويرات عديدة عجيبة وتوليدات غريبة ليس الّا من مبدء عليم قدير مباشر له فكأنّه صار في حكاية انبات النّبات حاضراً عند السّامع مشهوداً له بعد ما كان غائباً عنه [بَلْدَةً مَيْتًا] عن النّبات [كَذلِكَ تُخْرَجُونَ] من الارض بعد موتكم فلم تستغربون الاعادة؟ ! [وَالَّذِي خَلَقَ

الْأَزْوٰاجَ كُلَّهٰا] اى اصناف المخلوقات [وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعٰامِ مٰا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلٰى ظُهُورِهِ] اى ظهور ما تركبون ، جمع الظّهور و افراد الضّمير المضاف اليه باعتبار اللّفظ و المعنى [ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ] يعنى انّ غاية جميع المخلوقات تذكّركم وشكركم له على انعام مارأيتموه نعمة لكم [وَتَقُولُوا] يعنى تذكروا بقلوبكم وتقولوا بألسنتكم فانّ السنتكم مكلّفة بجريان كلمة الشّكر عليها [سُبْحٰانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنٰا هٰذٰا] يعنى ان تنزّهوا الله من وسمة الحاجة الى المركوب والانتقال من مكان الى مكان وتذكّروه بنعمة تسخير المركوب ليكون شكراً [وَمٰا كُنّٰا لَهُ مُقْرِنِينَ] اقرن للامر اطاقه وقوى ، واقرنه جعله فى الحبل [وَإِنّٰا إِلىٰ رَبِّنٰا لَمُنْقَلِبُونَ] يعنى انّ الغرض تذكّر النّعمة وشكر المنعم فى النّعمة وتذكّر النّقلة العظيمة الّتى هى النّقلة من الدّنيا الى الآخرة [وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبٰادِهِ جُزْءًا] اى ولداً فانّه جزء من الوالد بحسب مادّته يعنى بعد ما اقرّوا بخالقيّته للسّماوات والارضين جعلوا له من مخلوقاته ولداً [إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَكَفُورٌ] بنعمة الحقّ وصفاته فيجرى على لسانه ما لا يليق بمنعمه غفلة عن المنعم وصفاته [مُبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمّٰا يَخْلُقُ بَنٰاتٍ وَأَصْفٰاكُمْ بِالْبَنِينَ] يعنى ينبغى التّعجّب من حالهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له من عباده جزءً و جعلوا اخسّ الاولاد له [وَإِذٰا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمٰا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا] اى بما ضرب الاسماع به حالكونه مثلاً وشبيهاً ، او من حيث كونه صفة وحكاية لحاله فانّ الولد مجانس للوالد وشبيه له وكأنّ التّأدية بهذه العبارة للاشارة الى انّهم لا يقولون انّ الله ولد حقيقة بل شبّهوا النّسبة بينه وبين الملائكة او بين الجنّ بنسبة الوالد والولد [ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ] رجل كظيم و مكظوم مكروب ، او هو كاظم لغيظه غير مظهر له اوساكت [أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ] الم يتفكّروا وجعلوا من ينشّؤ و يربّى فى الزّينة ولداً له؟ او من مبتدء خبر محذوف ، اوخبر مبتدء محذوف والمعنى اهو ادنى منكم ومن ينشّؤ فى الزّينة ولد له و من يبارز فى المحاربة ولد لكم؟ اوالمعنى اهو ادنى منكم وولده من ينشّؤ فى الزّينة؟ [وَهُوَ فِي الْخِصٰامِ غَيْرُ مُبِينٍ] لدعواه وحجّته بل فى الاغلب يتكلّم حين المخاصمة بما هو حجّة عليه ، وقرئ ينشّؤ من الثّلاثىّ المجرّد مبنياً للفاعل ، و من التّفعيل و من المفاعلة و من الافعال مبنياً للمفعول [وَجَعَلُوا الْمَلٰائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ إِنٰاثًا] قرئ عباد الرّحمن وعبيد الرّحمن وعند الرّحمن بالنّون يعنى انّ قولهم الملائكة بنات الله متضمّن لقبائح عديدة ، الاوّل جعله مركّباً متجزّئاً وليس الّا وصف ادنى الممكنات ، والثّانى نسبة التّوالد اليه وهو يستلزم الاحتياج و وجود المثل له و هو غنىّ على الاطلاق ، ولو كان له مثل لكان ممكناً مركّباً ، و الثّالث نسبة امر اليه اذا نسب الى انفسهم تغيّروا واسودّت وجوههم وهو يستلزم جعله ادنى واهون من انفسهم ، والرّابع جعل اضعف الاولاد ولداً له ، والخامس جعل الملائكة الّذين هم مكرمون على الله بوصف ارذل النّاس [أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ] فانّ الانوثة و الذّكورة لا تعلمان الّا بالمشاهدة [سَتُكْتَبُ شَهٰادَتُهُمْ] الّتى شهدوا بها على الملائكة انّهم اناث [وَيُسْئَلُونَ] عن هذه الشّهادة يوم القيامة وهو تهديد لهم [وَقٰالُوا لَوْ شٰاءَ الرَّحْمٰنُ مٰا عَبَدْنٰاهُمْ مٰا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ] يعنى انّهم قالوا هذه الكلمة من غير تصوّر لمعناها ومن غير علم بنسبتها ولذلك كانوا كاذبين وانّما ارادوا

بذلك الفرار من قبح عبادة غير الله ولم يعلموا انّ فاعليّة المشيّة اوسببيّتها للاشياء ليست بحيث يسلب الاختيار عنهم ويرفع القبح عن فعلهم [اِنْ هُمْ اِلَّا يَخْرُصُونَ اَمْ اٰتَيْنٰاهُمْ كِتٰابًا مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل القرآن اومن هذا القول [فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ] يعنى ليس لهم علمٌ تحقيقىٌّ بمعنى هذا القول ولا علمٌ تقليدىٌّ وليس لهم سوى الخرص والخرصُ والتّخمين فى باب العقائد مطرود عن باب الله وقد سبق فى سورة الانعام بيان لهذه الآية عند قوله تعالى : لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا (الآية) [بَلْ قٰالُوا اِنّٰا وَجَدْنٰا اٰبٰاءَنٰا عَلٰى اُمَّةٍ] اى على طريقة وملّة [وَاِنّٰا عَلٰى اٰثٰارِهِمْ مُهْتَدُونَ] يعنى انّهم ما علموا تحقيقاً ولا علموا تقليداً ممّن يصحّ تقليده بل قلّدوا آباءهم الّذين لايجوز لهم تقليدهم ولذلك قال فى موضع آخر : أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون [وَكَذٰلِكَ مٰا اَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ اِلَّا قٰالَ مُتْرَفُوهٰا اِنّٰا وَجَدْنٰا اٰبٰاءَنٰا عَلٰى اُمَّةٍ وَاِنّٰا عَلٰى اٰثٰارِهِمْ مُقْتَدُونَ] تسلية له (ص) بانّ هذا كان ديدن النّاس قديماً وجديداً وقد كان الانبياء السّابقون (ع) مبتلين بامثال هؤلاء، وتخصيص المترفين بالذّكر لانّهم هم الّذين كانوا يعارضون الانبياء والاولياء (ع)، واماّ غيرهم فليس نظرهم الّا اليهم [قٰالَ] النّذير لهم [اَ] تقلّدون آباءكم [وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِاَهْدٰى مِمّٰا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ اٰبٰاءَكُمْ قٰالُوا] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما قالوا ؟ فقال تعالى: قالوا [اِنّٰا بِمٰا اُرْسِلْتُمْ بِهِ كٰافِرُونَ] ولو كان اهدى ممّا وجدنا عليه آباءنا [فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ] بانواع النّقم الّتى ذكرنا بعضها لكَ [فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ وَاِذْ قٰالَ اِبْرٰاهِيمُ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال : اذكر اوذكّر اذجعلوا لله من عباده جزءً وجعلوا له بناتٍ حتّى يتنبّهوا بقبحه واذكر اذقالوا لوشاء الرّحمن ما عبدناهم ، واظهر قبح هذا القول لهم حتّى يتنبّهوا ، واذكر اذ ارسلنا فى كلّ قرية نذيراً فكذّبوه فأهلكناهم حتّى تتسلّى عن تكذيبهم، واذكر اذقالوا انّا وجدنا آباءنا على امّة واظهر قبح هذا القول لهم واذكر اذقال ابراهيم [لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ اِنَّنِى بَرٰاءٌ مِمّٰا تَعْبُدُونَ] حتّى يكون اسوة لقومك فى التّبرّى عن التّقليد لمن لايجوز تقليده ، ويكون اسوة لهم فى التّقليد ان ارادوا التّقليد فانّه جعل التّبرّى عن تقليد من لايجوز تقليده كلمةً باقيةً فى عقبه، ويكون اسوة لك فى عدم الاعتناء بالقوم وشدّة انكارهم، وفى اظهار دعوتك وعدم الاعتداد بردّهم وقبولهم [اِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَاِنَّهُ سَيَهْدِينِ] الى ما هو بُغية الانسان [وَجَعَلَهٰا] اى كلمة التّبرّى عن تقليد من لايجوز تقليده اوجعل كلمة التّوحيد [كَلِمَةً بٰاقِيَةً فِى عَقِبِهِ] اى ذرّيته اوامّته اومن يأتى فى عقبه من ذرّيته وذرّية امّته [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من جهلهم الّذى كانوا مفطورين عليه وهؤلاء ممّن أتوا على عقبه فليأخذوا بتلك الكلمة وليرجعوا من جهلهم وتقليدهم لمن لايجوز تقليده ، وقد فسّر تلك الكلمة الباقية فى اخبارنا بالامامة وانّها باقية فى عقب الحسين (ع) ، وفسّر قوله تعالى لعلّهم يرجعون برجوع الائمّة الى الدّنيا [بَلْ] ليس بقاؤهم على طريقتهم الباطلة لاعتمادهم على تقليد آباءهم وتمسّكهم به ولكن [مَتَّعْتُ هٰؤُلاٰءِ] قريشاً [وَاٰبٰاءَهُمْ] بالتّمتّعات الحيوانيّة من غير منذرٍ لهم من البلايا والمصائب ومن الانبياء (ع) فسكنوا الى تلك التّمتّعات واطمأنّوا بها [حَتّٰى جٰاءَهُمُ الْحَقُّ] اى الولاية [وَرَسُولٌ مُبِينٌ] ظاهر رسالته وصدقه فيها، اومظهر رسالته [وَلَمّٰا جٰاءَهُمُ الْحَقُّ] المنذر عمّا اطمأنّوا به ورأوه مخالفاً لما تمرّنوا عليه انكروه وطلبوا ما اسندوا انكارهم اليه و [قٰالُوا هٰذٰا] الّذى يدّعى انّه كتابٌ سماوىٌّ آلهىٌّ، اوهذا الّذى يدّعيه من الرّسالة من الله، اوهذا الّذى يظهر من خوارق العادات [سِحْرٌ وَاِنّٰا بِهِ كٰافِرُونَ]

وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ] مكّة والطّائف [عَظِيمٍ] لمّا لم يروا عظمة وشرفاً الّا ما هو بحسب الانظار الحسّيّة من الشّرافات الدّنيويّة من الحسب والنّسب والخدم والحشم وكثرة المال والاولاد ولم يكن لمحمّد (ص) شيء من ذلك انكروا نزول الكتاب من الله عليه وقالوا: لو كان الله ينزل كتاباً ويرسل رسولاً فليرسل الى رجل شريف عظيم القدر كالوليد بن المغيرة بمكّة وعروة بن مسعود بالطّائف وليتزل الكتاب الى احدهما، لكنّهم لم يعلموا انّ الرّسالة منصب روحانيّ والشّرافة الصّوريّة لا تبلغ الرّجل الى ذلك المنصب ان لم تكن تمنعه منه [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ] في الاستفهام واضافة الرّبّ الى محمّد (ص) دونهم انكارٌ وتحقير لهم واستهزاءٌ بهم [نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] يعني انّ معيشتهم الّتي هي من مكسوباتهم ومحسوساتهم ولهم بحسب الظّاهر اختيار في تحصيلها لا صنع لهم فيها بل نحن قسمناها بينهم فكيف يقسمون النّبوّة الّتي هي رحمة من الله غير محسوسة لهم ولا صنع ولا اختيار لهم فيها [وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ] في المراتب الدّنيويّة والمناصب الظّاهرة [دَرَجاتٍ] فكيف نكل هذا المنصب العظيم الى آرائهم [لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا] السّخريّ اسم مصدر من سخر به ومنه، وهكذا السّخريّة والسّخريّ بكسر السّين، ولعلّه ههنا من مادّة التّسخير واسمٌ له بمعنى التّذليل [وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ] من الاموال والاولاد والاعراض، وفي خبر: الا ترى يا عبدالله كيف اغنى واحداً وقبّح صورته وكيف حسّن صورة واحد وافقره، وكيف شرّف واحداً وافقره، وكيف اغنى واحداً ووضعه؟! ثمّ ليس لهذا الغنيّ ان يقول: هلّا اضيف الى يساري جمال فلان، ولا للجميل ان يقول: هلّا اضيف الى جمالي مال فلان، ولا للشّريف ان يقول: هلّا اضيف الى شرفي مال فلان، ولا للوضيع ان يقول: هلّا اضيف الى ضعتي شرف فلان، ولكنّ الحكم لله يقسم كيف يشاء وهو حكيم في افعاله كما هو محمود في اعماله، وذلك قوله تعالى: وقالوا: لو لا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، قال الله تعالى: اهم يقسمون رحمة ربّك يا محمّد نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدّنيا فأحوجنا بعضهم الى بعض، احوج هذا الى مال ذلك، واحوج ذلك الى سلعة هذا والى خدمته فترى اجلّ الملوك واغنى الاغنياء محتاجاً الى افقر الفقراء في ضرب من الضّروب امّا سلعة معه ليست معه وامّا خدمة تصلح لما لا يتهيّأ لذلك الملك ان يستغني الّا به، وامّا باب من العلوم والحكم هو فقير الى ان يستفيدها من ذلك الفقير وهذا الفقير محتاج الى مال ذلك الملك الغنيّ، وذلك الملك يحتاج الى علم هذا الفقير او رأيه او معرفته، ثمّ ليس للملك ان يقول: هلّا اجتمع الى مالي علم هذا الفقير، ولا للفقير ان يقول: هلّا اجتمع الى رأيي وعلمي وما اتصرّف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغنيّ [وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً] اى لولا كراهة ذلك [لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ] بالتّوسعة في اموالهم حتّى يجعلوا سقف بيوتهم فضّة [وَمَعارِجَ] من فضّة [عَلَيْها يَظْهَرُونَ] السّطوح [وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً] من فضّة [عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ وَزُخْرُفاً] زينة من غير ذلك يعني لولا ان يكونوا كلّهم كفّاراً لجعلنا ذلك لانّ الكافر مخذول منّا ومكروه لنا ولم نردمنه توجّهه الينا، ولولا مراعاة حال من في وجوده استعداد الايمان لوسّعنا عليه في دنياه بحيث لا يغتمّ آناً بشيء من دنياه حتّى لا يتوجّه الينا ولكن لمراعاة حال المستعدّين للايمان جعلنا في الكفّار غنيّ وفقراً كما انّ في المؤمنين غنيّ وفقراً، وعن الصّادق (ع) قال الله عزّ وجلّ: لولا ان يجد عبدي المؤمن في نفسه[1] لعصّبت الكافر بعصابة من ذهب، وعن النّبيّ (ص): يا معشر المساكين طيبوا واعطوا الله الرّضا من قلوبكم يثبّتكم الله عزّ وجلّ على فقركم فان

(١) اى كراهة منّي.

لم تفعلوا فلا ثواب لكم، وعنه (ع) قال: ما كان من ولد آدم (ع) مؤمن الّا فقيراً ولا كافر الّا غنياً حتّى جاء ابراهيم (ع) فقال: ربّنا لا تجعلنا فتنةً للّذين كفروا فصيّر الله في هؤلاء اموالاً وحاجةً، وفي هؤلاء اموالاً وحاجةً [وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ] المذكور من سقف الفضّة ومعارجها وابوابها وسررها وزخرف البيوت [لَمّٰا مَتٰاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] قرئ لمّا بالتّشديد فيكون ان نافيةً ولمّا استثنائيّةً، وقرئت بالتّخفيف فان مخفّفةً واللّام فارقةً وما زائدةً اوموصولةً او موصوفةً [وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ] من متاع الحيوة الدّنيا كأنّ غيرهم لا آخرة لهم، وبأمثال هذه الآية توسّل من قال غير المؤمنين اوغير من له عقلٌ مجرّدٌ اذا مات فات ولا بقاء له في الآخرة، وليس كذلك، لانّ التّحقيق انّ مطلق الحيوان له بقاءٌ في الآخرة لتجرّد خياله وعدم انطباعه وهذا القدر من التّجرّد يكفي في البقاء بعد خراب البدن [وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ] اعلم، انّ الولاية السّارية في جميع الموجودات تكوينيّاً حقيقة ذكر الله، وكذلك الولاية الجارية على الانسان وبني الجانّ تكليفاً، ولذلك اضاف الذّكر الى الرّحمن وصاحب الولاية المتحقّق بها ايضاً ذكرٌ ولذلك كان رؤيته مذكّراً كما عن عيسى (ع) في جواب الحواريّين حين قالوا: من نجالس يا روح الله؟ قال: من يذكّركم الله رؤيته، ثمّ الذّكر المأخوذ من صاحب الولاية ذكر الله ثمّ الفكر الحاصل من الذّكر المأخوذ من صاحب الولاية وان كان الفكر اكمل في الذّكريّة من الذّكر المأخوذ ثمّ تذكّر الله في الخاطر ثمّ تذكّر امره ونهيه عند الفعال، ثمّ الذّكر اللّسانيّ من التّهليل والتّسبيح والتّحميد وغيرها ثمّ كلّ ما يذكّرك الله ايّ شيء كان، والمقصود انّ من يعمى عن الولاية وعن وليّ الامر فانّ العمى عن الولاية يورث العمى عن جميع اقسام الذّكر [نُقَيِّضْ] نسبّب ونقدّر [لَهُ شَيْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] يمنعه عن الانسانيّة والسّلوك على طريقها ويجرّه الى البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة ويسلكه على طريقها الى النّار، وممّا روى من الاكابر: من لم يكن له شيخٌ اي وليّ يتولّاه بالبيعة الخاصّة تمكّن الشّيطان من عنقه، ومن تمكّن الشّيطان من عنقه لا يرجى له خيرٌ، ولا نجاة له من السّعير، وعن امير المؤمنين (ع): من تصدّى بالاثم اعشى[1] عن ذكر الله تعالى، ومن ترك الاخذ عمّن امر الله بطاعته قيّض له شيطانٌ فهو له قرين [وَإِنَّهُمْ] اي الشّياطين القرناء للعاشين [لَيَصُدُّونَهُمْ] اي العاشين [عَنِ السَّبِيلِ] الّذي ينبغي ان يسلكه الانسان وهو الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة، ولمّا كان اغلب خطابات القرآن غير خالية من الاشارة الى الولاية وقبولها وردّها فمعنى الآية انّ من يعش عن عليّ (ع) وولايته نقيّض له شيطاناً وانّهم يعني الشّيطان واتباعه ليصدّون العاشين عن عليّ (ع) وولايته [وَيَحْسَبُونَ] اي الشّياطين اوالعاشون اوالمجموع [أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ] والحال انّهم ضالّون مصدودون عن الطّريق [حَتّٰى إِذٰا جٰاءَنٰا] اي العاشي وقرئ جاءانا على التّثنية [قٰالَ] العاشي للشّيطان [يٰا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ] اي المشرق والمغرب [فَبِئْسَ الْقَرِينُ] لمّا رأى انّه صدّه عن الولاية وبواسطة صدوده عن الولاية هلك ودخل النّار تمنّى ان لم يكن هو قرينه [وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذٰابِ مُشْتَرِكُونَ] فاعل ينفعكم التّمنّي المستفاد من قوله: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين او اذ ظلمتم على ان يكون اذ اسماً خالصاً، او انّكم في العذاب ولفظة اذ اسم خالص فاعل، او للتّعليل على ان تكون حرفاً اذا افادت التّعليل وانّكم للتّعليل او فاعل لن ينفعكم، وقرئ انّكم بكسر الهمزة جواباً لسؤال مقدّر في مقام التّعليل، روى عن الباقر (ع) انّه نزلت هاتان الآيتان هكذا حتّى اذا جاءانا يعني فلاناً وفلاناً يقول احدهما لصاحبه حين يراه: يا ليتني بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فقال الله لنبيّه (ص): قل لفلان وفلان واتباعهما: لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم آل محمّد حقّهم انّكم

(١) عَشِيَ يعشَى عشاً = ساء بصره بالليل والنّهار واعشى عن شيء = أعرض وصدر عنه الى غيره.

فى العذاب مشتركون فقوله لن ينفعكم بتقدير القول سواء جعل التّقدير قل يامحمّد (ص) لن ينفعكم، او يقول الملائكة، او يقول الله [أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ] يعنى اذا كان الله يمدّ العمى و يقيّض له شيطاناً فهل انت تقدر ان تسمع الصمّ [أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] عطف عطف السّبب على المسبّب والمجمل على المفصّل [فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ] روى انّه (ص) أُرى مايلقى عترته من امّته بعده فمازال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقى الله تعالى، و روى جابر بن عبدالله الانصارى قال: انّى لادناهم من رسول الله (ص) فى حجّة الوداع بمنى قال لالقينّكم ترجعون بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، و ايم الله لئن فعلتموها لتعرفنّى فى الكتيبة الّتى تضار بكم ثمّ التفت الى خلفه فقال: اوعلىّ، ثلاث مرّات فرأينا انّ جبرئيل غمزه، فانزل الله على اثر ذلك فامّا نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون بعلىّ بن ابى طالب (ع)، وعن الصّادق (ع) فامّا نذهبنّ بك يامحمّد (ص) من مكّة الى المدينة فانّا رادّوك اليها ومنتقمون منهم بعلىّ بن ابى طالب (ع) [فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ] يعنى لاتحزن على ماقالوا فى حقّ اهل بيتك وعلى ماسيفعلونه بعدك واستمسك بالّذى اوحى اليك فى علىّ (ع) اوفى اهل بيتك [إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] هو صراط الولاية، ومن كان على صراط مستقيم لايبال بما قيل او يقال، اوفُعل او يفعل به، وعن الباقر (ع) انّك على ولاية علىّ (ع)، وعلى�ّ (ع) هو الصّراط المستقيم، اوالمعنى فاستمسك بالّذى القى اليك من ولاية علىّ (ع) انّك بهذا الالقاء على صراط مستقيم [وَإِنَّهُ] اى ما اوحى اليك او الصّراط المستقيم اوعلىّ (ع) [لَذِكْرٌ لَكَ] اولشرف لك اولذكرك الله فانّه ذكر الله حقيقةً وسبب تذكّر الله، اوذكر الله لك ولاشرف اشرف من ان يذكّرك الله [وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ] عنه فانّه النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون، والنّعيم الّذى تسألون عنه [وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ] المفعول الاوّل محذوفٌ ومن ارسلنا مفعولٌ ثانٍ اى اسئل النّاس و اهل الخبرة والعلماء باخبار الماضين وسيرهم عن حال من ارسلنا قبلك، اومن مفعول اوّل وقوله اجعلنا فى مقام المفعول الثّانى يعنى اسئل الرّسل الماضين (ع) فانّهم ان كانوا غائبين عن الانظار البشريّة فهم غير غائبين عن نظرك، وورد فى اخبار كثيرة انّه (ص) أُرى ليلة المعراج جميع الانبياء (ع) وهم قد صلّوا خلفه فى بيت المقدّس او فى السّماء فانزل الله تعالى هذه الآية عليه، فعن الباقر (ع) انّه سئل عن هذه الآية من ذا الّذى سأله محمّد (ص) وكان بينه وبين عيسى (ع) خمس مائة سنة فتلا هذه الآية: سبحان الّذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى باركنا حوله لنريه من آياتنا، قال: فكان من الآيات الّتى أراها الله محمّداً (ص) حين اسرى به الى البيت المقدّس ان حشر الله له الاوّلين والآخرين من النّبيّين والمرسلين (ع) ثمّ امر جبرئيل فاذّن شفعاً واقام شفعاً ثمّ قال فى اقامته: حىّ على خير العمل، ثمّ تقدّم محمّد (ص) فصلّى بالقوم فانزل الله عليه و اسئل من ارسلنا (الآية) فقال لهم رسول الله (ص): على ماتشهدون وما كنتم تعبدون؟ فقالوا: نشهد ان لا اله الّا الله وحده لاشريك له، وانّك لرسول الله (ص) اخذت على ذلك مواثيقنا و عهودنا [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ] عطف فيه تسلية لرسول الله (ص) وحمل له على الصّبر على اذى القوم [فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ] استهزؤا بها مقام ان ينقادوا لها و يخافوا من الله و يصدّقوا رسوله (ع) بها [وَمَا نُرِيهِمْ

مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ] بالقحط والرّجز والطّوفان والجراد والقمّل [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من غيّهم ويصدّقون رسولنا [وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ] نادوه بهذا الاسم تعظيماً له لانّ السّحر كان له قدر عظيم عندهم، اولانّ السّاحر كان اسماً لكلّ عالم ماهر، وقيل: انّما قالوا ذلك استهزاء بموسى (ع) فانّهم لغاية حمقهم وشدّة عنادهم ما تركوا الاستهزاء به في حال الشّدّة والابتلاء، وقيل: انّ السّاحر من سحر بمعنى غلب في السّحر والمعنى يا ايّها الّذي ساحرنا فغلبنا بسحره [ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ] يعني ان كشفت عنّا فانّا آمنون بك كما مضى الآية في سورة الاعراف وقد مضى بيانها ايضاً [فَلَمَّا كَشَفْنَا] اى فدعا موسى (ع) فكشفنا فلمّا كشفنا [عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ] ينقضون يعني كلّما عذّبناهم بعذاب قالوا ذلك وكلّما كشفنا عنهم نقضوا عهدهم [وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ] يعني بعد ما كشفنا عنهم العذاب خاف فرعون على ملكه وخاف ان يقرّ بموسى بعض اهل مملكته فجمع النّاس وخطبهم وموّه عليهم باظهار حسن حاله في الدّنيا ورثاثة حال موسى (ع) فيها [قَالَ يَا قَوْمِ] لا تبالوا بموسى وما رأيتموه منه من كشف العذاب فانّي ابسط منه يداً واكثر مالاً واقوى تصرّفاً [أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ] اشارة الى بسط يده في البلاد [وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ] اى انهار النّيل، قيل: كان معظمها اربعة [تَجْرِي مِنْ تَحْتِي] اى من تحت قصري اومن تحت امري فانّهم كانوا معتقدين انّ النّيل يجري بأمره [أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ] بهذه الاموال والجمال وحسن الحال وحسن الصّورة وحسن السّيرة وكثرة البسطة والسّعة [مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ] حقيرٌ ليس له شيء من هذا الّذي ترونه عليّ [وَلَا يَكَادُ يُبِينُ] الكلام ويقرّ المرام يعني انّه مهين بحسب البسطة والسّعة والزّينة، ومهين بحسب حاله في نفسه فانّه لا يقدر على اداء الكلام، وام منقطعة مجرّدة عن الهمزة، او متضمّنة لها، اومتّصلة والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون [فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ] قيل: كانوا اذا سوّروا رجلاً سوّروه وطوّقوه بسوار وطوق من ذهب، موّه عليهم وقاس السّيادة من الله بالسّيادة من الخلق وقال: اذا كان رسولاً ونائباً من الله فلم لا يلقى عليه من الله اسورة من ذهب حتّى يكون علامة لسيادته، وقرئ: القى مبنيّاً للمفعول، واسورة مرفوعاً ومبنيّاً للفاعل، واسورة منصوباً، وقرئ: اسورة واساورة واساوير واساور [أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ] اى مصطفّين فانّه يقول: انّ الله الّذي يدّعي الرّسالة منه ملائكة كثيرة فان كان صادقاً في رسالته من الله الموصوف بما وصف فليكن صفوف من الملائكة معه ليكونوا جنوده، ومعينين له في اموره، وحافظين له عن الواردات والاعداء [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ] اى طلب منهم الخفّة والسّرعة في خدماته بهذه التّمويهات اوفاستخفّ احلامهم [فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا] احزنونا، اسف كفرح حزن اشدّ الحزن، واسف عليه غضب، وباىّ معنى كان لا يكون لائقاً بشأن الله، ولذلك ورد عن الصّادق (ع): انّ الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا ولكنّه خلق اولياءه لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه وذلك لانّه جعلهم الدّعاة اليه والادلاء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس ان ذلك يصل الى الله كما يصل الى خلقه ولكن هذا معنى ما قال من ذلك **وقال ايضاً**: من اهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني اليها، **وقال ايضاً**: من يطع الرّسول فقد اطاع الله **وقال ايضاً** انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله وكلّ هذه وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرّضا والغضب وغيرهما من الاشياء ممّا يشاكل ذلك، ولو كان يصل الى المكوّن الاسف والضّجر وهو الّذي احدثهما وانشأهما لجاز لقائل ان يقول: انّ المكوّن يبيد يوماً، لانّه اذا دخله الضّجر والغضب

دخله التّغيّر ، واذا دخله التّغيّر لم يؤمن عليه بالابادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوّن من المكوّن ، ولا القادر من المقدور ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً ، هو الخالق للاشياء لا لحاجة فاذا كان لا لحاجة استحال الحدّ والكيف فيه ، فافهم ذلك ان شاء الله [اَنْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ فَاَغْرَقْنٰاهُمْ اَجْمَعِينَ] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [فَجَعَلْنٰاهُمْ سَلَفًا] متقدّمين ليتّعظوا بهم ويعتبروا بافعالهم ومالهم وما عليهم وهو مصدر وصف به ، اوجمع للسّالف كالخدم للخادم وقرئ سُلُفاً بضمّ السّين واللّام جمعاً للسّليف كالرّغيف ، اوللسّالف اوللسّلف كالخشب، وقرئ بضمّ السّين وفتح اللّام على انّه مخفّف سُلُف بالضّمّتين، اوجمع سلفة بمعنى السّالفين، [وَمَثَلًا] المثل في الاصل بمعنى التّشبيه لكنّه جعل بالغلبة اسماً لامر غريب سلف يشبّه به كلّ امر حادث فيه غرابة يعني جعلناهم بحيث يضرب بهم الامثال لكلّ من فعل فعلاً قبيحاً يقع بسببه في بليّة [لِلْاٰخِرِينَ] اى الآتين على عقبهم [وَلَمّٰا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا] لعليّ بن ابى طالب (ع) اى لمّا اجرى ابن مريم حالكونه مشبّهاً به لعليّ بن ابى طالب (ع) كما ذكر في اخبار كثيرة [اِذٰا قَوْمُكَ مِنْهُ] اى من علىّ (ع) اومن هذا التّشبيه [يَصِدُّونَ] يضجّون او يعرضون او يمنعون وقرئ يصدّون بضمّ الصّاد وبكسرها، وعن النّبيّ (ص) انّه قال: الصّدود في العربيّة الضّحك هذا ما وصل الينا في اخبار كثيرة نشير الى شطر منها ، وقيل : معناه ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً وشبيهاً بالآلهة في العذاب فانّه لمّا نزل انّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم ، قال المشركون : قد رضينا بان تكون آلهتنا حيث يكون عيسى (ع) ومعنى اذا قومك منه يصدّون يضجّون نحو ضجيج المجادلين حيث خاصموك في تمثيلهم لعيسى (ع) بآلهتهم، وقيل: لمّا ضرب الله المسيح مثلاً بآدم (ع) في قوله : انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب خاصم بعض قريش النّبيّ (ص) فنزلت، وقيل: لمّا مدح النّبيّ (ص) المسيح (ع) قالوا: انّ محمّداً (ص) يريد ان نعبده كما عبدت النّصارى عيسى (ع) ، وروى بينا رسول الله (ص) ذات يوم جالس اذ اقبل امير المؤمنين (ع) فقال له رسول الله (ص) : انّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم (ع) ، لولا ان تقول فيك طوائف من امّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم (ع) لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملاء من النّاس الّا اخذوا التّراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة ، قال: فغضب الاعرابيّان والمغيرة بن شعبة وعدّة من قريش معهم فقالوا : مارضي ان يضرب لابن عمّه مثلاً الّا عيسى بن مريم.. ! فأنزل الله على نبيّه و لمّا ضرب ابن مريم مثلاً (الى قوله) لجعلنا منكم يعني من بني هاشم ملائكة في الارض يخلفون ، وبهذا المضمون باختلاف يسير في اللّفظ اخبار كثيرة [وَقٰالُوا ءَاٰلِهَتُنٰا خَيْرٌ اَمْ هُوَ] اى عيسى يعني انّ عيسى (ع) خير من آلهتنا فاذا كان هو في النّار فرضينا ان يكون آلهتنا في النّار ، اوهو كناية عن محمّد (ص) فانّهم قالوا : يريد ان نعبده كما عبد النّصارى المسيح ، وآلهتنا خيرٌ منه و هو ينهانا من عبادتها، اوالمعنى ءآلهتنا خيرٌ ام المسيح وكان مرادهم الزام محمّد (ص) فانّه لمّا مدح المسيح ارادوا ان يقولوا: ان كان عبادة غير الله جائزاً ظنّاً منهم انّه صلّى الله عليه وآله في مدحه لعيسى يجوّز عبادة النّصارى له فليجز عبادة آلهتنا، اوالمراد آلهتنا خيرٌ ام عليّ (ع)؟ ! وهو يمثّل علياً بعيسى (ع) [مٰا ضَرَبُوهُ لَكَ اِلَّا جَدَلًا] اى لاجل المجادلة معك [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ] كثير المخاصمة ولذلك يخاصمونك [اِنْ هُوَ اِلَّا عَبْدٌ] اى ان علىّ (ع) اومحمّد (ص) او عيسى (ع) ولكن في اخبارنا ان علىّ (ع) الا عبدٌ [اَنْعَمْنٰا عَلَيْهِ وَجَعَلْنٰاهُ مَثَلًا] متمثّلاً ومتصوّراً [لِبَنِي اِسْرٰائِيلَ] بصورة عيسى بن مريم، اوجعلناه شبيهاً بعيسى (ع) لانتفاع بني اسرائيل الّذين هم اولاد الانبياء (ع) بحسب الجسم اوالرّوح

اوجعلناه حجّة لبنى اسرائيل، وعن الصّادق (ع) فى دعاء يوم الغدير : فقد اجبنا داعيك النّذير المنذر محمّداً (ص) عبدك ورسولك الى علىّ بن ابى طالب (ع) الّذى انعمت عليه و جعلته مثلاً لبنى اسرائيل انّه امير المؤمنين (ع) ومولاهم وولىّهم الى يوم القيامة يوم الدّين فانّك قلت : ان هو الّا عبدٌ انعمنا و جعلناه مثلاً لبنى اسرائيل [وَلَوْ نَشٰاءُ] يعنى انّهم يضجّون بان شبّهت علياً بعيسى (ع) فلو نشاء [لَجَعَلْنٰا مِنْكُمْ مَلٰائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ] يعنى لونشاء لجعلناكم اعزّ من ان تشبّهوا بعيسى فجعلنا بعضكم ملائكة يخلفون الله فى الارض، او يخلفونكم فى الارض، او لولّدنا منكم ملائكة، اولجعلنا بدلا منكم ملائكة، اولجعلناظاهرين وخارجين من وجودكم الى خارج وجودكم ملائكة كما كان يظهر من محمّد (ص) جبرئيل (ع) بحيث كان قديراه من كان قريناً له [وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ] اى انّ علياً (ع) لعلم و امارة علم [لِلسّٰاعَةِ] وقرئ عَلَم بالتّحريك اى امارة فانّ علياً (ع) بولايته من امارات السّاعة اومن اسباب العلم بالسّاعة لانّ من تولّاه بالبيعة الخاصّة الايمانيّة ودخل الايمان فى قلبه ايقن بالسّاعة بشهود اماراته من وجوده ، اوانّ عيسى (ع) من امارات السّاعة فانّ نزوله من علامات السّاعة، وقيل: انّ القرآن من اسباب العلم بالسّاعة اومحمّد (ص) من امارات السّاعة فانّه بعث هو و السّاعة كالسّبّابة والوسطى، اوجعل الملائكة منكم من اسباب علم السّاعة [فَلٰا تَمْتَرُنَّ بِهٰا وَاتَّبِعُونِ] امّا من كلام الله اومن كلام محمّد (ص) بتقدير القول والتّقدير قل لهم: اتّبعون فيما اقول لكم من ولاية علىّ (ع) [هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ] جواب سؤال مقدّر فى مقام التّعليل يعنى هذا المذكور صراط مستقيم، وفسّر الصّراط ههنا بعلىّ (ع) [وَلٰا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطٰانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] ظاهر العداوة او مظهرٌ لعداوته لانّه يصدّكم عمّن امر الله تعالى ورسوله مراراً بولايته واطاعته بحيث لم يخف على احد امره (ص) باطاعته (ع) [وَلَمّٰا جٰاءَ عِيسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ] ذكر حكاية عيسى (ع) وقوله لقومه و بيان حال قومه وقالهم له تسلية للرّسول (ص) ولامير المؤمنين (ع) وتهديد لقومهما [فَاخْتَلَفَ الْأَحْزٰابُ] الحزب بالكسر الطّائفة وجماعة النّاس ، وجمعه الاحزاب [مِنْ بَيْنِهِمْ] اى فاختلف جماعات من بينهم و عرّفه باللّام للاشارة الى انّ الجماعات المختلفة كأنّهم كانوا معهودين [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] منهم [مِنْ عَذٰابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ هَلْ يَنْظُرُونَ] ماينتظرون لظهور اتيان السّاعة وعدم جواز انكارها جعلهم مثل من انتظر امراً [إِلَّا السّٰاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ] بدل من السّاعة بدل الاشتمال [بَغْتَةً وَهُمْ لٰا يَشْعُرُونَ] بمجيئه حتّى يتهيّؤا لها، وقد مضى مكرّراً انّ السّاعة قد فسّر بساعة الموت و بالقيامة و بظهور القائم (ع) [الْأَخِلّٰاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر فى بيان حال اليوم والمراد بالخلّة ههنا هى الخلّة فى الدّنيا لا الخلّة فى الله وللآخرة بقرينة الاستثناء وسبب صيرورة الخلّة الدّنيويّة عداوة اخرويّة انّ الخلّة الدّنيويّة صارفة للانسان عن بغيته الاخرويّة وشاغلة له عن الاشغال الآلهيّة فتصير سبباً للحسرة والنّدامة ، و يظهر انّها كانت عداوة فالخليل الدّنيوىّ يعادى خليله لذلك [إِلَّا الْمُتَّقِينَ] فى افعالهم و احوالهم و اخلاقهم عن الجهة الدّنيويّة فخلّتهم لاتكون الّا لجهات اخرويّة و يوم القيامة يظهر اثر تلك الخلّة فيتيقّن و يشاهد انّ الخلّة كانت خلّة لاعداوة ، وقرأ الصّادق (ع) هذه الآية فقال: والله ما اراد بهذا غيركم، وعنه (ع) : واطلب مواخاة الاتقياء ولوفى ظلمات الارض وان افنيت عمرك فى طلبهم فانّ الله عزّ وجلّ لم يخلق افضل منهم على وجه الارض من بعد النّبيّين ، وما انعم الله تعالى على عبد بمثل ما انعم به من التّوفيق لصحبتهم

قال الله تعالى: الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتّقين، واظنّ انّ من طلب فى زماننا هذا صديقاً بلا عيب بقى بلا صديق، ولمّا ذكر حال ذلك اليوم وشدّته بالنّسبة الى المخالفين والمنافقين نادى عباده المخصوصين تلطّفاً بهم وتسكيناً لخوفهم منه فقال [يٰاعِبٰادِ] الّذين آمنوا بالولاية فانّه لا يصير الانسان عبداً لله تكليفاً الّا بعد قبول الولاية ولذلك بيّنهم بقوله الّذين آمنوا بآياتنا (الى آخر الآية) [لٰاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ] فانّ شدّته لمن كان معرضاً عن صاحب ذلك اليوم وهو علىّ (ع) [وَلٰا اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] وقد مضى فى اوّل البقرة وفى غيرها بيانٌ لاختلاف الفقرتين من هذه العبارة [اَلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاٰيٰاتِنٰا] صفة بيانيّة او خبر لمحذوف اى انتم الّذين آمنوا، او مبتدء خبره ادخلوا الجنّة بتقدير القول، او خبره يطاف عليهم والمراد بالايمان بالآيات الايمان بصاحبى الولاية من حيث ولايتهم من الانبياء والاولياء (ع) لا من حيث رسالتهم او خلافتهم للرّسالة [وَكٰانُوا مُسْلِمِينَ] اى منقادين او مسلمين بالبيعة العامّة النّبويّة والمقصود من الاتيان بالاسلام مع الايمان الاشعار بانّ كلّاً منهما غير صاحبه فمن سمّى بالمسلم بمحض البيعة العامّة فلا يسمّى بالمؤمن بمحض ذلك وليطلب حقيقة الايمان وما به يصدق عليه المؤمن [اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ اَنْتُمْ وَاَزْوٰاجُكُمْ] الموافقات لكم سواء كنّ مؤمنات او لم تكنّ فانّ كرامة المؤمن تقتضى دخول آبائه وازواجه وذرّيّاته الجنّة بسببه [تُحْبَرُونَ] الحبر بالفتح السّرور والنّعمة، والحبير كامير البُرد الموشّى والثّوب الجديد، والحبرة السّماع فى الجنّة، وكلّ نعمة حسنة، والمبالغة فيما وصف بجميل، ويجوز ان يكون من كلّ من تلك المواد [يُطٰافُ عَلَيْهِمْ] التفات فيه تجديد نشاط [بِصِحٰافٍ] جمع الصّحفة بمعنى القصعة [مِنْ ذَهَبٍ وَاَكْوٰابٍ] جمع الكوب بالضّمّ كوز لا عروة له، او لا خرطوم له [وَفِيهٰا مٰا تَشْتَهِيهِ الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْيُنُ وَاَنْتُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ] فانّ النّعيم الزّائل مستعقب لالم زواله ومشوبٌ لذّته بالم خوف زواله وزحمة حفظه من الزّوال [وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى اُورِثْتُمُوهٰا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] قد مضى الآية فى سورة الاعراف مع بيان كيفيّة الايراث [لَكُمْ فِيهٰا فٰاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهٰا تَأْكُلُونَ] عدّا للّذايذ الاخرويّة بصورة ما يلتذّ به المدارك الحيوانيّة لكون اغلب النّاس غير متجاوز عن مرتبة الحيوان والّا فالملتذّ بلذّة الحضور لا يلتفت الى المأكول والمشروب وسائر ملاذّ الحيوان، واذا عممت الأكل والشّرب وسائر مقتضيات مدارك الحيوان عممت ملاذّ الملتذّ بلذّة الحضور ايضاً [اِنَّ الْمُجْرِمِينَ] كأنّه قيل: هذا للمطيعين فما للمجرمين؟ فقال: انّ المجرمين [فِى عَذٰابِ جَهَنَّمَ خٰالِدُونَ] وقد فسّروا باعداء آل محمّد (ص) [لٰا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ] لا يخفّف عنهم [وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ] متحيّرون ساكتون عمّا فى انفسهم لغاية خوفهم وحيرتهم [وَمٰا ظَلَمْنٰاهُمْ وَلٰكِنْ كٰانُوا هُمُ الظّٰالِمِينَ] قد مضى فى سورة هود هذه الآية وانّه يظنّ انّ الاليق بسياق العبارة ان يقال: وما نحن ظلمناهم ولكنّهم ظلموا انفسهم ومضى هناك وجه كونه اليق والجواب عنه [وَنٰادَوْا يٰا مٰالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنٰا رَبُّكَ] سألوا المالك ان يسأل الله موتهم لغيبتهم عن الله وعدم وصولهم اليه حتّى يسألوا بأنفسهم خلاصهم بالموت عن العذاب [قٰالَ اِنَّكُمْ مٰاكِثُونَ] فى العذاب لاخلاص لكم من العذاب [لَقَدْ جِئْنٰاكُمْ] جواب سؤال مقدّر من المالك او من الله فى مقام التّعليل [بِالْحَقِّ] المخلوق به وهو المشيّة الّتى هى الولاية المطلقة الّتى هى علىّ (ع) بعلويّته، والقمّىّ: هو قول الله عزّ وجلّ: وقال يعنى بولاية امير المؤمنين (ع) [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كٰارِهُونَ] وقال القمّىّ: يعنى لولاية امير المؤمنين (ع) [اَمْ اَبْرَمُوا اَمْرًا] بعد حكاية

مخاطبات المنافقين في يوم القيامة خاطب نبيّه (ص) وقال: بل أبرم هؤلاء المنافقون من امتحنك امراً في تكذيب الحقّ فلاتحزن على تعاهدهم في مكّة وغيرها ان لايدعوا هذا الامر في عليّ (ع) [فَإِنَّا مُبْرِمُونَ] امره اومبرمون مجازاتهم [أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ] احاديثهم الّتي يسرّونها عن غيرهم [وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ] نسمعها [وَرُسُلُنَا] اى الملائكة الموكّلة عليهم [لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ] للّذين يجعلون لله البنات اوللّذين يقولون: المسيح ابن الله اوعزير ابن الله، او يقولون: نحن ابناء الله [إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ] يعني ان كان له ولد فانا اولى باظهاره ومعرفته لانّي اسبق العابدين لله بحسب المرتبة، والاسبق اولى بمعرفة اولاد المعبود وذوى نسبه من غير الاسبق، او انا اوّل العابدين لذلك الولد يعني ينبغي ان اكون اوّل العابدين له لتقدّمي عليكم في عبادة الله و ينبغي ان يكون المقدّم في عبادة الله مقدّماً في عبادة اولاده، او المعنى ان كان له ولد أفأنا اوّل العابدين ؟ على الاستفهام الانكاريّ يعني ان كان له ولد كنت اوّل الجاحدين له لااوّل العابدين، اواستعمل العابدين من عبدت عن الامر بمعنى انفت منه فالمعنى انا اوّل الآنفين ان يكون له ولدٌ، وعن امير المؤمنين (ع) اى الجاحدين قال: والتّأويل في هذا القول باطنه مضادّ لظاهره وقد ذكرت وجه صحّته [سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ] الّذى هو جملة ما سوى الله [عَمَّا يَصِفُونَ] تنزيهٌ له عن الولد بما فيه برهانه فانّ ربوبيّة العرش الّذى هو جملة المخلوقات تستلزم ربوبيّة كلّ جزء فرض من اجزاء العرش وان كان له ولدٌ كان مثله و ثانياً له لا مربوباً له [فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا] في باطلهم [وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ] في السّماء آلهٌ صلة من غير عائد فالعائد محذوفٌ وهو امّا صدر الصّلة اى هو في السّماء آله اى معبود ومستحقّ للعبادة، اوسلطان ومدبّر لامور السّماء، او سائر اجزاء الصّلة اى هوالّذى في السّماء اله منه او بصنعه اومن صنعه، وقد ورد عن امير المؤمنين (ع) انّه قال: وقوله هوالّذى في السّماء آله وفي الارض آله وقوله وهو معكم اينما كنتم وقوله وما يكون من نجوى ثلاثة الّا هو رابعهم فانّما اراد بذلك استيلاء امنائه بالقدرة الّتي ركّبها فيهم على جميع خلقه وانّ فعلهم فعله، وهو يؤيّد الوجه الثّاني والمعنى الثّاني للآية [وَهُوَ الْحَكِيمُ] الّذى اتقن صنعه بحيث انّه ظهر بصورة امنائه ولم يعلم به احدٌ بل انكروه وانكروا امناءه [الْعَلِيمُ] الّذى يعلم كيفيّة اخفاء الهته بحيث لايشعرون بها بل ينكرونها [وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] فكيف لايكون آلهاً فيهما اولايكون منه اله فيهما [وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ] الّتي هي بخرابهما لاعند غيره ولذلك تراهم غافلين عن السّاعة لاهين عنها شاغلين بما لاينفعهم فيها وما لهم يسألونك عن السّاعة وليس علمها عندك؟ ! وقد مضى في سورة الاعراف وفي غيرها وجه انحصار علم السّاعة به تعالى وانّ من يعلم من الخلفاء ذلك فهم في ذلك الهيّون لابشريّون [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعني انكم تكونون في الحال في الرّجوع اليه على سبيل الاستمرار وان كنتم غافلين عن ذلك الرّجوع فاحذروا من مخالفته [وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ] من الاصنام والكواكب ومن الجنّ والشّياطين اومن ائمّة الضّلالة [مِنْ دُونِهِ] اى من دون اذن الله، او حال كونهم غير الله، اومن دون عليّ (ع) فانّ الكلّ لايملكون [الشَّفَاعَةَ] فكيف بمالكيّته شيءٌ من السّماوات والارض [إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ] استثناءٌ متّصل ان اريد بالّذين يدعون مطلق المعبودات من المسيح والعزير والملائكة والاصنام والكواكب والائمّة الباطلة، وان اريد الاصنام فالاستثناء منقطعٌ، هذا اذا كان المستثنى منه فاعل يدعون

وكان المراد بالّذين يدعون الّذين يدعون الخلق بلسانهم او بحالهم وخلقتهم الى انفسهم ، وان كان المراد بالّذين يدعون التّابعين الّذين يعبدون الاصنام وغيرها فالاستثناء من المفعول المحذوف ومفرّغ ، وقيل : ان النّضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا : ان كان مايقوله محمّد (ص) حقّاً فنحن نتولّى الملائكة وهم احقّ بالشّفاعة لنا منه ، فنزلت ، والمعنى الّا لمن شهد بالحقّ اى الولاية فيكون الاستثناء مفرّغاً [وَهُمْ] اى الّذين يدعون [يَعْلَمُونَ] انّهم لا يملكون الشّفاعة ، اوالّذين يشهدون بالحقّ يعلمون الحقّ لا ان يكون شهادتهم مخالفة لمافى قلوبهم [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ] لاعترافهم بانّ آلهتهم ماخلقوا شيئاً من ذلك [فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ] مع هذا الاقرار [وَقِيلِهِ] اى قول الرّسول ، وقرئ قال الرّسول ، وقرئ قيله بالجرّ عطفاً على السّاعة ، وبالنّصب عطفاً على سرّهم ، او على محلّ السّاعة ، او بتقدير فعل من لفظه اى قال الرّسول (ص) قيله ، وبالرّفع مبتدء خبره [يٰا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلاٰءِ قَوْمٌ لاٰ يُؤْمِنُونَ] اوالخبر محذوف اى قيله يا ربّ مسموع لنا [فَاصْفَحْ عَنْهُمْ] اى اعرض اوطهّر القلب عنهم [وَقُلْ سَلاٰمٌ] مداراةً اومتاركةً لانحيّة [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] تهديد لهم بسوء العاقبة وسوء المجازاة .

سورة الدّخان

مكّيّة كلّها ، وهى تسع وخمسون آية .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[حٰمٓ وَالْكِتٰابِ الْمُبِينِ] الظّاهر اوالمظهر فضل من نزّل عليه ، اوصدقه ، اوظاهر المعنى ، اوظاهر الآثار [إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ] من مقامه العالى الّذى هومقام المشيّة ، اومقام الاقلام العالية ، اومقام اللّوح المحفوظ [فِي لَيْلَةٍ مُبٰارَكَةٍ] هى ليلة القدر وقد مرّ فى سورة البقرة كيفيّة نزول القرآن فى ليلة القدر ونزوله فى مدّة ثلاث وعشرين سنة عند قوله : شهر رمضان الّذى انزل فيه القرآن [إِنّٰا كُنّٰا مُنْذِرِينَ فِيهٰا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ] .

اعلم ، انّ مراتب العالم بوجه غير متناهية ، وبوجه سبعون الفاً ، وبوجه سبع ، وبوجه ستّ ، وكلّ مرتبة دانية بالنّسبة الى المرتبة العالية تسمّى ليلاً لاختلاطها بظلمة الامكان وظلمة الكثرة والفرق اكثر من المرتبة العالية ، كما انّ المرتبة العالية بالنّسبة الى المرتبة الدّانية تسمّى يوماً ، ولذلك ترى التّعبير عن المراتب فى الآيات والاخبار فى النّزول باللّيالى وفى الصّعود بالايّام لاعتبار المنزل اليه بالنّسبة الى المنزل منه الّذى هوالمرتبة العالية والعليا واعتبار المصعود اليه بالنّسبة الى المصعود منه الّذى هوالمرتبة الدّانية والدّنيا ، وانّ عالم المثال من العالم الكبير مثل الخيال من العالم الصّغير فكما انّ الانسان كلّما اراد ان يفعله يتصوّره اولاً بنحو كلّىّ فى مقام العقل ثمّ ينزّله عن مقام العقل الى مقام الخيال فيقدّر قدره ويتصوّر خصوصيّاته ومشخّصاته ثمّ ينزّله بتوسّط القوى المحرّكة وتحريك الاعضاء الى الخارج كذلك كان فعل الله وحال الخيال الكلّىّ فانّ الله اذا اراد ان يفعل فعلاً ينزّله من عرش المشيّة الى العقول الكلّيّة والنّفوس الكلّيّة اللّتين يعبّر عنهما بالاقلام العالية والالواح الكلّيّة ثمّ منهما الى عالم المثال وما لم يصل الامر الى عالم المثال كان بسيطاً مجملاً غير ممتاز بحسب الوجود العلمىّ بعضه من بعض وكان موجوداً بوجود واحد بسيط ،

وفي عالم المثال يصير متفرّقاً ممتازاً بعضه من بعض كما يكون الامر في خيال الانسان كذلك، فانّ المريد للدّار يتصوّر اوّلاً داراً كلّيّاً فاذا تنزّلت الى مقام الخيال يتصوّرها بصورة جزئيّة مربّعة متساوية الاضلاع اومربّعة طولانيّة اوغير ذلك مشتملة على بيوت ممتازة بعضها عن بعض، ومشتملة على مشخّصاتها من مكانها و زمانها و غير ذلك من مشخّصاتها، وقد ينفسخ عزيمته لتلك الدّار الموصوفة بالمشخّصات فيمحوها عن خياله و يتصوّر غيرها، وقد يتردّد في تعمير هذه الدّار و دارٍ اُخرى بنحوٍ آخر، كما انّ البداء و التّردّد والمحو والاثبات المنسوب الى الله يكون من هذا القبيل وفي هذا العالم كما مضى الاشارة اليه في سورة المؤمن، فالامر المحكم الّذي لايتطرّق البطلان والمحو والاثبات والنّسخ و التّشابه اليه يتنزّل من عالم الامر الّذي لايكون فيه وجود ممتاز عن وجودٍ ولايكون فيه نقص و شرّ و بطلان ومحو الى عالم المثال الّذي يفرق فيه كلّ امرٍ من آخر و يتطرّق المحو والاثبات والبطلان اليه، و يتطرّق التّشابه الّذي هو عدم ثبات المعنى و تطرّق النّسخ والمحو اليه وهو ليلة القدر الّتي ليست لملك بني اميّة، وكلّما يوجد في هذا العالم لابدّ وان ينزّل من عالم العقول و النّفوس الى ذلك العالم و يقدّر قدره فيه ثمّ يظهر في هذا العالم، كما انّ كلّما يظهر على الاعضاء لابدّ وان ينزّل من العقل الى الخيال فيقدّر قدره، ثمّ يظهر على الاعضاء، ولمّا كانت النّفوس كلّيّة كانت او جزئيّة متّحدة مع فاطمة (ع) في مقامها النّازل و مظهراً لها (ع) جاز تفسير ليلة القدر بها، كما عن الكاظم (ع) حين سأله نصرانيٌّ عن تفسير هذه الآية في الباطن، فقال: امّا حم فهو محمّد (ص) وهو في كتاب هودٍ الّذي انزل اليه وهو منقوص الحروف، وامّا الكتاب المبين فهو امير المؤمنين عليٌّ (ع)، وامّا الليلة ففاطمة (ع)، وامّا قوله فيها يفرق كلّ امر حكيم يقول يخرج منها خيرٌ كثيرٌ فرجل حكيم، و رجل حكيم، و رجل حكيم (الى آخر الحديث)، وعن الباقر (ع) والصّادق (ع) والكاظم (ع) اى انزلنا القرآن والليلة المباركة هي ليلة القدر انزل الله سبحانه القرآن فيها الى البيت المعمور جملةً واحدةً، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول الله (ص) في طول عشرين سنة، وعن الباقر (ع) قال: قال الله عزّوجلّ في ليلة القدر فيها يفرق كلّ امرٍ حكيم قال ينزل فيها كلّ امرٍ حكيمٍ والمحكم ليس بشيئين انّما هو شيءٌ واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله، و من حكم بامرٍ فيه اختلاف فرأى انّه مصيبٌ فقد حكم بحكم الطّاغوت، انّه لينزل في ليلة القدر الى وليّ الامر تفسير الامور سنة سنة يؤمر فيها في امر نفسه بكذا وكذا، وفي امر النّاس بكذا وكذا، و انّه ليحدث لوليّ الامر سوى ذلك كلّ يوم علم الله الخاصّ والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك اللّيلة من الامر ثمّ قرأ: ولو انّ ما في الارض من شجرةٍ اقلام (الآية)؛ والغرض من نقل هذا الخبر بيان قوله (ع) فمن حكم بما ليس فيه اختلاف (الى قوله) فقد حكم بحكم الطّاغوت لانّه يظنّ في بادي الامر انّ في حكم الائمّة ايضاً اختلافاً، لانّه ما من مسألةٍ الّا وفيها اخبار متخالفةٌ اومتضادّةٌ اومتناقضةٌ صادرةٌ عنهم؛ وقد ذكر صاحب التّهذيب رحمه الله في اوّل التّهذيب: «ذاكرني بعض الاصدقاء ايّده الله ممّن اوجب حقّه باحاديث اصحابنا ايّدهم الله و رحم السّلف منهم وما وقع فيها من الاختلاف والتّباين و المنافاة والتّضادّ حتّى لايكاد يتّفق خبرٌ الّا و بازائه ما يضادّه ولا يسلم حديثٌ الّا وفي مقابلته ما ينافيه حتّى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطّعون على مذهبنا، وتطرّقوا بذلك الى ابطال معتقدنا، و ذكروا انّه لم يزل شيوخكم السّلف والخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الّذي يدينون الله به و يشنّعون عليهم بافتراق كلمتهم في الفروع و يذكرون انّ هذا ممّا لايجوز ان يتعبّد به الحكيم ولا ان يبيح العمل به العليم وقد وجدناكم اشدّ اختلافاً من مخالفيكم واكثر تبايناً من مباينيكم، ووجود هذا الاختلاف منكم مع اعتقادكم بطلان ذلك دليلٌ على فساد الاصل حتّى حصل على جماعةٍ ممّن ليس لهم قوّة في العلم ولا بصيرة بوجودة النّظر ومعاني الالفاظ الشّبهة، وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحقّ لما اشتبه عليه الوجه في ذلك وعجز

عن حلّ الشّبهة فيه ، سمعت شيخنا اباعبدالله ايّده الله يذكر انّ اباالحسين الهادونيّ العلويّ كان يعتقد الحقّ ويدين بالامامة فرجع عنها لمّا التبس عليه الامر في اختلاف الاحاديث وترك المذهب ودان بغيره لما لم يتبيّن له وجوه المعاني فيها ، وهذا يدلّ على انّه دخل فيه على غير بصيرة واعتقد المذهب من جهة التّقليد.»

وتحقيق ذلك انّ مراتب الرّجال متفاوتة في الدّين فانّ للايمان عشر درجات ولكلّ درجة عشرة اجزاء ، فمنهم من يكون على جزء من اجزاء الدّرجة الاولى ، ومنهم من يكون على جزئين ومنهم من يكون على الدّرجة الثّانية بأجزائها وهكذا ولو ذهب تحمل صاحب الدّرجة الاولى على الدّرجة الثّانية اهلكته كما اشير اليه في الاخبار ، وصاحب كلّ درجة له حكمٌ غير حكم صاحبه كما حقّقنا ذلك في سورة البقرة عند تحقيق النّسخ في قوله تعالى: ماننسخ من آية (الآية) فمن لم يكن له بصيرة بمراتب الرّجال وباختلاف احوالهم لا يحكم بحكم الّا ويتطرّق اليه الاختلاف بحسب اعتقاده، فانّه كما يظنّ انّ هذا حكم هذا الرّجل يجوّز ان يكون حكمه غير هذا ، وهذا معنى قوله (ع) من حكم بامر فيه اختلاف يعني بحسب اعتقاده فرأى انّه مصيبٌ فقد حكم بحكم الطّاغوت لانّ حكم هذا الحاكم ليس الّا من رأيه المنسوب الى انانيّته لا من حكم الله ، ومن كان بصيراً بمراتب الرّجال وبصيراً بالاحكام وبكيفيّة تعلّقها بالرّجال بحسب مراتب ايمانهم لا يحكم الّا عن اراءة الله كيفيّة تعلّق الاحكام بالرّجال ولا يحكم عن قياس ورأي ولا يكون في حكمه هذا اختلاف بمعنى انّه لا يجوّز ان يكون حكمٌ مخالفٌ لهذا الحكم يخلفه لانّه حكم عن رؤية لا عن رأي وقياس ، ولمّا كان مراتب الرّجال ودرجاتها في الايمان غير متناهية فالاحكام ايضاً تكون غير متناهية ، وربّما يكون لشخص واحد بحسب توارد احوال مختلفة عليه احكام متخالفة متواردة عليه ، ووجه اختلاف الاخبار في الاحكام ليس محض التّقيّة ولا محض اختلاط الاكاذيب والاغلاط بها بل كان عمدة وجه اختلاف الاخبار اختلاف احوال الرّجال ، ولو لا اختلاف الاخبار في المسألة الواحدة بالنّسبة الى اشخاص عديدة كان ينبغي ان يترك المذهب لا انّ اختلافها كذلك ينبغي ان يصير سبباً للخروج من المذهب كما قاله الشّيخ رحمه الله في التّهذيب [أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا] تفخيم لذلك الامر الحكيم وهو تميز عن نسبة الحكيم الى ضمير الامر ، او حال ممّا يجوز ان يكون حالاً منه ، او منصوبٌ بفعل محذوف تقديره اعني امراً من عندنا ، او مفعولٌ له ليفرق اى لكونه مأموراً من عندنا ، او مفعول مطلق لفعله المحذوف [إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] بدل من انّا كنّا منذرين او تعليل لقوله تعالى : فيها يفرق كلّ امر حكيم يعني فيها يفرق كلّ امر حكيم لانّ من عادتنا ارسال الرّحمة ، او من عادتنا ارسال الرّسل ولازم ارسال الرّسل تفريق الامر الحكيم في ليلة القدر ورحمة مفعول به او مفعول له ، ووضع من ربّك في موضع الضّمير للاشعار بانّ ربوبيّته تقتضي ذلك [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لا سميع سواه فيسمع اقوال العباد بألسنتهم القاليّة والحاليّة والاستعداديّة [الْعَلِيمُ] لا عليم سواه فيعلم ما يسألونه بألسنتهم القاليّة والحاليّة ومقتضى ربوبيّته وسماعه وعلمه بما يصلح السّائل وما يفسده ان يرسل رسولاً وينزّل احكاماً بحسب مسؤل العباد [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] قرئ بالرّفع خبراً بعد خبر او خبراً لمحذوف ، او مبتدء خبره لا آله الّا هو او يحيي ويميت او ربّكم وربّ آبائكم الاوّلين [وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ] علمتم ذلك [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ] ولكن ليس لهم يقين [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ] بالدّين ويجعلونه آلة اشتغال خيالهم واطمينانه [فَارْتَقِبْ] اى فانتظر مراقباً لهم [يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ] يحيط الدّخان اواليوم بسبب الدّخان بالنّاس [هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما هذا الدّخان ؟ ـ فقال : هذا عذابٌ

اليم" اوحال" بتقدير القول من الله ، اومن الملائكة ، اومن النّاس .

اعلم، انّ وقت الاحتضار يُرى دخان من الباطن بين السّماء والارض و لذلك ورد انّ الدّخان من اشراط السّاعة فانّه روى انّ اوّل آيات السّاعة الدّخان و نزول عيسى (ع) و نار تخرج من قعر عدن ابين[1] تسوق النّاس الى المحشر ، قيل: وما الدّخان ؟ فتلا رسول الله (ص) هذه الآية وقال : يملأ ما بين المشرق و المغرب يمكث اربعين يوماً وليلة، امّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزّكام واما الكافر فهو كالسّكر ان يخرج من منخريه واذنيه، وقيل: انّ رسول الله (ص) دعا على قومه لمّا كذّبوه فاجدبت الارض والمراد بيوم تأتي السّماء بدخان مبين ذلك القحط فانّ الجائع يرى بينه و بين السّماء كهيئة الدّخان من ضعف بصره ، اولانّ الهواء يظلم عام القحط لقلّة الامطار وكثرة الغبار ، اولانّ العرب يسمّي الشّرّ الغالب دخاناً وكان قحطهم بحيث اكلوا جيف الكلاب و عظامها [رَبَّنَا اكْشِفْ] حال او جوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول [عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ] بك او برسولك او بخليفته او باليوم الآخر [أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى] جوابُ سؤال مقدّر ، اوحال" بتقدير القول [وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ] ظاهر الصّدق اومظهرٌ لصدقه [ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ] يعلّمه ما يقول غلامٌ اعجميٌّ لبعض ثقيف [مَجْنُونٌ] يعني لم يكن براهين صدق الرّسول (ص) باقلّ من معاينتهم فكما تولّوا عنه مع براهينه يتولّون بعد ذلك ايضاً مع معاينتهم يعني انّ بعضهم قالوا: هو معلّم ، و بعضهم قالوا : هو مجنونٌ بعد ما رأوا منه شبه الغشي حين نزول الوحي [إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ] جوابٌ لسؤالهم [قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ] الى الانكار ان كان المراد عذاب القحط وقد رفع القحط وعادوا الى الانكار كما قيل ، اوالمعنى انّا كاشفوا عذاب الموت وعذاب الدّخان قليلاً لانّكم عائدون الينا ان كان المراد عذاب الاحتضار [يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى] اى يوم القيامة او يوم بدر [إِنَّا مُنْتَقِمُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا] وابتلينا [قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ] بانواع العذاب التّسعة [وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ] اى كريم الاخلاق و الافعال ، اوكريم الاصل والآباء ، لانّه كان من اولاد الانبياء (ع) ، اوكريم عند الله [أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ] اى جاءهم بهذه الرّسالة الّتي هي قوله : أدّوا الىّ بني اسرائيل على ان يكون عباد الله مفعولاً به ، او أدّوا الىّ امانتكم الّتي هي وديعة من الله عندكم من الاستعدادات المودعة فيكم للتّرقّي الى الله و يكون عباد الله حينئذٍ منادى [إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ] بالاستعلاء على خليفته [إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ] لصدقي وهو يده وعصاه، فلمّا قال ذلك توعّدوه بالقتل والرّجم كما قيل ، فقال [وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ] بالحجارة ، وقيل: بالشّتم [وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي] ولم تصدّقوني فلاتؤذوني فانّ ايذائي موجبٌ لعذاب اليم لكم لامدفع عنه قال ذلك رحمةً عليهم [فَاعْتَزِلُونِ فَدَعَا رَبَّهُ] بعد ما بالغ غاية جهده في نصحهم ومضى على ذلك سنون وابتلوا مراراً وكانوا كلّما ابتلوا وعدوه بارسال بني اسرائيل و ترك استعبادهم و بالايمان به ، وكلّما نجوا من العذاب نقضوا عهدهم ، فلمّا رأى انّه لاينفع فيهم النّصح ولا الابتلاء دعا ربّه [أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ] تعريض بعذابهم وهلاكهم ولذلك قال: دعا ربّه [فَأَسْرِ] يعني فأجبناه الى مسؤله واردنا اهلاكهم فقلنا له أسر [بِعِبَادِي] يعني بني اسرائيل [لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ] يتبعكم القبطيّون [وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا] اى ساكناً على هيئته الّتي عبرته ولا تضربه بعصاك حتّى ينطبق

(١)- الابين بسكون الموحدة وفتح الياء المثناة من تحت = رجل ينسب اليه عدن .

على الطّرق الّتى عبرتها اواتركه منفتحاً وسيعاً حتّى يطمع فرعون وقومه للدّخول ، وقيل : لمّا قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتّبعه فرعون و جنوده فقيل له : واترك البحر رهواً اى كما هو طريقاً يابساً ، والرّهو السّير السّهل والمكان المرتفع والمنخفض [إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّر عن علّة الحكم او عن حالهم [كَمْ تَرَكُوا] جوابٌ لسؤال آخر كأنّه قيل: فما فعل بهم؟ـ وما صار حالهم؟ـ فقال : كم تركوا [مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ] اى متمازحين آتين بظرافة الكلام او متلذّذين [كَذلِكَ] كانوا او الامر كذلك او حالكونهم ثابتين كذلك [وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ] هم بنو اسرائيل [فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ] تمثيل لعدم الاعتناء بهلاكهم فانّه مثل فى العرب والعجم لابتلاء قوم ببليّة ولم يكن اعتناء بهم و ببلائهم ، عن امير المؤمنين (ع) انّه مرّ عليه رجلٌ عدوٌّ لله و لرسوله فقال: فما بكت عليهم السّماء والارض و ما كانو منظرين ثمّ مرّ عليه الحسين (ع) ابنه فقال : لكن هذا لتبكينّ عليه السّماء و الارض ، قال : وما بكت السّماء و الارض الّا على يحيى بن زكريّا (ع) وعلى الحسين (ع) بن علىّ ، وفى خبر فما بكاؤها ؟ ـ قال : كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء ، وفى خبر : بكت السّماء على الحسين (ع) اربعين يوماً بالدّم [وَما كانُوا مُنْظَرِينَ وَلَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ] هو استعبادهم وامر القبطىّ لهم بحمل الطّين على السّلاليم مع انّهم كانوا فى القيود وقتل ابنائهم و استحياء نسائهم [مِنْ فِرْعَوْنَ] بدل نحو بدل الاشتمال [إِنَّهُ كانَ عالِياً] مستطلاً على ارض مصر [مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ] حال عن الفاعل او المفعول [عَلَى الْعالَمِينَ] على عالمى زمانهم [وَآتَيْناهُمْ مِنَ الْآياتِ] كفلق البحر و تظليل الغمام و ايتاء المنّ والسّلوى [ما فِيهِ بَلاءٌ] اى نعمة او اختبار [مُبِينٌ] او المعنى آتينا فرعون وقومه من الآيات الدّالّة على صدق موسى (ع) فى رسالته وصدقه فى ايتاء العذاب وآتينا القبطيّين والسّبطيّين من الآيات ما فيه اختبار ونعمة ظاهرة [إِنَّ هؤُلاءِ] قريشٌ بعد ذكر قصّة قوم فرعون لتهديد قريش ذكر حال قريش بنحو كونها جواباً لسؤال مقدّر [لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولى] اى ان الموتة ، او ان الفتنة ، او ان العاقبة و نهاية الامر الّا موتتنا الاولى انكاراً للمعاد [وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ] معادين مبعوثين [فَأْتُوا بِآبائِنا] الميّتين بالموتة الاولى [إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى وعد الاعادة والثّواب والعقاب، جعلوا الاعادة والبعث فى الآخرة والانتهاء عن الدّنيا فى الدّنيا، فقاسوا قياساً سقيماً ولم يدروا انّ من صار بالفعل لايمكن ان يصير بالقوّة، والاعادة فى الدّنيا لاتكون الّا بجعل ما بالفعل بالقوّة، واممّا الرّجعة الى الدّنيا الّتى ذكرت فى الاخبار بنحو الاجمال وقال بها الفقهاء رضوان الله عليهم واحياء الاموات الّذى نسب الى الاكابر فهى ليست بجعل ما بالفعل بالقوّة وانّما هى توسعة من الكامل فى وجود الميّت [أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ] تبّع اسم لملك اليمن ولايسمّى بهذا الاسم الّا من كان حميريّاً والتّبابعة جمعه وسمّى تبّعاً لكثرة اتباعه او لاتّباعه سائر ملوك اليمن ، و تبّع هذا هو الّذى سار بالجيوش وأتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها ، وقيل : بناها اوّلاً وكان اذا كتب كتب باسم الّذى ملك برّاً و بحراً وضحاً و ريحاً، وعن النّبىّ (ص) :لاتسبّوا تبّعاً فانّه كان قد اسلم ولذلك ذمّ قومه ولم يذمّه ، وقيل: قال للاوس والخزرج: كونوا ههنا حتّى يخرج هذا النّبىّ (ص) امّا أنا لو ادركته لخدمته وخرجت معه [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كقوم نوح وعاد وثمود يعنى انّهم كانوا احسن احوالاً بحسب الدّنيا منهم، كانوا

اقوى قوّة واكثر اموالاً واولاداً واطول اعماراً ومعذلك [أَهْلَكْنَاهُمْ] بكفرهم وهؤلاء اخسّ احوالاً منهم واشدّ كفراً فكيف نفعل بهم؟! [إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لٰاعِبِينَ] حتّى نكون نلعب بخلقهم ولانتعرّض بهم وثوابهم وعقابهم [مَا خَلَقْنَاهُمَا] وما بينهما [إِلَّا بِالْحَقِّ] الّذى هو الولاية المطلقة الّتى بها حقيّة كلّ ذى حقّ فاذا كان خلقهما وخلق نتائجهما بالحقّ فلاتكون تؤل الى باطل اوتصير باطلة [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] ليس لهم علم اصلاً بل كان مالهم من صورة العلم جهلاً مشابهاً للعلم ولذلك تراهم اعداء لاهل العلم اولا يعلمون انّ ذلك كذلك [إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ] اى يوم القيامة [مِيقٰاتُهُمْ أَجْمَعِينَ] فنفصل هناك بين المحقّ والمبطل والعالم والجاهل المشابه للعالم [يَوْمَ لٰا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا] اى شيئاً من الاغناء اوشيئاً من عذاب الله [وَلٰا هُمْ يُنْصَرُونَ] اى لاينصرهم بعد ابتلائهم مواليهم ولاغير الموالى [إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللّٰهُ] استثناء من مولى الاوّل اوالثّانى اومن مرفوع ينصرون ، ومن رحمه الله منحصر بمن قبل الولاية بالبيعة الخاصّة ، اومن قبل الولاية حال حضور علىّ (ع) وقت الاحتضار [إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ] تعليل لعدم اغناء الموالى وعدم النّصرة [الرَّحِيمُ] تعليل لشفاعة من رحمه الله ، عن الصّادق (ع) : والله ما استثنى الله عزّ ذكره باحد من اوصياء الانبياء (ع) ولا اتباعهم ما خلا امير المؤمنين (ع) وشيعته فقال فى كتابه وقوله الحقّ : يوم لا يغنى مولًى عن مولًى شيئاً ولاهم ينصرون الّا من رحم الله يعنى بذلك علياً (ع) وشيعته [إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعٰامُ الْأَثِيمِ] قد مرّ بيان شجرة الزّقّوم فى سورة الصّافّات [كَالْمُهْلِ] المهل اسم لجميع معدنيّات الجواهر كالفضّة والحديد ونحوهما ، والقطران الرّقيق وماذاب من صفر اوحديد ، والزّيت اودرديّه اورقيقه ، والسّمّ والقيح وصديد الميّت ، [يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ] الماء الحارّ المنتهى فى الحرارة [خُذُوهُ] جوابٌ لسؤال مقدّر ، اوحالٌ بتقدير القول اى يقال للزّبانية خذوه [فَاعْتِلُوهُ] عتله جرّه عنيفاً [إِلىٰ سَوٰاءِ الْجَحِيمِ] اى وسطها [ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذٰابِ الْحَمِيمِ] اى من الماء الحارّ غاية الحرارة واضافة العذاب للاشارة الى انّ المنظور من صبّ ذلك الماء عذابه به قائلين [ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] يعنى يقال ذلك له استهزاءً ، روى انّ اباجهل قال لرسول الله (ص) : ما بين جبليها اعزّ ولا اكرم منّى ، فيعيّر بذلك فى النّار [إِنَّ هٰذٰا مٰا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ] تشكّون اوتجادلون [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقٰامٍ أَمِينٍ] صاحبه من الشّرور والآفات [فِي جَنّٰاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ] السّندس الرّقيق من الحرير ، والاستبرق الغليظ منه [مُتَقٰابِلِينَ] فانّ التّقابل اشرف انواع المجالسة [كَذٰلِكَ] قد مضى هذا اللّفظ قبيل هذا [وَزَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ] الحوراء مؤنّث احور الابيض ، والعيناء مؤنّث اعين عظيم العينين [يَدْعُونَ فِيهٰا بِكُلِّ فٰاكِهَةٍ] يدعون كلّ انواع الفاكهة فى كلّ زمان لاختصاص بشيء منها بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان [آمِنِينَ] من الآفات والشّرور [لٰا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولىٰ وَوَقٰيهُمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] للخلاص من المكاره والفوز بما ليس فيه شوب تعب ولاخوف زوال [فَإِنَّمٰا يَسَّرْنٰاهُ] اى القرآن اوما ذكر من الجنان ونعيمها اوفضل

ولاية علىّ (ع) وقرأناها [بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ] فانتظر ماوعدناهم من العذاب [إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ]
لحلول النّقمة بك اوانّهم مثل من يرتقب امراً يرتقبون ما تذكر لهم من العذاب .

سورة الجاثية

مكّيّة كلّها ، وقيل : الّا آية : قل للّذين آمنوا يغفروا ، سبع وثلاثون آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم .

[حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتٰابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ لَآيٰاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ]
قد مضى مكرّراً انّ في خلقة كلّ من السّماوات والارض آيات عديدة من كواكب السّماء وكيفيّة حركاتها المتناسقة ومزاجها وتأثيراتها الغريبة ، ومن كون الارض بسيطة ساكنة لايغمر فيها الرّجل ، وليست بصلبة حتّى لايمكن التّصرّف فيها بالزّراعات والعمارات و اجراء القنوات وغير ذلك ، وفي ازدواج السّماوات والارض وتأثير السّماوات ومافيها في الارض وتأثّر الارض وما فيها منها ايضاً آيات ، وفي خلقة كلّ من مواليد الارض بحيث يطلب كمال نوعه ويفرّ ممّا يضرّ بذاته وكماله وبحيث يتهيّؤ له ويجتمع فيه اسباب تحصيل كماله المفقود وحفظ كماله الموجود آيات عديدة لكن كلّ ذلك آيات للمؤمنين البائعين البيعة العامّة اوالخاصّة ، اوللمذعنين المنقادين الّذين القوا السّمع لا للغافلين المعرضين [وَفِي خَلْقِكُمْ وَمٰا يَبُثُّ مِنْ دٰابَّةٍ] اى من ذى روح يكون له حركة [آيٰاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] غير الاسلوب اشعاراً بانّ من حصل له اليقين لايكون يقينه الّا في ازدياد وحصول على التّدريج فانّ صاحب اليقين هو الّذى يكون له قلبٌ وليس الّا من بايع البيعة الخاصّة واشتغل بنفسه ووجد بوجدانه آثار عمله ، ومن صار كذلك يزداد يقينه العلميّ والوجدانيّ الى ان حصل له اليقين الشّهوديّ واليقين التّحقّقيّ ، ولمّا كان آيات خلق الانسان وخلق سائر الدّوابّ بالنّسبة الى آيات السّماوات والارض اخفى منها لابدّ وان يكون للمؤمن يقينٌ بآثار ايمانه حتّى يدرك آيات خلقة الانسان خصوصاً آيات الانفس ، فانّ ادراكها لايكون الّا بعد الاشتغال بالنّفس ووجدان صفات النّفس رذائلها وخصائلها واليقين بآثار الاعمال وضرر الرّذائل ونفع الخصائل ، والّا بعد اليقين بآثار صفات الله تعالى ووجدانها في وجوده [وَاخْتِلٰافِ اللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] اى اختلاف اللّيل والنّهار الطّبيعيّين بتعاقبهما ، وبالبرودة والحرارة وبالزّيادة والنّقيصة وبالظّلمة والاضاءة ، وكذلك اختلاف عالم الطّبع وعالم المثال والسّقم والصّحّة والغمّ والسّرور وغير ذلك من مصاديق اللّيل والنّهار [وَمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ رِزْقٍ] من اسباب رزق من الامطار واشعّة الكواكب وبرودة الهواء وبرودة اللّيل وحرارة النّهار اومن رزق انسانيّ من الكمالات النّفسانيّة الّتى تنزل من سماء العقول والنّفوس ، وأتى بالرّزق منكّراً تحقيراً بالنّسبة الى الرّزق الجسمانيّ وتفخيماً بالنّسبة الى الرّزق الانسانيّ [فَأَحْيٰا بِهِ]
اى باسباب الرّزق الجسمانيّ او بنفس الرّزق الانسانيّ [الْأَرْضَ] الطّبيعيّة بتهييج القوى والعروق المكمونة فيها والارض الانسانيّة بحيوة العلم والدّين والايمان [بَعْدَ مَوْتِهٰا] بعد كونها ميتةً [وَتَصْرِيفِ الرِّيٰاحِ] وفي تصريفها بقاء المواليد وحركات السّحاب وتوسعة الامطار في البلاد ورفع العفونات عن الهواء [آيٰاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]

يدركون بعقولهم بعد اليقين او يصبرون عقلاء وصاحبى مقام العقل بعد ان كانوا موقنين وصاحبى مقام القلب ، ولخفاء دلالتها على مبدء مدبّر حكيم عليم رؤف رحيم خصّصها بالعقلاء [تِلْكَ] المذكورات [اٰيٰاتُ اللّٰهِ] الدّالة عليه او النّاشئة منه [نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ] متلبّسين اومتلبّسات بالحقّ الّذى هوالولاية المطلقة [فَبِاَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّٰهِ] بعد انكاره [وَاٰيٰاتِهِ يُؤْمِنُونَ وَيْلٌ لِكُلِّ اَفّاكٍ] كذّاب [اَثِيمٍ] بالغ فى الاثم [يَسْمَعُ اٰيٰاتِ اللّٰهِ تُتْلٰى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ] على كفره اوعلى جحوده لولاية علىّ (ع) [مُسْتَكْبِرًا كَاَنْ لَمْ يَسْمَعْهٰا فَبَشِّرْهُ بِعَذٰابٍ اَلِيمٍ وَاِذٰا عَلِمَ مِنْ اٰيٰاتِنٰا شَيْئًا] اى اذا رأى من آياتنا العظمى الّذين هم مظاهر الولاية [اتَّخَذَهٰا هُزُوًا] اى الآيات او الشّيء المرئىّ ، والتّأنيث باعتبار المعنى [اُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرٰائِهِمْ جَهَنَّمُ] اى من وراء عذابهم المهين جهنّم ، اوهو بيانٌ للعذاب المهين [وَلٰا يُغْنِى عَنْهُمْ مٰا كَسَبُوا] من الاموال و الاولاد ، اومن الاعمال الّتى فعلوها فى الاسلام ، فانّ شرط قبولها و اغنائها عن عذاب الله عدم ردّ الولاية ان كان موتهم فى زمن الرّسول (ص) ، وقبول الولاية ان كان بعد زمن الرّسول (ص) [شَيْئًا] من عذاب الله [وَلٰا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ] نفسه او من دون مظاهر الله و خلفائه [اَوْلِيٰاءَ] فى العبادة كالاصنام والكواكب ، واولياء فى الطّاعة مثل رؤساء الضّلالة [وَلَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ] تأكيد على التّأكيد [هٰذٰا] اى المذكور من الآيات اوالقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) ، اوهذا الامر من ولاية علىّ (ع) اوالاسلام وقبوله واحكامه [هُدًى] الى الايمان [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰاتِ رَبِّهِمْ] التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة وخصوصاً الآيات العظمى الّذين هم خلفاء الله فى الارض والتّدوينيّة [لَهُمْ عَذٰابٌ مِنْ رِجْزٍ اَلِيمٌ] الرّجز اشدّ العذاب [اَللّٰهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ] كلام منقطع عن سابقه وتعداد لنعمه على خلقه مشيراً الى كونها آيات قدرته كما انّ ما سبق كان تعداداً لآيات قدرته مشيراً الى كونها من نعمه [لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِاَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بجريان الفلك والتّجارات الرّابحة [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة تسخير البحر و جريان الفلك والارياح [وَسَخَّرَ لَكُمْ] اى لانتفاعكم او جعل مسخّراً لكم [مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا] فانّ السّماوات و السّماويّات مسخّراتٌ لله لانتفاع جميع الكائنات و مسخّراتٌ لبعض النّفوس الانسانيّة ، و الارض والارضيّات مسخّراتٌ لله لانتفاع الانسان ، و بعض الارضيّات مسخّراتٌ للانسان ايضاً [مِنْهُ] قرئ منه بلفظ من الجارّة و الضّمير والمعنى سخّر من قبله لامن قبلكم و من قبل اسبابكم الطّبيعيّة او المعنى ذلك رحمة منه ، و قرئ منّة بتشديد النّون والتّاء بالرّفع والنّصب [اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال المبادئ المشهودة والمعقولة واخذ النّتائج منها سواء كان المستعمل مؤمناً او موقناً او عاقلاً [قُلْ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا يَغْفِرُوا] قد سبق مكرّراً انّه تعالى للاشارة الى انّ توجّه محمّد (ص) مؤثّر فيهم بحيث يجعلهم على اوصاف الرّوحانيّين لم يأت بمقول قوله ويقتصر على لفظ قل فى جزم المضارع الآتى بعده كأنّه قال : قل ماشئت و توجّه اليهم ان تقل لهم قولاً يغفروا بدون امرك لهم بالمغفرة [لِلَّذِينَ لٰا يَرْجُونَ اَيّٰامَ اللّٰهِ] قد مرّ بيان ايّام الله فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى : وذكّرهم بايّام الله والمراد من الّذين لا يرجون ايّام الله الّذين اشتغلوا عن دينهم بدنياهم ولا يترقّبون من دينهم الّا اصلاح دنياهم ، والّذين لم يعتقدوا مبدءً اولم يعتقدوا معاداً فانّ ايّام الله عبارة عن مقامات الآخرة و درجاتها ،

ومن رجا درجات الآخرة ومقاماتها يكون ناظراً اليها متوجّهاً فى اعماله واحواله الى جهتها ، ومن لم يعتقدها اولم يكن عمله لها لم يكن راجياً لها ، والمقصود تأديب المؤمنين الّذين بايعوا البيعة الخاصّة بان لا ينظروا الى ظاهر افعالهم واحوالهم فيتركوا معاشرتهم ونصحهم ودلالتهم على خيرهم فانّهم كانوا كذلك فمن الله عليهم بالايمان و رجاء ايّام الله ، وشكر هذه النّعمة ان يرحموا عباد الله و يظهروا ما انعم الله به عليهم و يدلّوا غيرهم عليها فان الله اذا انعم على عبد احبّ ان يراها عليه ، ومن لم يظهرها كان كافراً لتلك النّعمة ، عن الصّادق(ع) انّه قال : قل للّذين منّا عليهم بمعرفتنا ان يعرفوا الّذين لا يعملون فاذا عرفوهم فقد غفروا لهم [لِيَجْزِيَ قَوْمًا] قرئ بالغيبة والبناء للفاعل ، والفاعل هو الله و بالبناء للمفعول وضمير المصدر يكون نائباً عن الفاعل ، وقرئ بالنّون [بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] قيل : يقول الله تعالى لائمّة الحقّ : لا تدعوا على ائمّة الجور حتّى يكون الله هو الّذى يعاقبهم [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا] جواب لسؤال مقدّر فى مقام التّعليل لغفرانهم [فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا] فلا حاجة للمسيء الى عقوبة اخرى منكم .

اعلم ، انّ انسانيّة الانسان تقتضى الاحسان والعمل الصّالح ، فاذا احسن الانسان كان الاحسان ملائماً له من حيث انسانيّته والواصل الى ملائمته ملتذّ بها ومنتقم بها ، فلو لم يكن له اجر آخر كان الوصول الى ملائماته كافياً له اجراً و ثواباً والحال انّ الاحسان يتجسّم له فى الآخرة بأحسن صورة و يستتبع صورة اخرى مناسبة له فالمحسن يتنعّم باحسانه ثلاث مرّات ، و اذا اساء الانسان كان الاساءة منافية لانسانيّته و غير الملائم مؤذ للانسان و ان كان تلك الاساءة ملائمة لقوّة اخرى بهيميّة اوسبعيّة اوشيطانيّة فلو لم يكن للمسيء عقوبة اخرى كان الاساءة كافية له عقوبة ، والحال انّ الاساءة تتجسّم فى الآخرة بصورة قبيحة موذية و تستتبع صورة اخرى قبيحة موذية فى الآخرة ، فالمسيء يعاقب باساءته ثلاث مرّات ، وللاشارة الى النّفع والضّرّ الحاصلين حين الاحسان والاساءة قال : من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها يعنى حين العمل يكون نفعه و ضرّه حاصلين له ، و للاشارة الى الاجر و العقوبة الاخرويّين قال تعالى : [ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ وَلَقَدْ آتَيْنَا] عطف على قوله تنزيل الكتاب من الله اوعطف على قوله الله الّذى سخّر لكم البحر و وجه المناسبة غير مخفىّ [بَنِي إِسْرَائِيلَ] يعنى بنى يعقوب [الْكِتَابَ] قد مضى مكرّراً انّ الكتاب يطلق على الولاية وآثارها ، والنّبوّة واحكامها ، والرّسالة واحكامها ، والكتاب التّدوينىّ صورة الكلّ فيجوز ان يراد بالكتاب ههنا التّوراة والرّسالة والولاية والاولى ان يراد به التّوراة اوالرّسالة [وَالْحُكْمَ] ان اريد بالكتاب التّوراة فالمراد بالحكم الحكومة بين النّاس الّتى هى لازم الرّسالة فيكون كناية عن الرّسالة ، وان اريد به الرّسالة فالمراد بالحكم الحكمة الّتى هى عبارة عن اللّطف فى العلم والعمل الّذى هو من آثار الولاية [وَالنُّبُوَّةَ] بحيث قيل : انّه كان فيهم الف نبىّ (ع) [وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] بحسب مقامهم الحيوانىّ من المأكول والمشروب والملبوس والمسكون والمركوب ، و بحسب مقامهم الانسانىّ ممّا كان يرد عليهم من الغيب من العلوم والوجدانات والمشاهدات [وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ] بواسطة ايتاء ذلك لهم والمراد بالعالمين اهل زمانهم و الّا فامّة محمّد (ص) كانوا افضل منهم [وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ] المراد بالبيّنات المعجزات او احكام الرّسالة اواحكام النّبوّة او دلائل امر الرّسالة اوالنّبوّة اوالولاية ، والمراد بالامر المذكورات ، اوعالم الامر ، اوامر الله ، و من للابتداء ، اوللتّبعيض ، او للتّعليل وهذا تعريض بامّة محمّد (ص) كأنّه تعالى قال : فتنبّهوا يا امّة محمّد (ص) فانّا آتيناكم الكتاب والحكم والنّبوّة و رزقناكم من الطّيّبات وفضّلناكم على العالمين وآتيناكم بيّنات من الامر فلا تختلفوا حين حياة محمّد (ص) ولا بعد مماته مثل بنى اسرائيل فتستحقّوا عقوبتى مثلهم [فَمَا اخْتَلَفُوا] بالرّدّ والقبول [إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

الْعِلْمُ بَغْيًا] ظلماً او استكباراً [بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الولاية والخلافة ، او من مطلق امر الدّين [ثُمَّ جَعَلْنٰاكَ] يعنى بعد بنى اسرائيل جعلناك [عَلٰى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ] اى امر الرّسالة والنّبوّة والولاية يعنى انّا آتينا بنى اسرائيل الرّسالة والنّبوّة والولاية وجعلناك بعدهم على جادّة الطّرق و سوائها تفضيلاً لكَ عليهم بجعلك على الشّريعة الّتى هى مشرع كلّ الامم وكلّ الطّرق [فَاتَّبِعْهٰا وَلٰا تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَ الَّذِينَ لٰا يَعْلَمُونَ] فى خصوص الولاية ، اوفى مطلق ما آتيناك من امر الدّين [إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا] اى من عذابه شيئاً [وَإِنَّ الظّٰالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] فلا تتّخذ منهم ولياً حتّى تصير ظالماً ، وهذه كلّها تعريض بامّته (ص) واشارة الى اختلافهم فى امر الولاية [وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ] عن الرّأى واتّباع النّفس ، وقد سبق مكرّراً انّ المتّقى ليس الّا شيعة علىّ بن ابى طالب (ع) [هٰذٰا] المذكور من اوّل السّورة او هذا القرآن او قرآن ولاية علىّ او علىّ (ع) [بَصٰائِرُ] ما يتبصّر به لكن لمّا لم يكن بدون الولاية يحصل بصيرة لاحد كان المراد به الولاية [لِلنّٰاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئٰاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ] فى المنزلة والمقام [كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] المراد بالايمان ههنا البيعة الخاصّة ، اوالحال الحاصلة بالبيعة الخاصّة اوالبيعة العامّة اوالحال الحاصلة بالبيعة العامّة ، وعلى هذا يكون المراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة [سَوٰاءً مَحْيٰاهُمْ وَمَمٰاتُهُمْ] الضّمير ان لمجترحى السّيّئات يعنى حالكونهم لا ننظر اليهم والى اعمالهم ومجازاتها او للفريقين والمعنى واضح [سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللّٰهُ] جملة حالية يعنى والحال انّ الله خلق [السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] ولازم خلقتهما بالحقّ ان لا يكون شيء فيهما لغواً [وَلِتُجْزىٰ] اى خلق لتجزى [كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ] بنفس ما كسبت او بجزاء ما كسبت [وَهُمْ لٰا يُظْلَمُونَ] فى ذلك لانّ الجزاء نتيجة اعمالهم فاذا كان الامر فى هذا المنوال فكيف يهملهم ولا يحيبهم فى الآخرة [أَفَرَأَيْتَ] استفهام فى معنى الامر و يستفاد منه التّعجيب ايضاً والمعنى فانظر [مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ] قد مرّ فى سورة الفرقان بيان هذه الآية عند قوله ارأيت من اتّخذ الٰهه هواه والخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد (ص) ، قيل : نزلت فى قريش كلّما هووا شيئاً عبدوه والحقّ انّ الآية جارية فى من غصبوا حقّ علىّ (ع) بعد محمّد (ص) واتّخذوا اماماً بأهوائهم [وَأَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ] اى حالكون الله على علم باستعداده واستحقاقه للضّلال ، اوحالكون الضّالّ على علم برشده وهداه ، اوحالكونه كان على نور العلم فأضلّه الله بعد كونه على نور العلم كمن آتاه آياته فانسلخ منها فصار من الغاوين [وَخَتَمَ] الله [عَلىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشٰاوَةً] قد مرّ فى اوّل البقرة بيان الختم على السّمع والقلب وغشاوة البصر [فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ] اى من بعد اضلاله وعدم هدايته [أَفَلٰا تَذَكَّرُونَ] ان ليس الجاهل كالعالم ولا الفاسق كالمؤمن وان لا هادى بعد الله و اضلاله [وَقٰالُوا مٰا هِيَ] اى ما الحيوة [إِلّٰا حَيٰاتُنَا الدُّنْيٰا نَمُوتُ وَنَحْيىٰ] اى يموت بعضنا و يحيى بعض آخر ، او المعنى على التّقديم والتّأخير اى نحيى ونموت [وَمٰا يُهْلِكُنٰا إِلَّا الدَّهْرُ] الدّهريّون والطّبيعيّون يقولون : انّ مرور الزّمان يفنينا و يفنى كلّ كائن بتفاوت الانواع والاشخاص ان لم يقطعه عن بقائه الطّبيعىّ قاطع [وَمٰا لَهُمْ بِذٰلِكَ

مِنْ عِلْمٍ] يعنى انّ قولهم هذا باطل اصلاً وهم ملومون عليه لبطلانه، وهم ملومون ايضاً على التفوّه بما ليس لهم به علم [إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] والقول بالظنّ والشكّ قبيح وصاحبه ملوم ، فالويل ثمّ الويل لمن قال بالظنّ والقياس من غير اذن واجازة من الله ! . ثمّ قال : هذا من عند الله وهو حكم الله فى حقّى وحقّ مقلّدى ! وقد سبق منّا مكرّراً انّ الاذن والاجازة الصّحيحة يجعل الظنّ قائماً مقام العلم بل يجعله اشرف من العلم كما شوهد من اجازات القلندريّة وتأثير المنطريّات مغلوطة بعد الاجازة ، وعدم تأثيرها صحيحة بدون الاجازة ، قيل: انّ هذا ظنّ شكّ ونزلت هذه الآية فى الدّهريّة وجرت فى الّذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله (ص) بأمير المؤمنين (ع) واهل بيته وانّما كان ايمانهم اقراراً بلا تصديق خوفاً من السّيف ورغبة فى المال ، وعن النّبىّ (ص) انّه قال: لا تسبّوا الدّهر فانّ الله هو الدّهر، يعنى انّ الله هو الدّهر الّذى ينسبون الحوادث اليه ويسبّونه لاحداث الحوادث الغير الملائمة [وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ] واضحات الدّلالات اوموضحات لصدق الآتى بها وموضحات لحالهم الّتى هم عليها [ما كانَ حُجَّتَهُمْ] فى المعارضة مع الرّسول وفى انكار تلك الآيات [إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] يعنى علّقوا علامة صدقهم على الاتيان بالمحال بحسب العادة [قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ] يعنى قل الاتيان بآبائكم فعل الله كما انّ اماتتهم كان فعله ، ويفعل هذا الفعل ويأتى بآبائكم فى يوم القيامة [لا رَيْبَ فِيهِ] قد مضى فى اوّل البقرة معنى عدم الرّيب فى الكتاب وفى القيامة [وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ] ذلك لعدم تفكّرهم فى المغيبات وقصور نظرهم على المحسوسات والّا فهم يشاهدون عالم الآخرة فى المنام، والنّوم انموذج الموت فليعلموا ان ليس خروج النّفس عن البدن بالموت الّا مثل خروجها عنه بالنّوم فكما كان يبقى بعد النّوم فى عالم آخر فكذا بعد الموت [وَلِلّهِ] لا لغيره [مُلْكُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ] وما فيهما فلا يقدر احدٌ غيره على ايتاء الاموات [وَيَوْمَ تَقُومُ] عطف على محذوف اى فى الدّنيا ويوم تقوم [السّاعَةُ] او ظرف ليخسر ويكون قوله [يَوْمَئِذٍ] تأكيداً له [يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرى كُلَّ أُمَّةٍ] الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّد (ص) واذا كان عاماً فالرّؤية مقيّدة بيوم القيامة وان كان خاصاً فالمعنى ترى فى الحال الحاضرة فانّه يرى فى الدّنيا مايراه غيره فى القيامة [جاثِيَةً] جثى كدعا ورمى جلس على ركبتيه ، اوقام على اطراف اصابعه [كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِها] صحيفة اعمالها [اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] نفس ماكنتم تعملون اوجزاءه [هذا كِتابُنا] بتقدير القول حالاً اومستأنفاً [يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ] فانّ الكتاب الاخروىّ حىٌّ ناطق كما انّ الاعضاء فى الآخرة تنطق ، او المراد يشهد عليكم بما فيه من ثبت اعمالكم [إِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وسئل الصّادق (ع) عن هذه الآية فقال: انّ الكتاب لم ينطق ولن ينطق ولكن رسول الله (ص) هو النّاطق بالكتاب قال الله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ فقيل: انّا لا نقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد (ص) ولكنّه ممّا حرّف من كتاب الله ولعلّه (ع) قرئ ينطق مبنيّاً للمفعول، وسئل ايضاً عن: ن والقلم، قال انّ الله خلق القلم من شجرة فى الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهر فى الجنّة : كن مداداً فجمد النّهر وكان اشدّ بياضاً من الثّلج واحلى من الشّهد، ثمّ قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ ما اكتب ؟ـ قال: اكتب ماكان وما هو كائن الى يوم القيامة ، فكتب القلم فى رقّ اشدّ بياضاً من الفضّة واصفى من الياقوت ، ثمّ طواه فجعله فى ركن العرش ثمّ ختم على فمّ القلم فلم ينطق ولا ينطق ابداً فهو الكتاب المكنون الّذى منه النّسخ، اولستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام ؟! واحدكم يقول لصاحبه : انسخ ذلك الكتاب، اوليس انّما

ينسخ من كتاب آخر من الاصل وهو قوله : انّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] واصلها البيعة الخاصّة الولويّة [فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ] التى هى الولاية [ذَٰلِكَ] الدّخول فى الولاية [هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ] اى يقال لهم احملتم فلم تكن [آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ] عن الانقياد لها و اتّباعها حتّى استكبرتم عن الآيات العظمى و الولاية الكبرى [وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ] بسبب مخالفتكم لولىّ امركم [وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ] بالعذاب و الثّواب [حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ] التفاتٌ من الخطاب الى الغيبة [سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا] حيث رأوا مقام ولىّ امرهم وخساسة اونيائهم الظّلمة [وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى القول او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن .

[الجزء السّادس والعشرون]

[وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا] اى نترككم كما نسيتم هذا اليوم او تركتم العُدّة له [وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ] التّدوينيّة من الكتب السّماويّة والاحكام النّبويّة والآيات الآفاقيّة الجزئيّة والانفسيّة والآيات العظمى الّذين هم الانبياء والاولياء (ع) [هُزُوًا] مايستهزء به، قيل: هم الائمّة كذّبوهم واستهزؤابهم [وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] فحسبتم انّكم خالدون فيها [فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا] بسبب الاستهزاء بالآيات [وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] لا يسترضون، وقيل: لا يجاوبون ولا يقبلهم الله [فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] بدل من ربّ السّماوات و ربّ الارض بعدما اشار الى ربوبيّته للسّماوات والارضين بالالتزام وكانت تلك الرّبوبيّة مستلزمة لمحموديّته على الاطلاق صرّح بهما بطريق الاستنتاج [وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] اذ الرّبوبيّة لهما مستلزمة للكبرياء فيهما [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لا يغلب [الْحَكِيمُ] فى علمه و عمله .

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكّيّة كلّها ؛ وقيل : الّا آية : قل أرأيتم ان كان من عند الله ؛ فانّها نزلت بالمدينة فى عبد الله بن سلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ] اى سماوات عالم الطّبع و سماوات عالم الارواح فى الكبير والصّغير [وَالْأَرْضَ] بالتّعميم المذكور [وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ] المخلوق به [وَأَجَلٍ مُسَمًّى] لسماوات العالم الصّغير و ارضه وكذا سماوات العالم الكبير و ارضه فانّ لها ايضاً اجلاً و امداً الى اوّل عالم البرزخ [وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ] لحسبانهم انّا خلقناهم عبثاً ولغواً ، و ما انذروا عبارة عمّا يلحقهم من العقوبة على ترك المتابعة و ترك الولاية، واعراضهم عنه عبارة عن عدم التفاتهم اليه وعدم تدبّرهم

لدفعه [قُلْ] للمشركين بالله وللمشركين بالولاية [أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ] من الاصنام والكواكب والاهواء والشّياطين والملائكة او ما تدعون من دون خلفاء الله او من دون اذن الله من رؤساء الضّلالة [أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰاتِ] اى فى خلق السّماوات يعنى لا شركة لهم فى خلق شيء من اجزاء الارض ولا فى شيء من اجزاء السّماوات حتّى يستحقّوا به العبادة [ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا] بدل من أروني نحو بدل الاشتمال اى أروني ماذا خلقوا أروني كتاباً فيه ثبت شركتهم فى خلق الارض هو على سبيل التّنزّل ان لم يكن لكم دليل عقلىّ فأتونى بدليل نقلىّ من كتاب سماوىّ اوغيرسماوىّ يمكن تقليده [أَوْ أَثٰارَةٍ مِنْ عِلْمٍ] الأثارة نقل الحديث وروايته يعنى ائتونى بكتاب يمكن الاعتماد عليه فيه جواز اشراك الشّركاء ، او ائتونى بحديث منقول ناش من علم وفسّر ببقيّة من علم من السّابقين يجوز الاعتماد عليه والتّقليد له [إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] يعنى انّ مثل هذا لايجوز القول به ولا الاعتقاد به الّا اذا كان دليل عقلىّ يدلّ على صحّته وصحّة القول به ، وان لم يكن لكم دليل عقلىّ فلا اقلّ من ان يكون لكم دليل نقلىّ يجوز التّعويل عليه والتّقليد له من كتاب اونقل ، وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية فقال: عنى بالكتاب التّوراة والانجيل ، واما أثارة من العلم فانّما عنى بذلك علم اوصياء الانبياء (ع) و بعد ما اظهر عجزهم عن الاتيان بدليل عقلىّ او نقلىّ أتى بالدّليل العقلىّ والنّقلىّ على بطلان قولهم فقال: [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لٰا يَسْتَجِيبُ لَهُ] لوسمع دعاءهم فضلاً عن مراعاة مصالحهم والاطّلاع على سرائرهم [إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ] يعنى انّهم ما داموا فى الدّنيا لايسمعون دعاءهم ولو سمعوا ما استجابوا ، ولو اجابوا ما قدروا على اصلاحهم ولكنّهم فى يوم القيامة يسمعون نداءهم ويجيبون لهم بانكار عبادتهم [وَهُمْ عَنْ دُعٰائِهِمْ غٰافِلُونَ] فضلاً عن سماعه واجابتهم، وهذا دليل عقلىّ يدلّ على عدم جواز دعوتهم [وَإِذَا حُشِرَ النّٰاسُ كٰانُوا لَهُمْ أَعْدٰاءً وَكٰانُوا بِعِبٰادَتِهِمْ كٰافِرِينَ] وهذا دليل نقلىّ منقول من الانبياء والاوصياء (ع) مثبت فى الكتب السّماويّة وفى غيرها [وَإِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ] واضحات الدّلالات او موضحات [قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ] اى قالوا للآيات بعد ما ظهر حقّيّتها ولذلك وضع الظّاهر موضع المضمر [هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ] ظاهر السّحريّة والبطلان [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ] ولمّا كان السّحر له شأن ووقع فى القلوب اضرب عن هذا القول وقال : بل يقولون افتراه [قُلْ] فى جوابهم [إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلٰا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً] يعنى ان افتريته فلا تدفعوا عنّى شيئاً من عذاب الله ولا تتحمّلوا شيئاً من اوزارى لانّكم لاتملكون لى من الله شيئاً من عذابه حتّى تدفعوه عنّى ، اوان افتريته لم اكن بعاقل واكن سفيهاً، لانّ الافتراء لايكون الّا تعرّضاً لسخط الله، وان اتعرّض لسخط الله لان اكون مقبولاً عندكم كنت سفيهاً، لانّ المقبوليّة عندكم لاتنفعنى لانّكم لاتملكون لى من الله شيئاً من رفع عذابه ، و بعد ابطال الافتراء هدّدهم بهذا الافتراء وقال [هُوَ أَعْلَمُ بِمٰا تُفِيضُونَ] اى تندفعون [فِيهِ] من القول بانّ القرآن سحر او افتراء [كَفىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] تهديد آخرلهم [وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] جمع بين التّهديد والارجاء كما هو شأن النّاصح الكامل [قُلْ] لهم لم تستغربون رسالتى وقد كنت مثل سائر الرّسل و [مٰا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ] اى من بينهم اوحالكونى بعضاً منهم وقد كان الرّسل بشراً مثلى وكانوا يأكلون و يشربون

و ينكحون و يمشون فى الاسواق و قد كانوا يأتون بالاحكام من الله و يدعون الى التوحيد [وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ] بحسب اقتضاء بشريتى فما لكم تطالبونى بعلم الغيب [إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ] لا أتجاوزه الى ما تشتهون او اشتهى [وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ] بحسب رسالتى لاشأن لى سوى الانذار وان كنت بحسب ولايتى هادياً لكم وقادراً على ما لاتقتدرون عليه وعالماً بما لاتعلمون [مُبِينٌ] ظاهر الانذار، وظاهر الصدق اوموضح [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] اخبرونى [إِنْ كَانَ] القرآن او قرآن ولاية علىّ (ع) او الوحى الىّ او هذا الذى ادّعيه من الرّسالة او ولاية علىّ (ع) [مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ] قيل: هو عبدالله بن سلام كان من علمائهم واسلم، وقيل: المراد بالشاهد موسى (ع) بما اثبته فى التوراة [عَلَى مِثْلِهِ] لم يقل عليه لان شاهد بنى اسرائيل ماشهدان محمداً (ص) رسول و ان هذا القرآن كتابه وان علياً (ع) وصيّه بل شهدان النبىّ (ص) الموعود يكون شمائله كذا، ودعوته الى كذا، وكتابه كذا، و وصيّه يكون ختنه وابن عمّه [فَآمَنَ] الشاهد [وَاسْتَكْبَرْتُمْ] انتم من الايمان به، وجواب الشرط محذوف اى افلم تكونوا ظالمين اوافلم تؤاخذوا [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] تعليل للجواب المحذوف و دليل عليه، اوهو جواب بتقدير الفاء [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله و برسوله او بالولاية [لِلَّذِينَ آمَنُوا] فى حقهم [لَوْ كَانَ] الرّسول او القرآن اوهذا الامر من الرّسالة او الولاية [خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ] لان نظرهم كان الى الدّنيا ولم يكونوا يعلمون خيراً الا مايعدّ فى الانظار الحسيّة من الخير، و كان المؤمنون اراذل النّاس واسوءهم حالاً فى نظرهم فقاسوا امر الآخرة على امر الدّنيا وقالوا هؤلاء اسوء حالاً منّا فلو كان قبول الرّسالة اوالولاية خيراً لكنّا اولى منهم [وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى] جملة حاليّة فى مقام الرّد عليهم يعنى يقولون هذا كذبٌ سبق امثاله والحال ان من قبله كتاب موسى وهم يعترفون به وهو شاهد على صدقه حال كون كتاب موسى (ع) [إِمَامًا] يؤمّ كلّهم بل كلّ النّاس [وَرَحْمَةً] سبب رحمة [وَهَذَا كِتَابٌ] ليس منافياً مخالفاً له حتى يقرّوا بكتاب موسى و ينكروه [مُصَدِّقٌ] لكتاب موسى (ع) [لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ] وهذا الانذار وتلك البُشرى دليل صدقه [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا] قد مضى الآية و بيانها فى سورة السّجدة و هذه ردّ على ما قالوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه و ابطال لقياسهم الفاسد [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى فى سورة البقرة بيان اختلاف هاتين الفقرتين [أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا] جملة منقطعة عمّا سبق بيان لحال اشخاص اوشخص مخصوص لكنّه أتى باداة العطف ايهاماً لاتّصالها بسابقها كأنّه قال: ان الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا على ما وصّيناهم و امرناهم و وصّينا الانسان بوالديه احساناً [حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا] لمّا اراد المبالغة فى التّوصية فى حقّ الام ذكر ما تتحمّله الام من المشاقّ على الولد [حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ] قد سبق ذكر الاشدّ فى سورة الانعام وسورة يوسف وغيرهما، وذكر بيانٌ له هناك [وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ] يعنى ينبغى ان يقول على ان تكون الآية عامّة او يقول لامحالة على ان يكون الآية خاصّة بالحسين (ع) كما فى اخبارنا [رَبِّ أَوْزِعْنِي] ألهمنى او أولعنى [أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلٰى وٰالِدَيَّ] هذه الكلمة تدلّ على انّ الآية خاصّة بالحسين (ع) [وَاَنْ اَعْمَلَ صٰالِحًا تَرْضٰيهُ وَاَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي] ورد في خبر انّه لو لم يقل في ذرّيّتي لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّة [اِنِّي تُبْتُ اِلَيْكَ] عمّا يشغلني عنك [وَاِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] المخلصين اوالمنقادين [اُولٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ اَحْسَنَ مٰا عَمِلُوا] أتى بالجمع ايهاماً لتعميم الآية [وَنَتَجٰاوَزُ عَنْ سَيِّئٰاتِهِمْ فِي اَصْحٰابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ] وعدنا وعد الصّدق [الَّذِي كٰانُوا يُوعَدُونَ] قال الصّادق (ع): لمّا حملت فاطمة (ع) بالحسين (ع) جاء جبرئيل الى رسول الله (ص) فقال: انّ فاطمة ستلد غلاماً تقتله امّتك من بعدك فلمّا حملت فاطمة (ع) بالحسين (ع) كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه ثمّ قال: لم تُر في الدّنيا امّ تلد غلاماً تكرهه و لكنّها كرهته لما علمت انّه سيقتل، قال: وفيه نزلت هذه الآية، وفي رواية اخرى: ثمّ هبط جبرئيل (ع) فقال: يا محمّد (ص) انّ ربّك يقرؤك السّلام ويبشّرك بانّه جاعل في ذرّيّته الامامة والولاية والوصيّة فقال: انّى رضيت ثمّ بشّر فاطمة (ع) فرضيت قال: فلولا انّه قال: اصلح لي في ذرّيّتي لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّة، قال: ولم يرضع الحسين (ع) من فاطمة (ع) ولا من انثى، كان يؤتى به النّبيّ (ص) فيضع ابهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين و الثّلاث فنبت لحم الحسين (ع) من لحم رسول الله (ص) ودمه من دمه، ولم يولد لستّة اشهر الّا عيسى بن مريم (ع) والحسين، وفي نزول الآية في الحسين (ع) قريباً بهذا المضمون اخبار اُخر [وَالَّذِي قٰالَ] عطف على الانسان او بتقدير اذكر، وعطف باعتبار المعنى كأنّه قال: اذكر الّذي قال بعد بلوغ الاربعين ربّ اوزعني واذكر الّذي قال [لِوٰالِدَيْهِ اُفٍّ لَكُمٰا] هذه اسم صوت وكلمة تضجّر يعني اذكر حتّى يظهر بمقابلة هذا لذلك حسن الاوّل وقبح الثّاني، اومبتدء وخبره اولئك والجملة معطوفة [اَتَعِدٰانِنِي اَنْ اُخْرَجَ] من قبري حيّاً [وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ] الامم الماضية [مِنْ قَبْلِي] ولم يرجع احدٌ منهم ولم يخرج من قبره حيّاً [وَهُمٰا يَسْتَغِيثٰانِ اللّٰهَ وَيْلَكَ] هي وَي ولكَ ووَي كلمة تعجّب كأنّه قال: تعجّب لكَ، اوهي الويل المضاف الى الكاف والمعنى الزم ويلكَ، اوهي مخفّفة ويل ولكَ والمعنى ويل لكَ [اٰمِنْ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مٰا هٰذٰا اِلّٰا اَسٰاطِيرُ الْاَوَّلِينَ] قد مضى هذه الكلمة في الانعام والانفال والنّحل وغيرها مع بيانها، قال القمّيّ: نزلت في عبدالرّحمن بن ابي بكر [اُولٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بانّهم اهل النّار [فِي اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اِنَّهُمْ كٰانُوا خٰاسِرِينَ وَلِكُلٍّ] من الفريقين اولكلّ فردٍ من افراد الفريقين [دَرَجٰاتٌ] ناشئة [مِمّٰا عَمِلُوا]، اولاجل ما عملوا، اوهي عبارة من جزاء ما عملوا، اومن نفس ما عملوا على تجسّم الاعمال، والمراد بالدّرجات اعمّ من الدّركات [وَلِيُوَفِّيَهُمْ] قرئ بالغيبة والتّكلّم وهو عطف على محذوف اي ليجزيهم بأعمالهم وليوفّيهم [اَعْمٰالَهُمْ] بانفسها او بجزائها [وَهُمْ لٰا يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا] عطف على محذوف اي ليوفّيهم في الدّنيا اويوم البرزخ اولا يظلمون في الدّنيا اويوم البرزخ ويوم يعرضون او متعلّق بيقال محذوفاً، والتّقدير: يوم يعرض الّذين كفروا [عَلَى النّٰارِ] يقال لهم [اَذْهَبْتُمْ طَيِّبٰاتِكُمْ] اي جهاتكم الا لهيّة الّتي هي اطيب من كلّ طيّب [فِي حَيٰوتِكُمُ الدُّنْيٰا] بالاشتغال بالدّنيا واتّباع الاهواء حتّى تمكّن منكم الشّيطان، ومن تمكّن منه الشّيطان فرّ منه جهاته الالهيّة [وَاسْتَمْتَعْتُمْ

بِهٰا] اى فيها او بسببها [فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ] عذاباً يكون سبباً للهوان فيكون مضاعفاً لانّه يكون عذاب الجسم والنّفس [بِمٰا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمٰا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ] والمراد بالاستكبار الظّهور بالانانيّة وتحقير الخلق ، وبالفسق الخروج من طاعة من ينبغى ان يطاع [وَاذْكُرْ أَخٰا عٰادٍ] اى اخا قبيلة عاد وهو هود (ع) والجملة معطوفة باعتبار المعنى كأنّه قال : اذكر الّذى حملته امّه كرهاً ، واذكر الّذى قال لوالديه : افّ واذكر اخا عاد [إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقٰافِ] جمع الحقف بالكسر وهو الرّمل المستطيل المرتفع المشرف ، او الرّمل العظيم المستدير او المعوجّ ، والاحقاف اسم لبلاد قوم هود وقد اختلف فى تعيينها ، قال القمّىّ : هى من التّشقوق الى الاجفر وهى اربعة منازل ، وفى المجمع : هو واد بين عمان ومهرة ، وقيل : رمال فيما بين عمان الى حضرموت ، وقيل : رمال مشرفة على البحر بالشّجر من اليمن ، وقيل : ارض خلالها رمال [وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ] اى الرّسل [مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ] اى قبله وبعده [أَلّٰا تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ إِنِّي أَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] مقداره او بلاؤه [قٰالُوا أَجِئْتَنٰا لِتَأْفِكَنٰا] لتصرفنا [عَنْ آلِهَتِنٰا فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا] من العذاب من الله [إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ] فى ادّعاء الرّسالة والوحى اليك وتوعيد العذاب [قٰالَ] النّذير او هودٌ [إِنَّمَا الْعِلْمُ] بوقت العذاب [عِنْدَ اللّٰهِ] لا علم لى بوقته حتّى اخبركم به او اعاجلكم به ، وهو كناية عن كون العذاب بقدرة الله لا بقدرته بحسب رسالته [وَأُبَلِّغُكُمْ مٰا أُرْسِلْتُ بِهِ] وهذه وامثالها خروج عن الانانيّة واظهار للعجز عن التّصرّف فى ملك الله وعباده وهو شيمة الانبياء والاولياء (ع) [وَلٰكِنِّي أَرٰيكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ] تغمرون فى الجهل او تتّصفون بالجهل او تجهلون انّ الرّسل يعثوا بالرّحمة لا بالعذاب ولذلك يتوعّدون ويتأنّون فيما يتوعّدون [فَلَمّٰا رَأَوْهُ] رأوا الموعود [عٰارِضاً] سحاباً عارضاً فى الافق [مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قٰالُوا هٰذٰا عٰارِضٌ مُمْطِرُنٰا] قال الملائكة او هودٌ او الله [بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ] من العذاب [رِيحٌ] بدل من ما [فِيهٰا عَذٰابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ] التّدمير المبالغة فى الاهلاك [كُلَّ شَيْءٍ] من الانفس والاموال [بِأَمْرِ رَبِّهٰا فَأَصْبَحُوا لٰا يُرىٰ إِلّٰا مَسٰاكِنُهُمْ] قرئ بالتّاء الفوقانيّة مبنيّاً للفاعل ، او المفعول ، وبالياء التّحتانيّة مبنيّاً للمفعول ، ومساكنهم على حسبه والمعنى لا ترى الّا سكونهم او محلّ سكناهم [كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ] قد مضى قصّتهم فى سورة الاعراف وسورة هودٍ [وَلَقَدْ مَكَّنّٰاهُمْ فِيمٰا إِنْ مَكَّنّٰاكُمْ فِيهِ] ان نافية او شرطيّة محذوفة الجواب [وَجَعَلْنٰا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصٰاراً وَأَفْئِدَةً] كما جعلنا لكم ذلك [فَمٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلٰا أَبْصٰارُهُمْ وَلٰا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ] من عذاب الله او من شيء من الاغناء فلا تغترّوا انتم بسمعكم وابصاركم وافئدتكم ودقّة تدبيركم بها [إِذْ كٰانُوا يَجْحَدُونَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ] كما كنتم تجحدون بها [وَحٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى وزر القول والعمل الّذى كانوا به يستهزؤن او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن [وَلَقَدْ أَهْلَكْنٰا مٰا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرىٰ] كقرى ثمود وقوم لوط وشعيب [وَصَرَّفْنَا الْآيٰاتِ] القوليّة والكتبيّة فى الفاظ ونقوش مختلفة والآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة فى ازمان مختلفة وامكنة متعدّدة وصور مختلفة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُرْبٰاناً آلِهَةً] اى آلهتهم الّتى متقرّبون بها الى الله ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنى ان كان هؤلاء الا لهة شفعاءكم وينصرونكم

عن عذاب الله فلو لا نصر السّابقين الّذين حلّ بهم العذاب آلهتهم [بَلْ ظَلُّوا عَنْهُمْ] ولم يثبتوا معهم [وَذٰلِكَ] الاتّخاذ [إِفْكُهُمْ] وصرفهم عن طريق الحقّ [وَمٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] ما موصولة وعطف على افكهم او استفهاميّة او نافية بتقدير الاستفهام [وَإِذْ صَرَفْنٰا] واذكر او اذكر قومك اذ صرفنا [إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ] والمعنى صرّفناهم اليك من محالّهم بالتّوفيق، وقيل: صرّفناهم اليك عن استراق السّمع من السّماء برجوم الشّهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا منه فقالوا: ما هذا الّذى حدث فى السّماء الّا من اجل شيء قد حدث فى الارض فضربوا فى الارض حتّى وقفوا على النّبيّ (ص) وهو يصلّى الفجر فاستمعوا القرآن [يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمّٰا حَضَرُوهُ] اى النّبيّ (ص) او القرآن [قٰالُوا] بعضهم لبعض [أَنْصِتُوا] نستمع قراءته بلا مانع [فَلَمّٰا قُضِيَ] فرغ منه [وَلَّوْا إِلىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قٰالُوا] بدل من منذرين او حال او مستأنف جواب لسؤال مقدّر [يٰا قَوْمَنٰا إِنّٰا سَمِعْنٰا كِتٰابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقًا لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب [يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ] المراد بالحقّ احكام الملّة و بالطّريق المستقيم الولاية او بالعكس، او المراد بهما هى الولاية من قبيل عطف اوصاف متعدّدة لشيء واحد.

نقل انّه لمّا توفّى ابوطالب اشتدّ البلاء على رسول الله (ص) فعمد ليقف بالطّائف رجاء ان يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم اخوة فعرض عليهم نفسه، فقال احدهم: انا اسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قطّ، وقال الآخر: اعجز على الله ان يرسل غيرك ؟- وقال الآخر: والله لا اكلّمك بعد مجلسك هذا ابداً، فلئن كنت رسولاً كما تقول فأنت اعظم خطراً من ان يُردّ عليك الكلام وان تكذب على الله فما ينبغى لى ان اكلّمك، وتهزّؤا به وافشوا فى قومه ما راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله (ص) بين صفّيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما الّا رضخوهما بالحجارة حتّى ادموا رجليه، فخلص منهم وهما يسيلان دماً الى حائط من حوائطهم واستظلّ فى ظلّ منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دماً، فاذا فى الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلمّا رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله، فلمّا رأياه ارسلا اليه غلاماً لهما يُدعى عداس معه عنب وهو نصرانىّ من اهل نينوى فلمّا جاءه قال له رسول الله (ص): من اىّ ارض انت ؟- قال: من اهل نينوى، قال: من مدينة العبد الصّالح يونس بن متّى ؟- فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متّى ؟- فقال: انا رسول الله (ص)، والله تعالى اخبرنى خبر يونس بن متّى، فلمّا اخبره بما أوحى الله اليه من شأن يونس خرّ عداس ساجداً لرسول الله (ص) وجعل يقبّل قدميه وهما يسيلان الدّماء، فلمّا بصّر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلمّا أتاهما قالا: ما شأنك سجدت لمحمّد (ص) وقبّلت قدميه ؟- ولم تُرَك فعلت ذلك باحد منّا ؟- قال: هذا رجل صالح اخبرنى بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يُدعى يونس بن متّى فضحكا وقالا: لا يفتنّك عن نصرانيّتك فانّه رجل خدّاع، فرجع رسول الله (ص) الى مكّة حتّى اذا كان بنخلة قام فى جوف اللّيل يصلّى فمرّ به نفر من جنّ اهل نصيبين من اليمن، فوجدوه يصلّى صلوة الغداء و يتلو القرآن فاستمعوا له، وروى غير ذلك فى قصّة صرف الجنّ اليه، من اراد فليرجع الى المفصّلات [يٰا قَوْمَنٰا أَجِيبُوا دٰاعِيَ اللّٰهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ] الله او الدّاعى [لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لٰا يُجِبْ دٰاعِيَ اللّٰهِ] ابتداء كلام من الله تعالى او جزء كلام النّفر من الجنّ [فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءُ أُولٰئِكَ فِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا] هذا ايضاً امّا ابتداء كلام من الله او جزء كلام الجنّ [أَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقٰادِرٍ عَلٰى اَنْ يُحْيِىَ الْمَوْتٰى بَلٰى اِنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّٰارِ] عطف على اذصر فناعطف المفرد، اومقدّر باذكر، اومتعلّق بيقال المقدّر، اوبقالوا، وعطف نحوعطف الجملة [اَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ] مقدّر بالقول [قٰالُوا بَلٰى وَرَبِّنٰا قٰالَ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بالله او بالرّسول او بالآخرة او بالولاية فاذا كان أمر هؤلاء على ماذكر [فَاصْبِرْ] ولاتجزع على أذاهم ولا تستعجل عذابهم [كَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] المشهور من اخبارنا انّ اولى العزم من الرّسل خمسة ، نوح وابراهيم وموسى وعيسى (ع) ومحمّد (ص) وسمّوا اولى العزم لانّ شريعتهم كانت ناسخةً لما سبق من الشّرائع وكانت حتماً على كلّ الخلائق بخلاف سائرالانبياء (ع) فانّ شريعتهم كانت شريعة من سبقهم، وكانت في قومٍ دون قومٍ ،وعلى هذا يكون من في قوله تعالى من الرّسل للتّبعيض ، وقيل : جميع الرّسل كانوا اولى العزم فانّهم لم يكونوا على تردّدٍ من امرهم فيكون من للتّبيين، وقيل: اولو العزم كانوا ستّةً، نوح صبرعلى اذى قومه ، وابراهيم صبرعلى النّار ، واسحاق صبرعلى الذّبح ، ويعقوب صبرعلى فقدالولد وذهاب البصر ، ويوسف صبر في البئر والسّجن، وايّوب صبرعلى الضّرّ والبلوى، وقيل: هم الّذين امروا بالجهاد والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدّين، وقيل: هم ابراهيم وهود ونوح (ع) ورابعهم محمّد (ص) [وَلٰا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ] العذاب فانّه كائن لامحالة عن قريبٍ [كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مٰا يُوعَدُونَ] من العذاب [لَمْ يَلْبَثُوا] في التّنعّم والدّنيا [اِلّٰا سٰاعَةً مِنْ نَهٰارٍ] يعني انّ المكث في الدّنيا وان كان اطول زمانٍ ليس الّا كساعة فمالك تستعجل العذاب الوارد عليهم عن قريبٍ [بَلٰاغٌ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ والجملة صفة ساعة ، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اى هذه السّاعة ليست لتمتّعهم بل هي بلاغ لهم الى يوم يرونه فهو تسليةٌ اخرى له (ص) وعلّة اخرى لنهيه عن الاستعجال، اوهذا اللّبث بلاغ لهم الى هذا اليوم ، اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اى لهم بلاغ سيبلغون الى هذااليوم فلاتستعجل، اولهم بلاغ الى هذااليوم الآن فانظر حتّى ترى فانّ الكلّ بوجهٍ في نظر البصيرفي القيامة والحساب، اوالمعنى هذاالقرآن،اوهذه المواعظ والتّهديدات، اوولاية عليٍّ (ع) تبليغ منك لرسالتك فلاتكترث بهم قبلوا اوردّوا [فَهَلْ يُهْلَكُ] عن الحيوة الانسانيّة [اِلَّا الْقَوْمُ الْفٰاسِقُونَ] الخارجون عن طاعة ولاة الامر فلاتحزن على الهالكين ، قيل: ماجاءفي الرّجاء شيءٌ اقوى من هذه الآية .

سورة محمّد

وتسمّى ايضاً سورة القتال ،مدنيّة ، وقيل: غير آيةٍ منها نزلت على النّبيّ (ص) وهو يريد المدينة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكى حزناً فنزلت وهي قوله تعالى: وكأيّن من قريةٍ هي اشدّ قوّة (الأية) وهي اربعون آيةً .

بسم الله الرحمن الرحيم

[اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] اعلم ، انّ هذه السّورة ذكر فيها حال المؤمنين بعليٍّ (ع)

والجاحدين لولايته وان كانت الآيات بظواهرها عامّة لكنّ المنظور منها ذلك كما نشير اليه في مواقعه؛ فقوله الّذين كفروا ظاهره اعمّ من الكفر بالله او بالرّسول (ص) او بالآخرة او بعليّ (ع) وولايته، لكنّ المقصود الكفر بالولاية بقرينة قوله صدّوا عن سبيل الله فانّ سبيل الله ليس الّا الولاية سواء جعل صدّوا بمعنى اعرضوا اومنعوا [أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ] الّتي عملوها في الاسلام، القمّيّ قال: نزلت في اصحاب رسول الله (ص) الّذين ارتدّوا بعد رسول الله (ص) وغصبوا اهل بيته حقّهم، وصدّوا عن امير المؤمنين (ع) وعن ولاية الائمّة (ع) [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة اى اسلموا [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] اللّازمة لبيعتهم العامّة [وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ] في عليّ (ع) بقبول ولايته والبيعة معه [وَهُوَ الْحَقُّ] اى الولاية الّتي نزلت على محمّد (ص) هي الحقّ [مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ] أزال عنهم [سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ] حالهم او قلبهم، قال القمّيّ: نزلت في ابي ذرّ وسلمان وعمّار ومقداد لم ينقضوا العهد وآمنوا بما نزل على محمّد (ص) اى ثبتوا على الولاية الّتي أنزلها الله وهو الحقّ يعني امير المؤمنين (ع) [ذلِكَ] الاضلال وتكفير السّيّئات واصلاح الحال [بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [اتَّبَعُوا الْباطِلَ] اى اهواءهم واعداء امير المؤمنين (ع) [وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ] الولاية وامير المؤمنين [مِنْ رَبِّهِمْ كَذلِكَ] الضّرب لمثل عليّ (ع) وعدوّه بنحو العموم الّذي لا يلتفت اليه اعداء آل محمّد (ص) حتّى يسقطوه [يَضْرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أَمْثالَهُمْ] اى اوصافهم او حكاياتهم اوالامثال الّتي تشبه احوالهم [فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ] فاضربوهم ضرب الرّقاب [حَتّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ] يعني فاسروهم واحفظوهم بالوثاق، والوثاق بالكسر والفتح ما يوثق به [فَإِمّا مَنًّا] اى تمنّون منّا [بَعْدُ وَإِمّا فِداءً] تخيير بين المنّ والفداء، او بيان لفائدة الحكم السّابق من دون تعرّض لحكم المنّ والفداء [حَتّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها] بيان لغاية ضرب الرّقاب وشدّ الوثاق يعني انّ ضرب الرّقاب واسر الرّجال ليس الّا مادام الحرب قائمة فاذا انقضت الحرب فلا تتعرّضوا لهم، اوالمعنى حتّى لا يبقى محاربٌ وحرب في بلادكم فيكون رفع المحاربة من البين علّة غائيّة للمحاربة؛ عن الصّادق (ع) انّه قال: كان ابي يقول: انّ للحرب حكمين؛ اذا كانت الحرب قائمة لم تضع اوزارها ولم يثخن اهلها فكلّ اسير اخذ في تلك الحال فانّ الامام فيه بالخيار، ان شاء ضرب عنقه وان شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم[1] وتركه يتشحّط في دمه حتّى يموت وهو قول الله عزّ وجلّ: انّما جزاء الّذين يحاربون الله (الآية) قال والحكم الآخر اذا وضعت الحرب اوزارها وأثخن اهلها فكلّ اسير اخذ على تلك الحال فكان في ايديهم فالامام فيه بالخيار ان شاء منّ عليهم فأرسلهم، وان شاء فاداهم انفسهم، وان شاء استعبدهم فصاروا عبيداً [ذلِكَ] اى الامر والسّنّة بحسب الاسباب ذلك، اوذلك حكم الله بحسب الاسباب، اوخذوا ذلك والزموه بحسب الاسباب [وَ] لكن [لَوْ يَشاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ] من دون امركم بقتالهم [وَلكِنْ] يأمركم بقتالهم [لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ] فانّ في الجهاد تحصيل خصال عظيمة لا يمكن تحصيلها الّا به، وتهديداً عظيماً للكفّار حتّى يرغبوا في التّوبة قبل الاستيصال [وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ] قرئ قتلوا امجرّداً مبنيّاً للمفعول، وقرئ قاتلوا [فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ] الى ما ينبغي ان يُهدوا اليه من

---

(١) اى بغير قطع الدّم ففي الصّحاح حسمته، قطعته فانحسم، ومنه حسم العرق.

الكمالات الانسانيّة و درجات الجنان [وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ] حتّى لايكون حين تلذّذاتهم الانسانيّة ما يغيّر حالهم [وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ] جواب لسؤال مقدّر اوحال والمعنى انّ الجنّة عرّفها الله لهم بانّ فيها ماتشتهيه الانفس و تلذّ الاعين وفيه التّذى ما خطر على قلب بشر [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ] قدمضى فى سورة الحجّ بيان لهذه الآية [وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] فى دينكم الّذى هوولاية علىّ (ع) [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [فَتَعْسًا لَهُمْ] تعسوا تعساً لهم والتّعس الهلاك والعثار والسّقوط والشّرّ والبعد والانحطاط ، والفعل كمنع وسمع ، و يستعمل متعدّياً فيقال : تعسه الله مثل اتعسه الله [وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ] فى علىّ (ع) ، كذاروى عن الباقر (ع) الّا انّه كشط الاسم [فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى ارض الطّبع او ارض القرآن اوالاخبار او السّير او ارض العالم الصّغير [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] ممّن كذّب بآيات الله ولم يصدّق خلفاء الله حتّى يتنبّهوا القبح فعلهم وتكذيبهم وعقوبته [دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] دمر كنصر و دمّر من التّفعيل اهلك ، و دمر دموراً هجم هجوم الشّرّ و دخل بغير اذن [وَلِلْكَافِرِينَ] بالولاية [أَمْثَالُهَا ذَلِكَ] التّدمير [بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا] بالولاية لاالّذين كفروا بها [وَأَنَّ الْكَافِرِينَ] بالولاية [لَا مَوْلَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا] مستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مايفعل الله بهم فى كونه مولى لهم؟ـ وما يفعل بالكافرين فى كونهم لامولى لهم؟ـ والمراد بالايمان البيعة الخاصّة الولويّة اوالحالة الحاصلة بها ، او البيعة العامّة النّبويّة ، والمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا] بولاية ولىّ امرهم [يَتَمَتَّعُونَ] يتلذّذون [وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ] يعنى يتمتّعون كالانعام من غير نظر الى عاقبتهم وعاقبة تمتّعهم [وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ] وهى مكّة [أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أَفَمَنْ كَانَ] يعنى الم يكن عندنا تميز فمن كان [عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ] و هو علىّ (ع) كما مضى فى سورة هود [كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ] عن الباقر (ع) هم المنافقون [مَثَلُ الْجَنَّةِ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما وصف الجنّة الموعودة للمؤمنين وحكايتها؟ـ فقال: وصف الجنّة [الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ] غير متغيّر بحسب الطّعم والرّيح واللّون والجملة خبر المثل ، واكتفى عن الرّابط بكونها عين المبتدأ [وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ] مصدر بمعنى الوصف او وصف ، وخمر الجنّة لاحرمة فيها ولا نجاسة ولاغائلة خمار ولانتن ريح ولامرارة طعم ولذلك وصفها باللّذّة [وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى] ممّا يخالط العسل الدّنيوىّ [وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ] الدّنيويّة والاُخرويّة من ثمرات العلوم والمشاهدات والتّسبيح والتّحميد [وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ] فوق الكلّ [كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ] خبر مبتدء محذوف اى امن كان فى الجنّة فى تلك النّعم كمن هو خالد فى النّار [وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا] مسخّناً و قد يكون الحميم بمعنى الماء البارد و لكنّ المراد ههنا الاوّل [فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ] من فرط حرارته ، وهذا مقابل الانهار الّتى وعد المتّقون [وَمِنْهُمْ] من المنافقين

[مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّٰى إِذٰا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ] يعنى انّ مقصودهم من الاستماع الاستهزاء بكك او المعنى منهم من هومطبوع على قلبه فيستمعون اليكك ولا يفهمون كلامكك حتّى اذا خرجوا من عندك [قٰالُوا] لعدم تفطّنهم بكلامكك [لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مٰاذٰا قٰالَ آنِفًا أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا] الى ولاية علىّ (ع) [زٰادَهُمْ] الله، اومحمّد (ص)، اوماقال محمّد (ص)، اواستهزاء المنافقين [هُدًى وَآتٰيهُمْ] الضّمير الفاعل لواحد من المذكورات [تَقْوٰيهُمْ] يعنى صار سبباً لاتّصافهم بالتّقوى اللّائقة بهم اوآتاهم ثواب تقويهم من العلم والذّكاوة [فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السّٰاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ] بدل من السّاعة بدل الاشتمال، او بتقدير اللّام وتعليل لانتظارهم [بَغْتَةً فَقَدْ جٰاءَ أَشْرٰاطُهٰا] جمع الشّرط بالتّحريك بمعنى العلامة فانّ من علاماتها فى العالم الكبير بعثة محمّد (ص) وانشقاق القمر ونزول آخر الكتب، وفى العالم الصّغير اوّل الاشراط نزول العقل من عالمه العلوىّ فيه ثمّ التّغييرات الّتى تكون فيه ثمّ الامراض الّتى ترد عليه وغيرذلكك ممّا يدلّ على زواله ودثوره، وقرئ ان تأتهم بكسران وجزم تأتهم وجوابه فقدجاء اشراطها يعنى ان تأتهم بغتة فلاغروفيه فقدجاء اشراطها، اوجوابه قوله تعالى [فَأَنّٰى لَهُمْ إِذٰا جٰاءَتْهُمْ] السّاعة [ذِكْرٰيهُمْ] يعنى لاينفع ذكريهم اذا جاءتهم السّاعة، ويجوز ان يكون فاعل جاءتهم ذكريهم، عن النّبىّ (ص) انّ من اشراط السّاعة ان يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويفشو الزّنا، ويقلّ الرّجال، وتكثر النّساء، حتّى انّ الخمسين امرأة فيهنّ واحد من الرّجال،

حديث فى احوال النّاس فى آخر الزّمان

وقال القمّىّ: انّ ابن عبّاس قال: حججنا مع رسول الله (ص) حجّة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثمّ اقبل علينا بوجهه فقال: الا أخبركم باشراط السّاعة؟ ـ فكان ادنى النّاس منه يومئذ سلمان رحمه الله فقال: بلى يارسول الله (ص)، فقال: انّ من اشراط القيامة اضاعة الصّلوات، واتّباع الشّهوات، والميل مع الاهواء، وتعظيم اصحاب المال، وبيع الدّين بالدّنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن فى جوفه كما يذاب الملح فى الماء ممّا يرى من المنكر فلايستطيع ان يغيّره، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص)؟ ـ قال، اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها يليهم امراء جوَرَة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وامناء خونة، فقال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص)؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن ويخون الامين، ويصدّق الكاذب ويكذّب الصّادق، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص)؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان فعندها تكون امارة النّساء ومشاورة الاماء وقعود الصّبيان على المنابر ويكون الكذب ظرفاً[1] والزّكوة مغرماً والفيء مغنماً، ويجفو الرّجل والديه ويبرّ صديقه ويطلع الكوكب المذنب، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص)؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها فى التّجارة، ويكون المطر قيظاً ويغيظ الكرام غيظاً، ويحتقر الرّجل المعسر فعندها تقارب الاسواق اذقال هذا: لم ابع شيئاً، وقال هذا، لم اربح شيئاً فلاترى الّا ذامّاً لله، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص)؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان فعندها يليهم اقوام ان تكلّموا قتلوهم وان سكتوا استباحوهم، ليستأثرون بفيئهم، وليطؤن حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم، وليملأنّ قلوبهم دغلاً ورعباً فلاتراهم الّا لاوجلين خائفين مرعوبين مرهوبين، قال سلمان: وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص)؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وبشيء من المغرب يلون امّتى، فالويل لضعفاء امّتى منهم والويل لهم من الله لا يرحمون صغيراً ولا يوقّرون كبيراً ولا يتخافون عن مسيء جنّتهم جثّة الآدميّين وقلوبهم قلوب الشّياطين، قال

(١) الظّرف كالضّرب والظّرافة وهو حسن القول اوحسن الوجه والهيئة اوحسن اللّسان والبراعة وذكاء القلب اومن لا يوصف الّا الفتيان.

سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان وعندها يكتفى الرّجال بالرّجال والنّساء بالنّساء ويُغار[١] على الغلمان كما يُغار على الجارية فى بيت اهلها ، وتشبّه الرّجال بالنّساء والنّساء بالرّجال وتركبن ذوات الفروج السّروج فعليهن من امّتى لعنة الله ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان انّ عندها تزخرف المساجد كما تُزخرف البيَع والكنائس وتحلّى المصاحف وتطوّل المنارات وتكثر الصّفوف بقلوب متباغضة والسن مختلفة ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها تحلّى ذكور امّتى بالذّهب ويلبسون الحرير والدّيباج ويتّخذون جلود النّمور صفافاً[٢] ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها يظهر الرّبا ويتعاملون بالعينة[٣] والرّشى ، ويوضع الدّين وترفع الدّنيا ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها يكثر الطّلاق فلا يقام لله حدٌّ ولن يضرّوا الله شيئاً ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان وعندها تظهر المغنّيات والمعازف[٤] وتليهم اشرار امّتى ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، يا سلمان وعندها يحجّ اغنياء امّتى للنّزهة ، ويحجّ اوساطهم للتّجارة ، ويحجّ فقراؤهم للرّيا والسّمعة فعندها تكون اقوام يتعلّمون القرآن لغير الله ويتّخذونه مزامير ، ويكون اقوام يتفقّهون لغير الله ، ويكثر اولاد الزّنا ويتغنّون بالقرآن ويتهافتون[٥] بالدّنيا ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يا رسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان ذلك اذا انتهكت المحارم واكتسبت المآثم ، وسُلّط الاشرار على الاخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللّجاجة ، وتفشو الفاقة ، ويتباهون فى اللّباس ، ويمطرون فى غير اوان المطر ، ويستحسنون الكوبة[٦] والمعازف ، وينكرون الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر حتّى يكون المؤمن فى ذلك الزّمان اذلّ من الأمة ويظهر قرّاءهم وعبّادهم فيما بينهم التّلاوم فاولئك يدعون فى ملكوت السّماوات الارجاس الانجاس ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان فعندها لا يخشى الغنىّ الّا الفقر حتّى انّ السّائل يسئل فيما بين الجمعتين لا يصيب احداً يضع فى كفّه شيئاً ، قال سلمان : وانّ هذا لكائن يارسول الله (ص) ؟- قال : اى والّذى نفسى بيده ، ياسلمان عندها يتكلّم الرُّوَيْبِضَة ، فقال سلمان : وما الرُّوَيْبِضَة يارسول الله (ص) ؟! فداك ابى وامّى ، قال : يتكلّم فى امر العامّة من لم يكن يتكلّم ، فلم يلبثوا الّا قليلاً حتّى تخور الارض خورة فلا يظنّ كلّ قوم الّا انّها خارت فى ناحيتهم فيمكثون ماشاء الله ثمّ ينكثون فى مكثهم فتلقى لهم الارض افلاذ[٧] كبدها ذهباً وفضّة ، ثمّ اومى بيده الى الاساطين فقال : مثل هذا ، فيومئذ لا ينفع ذهبٌ ولا فضّةٌ فهذا معنى قوله : فقد جاء اشراطها [فَاعْلَمْ] يعنى اذا علمت ذلك فاعلم [أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ] تقلّبكم وانتقالاتكم فانّ لكم انتقالات من اوّل استقرار نطفكم ومواداكم فى الارحام الى آخر الدّنيا وهكذا فى البرازخ الى الاعراف ، اومحالّ تقلّبكم من مراتب الدّنيا والبرازخ [وَمَثْوٰيكُمْ] فى مراتب الآخرة الّتى هى كثيرة بحسب مراتب النّاس [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ] فى امر الجهاد اومطلقة والمراد بالمؤمنين مطلق المسلمين اوالمنافقون منهم اوالمؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ]

---

(١) اغار اهله تزوّج عليها . (٢) الصّفف = ما يلبس تحت الدرع . (٣) بيع العينة = بيع الشّىء الى اجل بزيادة على ثمنه . (٤) المعازف = آلات الطّرب كالطّنبور والعود . (٥) اى يتفاخرون ويتسابقون ، تهافت على الشّىء بمعنى تساقط وتتابع واكثر استعماله فى الشّر . (٦) الكوبة = النّرد والشّطرنج والطّبل الصّغير والبربط . (٧) الفلذ = كبد البعير وافلاذ الارض كنوزها .

مبيّنة المعنى والمقصود ، اوغير مايتطرّق فيه النّسخ، اوعزيمة احكامها لارخصّ [وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ] يعنى ذكر فيها الحكم بالقتال على سبيل العزيمة [رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] الّذين هم بعض السّائلين او رأيت السّائلين لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر لذمّهم و بيان علّة الحكم ، او رأيت الّذين فى قلوبهم مرضٌ وهم غير السّائلين [يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ] لشدّة خوفهم و دهشتهم [فَأَوْلَى لَهُمْ] كلمة تهديدٍ وزجرٍ كأنّه نقل من اصله وصار من قبيل اسماء الاصوات، اومن قبيل الامثال لايغيّر وكان فى الاصل فعلاً من الولى بمعنى القرب، اومن آل بمعنى رجع مقلوباً او وصفاً منهما، اومن الويل ، او بمعنى احرى ، وسيجيء تفصيله فى سورة القيامة وعلى هذا فهو خبر وقوله تعالى [طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ] مبتدء، اوطاعةٌ مبتدء خبره محذوف اى خير ، وقرئ يقولون طاعة ، وحينئذٍ يكون المعنى يقولون لنا طاعة وقول معروف [فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ] عزموا على الامر جدّوا فيه وقطعوا على فعله وعزم الامر بمعنى عُزم عليه [فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ] فيما قالوا ولا انزل سورة اى فيما يستفاد منه من الحرص على الجهاد او فى مطلق ما قالوا وأقرّوا بلسانهم من الايمان والتّصديق بالله والرّسول (ص) وقبول الاحكام ، اوفيما اقرّوا به من امارة علىٍّ (ع) والتّسليم عليه بإمرة المؤمنين [لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ] ممّا يزعمونه خيراً من ايّام الدّنيا وتمتّعاتها [فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عن علىٍّ (ع) او ان تولّيتم امور النّاس، وقرئ ان تولّيتم بالبناء للمفعول اى ان تولّاكم النّاس [أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] يعنى ان تولّيتم لم يكن لكم شأنٌ سوى الافساد فينبغى لكم ان لاترجوا غيره حين التّولّى [وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ] الصّوريّة والمعنويّة [أُولَئِكَ] التفات من الخطاب الى الغيبة [الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ] يعنى اصمّهم عن ادراك الجهة الاخرويّة من المسموعات واعمى ابصارهم كذلك [أَ] يقدرون على التّأمّل فى الآيات والقرآن [فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] فلايقدرون على التّدبّر، ونكّر القلوب مع ان المناسب ان يقول ام على قلوبهم للاشعار بان القلوب الّتى عليها اقفالها كأنّها ليست قلوب الانسان فلا يضاف اليهم ، او انّها لغاية حقارتها كأنّها لايمكن ان تعرّف ، واضافة الاقفال الى القلوب للاشارة الى انّ اقفال القلوب من سنخ القلوب لامن جنس الاقفال الصّوريّة وقد مضى فى اوّل البقرة انّ لكلّ من القلوب روزنةً الى الملكوت العليا وروزنةً الى الملكوت السّفلى، وباعتبار لكلّ بابٌ الى الملكوت العليا ، وبابٌ الى الملكوت السّفلى ، واذا انفتح كلّ من البابين اغلق الآخر [إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ] شبّه السّالك على طريق الدّين بمن سلك طريقاً ، والرّاجع عن الدّين بمن ارتدّ عن الطّريق على دبره وهذا حال المسلمين الّذين أسلموا بمحمّدٍ (ص) ثمّ خالفوه فى أوامره [مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى] بقول الله وقول رسوله والمراد بالهدى الولاية وطريقها وقد بيّنها الله تعالى فى عدّة آياتٍ وبيّنها رسول الله (ص) فى عدّة مواضع ، وقد ورد فى خبر انّه (ص) اخذ البيعة منهم فى عشرة مواطن وفى خبرٍ آخر: اخذ البيعة عنهم يوم الغدير ثلاث مرّاتٍ [الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ] امليت له فى غيّه اطلت ، والبعير وسعت له فى قيده، واملى الله له امهله [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ] فى علىٍّ (ع) و خلافته [سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ] قرئ مصدراً وجمعاً، قال الصّادق (ع): فلانٌ وفلانٌ ارتدّوا عن الايمان فى ترك ولاية امير المؤمنين (ع) قال: نزلت والله فيهما وفى اتباعهما وهو قول الله عزّوجلّ الّذى نزّل به جبرئيل على محمّدٍ (ص) ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله فى علىٍّ (ع) سنطيعكم فى بعض الامر قال: دعوا بنى اميّة الى ميثاقهم الّا يصيروا الامر فينا بعد النّبىّ (ص) ولايعطونا من الخمس شيئاً

وقالوا : ان اعطيناهم اياه لم يحتاجوا الى شيء ولم يبالوا ان لا يكون الامر فيهم فقالوا : سنطيعكم فى بعض الامر الّذى دعوتمونا اليه وهو الخمس ان لا نعطيهم منه شيئاً والّذى نزّل الله ما افترض على خلقه من ولاية امير المؤمنين (ع) وكان معهم ابو عبيدة وكان كاتبهم فانزل الله ام ابرموا امراً فانّا مبرمون ام يحسبون انّا لا نسمع سرّهم ونجويهم (الآية) وعنهما (ع) انّهم بنو اميّة كرهوا ما نزّل الله فى ولاية علىّ (ع) [فَكَيْفَ] يكون حالهم او كيف يحتاجون [إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلٰائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبٰارَهُمْ ذٰلِكَ] الضّرب [بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مٰا أَسْخَطَ اللّٰهَ وَكَرِهُوا رِضْوٰانَهُ] من ولاية علىّ (ع) فانّ الرّحمة والرّضا والرّضوان والنّعمة كلّها ولاية علىّ (ع) [فَأَحْبَطَ] الله او ذلك الاتّباع والكراهة [أَعْمٰالَهُمْ] عن الباقر (ع) قال : كرهوا عليّاً (ع) امر الله بولايته يوم بدر ويوم حنين وببطن نخلة ويوم التّروية ويوم عرفة نزلت فيه خمس عشرة آية فى الحجّة الّتى صدّ فيها رسول الله (ص) عن المسجد الحرام وبالجحفة وبخم والمراد بحبط الاعمال حبط ما عملوها فى الاسلام [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّٰهُ] ان لن يظهر الله [أَضْغٰانَهُمْ] لرسوله وللمؤمنين يعنى انّ هذا ظنّ فاسدٌ ونحن نخرج اضغانهم [وَلَوْ نَشٰاءُ لَأَرَيْنٰاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمٰاهُمْ] يعنى لو نشاء تعريفهم لكنّا لأريناكهم حتّى تعرفهم بسيماهم ونفاقهم الباطنىّ [وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ] ان لم تكن تعرفهم بسيماهم، ويجوز ان يكون الخطاب لمحمّد (ص) وان يكون لغير معيّن والمراد بلحن القول فحواه ومقصوده من الكناية والتّورية والتّعريض، او امالته الى جهة التّعريض والتّورية، وعن ابى سعيد الخدرىّ قال : لحن القول بغضهم علىّ بن ابى طالب (ع) قال : وكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم علىّ بن ابى طالب (ع)، وعن انس : انّه ما خفى منافق على عهد رسول الله (ص) بعد هذه الآية [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمٰالَكُمْ] اسررتموها او اعلنتموها [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ] بالامر بالجهاد او بمطلق التّكليف او بالبلايا وحوادث الدّهر، او بالخطرات ووسوسة الشّيطان والقائه الشّبه فى قلوبكم [حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجٰاهِدِينَ مِنْكُمْ] يعنى حتّى يظهر علمنا او نعلم فى مظاهرنا [وَالصّٰابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبٰارَكُمْ] الّتى تخبرونها عن انفسكم من انّكم آمنتم بالله ورسوله وصدّقتم رسوله فيما جاء به، او نبلو اخباركم الّتى يخبرون عنكم من انّكم دبّرتم خلاف ما قاله الرّسول (ص) فى علىّ (ع)، او نبلو اخباركم الّتى تخبرونها عن غيركم، وقرئ الافعال الثّلاثة بالغيبة ايضاً [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [وَصَدُّوا] اعرضوا او منعوا غيرهم [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] الّذى هو علىٌّ (ع) وولايته [وَشٰاقُّوا الرَّسُولَ] خالفوه او اتعبوه فى اهل بيته بعد اخذه الميثاق عليهم بولايته [مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا] اولن يضرّوك اولن يضرّوا عليّاً (ع) [وَسَيُحْبِطُ أَعْمٰالَهُمْ] الّتى عملوها فى الاسلام [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بعد ما اظهر انّ الّذين لم يطيعوا رسوله فى خلافة علىّ (ع) سيحبط اعمالهم نادى المؤمنين تلطّفاً بهم فقال : [أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] فيما امراكم به من ولاية علىّ (ع) حتّى لا يبطل اعمالكم [وَلٰا تُبْطِلُوا] بترك طاعتهما [أَعْمٰالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] الّذى هو الولاية كرّره لكونه المقصود من السّورة المباركة [ثُمَّ مٰاتُوا وَهُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ] ابداً [فَلٰا تَهِنُوا] لا تضعفوا ايّها المؤمنون عن المجاهدة والقتال مع الكفّار، او عن المجاهدة والمحاجّة مع المنافقين المخاصمين لعلىّ (ع) [وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ] اى ولا تدعوا الى الصّلح لضعفكم عن مخاصمتهم، او لفظ الواو بمعنى مع وبعده

ان مقدّرة [وَاَنْتُمُ الْاَعْلَوْنَ] يعنى لاتهنوا ولاتدعوا الى الصّلح فى حال علوّكم عليهم اوليس المقصود تقييد النّهى بحال العلوّ بل هوحال فى معنى التّعليل لا التّقييد [وَاللّٰهُ مَعَكُمْ] هذه الجملة يؤيّد المعنى الثّانى [وَلَنْ يَتِرَكُمْ اَعْمٰالَكُمْ] لن يضرّوكم من اعمالكم يعنى لن يضيع اعمالكم [اِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا لَعِبٌ وَلَهْوٌ] قد تكرّر فى ماسلف بيان اللّعب واللّهو فاذا كان الدّنيا لعب الاطفال فمالكم تتعلّقون بها وتضعفون لذلك عن مقاتلتهم اومحاجّتهم [وَاِنْ تُؤْمِنُوا] بعلىّ (ع) [وَتَتَّقُوا] عن مخالفته [يُؤْتِكُمْ اُجُورَكُمْ وَلٰا يَسْئَلْكُمْ اَمْوٰالَكُمْ] يعنى ان لم تؤمنوا بعلىّ (ع) ولم تتّقوا عن مخالفته يسألكم اموالكم اعتباراً لمفهوم المخالفة ، اوالمعنى ان تؤمنوا يؤتكم اعواض أعمالكم ولا يسألكم جميع اموالكم حتّى تثقل عليكم الايمان به، والضّمير فى يؤتكم و يسئلكم لله او لمحمّد (ص) اولعلىّ (ع) [اِنْ يَسْئَلْكُمُوهٰا فَيُحْفِكُمْ] اى يجهدكم بمسئلته [تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ اَضْغٰانَكُمْ] اى يظهر احقادكم الّتى هى مكمونة فى قلوبكم [هٰا اَنْتُمْ هٰؤُلٰاءِ] قدمضى الكلمتان فى سورة آل عمران مع بيان لهما [تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ] لا ان تعطوا رسولنا ، وتدعون لتنفقوا شيئاً يسيراً من اموالكم فى سبيل الله لا ان تعطوا كثيراً من اموالكم [فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ] بالانفاق بما فرض الله و بغيره [وَمَنْ يَبْخَلْ فَاِنَّمٰا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ] اى يبخل متجاوزاً عن خير نفسه فانّ الانفاق كما مضى فى اوّل البقرة مورثٌ لاخذ الاشرف و الاولى وقد مضى هناك ايضاً انّ الانفاق اعمّ من انفاق المال والقوى والجاه والقوّة والانانيّة [وَاللّٰهُ الْغَنِىُّ] فلايأمركم بالانفاق لحاجة له اليه [وَاَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ] فيأمركم بالانفاق لحاجتكم فى استكمالكم الى الانفاق [وَاِنْ تَتَوَلَّوْا] عن الايمان بعلىّ (ع) اوعن طاعة الرّسول (ص) فيما امركم به من الانفاق وغيره [يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ] القمّىّ قال: يدخلهم فى هذا الامر [ثُمَّ لٰا يَكُونُوا اَمْثٰالَكُمْ] فى ان يقولوا بافواههم ما ليس فى قلوبهم وقد فسّر القوم الآخر بابناء الموالى فى عدّة اخبار، وفى المجمع روى ابوهريرة انّ ناساً من اصحاب رسول الله (ص) قالوا: يارسول الله (ص) من هؤلاء الّذين ذكرالله فى كتابه؟ (وكان سلمان الى جنب رسول الله (ص)) فضرب يده على فخذ سلمان فقال : هذا وقومه، والّذى نفسى بيده لوكان الايمان منوطاً بالثّريّا تتناوله رجال من فارس ، وعن الصّادق (ع) : من اراد ان يعرف حالنا وحال اعدائنا فليقرأ سورة محمّد (ص) فانّه يراها آية فينا وآية فيهم .

سورة الفتح

مدنيّة كلّها ، تسع وعشرون آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

[اِنّٰا فَتَحْنٰا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا] فتح كمنع ضدّ اغلق كفتّح من التّفعيل وافتح، والفتح النّصر كالفتاحة بفتح الحاء ، ومنه الاستفتاح وافتتاح دار الحرب والحكم بين الخصمين كالفتاحة بالكسر والضّمّ وكالفتح بالضّمّتين، و يستعمل فى معنى العلم وفى انبساط القلب واتّصاله بعالم الملكوت ومشاهداته، وفيما يصل الى الانسان من جهة الباطن

اومن جهة الظّاهر من انواع فضل الله والكلّ مناسبٌ ههنا ، وقد قيل بكلٍّ منها ببعضها صريحاً و ببعضها تلويحاً، فقيل : معناه قضينا لك، وقيل: يسّرنا لك ، وقيل: اعلمناك ، وقيل: ارشدناك ، وقيل: فتحنا البلاد لك، وقيل: اظفرناك على الاعداء بالحجّة والمعجزة حتّى لم يبق معاندٌ للاسلام ، وقيل: المراد به فتح مكّة له (ص) ، وقيل : المراد به صلح الحديبيّة ،وقيل: لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبيّة ،وذلك انّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثيرٌ وقيل: بويع محمّدٌ (ص) بالحديبيّة بيعة الرّضوان واطعم نخيل خيبر ،وظهرت الرّوم على فارس، وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الرّوم على المجوس اذ صدق به قوله تعالى و هم من بعد غلبهم سيغلبون، وعن الصّادق (ع) قال: سبب نزول هذه السّورة وهذا الفتح العظيم انّ الله عزّ وجلّ امر رسوله في النّوم ان يدخل المسجد الحرام و يطوف و يحلّق مع المحلّقين فاخبر اصحابه وامرهم بالخروج فخرجوا ، فلمّا نزل ذا الحليفة[1] احرموا بالعمرة وساقوا البُدُن وساق رسول الله (ص) ستّة وستّين بدنة واشعرها عند احرامه واحرموا من ذي الحليفة ملبّين بالعمرة وقد ساق منهم الهدى معرّات مجلّلات ، فلمّا بلغ قريشاً ذلك بعثوا خالد بن الوليد في مأتي فارسٍ كميناً ليستقبل رسول الله (ص) وكان يعارضه على الجبال فلمّا كان في بعض الطّريق حضرت صلوة الظّهر فأذّن بلال فصلّى رسول الله (ص) بالنّاس فقال خالد بن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم وهم في الصّلوة لاصبناهم فانّهم لا يقطعون صلوتهم ولكن تجيء الآن لهم صلوة اخرى احبّ اليهم من ضياء ابصارهم فاذا دخلوا في الصّلوة اغرنا اليهم ، فنزل جبرئيل على رسول الله (ص) بصلوة الخوف فلمّا كان في اليوم الثّاني نزل رسول الله (ص) الحديبيّة وهي على طرف الحرم وكان رسول الله (ص) يستنفر الاعراب في طريقه معه فلم يتّبعه احد و يقولون : ايطمع محمّدٌ (ص) واصحابه ان يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فتقتلوهم، انّه لا يرجع محمّد (ص) واصحابه الى المدينة ابداً ، فلمّا نزل رسول الله (ص) الحديبيّة خرجت قريش يحلفون باللّات والعزّى لا يدعون رسول الله (ص) يدخل مكّة وفيهم عينٌ تطرف فبعث اليهم رسول الله (ص) انّي لم آت لحرب وانّما جئت لاقضي نسكي وانحر بُدني واخلّي بينكم و بين لحمانها، فبعثوا عروة بن مسعود الثّقفيّ وكان عاقلاً لبيباً وهو الّذي انزل الله فيه: وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم فلمّا أقبل الى رسول الله (ص) عظّم ذلك وقال : يا محمّد (ص) تركت قومك وقد ضرب الابنية واخرجوا العوذ[2] المطافيل[3] يحلفون باللّات والعزّى لا يدعونك تدخل مكّة حرمهم وفيهم عين تطرف: افتريد ان تبير اهلك وقومك يا محمّد (ص) ؟ـ فقال رسول الله (ص) : ما جئت لحرب وانّما جئت لاقضي مناسكي و انحر بدني واخلّي بينكم و بين لحمانها ، فقال عروة: والله ما رأيت كاليوم احداً صُدّ كما صُددت، فرجع الى قريش فاخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمّد (ص) مكّة وتسامعت به العرب لتذلّلنّ ولتجرئنّ علينا العرب فبعثوا حفص بن الاحنف وسهيل بن عمرٍ و فلمّا نظر اليهما رسول الله (ص) قال : ويح قريشٍ قد نهكتكم الحرب ألا خلّوا بيني و بين العرب فان أك صادقاً فانّي اجرّ الملك اليهم مع النّبوّة ، و ان أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لا يسئلني اليوم امرء من قريشٍ خطّة ليس لله فيها سخط الّا اجبتهم اليه فلمّا وافوا رسول الله (ص) ، قالوا يا محمّد (ص) الا ترجع عنّا عامك هذا الى ان ننظر الى ما يصير امرك وامر العرب ؟ـ فانّ العرب قد تسامعت بمسيرك فاذا دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا و نخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشّهر ثلاثة ايّام حتّى تقضي نسكك وتنصرف عنّا، فأجابهم رسول الله (ص) الى ذلك، وقالوا له نردّ الينا كلّ من جاءك من رجالنا، ونردّ اليك كلّ من جاءنا من رجالك، فقال رسول الله (ص) : من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه ولكن على انّ المسلمين بمكّة لا يؤذون في اظهارهم الاسلام

شرحٌ في صلح الحديبيّة

(١) ذوالحليفة هو بالتّصغير موضع على ستة اميال من المدينة و ميقات المدينة . (٢) العوذ جمع العائذة = الحديثات النتاج من كلّ انثى . (٣) المطافل و المطافيل جمع المُطفل = ذات الطّفل من الانس والوحش.

ولا يُكرهون ولا ينكر عليهم شيءٌ يفعلونه من شرائع الاسلام ، فقبلوا ذلك ، فلمّا اجابهم رسول الله (ص) الى الصّلح انكر عامّة اصحابه و اشدّ ما كان انكاراً عمر، فقال : يا رسول الله (ص) السنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ ـ فقال : نعم ، فقال : فنعطي الدّنيّة في ديننا ، فقال : انّ الله عزّ وجلّ قد وعدني ولن يخلفني ، قال : ولو انّ معي اربعين رجلاً لخالفته ، و رجع سهيل بن عمرو وحفص بن الاحنف الى قريش فأخبراهم بالصّلح ، فقال عمر : يارسول الله (ص)، الم تقل لنا انّ ندخل المسجد الحرام ونحلّق مع المحلّقين؟ ! فقال : أمن عامنا هذا وعدتك؟ ! قلت لك : انّ الله عزّ وجلّ قد وعدني ان افتح مكّة واطوف واسعى واحلّق مع المحلّقين، فلمّا اكثروا عليه قال لهم : ان لم تقبلوا الصّلح فحاربوهم ، فمرّ وانحو قريش وهم مستعدّون للحرب وحملوا عليهم فانهزم اصحاب رسول الله (ص) هزيمة قبيحة ومرّوا برسول الله (ص) ، فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال : يا عليّ (ع) ، خذ السّيف واستقبل قريشاً فأخذ امير المؤمنين (ع) سيفه و حمل على قريش فلمّا نظروا الى امير المؤمنين (ع) تراجعوا ثمّ قالوا : يا عليّ (ع) بدا لمحمّد (ص) فيما أعطانا ؟ـ فقال : لا ، وتراجع اصحاب رسول الله (ص) مستحيين واقبلوا يعتذرون الى رسول الله (ص) ، فقال لهم رسول الله (ص) : الستم اصحابي يوم بدر اذ انزل الله عزّ وجلّ فيكم ، اذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم انّي ممدّكم بالف من الملائكة مردفين؟ـ الستم اصحابي يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرّسول يدعوكم في اُخريكم، الستم اصحابي يوم كذا ؟ـ الستم اصحابي يوم كذا ؟ـ فاعتذروا الى رسول الله (ص) وندموا على ما كان منهم وقالوا : الله اعلم ورسوله، فاصنع ما بدا لك ورجع حفص بن الاحنف وسهيل بن عمرو الى رسول الله (ص)، فقالا : يامحمّد (ص) قد اجابت قريش الى ما اشترطت من اظهار الاسلام و ان لا يكره احد على دينه ، فدعا رسول الله (ص) بالمكتب ودعا امير المؤمنين (ع) وقال له : اكتب ، فكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فقال : سهيل بن عمرو : لا نعرف الرّحمن ، اكتب كما كان يكتب آباؤك باسمك اللّهمّ ، فقال رسول الله (ص) : اكتب باسمك اللّهمّ فانّه اسم من اسماء الله ، ثمّ كتب : هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله (ص) والملأ من قريش ، فقال سهيل بن عمرو : لو علمنا انّك رسول الله (ص) ما حاربناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبدالله، اتأنف من نسبك يامحمّد (ص) ؟ـ فقال رسول الله (ص) : انا رسول الله (ص) وان لم تقرّوا ، ثمّ قال : امح ياعليّ (ع) واكتب محمّد بن عبدالله ، فقال امير المؤمنين (ع) : ما امحو اسمك من النّبوّة ابداً ، فمحاه رسول الله (ص) بيده ، ثمّ كتب : هذا ما اصطلح محمّد بن عبدالله و الملأ من قريش و سهيلٌ اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين على ان يكفّ بعضنا عن بعض ، وعلى انّه لا اسلال ولا اغلال و انّ بيننا و بينهم غيبة مكفوفة، وانّ من احبّ ان يدخل في عهد محمّد (ص) وعقده فعل، ومن احبّ ان يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وانّه من أتى محمّداً (ص) بغير اذن وليّه ردّه اليه ، وانّه من أتى قريشاً من اصحاب محمّد (ص) لم تردّه اليه ، وان يكون الاسلام ظاهراً بمكّة ولا يكره احدٌ على دينه ولا يؤذى ولا يعيّر، وانّ محمّداً (ص) يرجع منهم عامه هذا واصحابه ثمّ يدخل علينا في العام المقبل مكّة فيقيم فيها ثلاثة ايّام ولا يدخل عليها بسلاح الّا سلاح المسافر، السّيوف في القراب، وكتب عليّ بن ابي طالب (ع) وشهد الكتاب المهاجرون والانصار، ثمّ قال رسول الله (ص) : ياعليّ (ع) انّك ابيت ان تمحو اسمي من النّبوّة فوالّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ ابناءهم الى مثلها وانت مضيض[1] مضطهد[2]؛ فلمّا كان يوم صفّين ورضوا بالحكمين كتب : هذا ما اصطلح عليه امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (ع) ومعاوية بن ابي سفيان، فقال عمرو بن العاص : لو علمنا انّك امير المؤمنين (ع) ما حاربناك ولكن اكتب هذا ما اصطلح عليه عليّ بن ابي طالب (ع) معاوية بن ابي سفيان، فقال امير المؤمنين (ع) : صدق الله وصدق رسوله اخبرني رسول الله (ص) بذلك ، فلمّا كتبوا الكتاب قامت خزاعة

(١) مض مضيضاً = آلمه و اوجعه — احرقه وشقّ عليه . (٢) اضطهده = قهره ، اذاه بسبب المذهب .

فقالت: تحن في عهد محمّدٍ (ص) وعقده، وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريشٍ وعقدها، وكتبوا نسختين نسخة عند رسول الله (ص) ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الاحنف الى قريشٍ فاخبراهم وقال رسول الله (ص) لاصحابه: انحروا بدنكم و احلقوا رؤسكم فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت؟ ـ ولم نسع بين الصّفا والمروة؟! فاغتمّ لذلك رسول الله (ص) وشكا ذلك الى امّ سلمة، فقالت: يارسول الله (ص) انحر انت واحلق فنحر رسول الله (ص) وحلق فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب، فقال رسول الله (ص) تعظيماً للبدن: رحم الله المحلّقين، وقال قوم لم يسوقوا البدن: يارسول الله والمقصّرين لانّ من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق، فقال رسول الله (ص) ثانياً: رحم الله المحلّقين الّذين لم يسوقوا الهدى، فقالوا: يارسول الله (ص) والمقصّرين، فقال: رحم الله المقصّرين، ثمّ رحل رسول الله (ص) نحو المدينة فرجع الى التّنعيم ونزل تحت الشّجرة فجاء اصحابه الّذين انكروا عليه الصّلح واعتذروا واظهروا النّدامة على ما كان منهم وسألوا رسول الله (ص) ان يستغفر لهم، فنزلت آية الرّضوان.

اعلم، انّ اختلاف الاقوال والاخبار في بيان هذا الفتح وتعليله بمغفرة الله ذنوبه المتقدّمة وذنوبه المتأخّرة وقول النّبيّ (ص) بعد نزول هذه الآية وهذه السّورة: لقد نزلت عليّ آية هي احبّ اليّ من الدّنيا وما فيها، وتعقيب غفرانه باتمام النّعمة والهداية والنّصر وانزال السّكينة كلّها يدلّ على انّ المراد بهذا الفتح ليس فتح مكّة ولا فتح خيبر ولا فتح سائر البلاد فقط بل المراد فتحٌ هو اصل سائر الفتوح وهو فتح باب الارواح الى الجبروت بل الى اللّاهوت، وفي هذا الفتح يكون جميع الفتوحات من فتح البلاد ومن ايصال النّعم الصّوريّة والمعنويّة والنّصر على الاعداء والحكم بينه وبين اعداءه وكيفيّة الحكومة بين الخلق والعلم بالاشياء، وبالجملة هذا الفتح هو الّذي يصير سبباً لغفران ذنوب من اتّصل به ودخل تحت لوائه كائناً من كان وان كان ذنوبه بعدد قطرات البحار واجزاء الرّمال ولذلك قال عليّ (ع): دينكم دينكم فانّ السّيّئة فيه مغفورة والحسنة في غيره غير مقبولة: وهذا الفتح هو الّذي لا يبقى معه نقص وقصور لصاحبه، وبهذا الفتح يصير صاحبه خاتماً للكلّ في الكلّ، وهذا الفتح هو الّذي يكون احبّ الاشياء الى صاحبه [لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ].

اعلم، انّ ذنب كلّ انسان بحسب مقامه ومنزلته، فانّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين وتوبة الانبياء من الالتفات الى غير الله كما انّ توبة الاولياء من خطرات القلوب وقد قال فيما نسب اليه: انّه ليُران على قلبي وانّي لاستغفر الله كلّ يوم سبعين مرّة، وانّ الرّسول لمّا كان أباً لجميع امّته والابوّة الرّوحانيّة كما مرّ في سورة البقرة عبارة عن تنزّل الاب الى مقام الابن والبنت وصيرورته فعليّة اخيرة لهما من غير تجافٍ عن مقامه العالي وكان شيئيّة الشّيء بفعليّته الاخيرة كان الرّسول شيئيّة كلّ امّته وفعليّتهم الاخيرة: فما ينسب الى امّته من الذّنوب صحّ ان ينسب اليه بوجهٍ، وما غفر الله لامّته من ذنوبهم صحّ ان يقال: غفر الله تعالى له ذنوبه بمغفرة ذنوب امّته، ولمّا كان رسالته خاتم الرّسالات وكلّ الانبياء كانوا تحت لوائه وتحت رسالته وكلّ الشّرائع تحت شريعته صحّ ان يقال: انّ من كان على دينٍ من آدم (ع) وامّته الى انقراض العالم كلّهم كانوا امّته فصحّ ان يقول الله تعالى: انّا فتحنا لك هذا الفتح العظيم ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنوبك اللّاتق بشأنك على هذا الفتح وما تأخّر وصحّ ان يقول: ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنوب امّتك المتقدّمين من لدن آدم (ع) وما تأخّر من ذنوب امّتك المتأخّرين الى انقراض العالم، وصحّ ان يقول: انّا فتحنا لك مكّة ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك بزعم مشركي مكّة على زمان الفتح وما تأخّر فانّه كان اعظم ذنباً عندهم من كلّ مذنبٍ او ما تقدّم على الهجرة وما تأخّر عنها كما ورد عن الرّضا (ع)، وصحّ ان يقال المعنى: انّا اظفرناك على

الامم او اعلمناك او تفضّلنا عليك بالنّعم الصّورية والمعنوية ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وماتأخّر، ومن ههنا يظهر وجه الالتفات من التّكلّم الى الغيبة فانّ ذنوب الامّة ليست الّا في غيبته تعالى وكذلك مغفرتهم و ذنبه الّذى هوالالتفات الى غيرالله ليس الّا بالغفلة من الله غفلة لائقة بشأنه وفي غيبته، ومغفرته الّتي لاتكون الّا للمذنب في اىّ حال كان كانت في غيبته فان اللّطيفة الحاضرة عندالله ليس لهاذنب، واللّطيفة المذنبة لاتصير حاضرة عندالله ، وايضاً غفران الذّنوب واتمام النّعم وسائرماذكر في الآية ليست الّا باسمه الجامع الّذى يعبّرعنه بالله [وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ] اتمام النّعمة ليس الّا لمن فتح له باب اللّاهوت وعرج عن الملكوت و الجبروت اللّتين هما من عالم الامكان الى اللّاهوت الّتي هي فوق الامكان ، ولايمكن ذلك الّا بهذا الفتح المذكور [وَيَهْدِيَكَ صِرٰاطًا مُسْتَقِيمًا] وهو الخروج من الافراط والتّفريط الّذى هواحدّ من السّيف وادقّ من الشّعر، وتنكير الصّراط للتّفخيم [وَيَنْصُرَكَ اللّٰهُ نَصْرًا عَزِيزًا] لا يوجد مثله ، او نصراً يصير سبباً للغلبة و المناعة [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ] قد مضى بيان السّكينة في اواخر سورة البقرة عند قوله تعالى: انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم (الآية) وفي سورة التّوبة وسورة يوسف (ع)، وانّ المراد بالسّكينة ظهور ملكوت ولىّ الامر على صدر المؤمن و بهذا الظّهور يحصل له جميع ماورد في الاخبار من معاني السّكينة، وهذاهوالّذى ينبغي ان يظهره الله في مقام الامتنان [فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا] شهوديّاً [مَعَ إِيمَانِهِمْ] العلميّ والحالىّ فانّه اذا ظهر ملكوت ولىّ الامر على المؤمن يصير ايمانه العلميّ قريناً لايمانه الشّهودىّ [وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] كأنّه بعد ماسبق في سورة التّوبة من قوله تعالى بعد ذكر انزال السّكينة وانزل جنوداً لم تروها و ايّده بجنود لم تروها كان التّأييد بالجنود الغيبيّة مسلّماً بعد انزال السّكينة فقال : وانّ الجنود الغيبيّة الّتي لا تنفكّ عن تلك السّكينة لله فهو الّذى انزل الجنود الغيبيّة للمؤمنين كما انزل السّكينة عليهم فقوله : ولله جنود السّموات مفيدٌ معنى ايّدهم بجنود لم تروها مع شيء زائد ، او المقصود من قوله ولله جنود السّموات والارض تعميم الامتنان بسائرالقوى والمدارك بعدالامتنان بانزال السّكينة عليهم كأنّه قال: لااختصاص لامتناننا على المؤمنين بانزال السّكينة بل جميع المدارك والقوى الّتي هي من جنود السّماوات و جميع الاعضاء الآليّة والاعصاب والاوتار المحرّكة الّتي هي من جملة جنودالارض من عطيّته ، او المقصود ترغيب المؤمنين و تطميعهم بعد ذكرالامتنان بانزال السّكينة في انزال الجنود الّتي لم يروها كأنّه قال: فاطلبوا جنود السّماوات والارض منه [وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيمًا] بمصالحكم فيعلم وقت استعدادكم لانزال السّكينة ووقت اصلاحكم بها وافسادكم بها ، ويعلم وقت صلاحكم بتأييدكم بالجنود وعدم تأييدكم [حَكِيمًا] لايفعل ما يفعل الّا بعد المراقبة لجميع دقائق احوالكم واستحقاقكم ولا يفعل ما يفعل الّا بالاتقان في فعله بحيث لايتطرّق الخلل فيه [لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنٰاتِ] تعليلٌ لقوله تعالى ليغفرلك الله و هذا هو المناسب لتفسير المغفرة بمغفرة ذنوب امّته، اولقوله يتمّ نعمته، اوليهديك، اولينصرك الله، اولانزل السّكينة، اوليزدادوا ايماناً، اولمفهوم قوله لله جنود السّماوات والارض، اوللجميع على سبيل التّنازع، اوتعليل لمحذوف، اوفعل مافعل ليدخل المؤمنين والمؤمنات [جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] قد مضى في آخر سورة آل عمران بيانٌ لكيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات عند قوله فالّذين هاجروا واخرجوا من ديارهم [خٰالِدِينَ فِيهٰا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئٰاتِهِمْ] يزيلها

عنهم [وَكَانَ ذٰلِكَ] الادخال و التكفير [عِنْدَاللّٰهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبَ الْمُنٰافِقِينَ وَالْمُنٰافِقٰاتِ] الّذين نافقوا مع محمّد (ص) او فى حقّ علىّ (ع) [وَالْمُشْرِكِينَ] بالله او بالرّسول او بالولاية و هو المنظور اليه [وَالْمُشْرِكٰاتِ الظّٰانِّينَ بِاللّٰهِ ظَنَّ السَّوْءِ] و هو ظنّ انّه لاينصر رسوله فى سفره الى مكّة [عَلَيْهِمْ دٰائِرَةُ السَّوْءِ] الّتى تظنّونها للمؤمنين من هلاكهم بأيدى قريش ، قال القمّىّ : وهم الّذين انكروا الصّلح واتّهموا رسول الله (ص) [وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسٰاءَتْ مَصِيرًا وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْاَرْضِ] كرّره تقويةً لقلوب المؤمنين و تخييباً لظنّ المنافقين [وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا] لايغلب على ما يريد [حَكِيمًا] لايفعل الّا ما فيه صلاح المؤمنين ولاينظر الى اهوية المؤمنين او المنافقين [اِنّٰا اَرْسَلْنٰاكَ] جواب سؤال عن علّة ادخال المؤمنين الجنّات ، و تعذيب المنافقين غاية لمغفرة ذنوب المؤمنين الّتى هى غاية للفتح المبين كانّه قيل : لم يدخل الله المؤمنين الجنّات و يعذّب المنافقين بسبب الفتح المبين للنّبىّ (ص) ؟ - فقال : لانّا ارسلناك ايّها النّبىّ (ص) [شٰاهِدًا] عليهم بحالك وقالك ، فمن اتّصل بك تشهد له فيدخل الجنّة ، ومن لم يتّصل بك تشهد عليه فيعذّب [وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] للمؤمنين و الكافرين [لِتُؤْمِنُوا] صرف الخطاب عنه (ع) الى امّته للاشارة الى انّ غاية الارسال ايمان المؤمنين [بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ] قرئ من باب الافعال والتّفعيل والثّلاثىّ المجرّد من باب ضرب و نصر ، وقرئ تعزّزوه بالزّائين المعجمتين [وَتُوَقِّرُوهُ] قرئ من باب التّفعيل والافعال [وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَاَصِيلًا اِنَّ الَّذِينَ يُبٰايِعُونَكَ] جواب سؤال مقدّر فى مقام التّعليل ، او فى مقام بيان الحال ، كانّه قيل : ماحال البائعين مع الرّسول (ص) ؟ - فقال تعالى : انّ الّذين يبايعونك [اِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اللّٰهَ] لانّك مظهر الله ولا حكم للمظهر حين ظهور الظّاهر فيه وانّما الحكم للظّاهر فقط [يَدُ اللّٰهِ] لايدك [فَوْقَ اَيْدِيهِمْ] وقد مضى تفصيل الاخذ البيعة عند قوله الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده ، وعند قوله انّ الله اشترى من المؤمنين (الآية) من سورة التّوبة وقد ذكر بيان للبيعة فى غير هذه السّورة ايضاً [فَمَنْ نَكَثَ] نقض البيعة بنقض شروطها وعدم الاتيان بها ، او بالاعراض عنها و فسخها [فَاِنَّمٰا يَنْكُثُ عَلٰى نَفْسِهِ] لانّ ضرره عائد اليها [وَمَنْ اَوْفٰى بِمٰا عٰاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ] قرئ بضمّ الهاء فى عليه حفظاً لتفخيم لفظ الله [فَسَيُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا] لايمكن ان يوصف ، قال القمّىّ : نزلت الآية فى بيعة الرّضوان لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشّجرة و اشترط عليهم ان لا ينكروا بعد ذلك على رسول الله (ص) شيئاً يفعله ولايخالفوه فى شيء يأمرهم به فقال عزّوجلّ بعد نزول آية الرّضوان : انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم (الآية) وانّما رضى الله عنهم بهذا الشّرط ان يفوا بعد ذلك بعهد الله و ميثاقه ولاينقضوا عهده وعقده فبهذا العقد رضى الله عنهم فقدّموا فى التّأليف آية الشّرط على آية الرّضوان : وانّما نزلت اوّلاً بيعة الرّضوان ثمّ آية الشّرط فيها [سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْاَعْرٰابِ] الّذين استنفرهم رسول الله (ص) عام الحديبيّة فاعتلّوا و اعتذروا بالشّغل باموالهم واهاليهم و انّما خلّفهم خوفهم من قريش فانّهم قالوا انّ قريشاً غزت محمّداً (ص) فى عقر داره وهو يريد ان يدخل عليهم ديارهم لايفلت منهم احدٌ ابداً [شَغَلَتْنٰا اَمْوٰالُنٰا وَاَهْلُونٰا فَاسْتَغْفِرْ لَنٰا] لتخلّفنا وهذا من الاخبار بالمغيبات [يَقُولُونَ بِاَلْسِنَتِهِمْ مٰا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ

قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا اِنْ اَرٰادَ بِكُمْ ضَرًّا] على التّخلّف او مطلقاً [اَوْ اَرٰادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كٰانَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] فاحذروا ممّا تعملون [بَلْ ظَنَنْتُمْ] يعنى ليس شغلتكم اموالكم واهلوكم بل خفتم عن قريش لانّكم ظننتم انّهم يغلبون ويقتلون محمّداً (ص) واصحابه و [اَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ اِلٰى اَهْلِيهِمْ اَبَدًا وَزُيِّنَ ذٰلِكَ] اى استحكم ذلك [فِي قُلُوبِكُمْ] بحيث لاتحتملون غيره [وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ] بالله ورسوله [وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا] هالكين عن الحيوة الانسانيّة [وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] وظنّ لهما ظنّ السّوء [فَاِنّٰا اَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للذمّ آخر لهم وللاشعار بعلّة الحكم [سَعِيرًا وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] بحسب استعداد كلّ فانّ مشيّته ليست جزافيّة [وَكٰانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا] ترجيح لجانب الرّجاء واشعارٌ بانّ المغفرة والرّحمة ذاتيّة له ، والتّعذيب داخل فى قضائه بالقصد الثّانى [سَيَقُولُ] لكم [الْمُخَلَّفُونَ اِذَا انْطَلَقْتُمْ اِلٰى مَغٰانِمَ] كمغانم خيبر [لِتَأْخُذُوهٰا ذَرُونٰا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ اَنْ يُبَدِّلُوا كَلٰامَ اللّٰهِ] يعنى قوله انّ الخارجين الى مكّة المصدودين عن طواف البيت مخصوصون بمغانم خيبر بدلاً من دخول مكّة اوقوله انّ المتخلّفين لايتّبعوكم فى مغانم خيبر [قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونٰا] أتى بنفى التّأبيد مكان النّهى اشارة الى تحقّقه وتأكيداً له [كَذٰلِكُمْ قٰالَ اللّٰهُ مِنْ قَبْلُ] انّكم لا تكونون معنا فى مغانم خيبر [فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنٰا بَلْ كٰانُوا لٰا يَفْقَهُونَ اِلّٰا قَلِيلًا] يعنى لايدركون من امر الآخرة فى المخاطبات الّا قليلاً فلذلك يحملون قولكم ومنعكم على الحسد الّذى هى من اوصاف الدّنيا [قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر تصريحاً بذمّهم [مِنَ الْاَعْرٰابِ سَتُدْعَوْنَ اِلٰى قَوْمٍ اُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ] قيل : هم هوازن وثقيف [تُقٰاتِلُونَهُمْ اَوْ يُسْلِمُونَ فَاِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللّٰهُ اَجْرًا حَسَنًا] الغنيمة والجنّة [وَاِنْ تَتَوَلَّوْا كَمٰا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ] يعنى عن الحديبيّة [يُعَذِّبْكُمْ عَذٰابًا اَلِيمًا لَيْسَ عَلَى الْاَعْمٰى حَرَجٌ] لمّا اوعد المتخلّفين وذمّهم استثنى منهم فى الذّمّ والايعاد هؤلاء لئلّا يتوهّم انّهم موعدون [وَلٰا عَلَى الْاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلٰا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] من غير المعذّرين او من مطلق المسلمين [يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات فى آخر سورة النّساء [وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذٰابًا اَلِيمًا] تأكيد لمفهوم قوله ان تتولّوا كما توليتم من قبل وتعليلٌ له [لَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ] .

اعلم ، انّ رضا الله عن العبد ليس الّا حين رضا العبد عن الله ، وهل رضا العبد مقدّم او رضا الله ؟ ـ الاخبار وكلمات الابرار فى ذلك مختلفة ، ولعلّ اهل الشّهود منهم ما حقّقوا ذلك ولذلك اظهر بعضهم التّحيّر فيه وفى امثاله . والتّحقيق انّ هذه المسألة دوريّة بمعنى انّ ذكر الله اوتوبته اورضاه مقدّم بحسب مرتبة منه على ما للعبد بحسب مرتبة منه وما للعبد مقدّم على ما لله بحسب مرتبة اخرى بل التّحقيق انّ ما للعبد عين ما لله لكن نسبته الى الله مقدّمة فى نفس الامر على نسبته الى العبد لكن اعتبار تلك النّسبة يختلف بحسب حال النّاظر ، فمن كان نظره الى الله مقدّماً على نظره الى نفسه

كماورد عن علیّ (ع): ما رأيت شيئاً الّا ورأيت الله قبله، كان نسبته الى الله مقدّمةً على نسبته الى العبد، ومن كان نظره الى نفسه مقدّماً على نظره الى الله كان نسبته الى العبد مقدّمةً، ومن كان نظره اليهما على السّواء كان متحيّراً في التّقديم والتّأخير والى هذين النّظرين اشير في الخبر بقوله (ص): مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله بعده و بقوله (ص): مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله فيه، وامّا من لم ير مثل المعتزليّ الّا نسبة الافعال والصّفات الى العباد فليس الكلام معه ولعلّ قوله تعالى: اذكروني اذكركم خطابٌ مع هؤلاء وهم اغلب العباد، وقوله: وما تشاؤن الّا ان يشاء الله خطابٌ مع الفرقة الاولى اوتنبيهٌ للكلّ على انّ نسبة الاوصاف الى الله مقدّمة على نسبتها الى العباد [إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] أتى باذ الّتي هي للماضي لانّ نزول الآية كان بعد وقوع الواقعة، وأتى بالمضارع بعدها للاشارة الى تكرّر الفعل فانّ البائعين في ذلك اليوم كانوا كثيرين، وسبب رضا الله تعالى عنهم في تلك البيعة انّهم لمّا خالفوا رسول الله (ص) وقاتلوا مع قريش وانهزموا هزيمةً منكرةً ندموا على مخالفتهم لرسول الله (ص) وتابوا الى الله واستغفروا رسوله و بايعوا معه عن صميم القلب ولم يكن لهم حين تلك البيعة انانيّةٌ اصلاً ولذلك صاروا مستحقّين لنزول السّكينة، وشرط عليهم الرّسول في تلك البيعة ان لا يخالفوه ولا يخالفوا قوله وأمره، ولا ينكروا بعد ذلك عليه شيئاً فعله فانّهم بعدما انهزموا ورحل رسول الله (ص) نحو المدينة و رجع الى التّنعيم فنزل تحت الشّجرة جاؤا اليه واظهروا النّدامة فاخذ منهم العهد والميثاق بذلك وكان اوّل من بايع رسول الله (ص) حينئذٍ علياً (ع) و لقد آخا رسول الله (ص) بين كلّ اثنين اثنين منهم وآخا بين نفسه و بين عليّ (ع) [فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ] من الصّدق والتّوبة والانابة فرضي بذلك عنهم [فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ] لانّهم خرجوا من انانيّاتهم و السّكينة الّتي هي صورة ملكوتيّة تدخل بيت قلب العبد اذا خرج من انانيّته كما قيل: «چو تو بيرون شوى او اندر آيد» وقد مضى في آخر سورة البقرة وفي التّوبة بيانٌ للسّكينة [وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا] هو فتح خيبر [وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا] هي مغانم خيبر [وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا] لايغلب على مراده [حَكِيمًا] لايفعل ما يفعل ولا يعد مايعداً الّا لحكمة وغاية متقنة [وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا] هي مايفيء الله على المؤمنين (ع) الى يوم القيامة اوهي مغانم مكّة و هوازن [فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ] اى ايدى قريش او ايدى الاعراب وغيرهم بقوّة الاسلام، او ايدى اهل خيبر و حلفائهم [عَنْكُمْ] ذكر في المجمع عن العامّة انّه لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة من الحديبيّة مكث بها عشرين ليلةً ثمّ خرج منها غازياً الى خيبر فحاصرهم حتّى اصابتهم مخمصة شديدة ثمّ انّ الله فتحها؛ وذلك انّ النّبيّ (ص) اعطى اللّواء عمر بن الخطّاب ونهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر و اصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يُجَبِّنُه اصحابه و يُجَبِّنُهم، فقال رسول الله (ص) بعد ما اخبروه بما فعل عمر واصحابه، لاُعطين الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه، فلمّا اصبح النّاس غدوا على رسول الله (ص) كلّهم يرجون ان يعطيها، فقال (ص): اين علیّ بن ابي طالب (ع)؟ فقالوا: هو تشتكي عينه، فأرسل اليه فأتى به فبصق في عينيه ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجعٌ فأعطاه الرّاية، فقال (ص): انفذ على رسلك[1] حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فوالله لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من ان يكون لك حمر النّعم، فذهب الى خيبر فبرز اليه مرحب فضربه ففلق رأسه فقتله وكان الفتح على يده، هكذا اورده مسلم في الصّحيح، ونقل عن العامّة: انّ علياً (ع) لمّا دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجلٌ من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علیٌّ (ع) باب الحصن فتترّس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله عليه ثمّ القاه من يده، فلقد رأيتني في نفرٍ معي

(١) اى، امش مستقيماً ولا تتوقّف في مكان ولا ترجع وراك.

سبعة نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ، ونقل عنهم انّ علياً (ع) حمل الباب يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانّه حرّك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً ، وروى من وجه آخر انّه اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان اعادوا الباب، ورووا عن ابى ليلى قال: كان علىّ (ع) يلبس فى الحرّ والشّتاء القباء المحشوّ[1] الشّخين وما يبالى الحرّ فاتانى اصحابى فحكوا ذلك لى فقالوا: هل سمعت فى ذلك شيئاً ؟ـ فقلت: لا ، فقالوا: فسل لنا اباك عن ذلك، فانّه يسمر معه فسألته فقال: ماسمعت فى ذلك شيئاً فدخل على علىّ (ع) فسمر معه ، ثمّ سأله عن ذلك ، فقال: اوما شهدت خيبر ؟ـ قلت : بلى ، قال : فما رأيت رسول الله (ص) حين دعا ابابكر فعقد له ثمّ بعثه الى القوم فانطلق فلقى القوم ثمّ جاء بالنّاس وقد هزم ؟ـ فقال : بلى ، قال : ثمّ بعث الى عمر فعقد له ثمّ بعثه الى القوم فانطلق فلقى القوم فقاتلهم ثمّ رجع وقد هزم ، فقال رسول الله (ص) : لاُعطينّ الرّاية اليوم رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله يفتح الله على يده كرّاراً غير فرّار ، فدعانى فأعطانى الرّاية ثمّ قال : اللّهمّ اكفه الحرّ والبرد ، فماوجدت بعد ذلك حرّاً ولا برداً ، وقال صاحب المجمع : هذا كلّه من كتاب دلائل النّبوّة للامام ابى بكر البيهقىّ، ثمّ لم يزل رسول الله (ص) يفتح الحصون حصناً حصناً حتّى انتهوا الى حصن الوطيخ والسّلالم وكان آخر حصون خيبر وحاصرهم رسول الله (ص) بضع عشرة ليلة ، قال ابن اسحاق: ولمّا افتتح القموص حصن ابن ابى الحقيق اُتى رسول الله (ص) بصفيّة بنت حيّ بن اخطب و باُخرى معها فمرّ بهما بلال وهو الّذى جاء بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلمّا رأتهم الّتى معها صفيّة صاحت وصكّت وجهها وحثت التّراب على رأسها فلمّا رآها رسول الله (ص) قال اعزبوا عنّى هذه الشّيطانة وامر بصفيّة فحيّزت[2] خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون انّه قد اصطفاها لنفسه ، وقال لبلال: لمّا رأى من تلك اليهوديّة ما رأى انزعت منك الرّحمة يا بلال ؟ـ حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟ـ وكانت صفيّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الرّبيع بن ابى الحقيق انّ قمراً وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا الا انّك تتمنّين ملك الحجاز محمّداً (ص) ولطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها ، فأتى بها رسول الله (ص) و بها اثر منها فسألها رسول الله (ص) منها فاخبرته و أرسل ابن ابى الحقيق الى رسول الله (ص) انزل فاكلّمك قال : نعم ، وصالح رسول الله (ص) على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتلة وترك الذّرّيّة لهم و يخرجون من خيبر و ارضها بذراريهم و يخلّون بين رسول الله (ص) و بين ما كان لهم من مال وارض على الصفراء و البيضاء والكراع والحلقة وعلى البزّ[3] الّا ثوب على ظهر انسان، وقال رسول الله (ص) تبرّأت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله ان كتمتمونى شيئاً فصالحوه على ذلك، فلمّا سمع اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله (ص) ان يسيرهم و يحقن دماؤهم و يخلّون بينه و بين الاموال، ففعل وكان ممّن مشى بين رسول الله (ص) و بينهم فى ذلك محيصة بن مسعود فلمّا نزل اهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (ص) ان يعاملهم الاموال على النّصف وقالوا: نحن اعلم بها منكم واعمرلها، فصالحهم رسول الله (ص) على النّصف على انّا اذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم، وصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكان اموال خيبر فيئاً بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله (ص) لانّهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، ولمّا اطمأنّ رسول الله (ص) اهدت له زينب بنت الحارث بن سلام وهى ابنة اخى مرحب شاة مصليّة[4] وقد سألت اىّ عضو من الشّاة احبّ الى رسول الله (ص) فقيل لها: الذّراع فأكثرت فيها السّم وسمّت سائر الشّاة ثمّ جاءت بها، فلمّا وضعتها بين يديه تناول الذّراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش[5] منها ومعها بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتهش منه، فقال رسول الله (ص) : ارفعوا ايديكم فانّ كتف هذه الشّاة تخبرنى انّها مسمومة ثمّ دعاها فاعترفت ، فقال: ما حملك على ذلك ؟ـ فقالت: بلغت من

(١) ممتلىء بالقطن . (٢) تحيّز = انحصر فى مكان. (٣) البزّ = ثياب الكتان او القطن . (٤) اللّحم المشوىّ.
(٥) اى ، صار مسموماً، من نهشه الحيّة .

قومي مالم يخف عليك فقلت: ان كان نبيّاً فسيخبر وان كان ملكاً استرحت منه، فتجاوز عنها رسول الله (ص) ومات بشر بن البراء من أكلته التي اكل، ودخل امّ بشر على رسول الله (ص) تعوده في مرضه الذي توفّي فيه، فقال: يا امّ بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت بخيبر مع ابنك تعاوّني[1] فهذا اوان قطعت[2] ابهري وكان المسلمون يرون انّ رسول الله (ص) مات شهيداً مع ما اكرمه الله به من النبوّة [وَلِتَكُونَ] يا محمّد (ص) او لتكون الغنيمة التي عجّلها لكم وهو عطف على محذوف اي لتقوّي وتُرفع ولتكون او متعلّق بمحذوف معطوف على عجّل اي فعل ذلك لتكون [آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] يعني الولاية او صراطاً مستقيماً واقعاً بين الافراط والتفريط في كلّ امر [وَأُخْرَى] اي وعدكم مغانم اخرى او قرىً اخرى، او اخرى مفعول فعل محذوف معطوف على عجّل اي واعدّ الله لكم قرىً اخرى [لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا] وقيل: هي المغانم التي يزيدها الله للمسلمين الى يوم القيامة، او القرى التي يفتحها الله للمسلمين الى يوم القيامة، وقيل: هي غنائم مكّة وهوازن، او قرية مكّة، وقيل: المراد غنائم فارس والرّوم او ملكهما [قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا] فلا يخرج من يده حتّى يكون مستعجلاً مثلكم فكأنّه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتّى تفتحوها [وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا] لاختصاص لقدرته بفيء الغنائم وفتح البلاد ونصرة الانبياء وخذلان الكفّار [وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] يوم الحديبية [لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ] يعني سنّ الله نصرة الانبياء وهزيمة الكفّار لو قاتلوا الانبياء من قبل هذا الزّمان [وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ] بالرّعب في قلوبهم والنّهي لكم عن مقاتلتهم والامر بالصّلح [بِبَطْنِ مَكَّةَ] يعني الحديبية [مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ] اي من بعد ان جعلكم مشرفين على الظّفر عليهم او من بعد ان اظفركم عليهم ببدر ويوم الخندق وفي اُحد [وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] جواب سؤال في مقام التّعليل [وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا] محبوساً [أَنْ يَبْلُغَ] من ان يبلغ [مَحِلَّهُ] وهو محلّ النّحر يعني مكّة فانّها محلّ نحر هدي العمرة [وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ] بيان لعلّة منعهم عن دخول مكّة [لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ] بدل من رجال او من مفعول لم تعلموهم او بتقدير في ظرف لتعلموهم [فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ] عيب يعيبكم به المشركون بان يقولوا: قتلوا اهل دينهم، اوائم وجناية اودية وكفّارة [بِغَيْرِ عِلْمٍ] وجواب لو لا محذوف اي لاغرينا كم بهم اولادخلناكم مكّة [لِيُدْخِلَ اللَّهُ] متعلّق بمحذوف اي فمنعناكم عن الدّخول ليدخل الله [فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ] من المؤمنين بسلامته من القتل والاذى ولحوق الكفّارة والدّية ومن الكافرين بدخوله في الاسلام [لَوْ تَزَيَّلُوا] اي لو تميّز المؤمنون والكافرون [لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] من اهل مكّة [عَذَابًا أَلِيمًا] فلحرمة اختلاط المؤمنين بالكافرين، ولحفظ نفوس المؤمنين الّذين كانوا بمكّة عن القتل والاذى، ولحفظ نفوس الّذين كانوا مع محمّد (ص) عن لحوق المعرّة، ولحفظ نفوس المؤمنين الّذين كانوا في اصلاب الكافرين لم يعذّبهم الله، وقيل: انّ صلح الحديبيّة كان اعظم فتح للاسلام حيث اختلط المؤمنون بالكافرين واظهروا دينهم من غير خوف وتقيّة، فرغب في دينهم كثير من الكافرين

(١) اى = غلبني. (٢) الابهر عرق اذا انقطع مات صاحبه.

ودخلوا فيه من غير سيف ، وعن الصّادق (ع) انّه سئل : الم يكن عليّ (ع) قويّاً في بدنه قويّاً في امر الله ؟ـ فقال : بلى، قيل: فما منعه ان يدفع او يمتنع لها؟ـ قال: فافهم الجواب ، منع علياً (ع) من ذلك آية من كتاب الله تعالى، فقيل: واىّ آية ؟ـ فقرأ: لو تزيّلوا (الآية) كان الله تعالى ودائع مؤمنون في اصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علىّ (ع) ليقتل الآباء حتّى تخرج الودائع ، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله ، وكذلك قائمنا اهل البيت لن يظهر ابداً حتّى يخرج ودائع الله فاذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله ، وفي هذا المعنى اخبارٌ عديدةٌ ، وقال (ع): لو اخرج الله ما في اصلاب المؤمنين من الكافرين وما في اصلاب الكافرين من المؤمنين لعذّبنا الّذين كفروا [إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا] اذ ظرف اوتعليل لقوله: عذّبنا او لقوله : انزل الله و لفظة الفاء مثلها في قوله تعالى بل الله فاعبد [فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ] الحميّة مصدر حماه بمعنى منع منه اومنعه عن شيء اومصدر حمى من الشّيء كرضى انف منه والمقصود من الحميّة السّجيّة الّتي تحمل الانسان على حفظ عرضه وحسبه ونسبه واقاربه وما ينسب اليه عن الوقع فيها والازدراء لها بحقّ او بباطل وهي ناشئة من انانيّة النّفس والاعجاب بها، وهي اصل جملة الشّرور والمعاصي، اوالسّجيّة الّتي تحمل الانسان على الانفة وعدم الانقياد لشيء حقّاً كان او باطلاً وهي ايضاً ناشئة من انانيّة النّفس واستكبارها على الغير وتحقيره [حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ] بيانٌ للحميّة او تقييدٌ لها باكمل افرادها [فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ] قد مضى قبيل هذا ذكر السّكينة [وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى] المراد بكلمة التّقوى هي السّكينة اوالولاية الّتي هي مورثة السّكينة ، اوسجيّة التّقوى عن الانحراف الى الطّرق المنحرفة يعني مكّن منهم السّكينة او الولاية اوالتّقوى [وَكانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها] اى احقّ بتلك الكلمة او بالسّكينة او بمكّة [وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً] يعني انّ الله يعلم قدر استحقاق كلّ و احقّيّة كلّ بكلّ [لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا] جوابٌ لما قالوا بعد صدّهم عن مكّة انّ محمّداً (ص) وعدنا دخول مكّة ومادخلنا وماحلقنا وماقصّرنا [بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ] قيل: الاستثناء تعليم للعباد كيف يتكلّمون اذا اخبروا عن الآتي، وقيل: الاستثناء باعتبار حال الدّاخلين فانّ منهم من مات قبل الدّخول ولم يدخل كأنّه قال : لتدخلنّ كلّكم ان شاء الله ، و قيل : الاستثناء باعتبار الامن من العدوّ، وقيل: ان ههنا بمعنى اذ، اى اذ شاء الله، والحقّ انّه ههنا للتّبريك ومحض التّعليم [مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ] من الصّلاح في اجمال الوعد وعدم التّصريح بوقته [ما لَمْ تَعْلَمُوا] فانّه كان في صدّكم عن المسجد الحرام و صلحكم مع قريش بذلك الصّدّ منافع كثيرة للاسلام واهله وقوّةٌ عظيمةٌ ونشر للاسلام [فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ] الدّخول [فَتْحاً قَرِيباً] هو فتح خيبر او صلح الحديبية فانّه اختلط المسلمون بالمشركين بذلك الصّلح و تمكّنوا من اظهار الاسلام وسمع المشركون باحكام الاسلام و رغبوا فيه وتقوّى الاسلام به ودخل محمّد (ص) واصحابه في العام المقبل وهو سنة السّبع من الهجرة مكّة في كمال الشّوكة و العزّة [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى] باحكام الاسلام الّتي هي ما به الاهتداء الى الايمان [وَدِينِ الْحَقِّ] اى الولاية فانّها الدّين والطّريق الحقّ الى الله تعالى [لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ] اى جنس الدّين [كُلِّهِ] بان يجعل جميع الاديان تحته و يجعل دينه محيطاً بالكلّ بحيث لم يبق دينٌ من لدن آدم (ع) الى انقراض العالم الّا و هو شعبة من دينه و ليظهره بحسب الظّاهر على كلّ الاديان بحيث لم يبق في بقعة من بقاع الارض دينٌ سوى دينه ، واتمام هذا في ظهور القائم (ع) وقد مضى هذه الآية في سورة التّوبة [وَكَفى بِاللهِ شَهِيداً] لرسوله اقررتم ام لم تقرّوا [مُحَمَّدٌ

رَسُولُ اللّٰهِ] هذه الجملة كسابقتها جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و محمّد مبتدء و رسول الله خبره او رسول الله صفته و قوله [وَالَّذِينَ مَعَهُ] عطف على محمّد (ص) عطف المفرد و المعنى على الوجه الاوّل محمّد رسول الله (ص) والّذين معه في المرتبة رسل الله ، وعلى الوجه الثّاني محمّد رسول الله (ص) مع الّذين معه [أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ] اوعطف على رسول الله (ص) على الوجه الاوّل والمعنى محمّدٌ رسول الله (ص) وهوالّذين معه في الدّرجة فانّه لا فرق بينه و بين من كان معه في الدّرجة، اوهوالّذين معه بالبيعة والتّوبة فانّه وان كان غيرهم بوجهٍ لكنّه فعليّتهم الاخيرة وقد مرّ مراراً انّ شيئيّة الشّيء بفعليّته الاخيرة فشيئيّتهم الّتي هي فعليّتهم الاخيرة محمّد (ص) باعتبار تنزّله بصورته الى مراتبهم فانّه قد مضى مكرّراً انّ البيعة تورث تكيّف البائع بحسب نفسه و فعليّته الاخيرة بصورةٍ نازلةٍ من الّذي بويع معه ، وقوله تعالى اشدّاء على الكفّار [رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] قرئ بالرّفع خبراً لمحمّد (ص) و الّذين معه على وجهٍ او خبراً للّذين معه على وجهٍ ، اوخبراً لمبتدءٍ محذوفٍ على وجهٍ ، وقرئ بالنّصب حالاً ، ولم يأت بأداة الوصل للاشعار بانّهم جامعون بين الوصفين في جميع الاحوال لا انّ بعضهم اشدّاء و بعضهم رحماء ، ولا انّهم في حال اشدّاء و في حالٍ رحماء كأنّهم مرجوا الشّدّة بالرّحمة نظير حلوٌ حامضٌ ، لكن الاشدّاء بمادّته والرّحماء بهيئته يدلّ على انّهم جامعون بين الوصفين و كاملون فيهما [تَرَيٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا] كأنّهم من كثرة صلوتهم مزجوا بين الوصفين [يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوٰنًا] الفضل عبارة عمّا يفيض الله على العباد بحسب مقام كثرتهم، والرّضوان عبارة عمّا يفيضه عليهم بحسب مقام وحدتهم و بعبارةٍ اخرى الفضل جزاء الاعمال المأخوذة بحسب قبول الرّسالة وهي احكام القالب، والرّضوان جزاء الاعمال المأخوذة بحسب قبول الولاية وهي احكام القلب والرّوح [سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ] المراد به الاثر الّذي يحدث في جباههم من كثرة السّجود في الصّلوة ، اوالمراد الاثر الّذي يحدث في وجوههم من السّهر بسبب صلوة اللّيل ، اوالاثر الّذي يحدث في وجوههم من كثرة خشوعهم لله تعالى [ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرٰيةِ] .

اعلم، انّ السّالك له شأنان ؛ شأن السّلوك وشأن الجذب وهو بشأن السّلوك يؤدّي الحقوق و يقيم كثرات وجوده من قواه وجنوده و يقيم من كان تحت يده من اهله وعياله وخدمه وحشمه و يصلحهم و يسدّ فاقتهم، و بشأن الجذب ينصرف عن الكثرات الى الوحدة و يجذب قواه وجنوده وعياله الى جهة الوحدة ، و يجعل مرمّة معاشه ومعاش من تحت يده بحيث يؤدّي الى حسن معاده، و بعبارةٍ اخرى له توجّه الى الكثرات وتوجّه الى الوحدة ، و بتوجّهه الى الكثرة يصلح معاشه بحيث يؤدّي الى حسن معاده ، و بتوجّهه الى الوحدة يصرف قواه وجنوده عن الكثرة الى الوحدة ، و بعبارةٍ اخرى له قربان؛ قرب النّوافل وقرب الفرائض ، و بعبارةٍ اخرى مايصل اليه من الله امّا يصل اليه بكسبه واعماله وسبق استعداده واستحقاقه واختياره وانانيّته، اومن دون ذلك، والكامل ايضاً له نظران ؛ نظر الى الكثرة و نظر الى الوحدة ، و وجه الى الكثرة و وجه الى الوحدة ، و بالوجه الى الوحدة يأخذ من الله و بالوجه الى الكثرة يفيض ما يأخذه على غيره ، و بتفاوت هذين النّظرين يختلف الكاملون في مراتب الكمال ، و الكامل المطلق من كان نظره الى الطّرفين متساوياً من غير ترجّحٍ لاحد الطّرفين على الآخر وهو شأن محمّد (ص) والّذين معه، وامّا سائر الانبياء (ع) فلا يخلو احد منهم من رجحان احد الطّرفين وانّ موسى (ع) كان نظره الى الكثرات غالباً على نظره الى الوحدة ، وعيسى (ع) كان نظره الى الوحدة غالباً ولذا نقل فيما نقل انّ محمّداً (ص) قال: انّ اخي موسى (ع) كان عينه اليمنى عمياء ، واخي عيسى (ع) كان عينه اليسرى عمياء ، وانا ذوالعينين ، وللاشارة الى انّ محمّداً (ص) والمحمّديّين جامعون للطّرفين و كاملون في النّظرين وتامّون في القربين قال: ذلك الّذي ذكرنا من اتّصافهم بالاوصاف الاختياريّة والاحكام القالبيّة ، واصلاح الكثرة مثلهم

فى التّوراة الّذى هونشأة موسى (ع) [وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ] الّذى هوحال نشأة عيسى (ع) [كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ] قرئ بسكون التّاء وفتحها وقرئ بالمدّ و بالقصر، والشّطأ فرخ الحيوان والنّبات وورق النّبات [فَآزَرَهُ] قرئ من الثّلاثىّ المجرّد و بالمدّ من باب الافعال اوالمفاعلة والمعنى اعانه وقوّاه حتّى لحقت هذه الافراخ الامّهات او حتّى استكمل الاوراق [فَاسْتَغْلَظَ] الزّرع او الشّطأ [فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ] فاستوى الزّرع او الفرخ [يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ] بحسنه و استغلاظه، قيل: هذا مثل ضربه الله تعالى لمحمّد (ص) واصحابه فالزّرع محمّد (ص) والشّطأ اصحابه والمؤمنون حوله وكانوا فى ضعف وقلّة كما يكون اوّل الزّرع دقيقاً ثمّ غلظ وقوى و تلاحق فكذلك المؤمنون قوّى بعضهم بعضاً حتّى استغلظ واستووا على امرهم [لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] بالبيعة الخاصّة فانّها اصل جميع الصّالحات، ومن باع البيعة الخاصّة كان كأنّه عمل جميع الصّالحات اوآمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات على طبق ما اخذ منهم فى بيعتهم [مِنْهُمْ] من النّاس او من الّذين آمنوا اومن الّذين مع محمّد (ص) [مَغْفِرَةً] ستراً لمساويهم [وَأَجْرًا عَظِيمًا] لايمكن ان يوصف. ٣٣٠

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

مدنيّة، وقيل الّا آية: يا ايّها النّاس انّا خلقناكم من ذكر وانثى (الاية)، ثمانى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة فانّ هذا حكم قالىّ لجملة المسلمين [لَا تُقَدِّمُوا] قدم كنصر وقدّم من التّفعيل و استقدم و تقدّم بمعنىً والمعنى لاتمشوا [بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ] والمقصود لاتقدّموا بين يدى رسوله لكنّه اضاف الله للاشعار بانّ التّقدّم بين يدى رسول الله (ص) هوالتّقدّم بين يدى الله لانّ رسوله مظهره، وقرئ لا تقدّموا من التّفعّل اى لا تتقدّموا، ويجوز ان يكون لا تقدّموا بضمّ التّاء وكسر الدّال من قدّمه اذا جعله مقدّماً فى الامر، ويكون المعنى لاتقدّموا احداً على الله و رسوله (ص)، اولاتقدّموا امراً على امر الله و رسوله (ص) اولاتختاروا امراً بين يدى رسوله (ص) من دون اذنه، اولاتجعلوا امر انفسكم مقدّماً على امر الله بان تجعلوا فى الاعمال المعاديّة امر النّفس و الغايات النّفسيّة نصب اعينكم غافلين عن امر الله، و بان يكون نظركم فى الاعمال المعاشيّة الى ما يزيّنه لكم انفسكم من دون نظرفيها الى امر الله ونهيه، والمقصود من الكلّ هوالمقصود من كلّ القرآن وهو لاتقدّموا احداً فى الخلافة ولاتُقَدِّموا على الخلافة من دون امر الله ورسوله (ص) [وَاتَّقُوا اللَّهَ] اى سخطه فى الاقدام على الامور الشّرعيّة [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] لما تقولون فى امر الخلافة، اولما تأمركم انفسكم عند اعمالكم المعاديّة والمعاشيّة [عَلِيمٌ] بنيّاتكم و دقائق اعمالكم واحوالكم و مكنوناتكم التّى لااطّلاع لكم عليها [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لمّا كانت السّورة المباركة لتأديب الامّة صدّر كلّ حكم منها بالنّداء تلطّفاً بهم و تنشيطاً لهم للاستماع وجبراً لكلفة التّأديب بلذّة الخطاب [لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ] سواء كان فوق صوته (ص)

اولم يكن [كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ] كراهة ان تحبط [أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ] فانّ رفع الصّوت عنده تركٌ لتعظيمه او اظهارٌ لتحقيره وكلاهما موردٌ لحبط العمل ، وورد انّ رسول الله (ص) كان اذا رفع احدٌ عنده صوته رفع صوته فوق صوته [إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى] امتحنه اختبره ، وامتحن الله قلبه وسّعه وشرحه ، وللتّقوى علّة لامتحن حصوليّة او تحصيليّة يعنى لكونهم متّقين وسّع الله قلوبهم وشرحها ، اولاجل تحصيل التّقوى شرح الله قلوبهم ، او اختبر الله قلوبهم ، والمؤمن الممتحن هو الّذى شرح الله صدره بنزول السّكينة فيه وظهور ملكوت الامام عليه ولذلك قال علىّ (ع) فى حديث المعرفة بالنّورانيّة : انّ من عرفنى بالنّورانيّة هو المؤمن الممتحن قلبه للايمان ، ومن امتحن الله قلبه للتّقوى يستشعر مداماً بعظمة الله وعظمة رسوله فلا يمكنه رفع الصّوت عند الرّسول (ص) [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ] ويجوز ان يكون الوقف على قوله قلوبهم ويكون للتّقوى تعليلاً لما بعده [إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ] ولذلك لايعظّمونك ويجعلونك مثل واحدٍ منهم [وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] تقوية لجهة الرّجاء ، فى المجمع : نزل قوله : يا ايّها الّذين آمنوا (الى قوله) غفورٌ رحيمٌ فى وفد تميم وهم اشراف بنى تميم فى وفدٍ عظيم ، فلمّا دخلوا المسجد نادوا رسول الله (ص) من وراء الحجرات ، ان اخرج الينا يا محمّد ، . . فاذى ذلك رسول الله (ص) فخرج اليهم فقالوا : جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فاذن رسول الله (ص) فقام خطيبهم اوّلا وخطب ، فقال رسول الله (ص) لثابت بن قيس : قم فاجبه ، فقام وخطب احسن من خطيبهم ، ثمّ قام شاعرهم واجابه حسّان بن ثابت ، فلمّا فرغوا قال الاقرع بن حابس الّذى كان من اشرافهم : هذا الرّجل خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا ، واصواتهم اعلى من اصواتنا ، فلمّا فرغوا اجازهم رسول الله (ص) فأحسن جوائزهم واسلموا [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا] نزلت الآية فى الوليد بن عقبة بعثه رسول الله (ص) فى صدقات بنى المصطلق فخرجوا يتلقّونه فرحاً به وكانت بينهم عداوة فى الجاهليّة فظنّ انّهم همّوا بقتله فرجع الى رسول الله (ص) وقال : انّهم منعوا صدقاتهم فغضب النّبىّ (ص) فنزلت الآية ، وقيل : نزلت فى عائشة حين رمت مارية القبطيّة بجريح القبطىّ ، فدعا رسول الله (ص) علياً (ع) وقال : يا اخى خذ هذا السّيف فان وجدته عندها فاقتله ، فقال : يا رسول الله (ص) اكون فى امرك اذا ارسلتنى كالسّكّة المحماة امضى لما امرتنى ام الشّاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فقال : بل الشّاهد يرى ما لا يرى الغائب ، قال علىّ (ع) فأقبلت متوشّحاً بالسّيف فوجدته عندها فاخترطت[1] السّيف فلمّا عرف انّى اريده أتى نخلة فرقى اليها ثمّ رمى بنفسه على قفاه وشغر[2] برجليه فاذا انّه اجبّ امسح ، ماله ماللرّجال ، فرجعت فأخبرت النّبىّ (ص) فقال : الحمد لله الّذى يصرف عنّا السّوء اهل البيت ، والمعنى ان جاءكم جنس الفاسق الخارج عن طاعة الله ورسوله اوجاءكم فاسق واحد فتبيّنوا الخبر وتجسّسوا صدقه وكذبه ، وقد مضى مكرّراً انّ مفهوم المخالفة غير معتبر فى المخاطبات خصوصاً فى الاحكام فليس المقصود ان جاءكم عادل فاعملوا ولا تبيّنوا ، ولا ان جاءكم فاسقان فلا تبيّنوا واعملوا ، فمن اعتبر المفهوم وقال : خبر العدل الواحد حجّة باعتبار مفهوم مخالفة هذه الآية لا يُصغى اليه [أَنْ تُصِيبُوا] كراهة ان تصيبوا [قَوْماً بِجَهالَةٍ] بحالهم [فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ] فتبيّنوا الاخبار بالعرض عليه واستأذنوه فى العمل بها حتّى لا تصيروا نادمين على فعلكم ، اوهو تمهيد لما بعده كأنّه قال : انّ هذا الّذى هو فيكم هو رسول الله (ص) اعتباراً للوصف العنوانىّ [لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ] ويطرح امر الله وحكمه [لَعَنِتُّمْ]

(١) اخترط السّيف = استله . (٢) اى دفع . .

لتعبتم اوهلكتم وهو ردّ لما اشار اليه بعضهم من الابقاع ببنى المصطلق [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ] استدراكٌ لما توهّم من انّهم ارادوا ان يحملوا رسول الله (ص) على طاعتهم كأنّه قال لكنّ الله حبّب [إِلَيْكُمُ الْإِيمٰانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيٰانَ] فلا تريدون حمل الرّسول (ص) على اتّباعكم والمراد بالايمان علىّ (ع)، او قبول ولايته، او محمّد (ص)، او قبول رسالته الّذى هو الاسلام [أُولٰئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّر وصرفٌ للخطاب عن المؤمنين والجملة معترضة اوغير معترضة [فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَنِعْمَةً] مفعول له لحبّب وكرّه او تعليل للرّاشدون بتقدير اللّام لعدم صحّة جعله مفعولاً له للرّاشدون لعدم اتّحاد المرفوع وقد تكرّر تفسير الفضل بمحمّد (ص) ورسالته واحكام رسالته وقبول رسالته، وتفسير النّعمة بعلىّ (ع) وولايته وآثار ولايته وقبول ولايته [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] باحوالكم ودقائق مايصلحكم ولذلك زيّن الايمان فى قلوبكم وكرّه الكفر [حَكِيمٌ] لايفعل ما يفعل الّا لغاية محكمة متقنة [وَإِنْ طٰائِفَتٰانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] اى المسلمين [اقْتَتَلُوا] بيانٌ لادب المعاشرة [فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمٰا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدٰيهُمٰا عَلَى الْأُخْرٰى فَقٰاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّٰى تَفِيءَ إِلٰى أَمْرِ اللّٰهِ] بالرّجوع الى الرّسول وما حكم به [فَإِنْ فٰاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمٰا بِالْعَدْلِ] لمّا كان الاصلاح بعد الامر بالمقاتلة مع الباغين مظنّة للحيف قيّده بالعدل، او المراد انّ الاصلاح كما يكون باستيفاء جميع الحقوق من الطّرفين يكون باسقاط بعض الحقوق والاغماض عن بعض فقيّده بالعدل للاشعار بانّ الاصلاح ينبغى ان يكون باستيفاء الحقوق [وَأَقْسِطُوا] فى جميع الامور حتّى فى العبادات فلاتضيّقوا على انفسكم [إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] قيل: نزلت فى قتال وقع بين الاوس والخزرج فى عهد الرّسول (ص) بالسّعف والنّعال، وعن الصّادق (ع) لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص): انّ منكم من يقاتل بعدى على التّأويل كما قاتلت على التّنزيل، فسئل من هو؟ قال: خاصف النّعل يعنى امير المؤمنين (ع) فقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الآية مع رسول الله (ص) ثلاثاً وهذه الرّابعة والله لوضربونا حتّى يبلغوا بنا السّعفات من هجر لعلمنا انّا على الحقّ وانّهم على الباطل، وكانت السّيرة فيهم من امير المؤمنين (ع) ماكان من رسول الله (ص) فى اهل مكّة يوم فتح مكّة فانّه لم يسب لهم ذرّيّة وقال: من اغلق بابه فهو آمنٌ، ومن القى سلاحه فهو آمنٌ، ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمنٌ، وكذلك قال امير المؤمنين (ع) يوم البصرة نادى فيهم لاتسبوا لهم ذرّيّة، ولاتجهزوا على جريح، ولاتتبعوا مدبراً، ومن اغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] قد مضى فى سورة البقرة وفى سورة النّساء وجه كون المؤمنين اخوةً عند قوله تعالى: وبالوالدين احساناً وذكر انّما المؤمنون اخوة ليكون تمهيداً وتعليلاً ورفعاً لكلفة التّكليف بالاصلاح لقوله تعالى: [فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ] وهذا اعمّ من سابقه فانّ المراد ههنا انّه اذا وقع اختلاف بين المؤمنين سواء بلغ الى حدّ المقاتلة او لم يبلغ فأصلحوا بينهما [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] وسخطه فى الحيف والميل الى احد الطّرفين [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] على اصلاحكم وعدم ميلكم، اولعلّكم ايّها المتخالفون والمصلحون جميعاً ترحمون [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ادبٌ آخر ولمّا كانت السّخريّة من الخلق سجيّةً لاكثر النّاس وتركها كان صعباً صدّره بالنّداء جبراناً لكلفته [لٰا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا] اى القوم المسخور منهم [خَيْرًا مِنْهُمْ] اى من السّاخرين [وَلٰا نِسٰاءٌ مِنْ نِسٰاءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ] قال القمّىّ: نزلت فى صفيّة بنت حيّ بن اخطب وكانت زوجة رسول الله (ص)

و كانت عائشة و حفصة توذيانها و تشتمانها و تقولان لها : يا بنت اليهوديّة ، فشكت الى رسول الله (ص) فقال لها : الا تجيبينهما ؟ـ فقالت : بماذا يارسول الله (ص) ؟ـ قال : قولي لهما : انّ ابي هارون (ص) نبيّ الله ، وعمّي موسى كليم الله ، وزوجي محمّد (ص) رسول الله (ص) فما تنكران منّي ؟ ! فقالت لهما : فقالتا هذا علّمك رسول الله (ص) [وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ] أتى بهذه الكلمة اشعاراً بعلّة الحكم حيث انّ المؤمنين كلّ منهم بمنزلة نفس الآخر [وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ] النسبة بان يلقّب بعضكم بعضاً بلقب سوء [بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ] الخروج عن عهد محمّد (ص) وعقده و شروط عقده بذلك و انّما أتى بالفسوق مقام الضّمير او اسم الاشارة للاشعار بانّ ذلك فسوق و خروج عن عهدة عهد الله [بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ] عن السّخريّة واللّمز والنّبذ بالالقاب ، و أتى بذكر التّوبة اشعاراً بانّه معصية [فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] لاظالم اظلم منهم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لمّا كان الحكم الآتي ايضاً ممّا يصعب امتثاله لكون الظّنّ في جبلّة اكثر النّاس أتى بالنّداء [اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ] ابهام الكثير ليحتاط في كلّ ظنّ و يتبيّن انّه من اىّ القبيل.

اقسام الظّنّ وهي خمسة بحسب الاحكام الخمسة

[إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ] اجتناب اصل الظّنّ غير مقدور للمكلّفين الّا ان يكون الامر باجتناب الظّنّ امراً باجتناب مباديه ، وامّا اجتناب اتّباعه فانّه مقدور لكلّ احد والظّنون مختلفة فظنّ يجب اتّباعه لو حصل ، و يجب تحصيله لو لم يكن حاصلاً و هو الظّنّ حين الشّكّ في الصّلوة ، والظّنّ حين الاحتياط في العمل ، وكالظّنّ الحسن بالله و بالمؤمنين ، وظنّ يستحبّ اتّباعه لو حصل و يستحبّ تحصيله لو لم يكن حاصلاً كالظّنّ بحاجة المؤمن ، و تحصيل الظّنّ بحاله من حاجة و غيرها ، و ظنّ يكره اتّباعه و تحصيله كالظّنّ بنجاسة شيء لا يحصل من تطهيره ضرر معتدّ به ، وظنّ يحرم اتّباعه و تحصيله كالظّنّ بسوات المؤمنين و عوراتهم و فحشائهم ، و ظنّ مباح ، فبعض الظّنّ اثم يجب اجتنابه و ترك اتّباعه ، وعن علىّ (ع) قال : ضع امر اخيك على احسنه حتّى يأتيك ما يقلّبك منه ، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من اخيك سوء و انت تجد لها في الخير محملاً ، وعنه (ع) : اذا استولى الصّلاح على الزّمان واهله ثمّ اساء رجل الظّنّ برجل لم يظهر منه خزية فقد ظلم ، واذا استولى الفساد على الزّمان واهله ثمّ احسن الرّجل الظّنّ برجل فقد غرر.

معنى الغيبة

[وَلَا تَجَسَّسُوا] عن عورات المؤمنين حتّى يحصل لكم ظنّ سوء ، و قرئ لا تحسّسوا بالحاء المهملة وهو بمعناه ، عن الصّادق (ع) قال رسول الله (ص) : لا تطلبوا عثرات المؤمنين فانّه من تتبّع عثرات اخيه تتبّع الله عثرته ، و من تتبّع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته [وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا] اى لا يذكر بعضكم بعضاً بالسّوء في غيبته ، والغيبة ان تظهر بلسانك او بسائر جوارحك بالتّصريح او بالكناية والتّلويح عيباً للمؤمن قد ستره الله عليه في غيابه ، و حيث لم يكن يعلم باظهارك ، وامّا العيوب الّتي لم تكن في المؤمن فنسبتها اليه في حضوره وغيابه تكون بهتاناً و تكون اشدّ من الغيبة ، و يظهر ممّا ذكرنا في سورة البقرة في بيان قوله تعالى : و بالوالدين احساناً وجه حرمة السّخريّة بالمؤمن ولمزه و نبزه باللّقب السّوء والظّنّ به و تجسّس عورته و الغيبة له و البهتان له ، و يظهر ايضاً سرّ كونها اشدّ من الزّنية ، و قد ذكر في الفقه الموارد الّتي يجوز الغيبة فيها ، وعن الصّادق (ع) انّه سئل عن الغيبة فقال : هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل ، و تبثّ عليه امراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حدّ ، وفي رواية : وامّا الامر الظّاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا ، وعن

الكاظم (ع) من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه النّاس لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لا يعرفه النّاس اغتابه ، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته ، وفي حديث : قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره النّاس ، وفي اخبار عديدة مضمون قول النّبيّ (ص) : ايّاكم والغيبة فانّ الغيبة اشدّ من الزّنا ، ثمّ قال : انّ الرّجل يزني و يتوب فيتوب الله عليه ، وانّ صاحب الغيبة لا يغفر له الّا ان يغفر له صاحبه ، والغيبة المحرّمة تكون للمؤمن اوللمسلم مطلقاً اولمن قبل صورة الاسلام منتحلاً كان اومسلماً اومؤمناً ، قال بعض اهل المعرفة : غير المؤمن حكمه حكم الانعام فكما لا غيبة للانعام لا غيبة لغير المؤمن ، ولغير المتّصف بالاسلام حقيقةً فانّ منتحل الاسلام كمنتحلي التّهوّد و التّنصّر لا حرمة له انّما الحرمة لمن اتّصل بمظاهر الله بالبيعة العامّة او الخاصّة ، و التّحقيق انّ رؤية العيب من العباد بل من مطلق خلق الله ليست الّا من نظر رديّ خسيس وهو النّظر الى الاشياء مباينة للحقّ المقوّم الصّانع لها مع الغفلة عن الحقّ تعالى وصنعه ، ومع النّظر الى النّفس والاعجاب بها ، اومع الغفلة عنها وعن عيوبها ، واذا أراد الله بعبد شرّاً بصّره عيوب غيره وأعماه عن عيوب نفسه ، وذكر الاشياء و تعييبها في الحقيقة راجع الى تعييب الصّنع ، والغفلة عن الصّانع وصنعه حين النّظر الى المصنوع كفر للصّانع ، والغفلة من النّفس و عيوبها مذموم ، و رؤية النّفس والاعجاب بها اصل جميع الشّرور ، فرؤية السّوء من غير الانسان قبيحة ، و رؤيته من الانسان اقبح ، ومن المنتحل للاسلام اشدّ قبحاً ، ومن المسلم اشدّ قبحاً ، ومن المؤمن اشدّ قبحاً ، وذكره في غيابه اوحضوره بسوء لا قبيح اقبح منه حتّى نسب الى الخبر انّه اشدّ من سبعين زنية مع الامّ تحت الكعبة ، ولذلك نسب الى عيسى (ع) انّه مرّ مع الحواريّين على جيفة كلب منتنة فقال الحواريّون : ما انتنه .. ! فقال عيسى (ع) : ما ابيض اسنانه .. ! و روي انّ نوحاً مرّ على كلب كريه المنظر فقال نوح : ما اقبح هذا الكلب فجثا الكلب و قال بلسان طلق ذلق : ان كنت لا ترضى بخلق الله فحوّلني يا نبيّ الله ، فتحيّر نوح واقبل يلوم نفسه بذلك و ناح على نفسه اربعين سنة حتّى ناداه الله تعالى الى متى تنوح يا نوح ؟ فقد تبت عليك ، وعن النّبيّ (ص) : المؤمن اذا كذب بغير عذر لعنه سبعون الف ملك وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش ، و يلعنه حملة العرش و كتب الله عليه بتلك سبعين زنية اهونها كمن يزني مع امّه ، والكذب قبيح من كلّ احد خصوصاً من المؤمن لكن غيبة المؤمن اقبح منه بمراتب ، وعنه (ص) : من آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التّوراة والانجيل والزّبور والفرقان ، وهو ما ذكرنا في سورة البقرة من انّ غيبة المؤمن وذكره بسوء في غيابه وحضوره وايذاءه كلّها راجع الى صاحبه ، فمن اغتاب مؤمناً وذكره بسوء كان كمن اغتاب صاحبه وذكره بسوء ، واغتياب صاحبه الّذي هو اعظم آيات الله وذكره بسوء فوق جميع المعاصي وغايتها كما قال تعالى : ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤا السّوءى ان كذّبوا بآيات الله واستهزؤا بها ، وقال (ص) : من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنّة ابداً ، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتاب في النّار خالداً فيها و بئس المصير ، فالغيبة بما ليس في المؤمن تجمع خواصّ الغيبة والكذب جميعاً ، وقال (ص) : انّه يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله و يدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول : الهي ليس هذا كتابي ! لانّي : لا ارى فيها طاعتي ! فيقول له : انّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب النّاس ، ثمّ يؤتى بآخر و يدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول : ما هذا كتابي ! فانّي ما عملت هذه الطّاعات ! فيقول : لانّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك ، و قال (ص) : كذب من زعم انّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبة واجتنبوا الغيبة فانّها ادام كلاب النّار ، ونعم ما قال المولوي قدّس سرّه :

عیب بر خود نه نه بر آیات دین — کی رسد بر چرخ دین مرغ گلین
پس تو حیران باش بی لا و بلی — تا ز رحمت پیشت آید محملی
عیب باشد کو نبیند جز که عیب — عیب کی بیند روان پاك غیب
ای خنك جانی که عیب خویش دید — هرچه عیبی دید آن بر خود خرید

[أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ] ولقد أتى بالاستفهام الانكاريّ وبالاحد للعموم وبأكل لحم الميّت من الاخ وبتأكيد مفهوم نفي الحبّ بعطف كرهتموه للمبالغة البالغة في النّهي عن الغيبة وتمثيل الغيبة بأكل لحم الميتة لانّ الاسماء قوالب المسمّيات ولاحكم لها على حيالها، ومن ذكر مؤمناً بسوء لايكون ذلك منه الا بتخلية المؤمن عن لطيفة ايمانه فذكره على لسانه وسماعه بسمعه بمنزلة لحمه الخالي عن الرّوح الممضوغ بفمه والدّاخل في جوفه فانّ دخوله في جوفه من طريق سمعه كدخوله في جوفه من طريق حلقه، ولذلك ورد انّ السّامع للغيبة شريك المغتاب [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فلاتغتابوا وتوبوا ان اغتبتم، ولمّا كان في جبلّة الانسان رؤية العيب من الغير وذكر ما رآه على لسانه وقد بالغ تعالى في ذمّ الغيبة والنّهي عنه وكان ذلك مورثاً لليأس اغلب النّاس عن رحمته تعالى قال: [إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ] بعد ذلك ترجيحاً لجانب الرّجاء [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] هذا الّذي يأتي تأكيدٌ للنّواهي السّابقة وتعليلٌ لها [إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى] يعني من هذين الجنسين اومن آدم وحوّاء(ع) [وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ] الشّعوب للعجم كالقبائل للعرب، وقيل: الشّعب بفتح الشّين الجمع العظيم المنتسبون الى اصلٍ واحدٍ وهو يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الافخاذ، والفخذ يجمع الفصائل، والاقل من الكلّ الفصيلة، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصيّ بطن، وهاشم فخذ، وعبّاس فصيلة [لِتَعَارَفُوا] لا ان تفاخروا وتنابزوا وتلمزوا وتسخروا وتغتابوا [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] فليست الكرامة والشّرف بالنّسب والحسب والمال والجمال وكثرة الاولاد والخلوّ من العيوب [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ] بالمتّقي منكم والاتقى وبالشّقيّ والاشقى [خَبِيرٌ] بما لايتعلّق علمكم به من بواطن اموركم وقدر استعداداتكم واستحقاقكم [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا].

اعلم، انّ الاسلام وهو الدّخول تحت احكام القالب يحصل بمحض الاقرار اللّساني والبيعة العامّة النّبويّة، ولذلك كانوا يدخلون النّاس في الاسلام بالبيعة العامّة بالتّخويف والسّيف والقتل والاجلاء والاسر والنّهب وهو في الحقيقة انقياد للسّلطنة الخلقيّة لا للحكومة الالهيّة، فان كان مع ذلك اعتقاد بالحكومة الالهيّة وانقياد في القلب كان الاسلام حقيقة وسمّوا مسلمين حقيقة والّا كانوا مسلمين ظاهراً لاحقيقةً، والايمان وهو الدّخول تحت احكام القلب يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وليس الّا انقياد القلب لمن آمن على يده، وبعبارة اخرى الاسلام الحقيقيّ قبول الرّسالة كما انّ الاسلام الظّاهريّ قبول احكام الرّسالة، والايمان قبول احكام النّبوّة والولاية، وبعبارة اخرى؛ الاسلام قبول الدّعوة الظّاهرة، والايمان قبول الدّعوة الباطنة، وبعبارة اخرى الاسلام تحلّي الظّاهر بحلية الشّريعة، والايمان تكيّف الباطن بكيفيّة الامام الّتي هي صورة نازلة منه ملكوتيّة تدخل قلب المؤمن وبها يكون فعليّته الاخيرة، وبها تحصل الابوّة والبنوّة بين الامام والمؤمن، وبها تحصل الاخوّة بين المؤمنين وهي الّتي اذا ظهرت على صدر المؤمن صارت سكينةً وفكراً وحضوراً وهي ظهور القائم(ع) في العالم الصّغير، وبها تحصل المعرفة بالنّورانيّة وبها تشرق الارض بنور ربّها، ولمّا كانت الاعراب بمحض البيعة العامّة والدّخول تحت احكام القالب قالوا: آمنّا، ولم يكونوا يؤمنون بالبيعة الخاصّة ولم يتكيّف قلوبهم بكيفيّة الامام ولم يتنزّل صورة الامام في قلوبهم فانّها لاتتنزّل الّا بالبيعة الخاصّة والاتّصال المعنويّ بالامام(ع). قال الله تعالى لنبيّه: قل لهم الايمان غير الاسلام والاسلام الظّاهريّ الّذي هو الدّخول تحت السّلطنة بمحض البيعة العامّة غير الاسلام الحقيقيّ الّذي هو الانقياد تحت الحكومة الالهيّة بالبيعة العامّة فانّف الايمان عنهم رأساً و[قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ] اقتصروا في القول على ما هو المتيقّن من الدّخول تحت

السّلطنة بالبيعة العامّة و [قُولُوا أَسْلَمْنَا] ولم يقل اسلمتم لايهام اثبات الاسلام الحقيقيّ والحال انّه ليس بمتيقّن [وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ] الّذى هو كيفيّة نازلة من الامام فى قلب المؤمن بالبيعة [فِي قُلُوبِكُمْ] لعدم وقوع تلك البيعة منكم وقد مرّ فى اوّل البقرة بيان معانى الاسلام والايمان [وَ] لكن [إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ] حتّى يتحقّق بالطّاعة فيكم حقيقة الاسلام[٣٦١] [لَا يَلِتْكُمْ] لاينقصكم [مِنْ أَعْمَالِكُمْ] بانفسها على تجسّم الاعمال ومن اجورها [شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] يغفر منكم زلّاتكم ولاينظر الى عدم ايمانكم والى انّ الاسلام الظّاهر لاينفع سوى المنافع الدّنيويّة [رَحِيمٌ] يتفضّل عليكم بأنواع فضله ولاينظر الى عدم استحقاقكم [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] بعد مانفى ايمانهم بمحض البيعة العامّة بيّن انّ الايمان ليس محض البيعة العامّة وقال: انّما المؤمنون [الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] اى باعوا البيعة الخاصّة الّتى بها يحصل الايمان والدّخول تحت احكام القلب وقبول احكام الولاية فبقوا عليه حتّى يظهر لهم آثار الولاية ويصلوا الى حدود القلب ولذلك أتى بثمّ وقال [ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا] فانّ البائع البيعة الخاصّة قلّما ينفكّ عن الارتياب والاضطراب فى اوّل الامر، واذا ظهر عليهم آثار الولاية وظهر لهم رذائل الصّفات وخصائلها حصل لهم الاطمينان وجاهدوا لامحالة مع جنود الشّيطان ولدفع الرّذائل وجلب الخصائل ولذلك قال [وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ] من الاعراض الدّنيويّة والاعراض النّفسانيّة والقوى البدنيّة والوجاهة الانسانيّة، ونسب الافعال والاوصاف الى انفسهم [وَأَنْفُسِهِمْ] من انانيّاتهم الّتى هى اصل سيّئاتهم وشرورهم [فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ] الخارجون من الاعوجاج.

اعلم، انّ الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة امّا يكون صاحبه فى مقام الصّدر غير خارج منه الى نواحى القلب وهذا لايخلو من اضطراب فى بعض الاحيان ولايخلو من صرف الاعمال عن جهتها الآلهيّة الى الجهات النّفسانيّة فلايخلو ايضاً من اعوجاج، واذا خرج من حدود الصّدر الّذى هو محلّ الاسلام الى حدود القلب الّذى هو محلّ الايمان صار خارجاً من الارتياب ومن الاعوجاج الّذى هو مداخلة اغراض النّفس فى الاعمال الآلهيّة، وكأنّ القسم الاوّل غير خارج عن حقيقة الاسلام وغير داخل فى حقيقة الايمان وان كان يحصل بالبيعة الخاصّة صورة الايمان ولهذا قال الصّادق (ع) فيما ورد عنه: انّما تمسّكتم بأدنى الاسلام فايّاكم ان يفلت من ايديكم، وللاشارة الى حقيقة الايمان الّتى بها يحصل الصّدق فى الاعمال ويرتفع الارتياب قال: ثمّ لم يرتابوا (الى آخر الآية) وللاشارة الى حصول صورة الايمان بمحض البيعة الخاصّة قال: الّذين آمنوا بالله ورسوله يعنى بالبيعة الخاصّة لانّ المخاطبين كانوا بائعين بالبيعة العامّة فلم يكن المراد البائعين البيعة العامّة وانّما اقتصر على ذكر الاوصاف والآثار للمؤمنين لانّه ان قال: انّما المؤمنون الّذين باعوا البيعتين او باعوا البيعة الخاصّة او البيعة الولويّة لكان المنافقون طلبوا ذلك وزاحموا النّبيّ (ص) بذلك وآذوه طلباً لذلك [قُلْ] لهؤلاء الّذين يظهرون الايمان على السنتهم [أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ] يعنى ان كنتم مؤمنين فلاحاجة الى اظهاره فانّ الايمان هو وصف الهىّ وغايته الهيّة فان كان اظهاركم لاعلام النّاس بذلك لاينبغ ذلك لانّه وصف الهىّ لاخلقىّ، وان كان لاعلام الله لاينبغى ذلك ايضاً لانّكم بأعمالكم واوصافكم وأحوالكم غير خارجين من السّماوات والارض [وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] تعميم بعد تخصيص اوتأكيد، روى انّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاؤا وحلفوا انّهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا] من عليه منّاً ومنّنى كحلّيفى انعم عليه، ومن عليه منّة عدّ نعمته

عليه واعتدّ بها وعظّمها ، وهذا هوالمراد ههنا فانّهم اعتدّوا باسلامهم نعمةً عليه [قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ] لانّ الاسلام ليس نعمة لكم ولا لي بل هومقدّمة للايمان الّذى هونعمة لكم ولي فقل لهم : لاتعتدّوا باسلامكم ولاتعدّوه نعمة عليّ [بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ] ينعم عليكم اويعدّه نعمةً عليكم [أَنْ هَدَيٰكُمْ لِلْإِيمَانِ] ان ادخلكم فى الاسلام الّذى هوما به الهداية الى الايمان الّذى هونعمة [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى ادّعاء الاسلام ، قال القمّيّ : نزلت الآية فى عثمان يوم الخندق [إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] فيعلم خفيّات اموركم و صدق نيّاتكم ومكموناتكم الّتى لاخبرة لكم بها من القوى والاستعدادات المكمونة [وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] فيعلم اغراضكم فيها .

سورة قٓ

مكّيّة ، وقيل الّا قوله : ولقد خلقنا السّموات والارض (الى قوله) قبل الغروب ، خمسة واربعون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[قٓ] اسم لله اوللنّبيّ (ص) ، اوللقرآن ، اوللجبل المحيط بالدّنيا ، وهومن جبال عالم البرزخ اوالمثال اونفس عالم البرزخ لانّ خلفه عالم المثال [وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ] العظيم فى نفسه المنيع من التّسلّط عليه ، وجواب القسم محذوف اى انّك لرسول الله (ص) اوانّهم ليبعثون بقرينة ما بعده [بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] يعنى ماكذّبوك لانّهم وجدوك كاذباً بل كذّبوك لتعجّبهم من رسالة البشر [فَقَالَ الْكَافِرُونَ] برسالتك [هٰذَا] الّذى يدّعيه من الرّسالة من الله [شَيْءٌ عَجِيبٌ] يعجب منه ، اوهذا الّذى يقوله من البعث بعد الموت وتفتّت العظام شيء يتعجّب منه [أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا] نبعث ونرجع [ذٰلِكَ] الاحياء بعد الموت [رَجْعٌ بَعِيدٌ] لعدم امكانه فانّ البعث على ما يتصوّره العوامّ ، يقول الفلسفيّ الّذى يعدّ نفسه من الحكماء انّه محال عقلا لاستلزامه ردّ الفعليّة الى القوّة والاستعداد ، والموجود الى المعدوم كما بيّن فى محلّه [قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل : كيف يبعثون؟ والحال انّهم مختلطون بالارض ! [وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ] حافظ الجميع ما لهم من القوى والاعضاء وحافظ لاسمائهم واعدادهم واعمالهم من الخير والشّرّ ، اومحفوظ من التّغيير والتّبديل [بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ] يعنى ليس تكذيبهم للبعث لوجود البرهان عليه بل لانّهم صاروا باطلين ، والباطل لايصدّق الحقّ ومنه رسالتك وخلافة عليّ (ع) والقرآن والبعث [فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ] مختلط من الاهوية البهيميّة والاستعلاء السّبعيّة والحيل الشّيطانيّة ، اوهم فى امر مختلط من حال محمّد (ص) فيقولون : انّه مجنونٌ اوشاعرٌ اوساحرٌ اوكاهنٌ [أَ] لم يخرجوا من حدود انفسهم فلم يقوموا من نكسهم [فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا] بحيث لايمكن بقاء مواليد الارض بدون هذا البناء [وَزَيَّنَّاهَا] بالكواكب بحيث يتّصل اثرها

الى الارض ومواليدها ولولا آثار تلك الكواكب لما امكن بقاؤها [وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ] بحسب الصّورة يعنى ليس بناؤها مثل بناء البانين من البشر لايمكن لهم ان يبنوا بلافروج ومالها خلل ونقص فى خلقتها حتّى يمكن لاحد ان يقول: لوكان كذا لكان اولى [وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا] اى كيف مددنا الارض بحيث يمكن التّعيّش عليها والانتفاع بها بالزّراعات والتّجارات والعمارات [وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] اى صنف [بَهِيجٍ] من النّبات وبذلك الانبات يسهل تعيّشكم وتعيّش انعامكم وليس هذا من محض الطّبيعة كما يقوله اراذل النّاس من الطّبيعيّة والدّهريّة بل من مبدء عليم قدير رحيم حكيم مدبّر، وخلق الكلّ لبنى آدم كما هو المشهود، وليس ذلك لتعيّشهم فى الدّنيا كما يقوله منكروا البعث بل لتعيّشهم فى الدّنيا واستكمالهم فيها ليكونوا فى الآخرة على احسن وجه [تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] الى ربّه فانّ غيره لابتلائه بالحرص وطول الامل يمرّ على الآيات غافلاً عنها [وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا] كثير البركة فانّ بركات الارض كلّها من الماء وليس من ماء فى الارض الّا وقد خالطه ماء السّماء كما روى عن النّبىّ (ص): ليس من ماء فى الارض الّا وقد خالطه ماء السّماء، او المراد بالسّماء جهة العلو [فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ] نسبة الانبات الى الجنّات باعتبار انبات اشجارها مجاز عقلىّ [وَحَبَّ الْحَصِيدِ] يعنى انبتنا به حبّ النّبات الّذى من شأنه ان يحصد [وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ] طوالاً [لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ] منضود بعضها فوق بعض [رِزْقًا لِلْعِبَادِ] اى نرزق بذلك الطّلع بعد بلوغه ونضجه رزقاً للعباد، اوحالكون الطّلع رزقاً للعباد [وَأَحْيَيْنَا بِهِ] بذلك الماء [بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ] بعد المماة فما لكم تشاهدون اماتة الاشجار والاراضى عن الاوراق والنّبات واحياءها بعد ذلك وتنكرون احياء البشر بعد المماة، وهذا تمثيل لسهولة تصوير البعث اوتنبيه على البيّنة الوجدانيّة [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ] الّذين رسّوا نبيّهم فى الارض وقد مضى قصّتهم وبيان الرّسّ فى سورة الفرقان [وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ] المراد من فرعون هو وقومه كما اراد من ثمود وعاد الطّائفتين اللّتين سمّيتا بهما [وَإِخْوَانُ لُوطٍ] اى اخوان معاشرته [وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ] اى قوم شعيب كما سبق مكرّراً [وَقَوْمُ تُبَّعٍ] قد سبق فى سورة الدّخان [كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ] وفيه تسلية للرّسول (ص) وقومه وتهديد للكفّار بوعيده [أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ] فنعجز عن الاعادة بذلك؟ [بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ] اى فى اشتباه ولذلك انكروا الخلق الجديد لا انّ لهم برهاناً على عدم الاعادة كما يدّعيه الفلاسفة، اوفى اختلاط من خلق جديد يعنى انّ خلقتهم القديمة مختلطة بخلقتهم الجديدة لكنّهم غافلون عنه، اوفى لبس لباس على ان يكون اللّبس بفتح اللّام بمعنى اللّبس بضمّ اللّام وقد سبق فى اوّل البقرة عند قوله الّذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصّلوة و ممّا رزقناهم ينفقون وعند قوله و كيف تكفرون بالله و كنتم امواتاً (الآية) ما به غنية عن بيان كونهم فى خلق جديد، ونكّر الخلق الجديد لانّ الخلق الجديد لهم من قبيل الحركة فهم فى كلّ آن فى خلق غير الخلق الاوّل فلا بقاء لفرد من افراده حتّى يمكن ان يعرف، وعن الباقر (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال: تأويل ذلك انّ الله تعالى اذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار جدّد الله عالماً غير هذا العالم، وجدّد خلقاً من غير فحولة ولا اناث يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم ارضاً غير هذه الارض تحملهم، وسماء غير هذا السّماء تظلّهم، لعلّك ترى انّ الله انّما خلق هذا العالم الواحد، اوترى انّ الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق الف الف عالم، والف الف آدم، انت فى آخر تلك العوالم

حديث فى تجدّد العوالم غير هذا العالم

و اولئك الآدميّين [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ] تمهيد لعلمه تعالى بخفيّات امور الانسان و تعليل لقوله : قد علمنا ما تنقص الارض منهم ، و المراد بالانسان جنس الانسان [وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ] من خطرات قلوبه [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] تعليل لعلمه بخفيّات اموره ، والاوردة العروق النّابتة من الكبد و بها يجرى الدّم الّذى هو غذاء البدن الى الاعضاء كما انّ الشّرائين العروق النّابتة من القلب و بها يجرى الرّوح الحيوانىّ والرّوح الدّماغىّ الى الاعضاء وصار حبل الوريد مثلاً فى القرب [إِذْ يَتَلَقَّى] ظرف لاقرب او لنعلم اولهما يعنى نحن اقرب اليه اذ يتلقّى [الْمُتَلَقِّيَانِ] اى اذ يتلقّى الحفيظان ما يتلفّظ و ما يفعله والمعنى نحن اقرب اليه وقت تلقّى الكاتبين الفاظه و اعماله فلاحاجة لنا الى كاتب يكتب اعماله [عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ] مراقب كثيراً لاعماله [عَتِيدٌ] معدّ لكتابة الاعمال ، عن الصّادق(ع) : ما من قلب الّا وله اذنان على احديهما ملك مرشد وعلى الاخرى شيطان مفتّن هذا يأمره وهذا يزجره ، الشّيطان يأمره بالمعاصى ، و الملك يزجره عنها ، وهوقول الله تعالى عن اليمين و عن الشّمال قعيد ، وفى بعض الاخبار تلويح بانّ صاحب اليمين وصاحب الشّمال كليهما ملكان، صاحب اليمين اميرعلى صاحب الشّمال و يكتب الحسنات ، وصاحب الشّمال يكتب السّيّئات وهذا من سعة وجوه القرآن [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ] سكرة الموت كناية عن الغشية الحاصلة عنده ، وأتى بالماضى لتحقّق وقوعه [بِالْحَقِّ] لا يغيّر الحقّ حتّى تكون امارة كاذبة وقرئ : وجاءت سكرة الحقّ بالموت ، و الباء على القراءتين للتّعدية ، او بمعنى مع ، او للسّببيّة [ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ] وتفرّ ، والجملة حاليّة ، اوجوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول ، والخطاب لمطلق الانسان او لمنكر البعث [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ] وهذه ايضاً حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول اى يقال له ذلك اليوم العظيم يوم الوعيد الّذى كنت تنكره ، والمراد بالنّفخة النّفخة الثّانية كما انّ المراد بمجيء سكرة الموت النّفخة الاولى [وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] السّائق ملك موكّل على الانسان يسوقه الى المحشر و الى الآخرة ، ويزجره عن الوقوف فى المواقف ، والشّهيد ملك موكّل عليه يحضر معه فى كلّ موطن و يحفظ و يشهد عليه بجميع اعماله ، فانّه كما انّ الانسان فى الدّنيا له نوائب تمنعه عن الوقوف و الاطمينان بالدّنيا وله حالة يلتذّ بها فى المناجاة و الطّاعات كذلك فى الآخرة عليه ملك يزجره عن الوقوف و يسوقه ، وملك حاضر معه فى جميع مواطنه ، و هذان الملكان يكونان معه فى الدّنيا لكن لايعلم بهما ، وقيل المراد بالسّائق الملك الّذى هو صاحب الشّمال ، و بالشّهيد صاحب اليمين [لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا] مستأنفة او حاليّة بتقدير القول والمعنى كنت فى غفلة من هذا فى الدّنيا [فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ] فتبصر فى هذا اليوم ما كنت لاتبصره فى الدّنيا [فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] فتبصر فى هذا اليوم دقائق ما كنت لاتقدر على ابصاره فى الدّنيا [وَقَالَ قَرِينُهُ] اى الملك الموكّل عليه [هَذَا] المكتوب الّذى كتبته عليه [مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ] و مهيّاً للحضور و الاظهار وقال الشّيطان الّذى قيّض له هذا الضّال مالدىّ عتيدٌ و مهيّاً لجهنّم [أَلْقِيَا] من مقول قول القرين ، او استيناف كلام من الله بتقدير القول سواء جعل حالاً اومستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر والخطاب للسّائق والشّهيد ، او لمحمّد(ص) وعلىّ (ع) كما ورد فى اخبار عديدة من طريق الخاصّة والعامّة و زيد فى بعض الاخبار : وادخلا الجنّة من احبّكما [فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ] يتعدّى حدود الله او

معتدٍ على العباد [مُرِيبٍ] شاكٌّ في الله، او في رسوله، او في خلافة خليفته [اَلَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ اِلٰهًا اٰخَرَ] من الاصنام والكواكب والاهوية، او جعل مع مظاهر الله خليفة اخرى في الارض مثل نمرود وفرعون [فَاَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ] اى الشّيطان المقيّض له [رَبَّنَا مَا اَطْغَيْتُهُ] كأنّه قال: هو اطغاني [وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلٰلٍ بَعِيدٍ] من الحقّ يعني انّه كان في الفطرة ضالّاً فاعنته على ذلك لا انّي احدثت له الضّلالة [قَالَ] اى الله [لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ اِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ] فما سمعتموه وما ارتدعتم فلاحجّة لكم عندي [مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ] بالعذاب على من سجّلت العذاب عليه، واما العفو فهو ليس من تبديل القول فانّه ايضاً من الوعد الّذي لاخلف فيه وليس العفو جزافاً حتّى يقول كلّ مذنبٍ لبعف عنّي [وَمَا اَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] فلا اعذّب من دون سببٍ ولا اعفو من غير داعٍ [يَوْمَ يَقُولُ] ظرف لظلّامٍ، او ليبدّل اى يوم يقول الله، وقرئ بالتّكلّم [لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَاْتِ] يسئل عنها سؤال تقريرٍ حتّى لا يبدّل قوله لاملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس اجمعين، او سؤال استفهام لكنّ المنظور تنبيه العصاة وتهديدهم [فَتَقُولُ] في الجواب [هَلْ مِنْ مَزِيدٍ] استفهاماً لطلب الزّيادة او تعجّباً من الزّيادة على ما فيها وانكاراً للمزيد، ولمّا كان جميع اجزاء عالم الآخرة ذات علم وارادة ونطق فلاحاجة لنا الى تأويل السّؤال والجواب ههنا [وَاُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ] في قوله القيا في جهنّم وفي قوله ازلفت الجنّة [لِلْمُتَّقِينَ] توهين للعصاة وتشريف للمتّقين وليس المتّقون الّا من قبل الولاية وهم شيعة آل محمّد (ص) [غَيْرَ بَعِيدٍ] مكاناً غير بعيدٍ اوازلافاً غير بعيدٍ، او حالكونها غير بعيدة، واسقاط التّاء حينئذٍ يكون من قبيل اسقاط التّاء من قوله: انّ رحمة الله قريب من المحسنين وهو تأكيدٌ لقربها [هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ اَوَّابٍ] بدل من قوله للمتّقين، اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ، والاوّاب الكثير الرّجوع الى الله [حَفِيظٍ] حافظ نفسه من التّدنّس بادناس المعاصي، او محفوظٍ عن المعاصي [مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ] بدل من اوّابٍ، اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبره ادخلوها [وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ] راجع الى الله [اُدْخُلُوهَا] خبر لمن خشي، اوحال، اومستأنف والكلّ بتقدير القول [بِسَلَامٍ] من كلّ آفةٍ [ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا] متعلّق بيشاؤن او بلهم [وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ] فانّ لدينا ما لا يخطر ببالهم حتّى يشاؤهاثمّ عطف على عقوبة الكفّار تهديداً لهم وقال: [وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ] قبل قريشٍ اواهل مكّة [مِنْ قَرْنٍ هُمْ اَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ] نقب في الارض من المجرّد، ونقّب من التّفعيل، وانقب من الافعال ذهب فيها، ونقّب عن الاخبار بحث عنها واخبر بها، والمراد فتحوا البلاد اوساروا فيها بالمنافع الكثيرة والاعمال الدّقيقة، اوساروا فيها لتجسّس الاخبار [هَلْ مِنْ مَحِيصٍ] ومخلص من الهلاك، والجملة حاليّة اومستأنفة بتقدير القول اى يقول تلك القرون او نقول لهم هل من محيصٍ [اِنَّ فِي ذٰلِكَ] الاخبار اوفي ذلك الاهلاك [لَذِكْرٰى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اَوْ اَلْقَى السَّمْعَ].

اعلم، انّ العلم الّذي هو نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء، اوّل ظهوره يورث التّحيّر والانصات فيطلب به من يخرجه من تحيّره فاذا وجد وانقاد له لم يكن له شأنٌ الّا الاستماع الى ما قال المنقاد له والامام، فثاني مراتبه يورث الاستماع لمن انقاد له وهو مقام التّقليد فانّه يأخذ في هذا المقام من الامام مصدّقاً له من غير تحقيقٍ لمأخوذاته،

او من غير اعتبار لتحقيق مأخوذاته ، و هذا صاحب الصّدر المنشرح بالاسلام فاذا وجد هذا المقلّد انموذج مأخوذاته بوجدانه او بشهوده كان خارجاً من حدود صدره الى حدود قلبه وهذا هو الّذى مزج التّقليد بالتّحقيق، اوخرج من التّقليد الى التّحقيق ، وهذا صاحب القلب سواء دخل فى بيت القلب او لم يدخل بعدُ لكن كان مشرفاً على الدّخول ، و هذان هما اللّذان يتذكّران و يعتبران بكلّ ماسمعاه ، واماّ غيرهما من ارباب النّفوس فيمرّون على الآيات وهم عنها معرضون [وَهُوَ شَهِيدٌ] حاضر الذّهن عند القائل تقييد لالقاء السّمع [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ] قد مضى فى سورة الاعراف بيان خلق السّماوات والارض فى ستّة ايّام [وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] حتّى احتجنا الى الاستراحة كما قالته اليهود وهو ردّ لليهود حيث قالوا : انّ الله بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة ، واستراح يوم السّبت ، واستلقى على العرش ، روى انّ اليهود اتت النّبىّ (ص) فسألته عن خلق السّماوات والارض ، فقال: خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهنّ يوم الثّلثاء ، وخلق يوم الاربعاء الشّجر والمدائن والعمران والخراب ، وخلق يوم الخميس السّماء ، وخلق يوم الجمعة النّجوم و الشّمس و القمر والملائكة ، قالت اليهود: ثمّ ماذا؟ـ يامحمّد (ص)، قال: ثمّ استوى على العرش، قالوا: قد اصبت لو أتممت، قالوا: ثمّ استراح، فغضب النّبىّ (ص) غضباً شديداً ، فنزلت الآية [فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ] فى حقّ الله بما لا يليق بجنابه و فى حقّك وفى حقّ علىّ (ع) [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] قد مضى فى اوّل الحمد بيان انّ تسبيحه تعالى ليس الّا بحمده و لذلك قيّد التّسبيح فى الاغلب بالحمد ، او قرنه به ، او بما يفيده [قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ] يعنى فى جميع الاوقات فانّه كثيراً ما يقيّد الامر بطرفى النّهار و يراد استغراق الاوقات ، اوالمراد هذان الوقتان بخصوصهما لشرافتهما ، وماورد فى فضيلة مابين الطّلوعين اكثر من ان يحصى ، وقد ورد فى فضيلة العصر اخبارٌ عديدةٌ ، اوالمقصود الاشارة الى صلوة الصّبح وصلوة العصر ، اوصلوة الظّهر والعصر [وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ] اى بعضاً من اللّيل سبّحه لانّ اللّيل وخصوصاً آخره وقت شريف تتوجّه النّفوس فيه الى الله والى اصلها لخلوصها من العوائق الخياليّة ، اوهو اشارة الى المغرب و العشاء ، او الى صلوة اللّيل [وَاَدْبَارَ السُّجُودِ] قرئ مصدراً وجمعاً و المراد بالسّجود كمال الخضوع لعظمة الرّبّ يعنى بعد ما حصل لك كمال التّوجّه الى الله و الخضوع له او اشير بادبار السّجود الى ركعة الوتر اوالرّكعتين او الاربع الرّكعات بعد المغرب او الى الوتيرة [وَاسْتَمِعْ] انت فى الحال الحاضر نداء المنادى يوم القيامة ، اويوم ظهور القائم (ع) ، فانّك تسمع بالفعل نداء ذلك المنادى لخروجك من مرقدك و شهودك القيامة اوخروج القائم (ع) [يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ] للبعث والحساب اوينادى المنادى باسم القائم (ع) واسم ابيه كما فى الخبر، واسقاط الياء من المنادى لاجراء الوصل مجرى الوقف وهو عربىّ جيّد [مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ] من كلّ النّاس فانّ نسبة المنادى فى القيامة اوفى ظهور القائم متساوية الى الكلّ [يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ] يعنى الصّيحة للحساب والقيام عند الله ، اوصيحة القائم اوالصّيحة بخروج القائم (ع) [ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ] من المراقد، عن الصّادق (ع) هى الرّجعة [اِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ] فى الدّنيا جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: من يفعل ذلك ؟ـ و من يخرج الاموات من المراقد؟ـ فقال: انّا نحن نحيى و نميت [وَاِلَيْنَا الْمَصِيرُ] فى الآخرة [يَوْمَ تَشَقَّقُ] ظرف للمصير اوبدل من يوم يسمعون الصّيحة [الْاَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ] و ذلك فى الرّجعة اوفى القيامة [نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ] فى حقّنا ، اوفى حقّك ، اوفى حقّ علىّ (ع) تسلية له (ص) و تهديدٌ لقومه

المنافقين او المشركين [وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ] بمسلّط عليهم بالاجبار لهم انّما انت منذر مذكّر [فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ] اى بمطلق القرآن ، او بقرآن ولاية علىّ (ع) [مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ] .

سورة الذّاريات

مكّيّة ، ستّون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالذّٰارِيٰاتِ ذَرْوًا] ذرت الرّياح التّراب والهشيم واذرت و ذرّت بالتّشديد اطارته ، والمراد الرّياح اوالنّساء الّتى تذرو الاولاد ، اوالاسباب الّتى تذرو الخلائق من الملائكة وغيرهم [فَالْحَامِلٰاتِ وِقْرًا] اى السّحب الحاملات للامطار ، اوالرّياح الحاملات للسّحاب ، اوالنّساء الحوامل ، وقرئ وقراً بفتح الواو مصدراً ، والوقر بالكسر الحمل الثّقيل [فَالْجٰارِيٰاتِ يُسْرًا] السّفن الجاريات فى البحار بسهولة ، اوالرّياح الجاريات فى مهابّها ، او الكواكب الجاريات فى مناطقها [فَالْمُقَسِّمٰاتِ أَمْرًا] اى الملائكة الّذين يقسّمون الارزاق و الامطار وغيرها ، اوالرّياح الّتى تقسّم الامطار والسّحب ، اوجميع مايقسّم شيئاً من الملائكة والرّياح والانبياء والاولياء (ع) وهذا قسم من الله فان كان هذه اوصافاً لذوات متعدّدة فلفظ الفاء فيها لتفاوت المقسم به فى الشّرف و الخسّة وفى الدّلالة على قدرة الرّبّ وعنايته بخلقه ، وان كانت اوصافاً لذات واحدة فالفاء للترتيب بين الافعال فانّ الرّيح تفرّق وتحرّك الابخرة فى الجوّ فتنعقد فى الجوّ سحاباً فتحمله الى حيث يأمرها الله فتجرى به بسهولة فتقسّمه على البلاد والبرارى و البحار [إِنَّمٰا تُوعَدُونَ] من الثّواب والعقاب والحشر والحساب [لَصٰادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ] اى الجزاء [لَوٰاقِعٌ] واللّام لتعريف العهد الذّهنىّ والمعنى انّ هذا الدّين الّذى يدّعيه لواقع يعنى حقّ وصدق [وَالسَّمٰاءِ ذٰاتِ الْحُبُكِ] اى ذات الطّرائق من مسير الكواكب او ذات الحسن والزّينة كما ورد عن امير المؤمنين (ع) فانّ الكواكب وطرائقها تزيّن السّماء كما يزيّن الموشّى الثّوب الوشّى بالطّرايق ، اوالمراد بالطّرائق الادلّة الّتى يأخذها النّظّار منها الّتى يستدلّون بها على صانعها وعلمه وقدرته وارادته وحكمته .

حديث فى كيفيّة وضع الارض و طبقات السّماوات

وعن الحسين بن خالد عن ابى الحسن الرّضا (ع) قال قلت له : اخبرنى عن قول الله تعالى والسّماء ذات الحبك ، فقال : محبوكة الى الارض وشبّك بين اصابعه ، فقلت : كيف تكون محبوكة الى الارض ؟ ـ والله تعالى يقول رفع السّماء بغير عمد ، فقال : سبحان الله ! اليس يقول بغير عمد ترونها ؟ ـ قلت : بلى ، قال : ثمّ عمد ولكن لاترى ، فقلت : فكيف ذلك ؟ ـ جعلنى الله فداك ، قال : فبسط كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها ، فقال : هذه ارض الدّنيا والسّماء الدّنيا فوقها قبّة ، والارض الثّانية فوق السّماء الدّنيا ، والسّماء الثّانية فوقها قبّة ، والارض الثّالثة فوق السّماء الثّانية والسّماء الثّالثة فوقها قبّة ، ثمّ هكذا الى الارض السّابعة فوق السّماء السّادسة والسّماء السّابعة فوقها قبّة ، و عرش الرّحمن فوق السّماء السّابعة و هو قوله : خلق سبع سموات و من الارض مثلهنّ يتنزّل الامر بينهنّ ، وصاحب الامر هو النّبىّ (ص) والوصىّ علىّ (ع) بعده ، و هو على وجه الارض

وانّما يتنزّل الامر اليه من فوق السّماء بين السّماوات والارضين ، قلت: فما تحتنا الّا ارض واحدة ، قال: وماتحتنا الّا ارض واحدة وانّ السّت لفوقنا [إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ] فى هذا الدّين الواقع الحقّ بانّ بعضكم يصدّق، وبعضكم يكذّب ، اوفى محمّد (ص) بالتّصديق والتّكذيب وبأنّه مجنون اوشاعر اومعلّم من غيره اوكاهن ، او فى القرآن بانّه سحر وكهانة ورجز واساطير الاوّلين، اوفى علىّ (ع) خليفته [يُؤْفَكُ عَنْهُ] اى عن الدّين اومحمّد (ص) اوالقرآن اوعلىّ (ع) وولايته [مَنْ أُفِكَ] حذف المصروف عنه عن الثّانى للمبالغة والتّأكيد فى ذمّ من افكّ عنه كأنّه قيل: كلّ من افكّ من خير يؤفكّ عنه والمناسب لهذا التّعميم والتّأكيد ان يكون المراد بالضّمير المجرور علياً (ع) وولايته كما فى الخبر فانّه اصل جميع الخيرات والآفكّ من كلّ خير أفكّ عنه ، اوالمعنى يؤفكّ عنه من افكّ فى الذّرّ ، اوالمعنى يؤفكّ عن هذا القول المختلف ، وبسببه من افكّ عن الخير، اوعن هذا الدّين، اوعن محمّد (ص) اوعلىّ (ع) [قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ] الخرص بالفتح الحرز والاسم منه بالكسر يقال كم خرص ارضك بالكسر والقول بالظّنّ والكذب والكلّ مناسب ههنا والمعنى لعن القائلون فى الدّين وخلافة امير المؤمنين (ع) بالظّنّ والتّخمين ، واستعمال القتل فى اللّعن لانّ من لعنه الله يقتله عن الحيوة الانسانيّة [الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ] الغمرة شدّة الشّيء ومزدحمه ، وتنكيره للتّفخيم وعدم نسبته الى شيء مخصوص لايهام التّعميم والمعنى الّذين هم فى غمرة من كلّ شيء من الجهل والشّهوات والغضبات والشّيطنة والكبر والعجب والفخر [سَاهُونَ] عمّا ذكّرناهم به بحسب فطرتهم من طريق الآخرة ونعيمها ، اوعمّا ذكّرناهم فى عالم الذّرّ، اوساهون عن الله وعن المنعم وانعامه [يَسْأَلُونَ] حال او خبر بعد خبر اومستأنف [أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ] اى يوم الجزاء وكان سؤالهم هذا استهزاءً وانكاراً ولذلك أتى به بعد قوله : الّذين هم فى غمرة ساهون واجابهم بقوله [يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ] يقال لهم [ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ] اى عذابكم وحريقكم اوفسادكم فى الدّنيا [هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ] بدل من فتنتكم او مبتدء وخبر [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر عن حال المتّقى عن القول المختلف اوعن الافكّ عن الولاية [آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ] كناية عن رضاهم به وهو كناية عن كون ما آتاهم مرضيّاً حسناً [إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ] مستأنف فى مقام التّعليل والمعنى انّهم كانوا محسنين فى اعمالهم، اوكانوا ذوى حسن وهو الولاية ، اوكانوا محسنين الى من تحت ايديهم والى غيرهم [كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ] بدل من قوله كانوا قبل ذلك محسنين نحو بدل التّفصيل عن الاجمال [مَا يَهْجَعُونَ] عن الصّادق (ع): كانوا اقلّ اللّيالى يفوتهم لايقومون فيها ، وعن الباقر (ع): كان القوم ينامون ولكن كلّما انقلب احدهم قال: الحمدلله ولا آله الّا الله والله اكبر [وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] .

اعلم ، انّ الانسان الصّغير كالانسان الكبير فى وجوده ليل ويوم وشمس وقمر ، وليله مراتب طبعه ونفسه الحيوانيّة ، ويومه مراتب ملكوته ، وشمسه عقله ، وقمره نفسه المستضيئة بنور العقل ، وما لم يخرج الانسان من بيت طبعه ونفسه لايمكن غفران مساويه ولواستغفر كلّ يوم الف مرّة ، واذا خرج من حدود نفسه الحيوانيّة وقرب من حدود قلبه وعقله الّتى هى فى الصّغير بمنزلة الاسحار فى الكبير سأل بلسان حاله غفران مساويه من ربّه ويجيبه الله ويغفره سواء سأل بلسان قاله اولم يسأل ، ومن ههنا يظهر سرّ تقييد الاستغفار بالاسحار ، وسرّ تقديم الاسحار المفيد للحصر [وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ] من منفعة كسبه، ولايخفى تعميم الاموال للاعراض الدّنيويّة والقوى

والاعضاء ، والوجاهة والخدم والحشم والانانيّات ولاتعميم السّائل للسّائلين من الاناسيّ بالكفّ والسّان ، او بلسان الحال والسّائلين من الملائكة والعقول و الائمّة والله تعالى فانّه يسأل القرض من عباده ، والسّائلين بلسان حالهم او قالهم افاضة الخيرات من النّبيّ (ص) والامام واتباعهما ، والمحروم كما عن الصّادق (ع) المحارف[1] الّذى قد حرم كدّيده فى الشّراء والبيع ، ولايخفى تعميم بين كاسب الاموال الدّنيويّة المعاشيّة وكاسب الاموال الاخرويّة المعاديّة [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ] دالّات على المبدء وعلمه وقدرته وعنايته بخلقه ورأفته [لِلْمُوقِنِينَ] بامر الآخرة لاغيرهم فانّهم يمرّون عليها وهم عنها معرضون [وَفِي أَنْفُسِكُمْ] عطف على فى الارض اومتعلّق بمحذوف بقرينة قوله تعالى [أَفَلَا تُبْصِرُونَ] وقد تكرّر ذكر آيات الارض الّتى هى آيات الآفاق و ذكر آيات الانفس، عن الصّادق (ع) انّ رجلاً قام الى امير المؤمنين (ع) فقال : يا امير المؤمنين بما عرفت ربّك ؟- قال : بفسخ العزم و نقض الهمم لمّا ان هممت فحال بينى و بين همّى، وعزمت فخالف القضاء عزمى، علمت انّ المدبّر غيرى ، وعن الصّادق (ع) مثل هذا السّؤال والجواب [وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ] الخاصّ بكم من حيث انسانيّتكم اواسباب رزقكم النّباتيّة وارزاقكم الانسانيّة [وَمَا تُوعَدُونَ] من نعيم الجنّة فانّ الجنّة ونعيمها فى السّماء الصّوريّة بمعنى انّها مظهر لها وفى سماوات عالم الارواح فانّ محلّ الجنّة و نعيم الآخرة عالم الملكوت والجبروت وقال القمّيّ : المطر ينزل من السّماء فيخرج به اقوات العالم من الارض، و ما توعدون من اخبار الرّجعة والقيامة والاخبار الّتى فى السّماء ، وقيل : فى السّماء تقدير ارزاقكم اى ما قسّمه لكم مكتوب فى امّ الكتاب وجميع ماتوعدون فى السّماء ايضاً لانّ الملائكة تنزل من السّماء لقبض الارواح ولاستنساخ الاعمال ولانزال العذاب ويوم القيامة للجزاء والحساب [فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ] اى ما توعدون اوكون الرّزق وكون ماتوعدون فى السّماء ، اوانّ المعهود المقصود من كلّ قصّة وحكاية وهو الولاية ولاية علىّ (ع) لحقّ [مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ] مثل نطقكم الّذى لاتشكّون فيه ؛ اوالمعنى فى السّماء رزقكم مثل ما انّكم تنطقون اى تدركون المعانى الغيبيّة فانّه من السّماء ينزل اليكم ، اوالولاية حقّ حالكونها مثل نطقكم فانّه من آثار الولاية التكوينيّة ونازلة منها [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ] استيناف كلام لتهديد المعرضين عن المبدء او الرّسول اوالولاية [إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ] قد مضى فى سورة هود هاتان الكلمتان [قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] اى قال فى نفسه هؤلاء قومٌ منكرون غير معروفين لى ، اوقال لهم : انتم قوم منكرون اى لا اعرفكم [فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ] اى فذهب اليهم فى خفية من ضيفه تعجيلاً للقرى [فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ] لانّه كان عامّة ماله البقر [فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ] لانّا رسل ربّك [وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ] بعد البشارة وهى سارة [فِي صَرَّةٍ] اى فى صيحة اوفى جماعة كما روى عن الصّادق (ع) [فَصَكَّتْ وَجْهَهَا] قيل : جمعت اصابعها و ضربت بها جبهتها ، وقيل : لطمت وجهها للتّعجّب ، وقيل : غطّت وجهها [وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ] يعنى كيف الدوكنت عاقراً وقت اقتضاء السّنّ الحمل و صرت عجوزاً ليس من شأنى الحمل [قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ] وانّما نخبرك عنه [إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ] يعلم دقائق الامور و يصنع الامور المتقنة الّتى يعجز عن ادراكها و صنعها غيره [الْعَلِيمُ] فيعلم انّك

(١) المحارف = المحروم المنقوص الحظّ .

كنت عقيماً وصرت عجوزاً و يقدرعلى جعل العقيم ولوداً وجعل العجوز ذات حيض و ولد .

[الجزء السّابع والعشرون]

[قَالَ] ابراهيم (ع) بعد ما عرفهم وانس بهم [فَمَا خَطْبُكُمْ] امركم وشغلكم لمّا لم يكن نزول الاربعة الاملاك دفعةً معهوداً له علم انّهم لم ينزلوا الّا لامرٍ عظيمٍ فسأل ماخطبكم؟ [أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] قد مضى قصّتهم فى سورة هود وغيرها [وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ] الرّكن الجنب الاقوى والباء للتّعدية ، او بمعنى مع والمراد انّه ولّى جنوده اوجانبه ، او تولّى هو وجنوده [وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ] يعنى ما يفعله من سحره و باختياره او هو مجنون وما يظهر عليه من خوارق العادات انّما يظهر من الجنّ على يديه من دون اختياره [فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ] آت بما يلام عليه [وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ] سمّيت عقيماً لعدم تضمّنها المنفعة اولانّها اهلكتهم واستأصلتهم [مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ] كالرّماد المتفتّت الاجزاء [وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ] اى ثلاثة ايّام ان كان المراد به قول النّبىّ (ص) بعد الايعاد بالعذاب ، اوقيل تكويناً : تمتّعوا حتّى حين الآجال التّى لكم وهذا هوالمناسب لما بعده [فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ] ممتنعين [وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] وقد مضى تلك القصص مكرّراً [وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ] بقوّة [وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] اى قادرون او لموسعون الرّزق على العباد اولذو وسعة للعباد و ارزاقهم [وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا] بسطناها [فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ] الباسطون او الممهّدون للقرار [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ] بريّاً و بحريّاً ، اوانسيّاً ووحشيّاً ، ويكون لفظ كلّ من حمل حكم الاكثر على الكلّ اومن كلّ حيوان ذكر و انثى ، اومن كلّ شيء من الكيفيّات و الكمّيّات و المذوقات والمشمومات ضدّين متنافيين كالحرّ والبرد ، والسّواد والبياض ، والمرّ والحلو ، والقصير والطّويل ، والحسن والقبيح ، الى غير ذلك ، وفى الاخبار اشارة الى هذا المعنى [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] علمه وحكمته و قدرته وعنايته بخلقه و رأفته و لعلّكم تذكّرون بمضادّته بين الاشياء ان لاضدّ له و بتفريقه بين المتفارقات انّ لها مفرّقاً ، و بتأليفه بين المتئالفات انّ لها مؤلّفاً [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] المنعم عليكم بهذه النّعم من نفوسكم الامّارة ومن الشّيطان وجنوده بالاستعاذة به ، ومن الاشرار وشرورهم بالاستعانة به ، ومن اهويتكم الّتى هى آلهتكم بالطّاعة لأمره و نهيه ، اوفرّوا من اوطانكم الى الحجّ ، اوفرّوا من اوطانكم الى الرّسول والامام [إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] و قوله تعالى ففرّوا حكاية لقول الرّسول (ص) او قوله انّى لكم منه نذير من الله [وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] تكرير للتّأكيد [كَذَلِكَ] القول لك من انّك مجنونٌ اوساحرٌ اوكاهنٌ اوشاعرٌ [مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ] يعنى انّ الاوّلين و الآخرين تواصوا بهذا القول فى حقّ الرّسول [بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] ومقتضى طغيانهم عدم الانقياد للحقّ تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] عن المحاجّة و المجادلة معهم بعد اتمامك الحجّة و اصرارهم على الانكار [فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ] بعد ذلك [وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ] و ان لم يتذكّر بها الكافرون و المنافقون فى اخبار عديدة انّ النّاس لمّا كذّبوا رسول الله (ص) هم الله تعالى باهلاك اهل الارض الّا عليّاً (ع) فما سواه بقوله: فتولّ عنهم فما انت بملوم ثمّ بدا له فرحم المؤمنين ثمّ قال لنبيّه: و ذكّر فانّ الذّكرى تنفع المؤمنين، وعن علىّ (ع) لمّا نزلت: فتولّ عنهم لم يبق احدٌ منّا الّا ايقن بالهلكة فلمّا نزل و ذكّر طابت انفسنا [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ].

اعلم، انّ الله تعالى كان غيباً مطلقاً لم يكن منه خبر ولا اسم ولا رسم فأحبّ ان يتجلّى فيعرف كما فى القدسىّ: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف، فخلق الخلق لان يتجلّى عليهم فيألفوه، ولا يتجلّى عليهم الّا اذا صاروا خارجين من انانيّاتهم، ولا يخرجون من انانيّاتهم الّا بارتياض النّفوس بما قرّره الله تعالى لذلك وليس الّا العبادات الشّرعيّة، وايضاً لا يخرجون من انانيّاتهم الّا اذا صاروا عبيداً له تعالى خارجين من عبوديّة انفسهم وليس المقصود من العبادات ولا من العبديّة الّا ان يصيروا عارفين له متّصلين به منتهين اليه، فالمقصود من قوله الّا ليعبدون الّا ليعرفون لكنّه ادّاه بهذه العبارة للاشعار بانّ المعرفة لا تحصل الّا بالعبادة او بالعبديّة، عن الصّادق (ع) قال: خرج علىّ بن الحسين (ع) على اصحابه فقال: ايّها النّاس انّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد الّا ليعرفوه، فاذا عرفوه عبدوه، واذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا ابن رسول الله (ص) بابى انت وامّى، فما معرفة الله؟ قال: معرفة اهل كلّ زمان امامهم الّذى يجب عليهم طاعته، وقوله تعالى و لا يزالون مختلفين الّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم، المستفاد منه انّ خلقهم للاختلاف، و عبادة بعضهم و تمرّد بعضهم لا ينا فى ذلك، فانّ الغاية المقصودة والمنظور اليها والمترتّب عليها فعل الفاعل عبادتهم ومعرفتهم ولكن لمّا لم يكن خلق البشر فى عالم الكون من الاضداد الّا بان يكونوا مختلفين وكان غاية تلك الخلقة المنتهى اليها خلقتهم اختلافهم قال: و لذلك خلقهم فلا منافاة بينهما، فانّ العبادة علّة غائيّة لخلقهم والاختلاف غاية مترتّبة عليه [مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ] لى ولا لغيرى [وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما اراد من خلقهم رزقاً واعانة [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ] لكلّ مرزوق تعليل يعنى انّ الرّزّاقيّة لا تتأتّى من غيره فكيف يريد رزّاقيّة الغير [ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] الّذى لا حاجة له الى معين فى رزّاقيّته [فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بانكار المبدء او المعاد، او ظلموا الرّسول بعدم انقياده وعدم اعطاء حقّه من تسليم انفسهم له، او ظلموا آل محمّد (ص) حقّهم من عدم تسليم انفسهم لهم و من غصب حقوقهم وهذا هو المنظور اليه، والفاء للسّببيّة لقوله فذكّر [ذَنُوباً] قسطاً و نصيباً فانّ الذّنوب الدّلو، او الّتى فيها ماء، او الملأى، او دون الملأى، او المراد بالذّنوب اليوم الطّويل الشّرّ [مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ] الّذين اتّبعوهم فى ظلم آل محمّد (ص) [فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ] بالعذاب [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] بولاية علىّ (ع) [مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ] وهو يوم آخر الدّنيا او يوم القيامة.

سورة الطّور

مكّيّة، تسع واربعون آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالطُّورِ] اقسم بالجبل الّذى كلّم الله عليه موسى (ع)، اواقسم بمطلق الجبل لما فيه من انواع البركات والخيرات و لما ينبع من تحته الماء الّذى هواصل جميع البركات و باطنه الامام الّذى به وجود العالم و بقاؤه و بركاته، اوالمراد جهة النّفس العليا الّتى اذا بلغ الانسان هنالك قرب من الله اذا كان على الجانب الايمن منها [وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ] اى مكتوب مسطور [فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ] الرّقّ الجلد الرّقيق الّذى يكتب فيه و الصّحيفة البيضاء و المراد به هيولى العالم الّتى كتب فيهاصور الانواع ونفوسها، اوطبع الانسان الّذى كتب فيه نفسه وقواها ومداركها؛ وقيل: هوالكتاب الّذى كتبه الله لملائكته فى السّماء يقرؤن فيه ماكان وما يكون فيعملون بما فيه، وقيل: هوالقرآن المكتوب عندالله فى اللّوح المحفوظ، وقيل: هوصحائف الاعمال الّتى تخرج الى بنى آدم يوم القيامه، وقيل: هو التّوراة [وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ] الّذى فى السّماء الرّابعة يدخله كلّ يوم سبعون الف ملكٍ ثمّ لايعودون اليه ابداً، وعن الباقر (ع) انّه قال: انّ الله وضع تحت العرش اربع اساطين وسمّاهنّ الضّراح وهوالبيت المعمور وقال للملائكة: طوفوا به، ثمّ بعث ملائكةً فقال: ابنوافى الارض بيتاً بمثاله وقدره، وامر من فى الارض ان يطوفوا بالبيت، وعن النّبىّ (ص): البيت المعمور فى السّماء الدّنيا، وفى حديثٍ عنه: انّه فى السّماء السّابعة، واختلاف الاخبار فى ذلك يشعر بوجه التّأويل، ولمّاكان الانسان الصّغير مطابقاً للانسان الكبير فالبيت المعمور هوقلبه الّذى هوفى السّماء الرّابعة بوجهٍ، وتحت العرش بوجهٍ، وفى السّماء الدّنيا بوجهٍ، وبحذائه القلب الصّنوبرىّ الّذى هو فى ارض الطّبع وبناه الملائكة بحذاء القلب المعنوىّ الّذى هو فى سماء الارواح [وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ] السّماء، اوالعقل الّذى هو بمنزلة السّقف للقلب والطّبع [وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ] اى الموقداوالمملوّ فانّ البحارتسجّر وتوقد ناراً يوم القيامة والمراد بحرالهيولى الّذى يوقد من نار الغضبات و الشّهوات و الحيل الشّيطانيّة [إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا] اى تضطرب اوتموج اوتدور [وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا] حتّى تستوى مع الارض، او يظهر سير الجبال فانّها تمرّ مرّ السّحاب وتحسبها جامدة [فَوَيْلٌ] اى اذا كان ذلك اليوم فويلٌ [يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لله ورسوله (ص) مطلقاً، اوفى ولاية علىٍّ (ع) وهوالمنظور [الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ] فى الملاهى، اوفى انكار المبدء والمعاد، اوفى انكارالرّسول (ص)، اوفى انكارولاية علىٍّ (ع) [يَلْعَبُونَ يَوْمَ يُدَعُّونَ] اى يدفعون بعنفٍ فانّ الدّعّ الدّفع العنيف [إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا] وقيل: هوان تغلّ ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم، ثمّ يدفعوا الى جهنّم دفعاً على وجوههم [هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ] الجملة حاليّة اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى يقول الله او الملائكة اوخزنة جهنّم [أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ] لمّاكانوا ينسبون محمّداً (ص)

الى السّحر تارةً والى انّه يتصرّف فى الابصار اخرى ردّ الله تعالى عليهم قولهم فى حقّه فقال : افسحر هذا ام انتم لا تبصرون بالتّصرّف فى ابصاركم ؟ [اِصْلَوْهٰا] يعنى يقال لهم : اصلوها [فَاصْبِرُوا اَوْلَا تَصْبِرُوا] لفظة او للتّسوية ولذلك اكّد المفهوم بالتّصريح فقال : [سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ اِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل : لم نعذّب هذا العذاب ؟ [اِنَّ الْمُتَّقِينَ] عن تكذيب الله ورسوله (ص) فى ولاية علىٍّ (ع) بالاقرار له والبيعة معه بيعة خاصّة ولوية [فِي جَنّٰاتٍ وَنَعِيمٍ] تنكير الجنّات والنّعيم للتّفخيم [فٰاكِهِينَ] متنعّمين او معجبين [بِمٰا اٰتٰيهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقٰيهُمْ رَبُّهُمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا] حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول [هَنِيئًا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ] حال [عَلٰى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ] متّصل بعضها ببعضٍ [وَزَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ] أتى بالماضى للاشعار بانّ التّزويج حاصل لهم فى دار الدّنيا وان كان لا يظهر عليهم ، او للاشارة الى تحقّق وقوعه [وَالَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِاِيمٰانٍ] الذّرّيّة تقع على الواحد والكثير وهى الصّغار من اولاد الرّجل اومطلق الاولاد ، والباء بمعنى مع ، او بمعنى فى ، او للسّببيّة وتنكير الايمان للاشعار بكفاية ايمانٍ ما للالحاق ولو كان ايماناً حكميّاً فانّ صغار اولاد المسلمين فى حكم الاسلام وان لم يحكم عليهم بالاسلام الحقيقىّ لعدم تعلّق التّكليف بهم بعدُ [اَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] والمراد انّه تعالى يلحق اولاد المؤمنين المكلّفين منهم القاصرين عن درجة آبائهم بآبائهم تشريفاً لايمان آبائهم ، وغير المكلّفين منهم بمحض ايمان الآباء يلحقون بالآباء تشريفاً لهم كما فى الاخبار انّ الصّغار من الاولاد تهدى فى الجنّة للآباء [وَمٰا اَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] بواسطة الحاق الاولاد [كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ] حاليّة او معترضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَاَمْدَدْنٰاهُمْ] يعنى اعطيناهم على التّدريج والاستمرار [بِفٰاكِهَةٍ] شريفة لا يمكن تعريفها [وَلَحْمٍ] غير معروفٍ ليس من جنس لحوم الدّنيا حتّى يمكن تعريفها [مِمّٰا يَشْتَهُونَ] اى من لحم او من ذى لحم يشتهونه من لحم الطّيور وغير الطّيور [يَتَنٰازَعُونَ] اى يتجاذبون من وجد [فِيهٰا كَأْسًا] الكأس مهموزة اسم لما يشرب منه ، او اسم له مادام الشّراب فيه ، وتطلق على الخمر ايضاً وهى مؤنّثة سواء اريد بها ما يشرب به او الخمر [لٰا لَغْوٌ فِيهٰا] يعنى لا يجرى بينهم لغوٌ حين تعاطيها مثل الكؤوس الدّنيويّة [وَلٰا تَأْثِيمٌ] اى لا جعل الشّارب آثماً بخلاف كؤوس الدّنيا [وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمٰانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ] فى الحسن والصّباحة والصّفاء والبياض ، وتوصيف اللّؤلؤ بكونه مكنوناً لكون المكنون محفوظاً من الاغبرة وما يكدّره [وَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ] اى كلّ بعضٍ منهم [عَلٰى بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ] عن سبب تنعّمهم فى الجنّة بقرينة ما يأتى [قٰالُوا] فى الجواب [اِنّٰا كُنّٰا قَبْلُ] اى قبل الآخرة [فِي اَهْلِنٰا مُشْفِقِينَ] على اهلنا ، اومشفقين من عذاب الله [فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنٰا] بهذه النّعم [وَوَقٰينٰا عَذٰابَ السَّمُومِ] السّموم من اسماء جهنّم ، اوالسّموم الحرّ الّذى يدخل فى مسامّ البدن [اِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ اِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ] الّذى لا يدع من يدعوه من غير نصرة [الرَّحِيمُ] الّذى يتفضّل على عباده من غير استحقاقٍ منهم [فَذَكِّرْ] يعنى اذا كان الامر هكذا فذكّر ولا تبال بردّهم وقبولهم فانّه ينفع بعضهم

ان لم ينفع كلّهم ، اوينفع آخراً ان لم ينفع اوّل الامر [فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ] الباء القسم اوللسّببيّة ، والنّعمة هى الولاية والنّبوّة والرّسالة صورتها [بِكَاهِنٍ] الكهانة الاخبار بالغيب بطريق خدمة الجنّ ، والفعل كمنع ونصر وكرم [وَلَا مَجْنُونٍ] كما يقولون ويصفونك بهما [أَمْ يَقُولُونَ] هو [شَاعِرٌ] يتكلّم بما لا حقيقة له ويموّه فيقرّب البعيد ويبعّد القريب ، ولمّا كان الشّاعر فى اكثر الامر يأتى فى شعره بما لاحقيقة له ويموّه سمّى كلّ من يأتى بكلام مموّه لا حقيقة له بالشّاعر [نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ] الرّيب صرف الدّهر ، والمنون الدّهر والموت والمقصود منه انّا نتربّص هلاكته [قُلْ تَرَبَّصُوا] الهلكة لى [فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ] حوادث الدّهر لكم [أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ] اى عقولهم [بِهَذَا] القول والانكار [أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] وطغيانهم يحملهم على ذلك لاعقولهم [أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ] قال القرآن بتعمّل من عند نفسه وليس من الله [بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ] بالله اوبك او بالقرآن او بالولاية [فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ] اى مثل القرآن [إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ] فى انّك تقوّلته وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله فاتوا بسورة من مثله بيان التّحدّى بالقرآن والاشارة الى وجه اعجازه [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ] بل أخلقوا من غير غاية لخلقتهم؟ كما يقول المعطّلون للعالم وخلقه عن الغاية ، اومن غير مبدء؟ كما يقول الدّهريّة والطّبيعيّة والقائلون بالبخت والاتّفاق ، اومن غير امر ونهى ووعظ ونصح لهم؟ حتّى يكونوا مهملين ، اومن غير سبق مادّة واستعداد؟ حتّى يقولوا بالجبر للعباد من دون اختيار لهم ، اومن غير سبق صورة مثاليّة لهم فى مراتب علمنا؟ فيكون خلقنا لهم من غير علم لنا بهم سابقاً [أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ] لانفسهم فلم يكن لهم مبدء آخر فلم يكن لغيرهم حقّ عليهم [أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] حتّى لا يكون لهما خالق فلم يقرّوا بمبدء لهما اضطراراً [بَلْ لَا يُوقِنُونَ] فلا يتكلّمون فى شيء الا عن ظنّ وتخمين [أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ] فيعطوا من شاؤا ما شاؤا ويمنعوا من شاؤا ماشاؤا فيمنعوا الرّسالة منك ويعطوها غيرك او يعطوا انفسهم ما يشاؤن فلم يضطرّوا الى الالتجاء الى الله والسّؤال منه ، او الى الالتجاء الى رسوله (ص) والسّؤال منه ، او الى العبادات واخذها من اهلها [أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ] المسيطر الرّقيب الحافظ والمتسلّط حتّى لا يحتاجوا الى غيرهم [أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ] اى فى السّلّم اخبار الغيب فيخبروا انّ محمّداً (ص) ليس بنبيّ ، اويخبروا بما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم فلا يكون لهم حاجة الى رسول [فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ] بحجّة واضحة اوموضحة صدقه [أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ] أتى بعد ذكر الاستماع من السّماء حجّة على انّهم غير مستمعين بل غير عاقلين فانّ العاقل لا يقول مثل ما قالوا فانّهم جوّزوا عليه التّوالد الّذى مفاسده غير خفيّة ثمّ اثبتوا له البنات ، و اذا بشّر احدهم بالانثى ظلّ وجهه مسوّداً وهو كظيم ورجّحوا انفسهم عليه فاثبتوا لانفسهم البنين ولذلك قال [وَلَكُمُ الْبَنُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ] بذلك الاجر فمنعهم ذلك عن الاقرار بك [أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ] من دون الصّعود الى السّماء [فَهُمْ يَكْتُبُونَ] فيعلمون بذلك انّك لست برسول او لا يحتاجون بذلك الى رسول [أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ] يعنى انّهم يريدون كيداً عظيماً بك وبوصيّك فالّذين كفروا برسالتك او بولاية علىّ (ع) هم المكيدون فانّ كيدهم لك هو كيد الله لهم فى الخذلان والمنع من حضرته [أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ] من الاصنام والكواكب والاهوية [وَإِنْ يَرَوْا] والحال انّهم ليسوا فى شيء على حالة اليقين فانّهم ان يروا [كِسْفًا مِنَ السَّمٰاءِ سٰاقِطًا] مع انّه من المشهودات الّتى هى ثوانى البديهيّات ينكروا و [يَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْكُومٌ] فاذا كان الامر هكذا [فَذَرْهُمْ حَتّٰى يُلٰاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ] يهلكون بالصّاعقة او يغشون [يَوْمَ لٰا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا] من الاغناء اوشيئاً من العذاب [وَلٰا هُمْ يُنْصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بانكار المبدء او المعاد اوالرّسالة اوالولاية اوظلموا آل محمّد (ص) حقّهم [عَذٰابًا دُونَ ذٰلِكَ] اليوم وهو عذاب يوم الاحتضار، اوعذاب البرزخ، اوعذاب الدّنيا بالقتل والاسر والنّهب، اودون هذا العذاب [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] ذلك فلذلك يجترؤن على انكارك [وَاصْبِرْ] عطف على قل تربّصوا اوعلى ذكّر [لِحُكْمِ رَبِّكَ] بامهالهم اولحكم ربّك باينائك على ايديهم، اولحكم ربّك بانكارهم لك، اولله، اولحكم ربّك ببقائك فيهم، اوواصبر منتظراً لحكم ربّك باهلاكهم ولا تبال بانكارهم وتهديدهم [فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنٰا] نشاهدك ونشاهد جميع امورك فلاندعهم حتّى يضرّوك [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ] الى الصّلوة اوحين تقوم عندالله فانّ القيام عندالله يقتضى التّنزيه المطلق من غير التفات الى جهة الكثرات وحمده تعالى بها، لكنّ الكامل ينبغى ان يكون حافظاً للطّرفين فى كلّ حال، وانت اكمل النّاس فسبّح بحمد ربّك حين تقوم عنده ولا تغفل عن الكثرات [وَمِنَ اللَّيْلِ] الّذى يغشاك فيه ظلمات الكثرات وتستر وجهة ربّك [فَسَبِّحْهُ] وبالغ فى تنزيهه عن الكثرات فانّ المنغمر فى ظلمات الكثرات عليه ان يبالغ فى تنزيه الحقّ ولا يلتفت الى تشبيهه ولذلك لم يضف الحمد هناك وان كان تسبيحه لا ينفكّ عن حمده [وَإِدْبٰارَ النُّجُومِ] وحين ادبار النّجوم وقد فسّرت الآية بحسب التّنزيل بوجوه فقيل حين تقوم من النّوم، اوالى الصّلوة المفروضة فقل: سبحانك اللّهمّ وبحمدك، وقيل: صلّ بأمر ربّك حين تقوم من مقامك، وقيل: المراد الرّكعتان قبل صلوة الفجر، وقيل: حين تقوم من نومة القائلة وهى صلوة الظّهر، وقيل: اذكرالله بلسانك حين تقوم الى الصّلوة، وقيل: قوله من اللّيل فسبّحه يعنى به صلوة اللّيل، وقيل: معناه صلّ المغرب والعشاء الآخرة، وادبار النّجوم معناه الرّكعتان قبل الفجر، وقيل: صلوة الفجر المفروضة، وقيل: لا تغفل عن ذكر ربّك صباحاً ومساءً ونزّهه فى جميع احوالك ليلاً ونهاراً قائماً وقاعداً.

سورة والنّجم

مكّيّة، وقيل غير آية: الّذين يجتنبون كبائر الاثم، الآية، وقيل: هى مدنيّة كلّها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

٥٣٦ [وَالنَّجْمِ] اقسم بالنّجم المراد به القرآن فانّه نزّل نجوماً اى متفرّقاً فى طول ثلاث وعشرين سنة، اواقسم بالثّريّا فانّ النّجم علم بالغلبة لها، اواقسم بمطلق النّجوم، اواقسم بالنّجم الّذى يرجم به الشّيطان عن استراق السّمع، اواقسم بالنّبات اذا سقط على الارض اوارتفع منها ونما، وقيل: اقسم بمحمّد (ص) فانّه النّجم

الّذی نزل من السّماء السّابعة لیلة المعراج، وعن ابن عبّاس انّه قال: صلّینا العشاء الآخرة ذات لیلة مع رسول الله (ص) فلمّا سلّم اقبل علینا بوجهه ثمّ قال: انّه سینقضّ کوکب من السّماء مع طلوع الفجر فیسقط فی دار احدکم؛ فمن سقط ذلک الکوکب فی داره فهو وصیّی وخلیفتی والامام بعدی، فلمّا کان قرب الفجر جلس کلّ واحد منّا فی داره ینتظر سقوط الکوکب فی داره وکان اطمع القوم فی ذلک ابی العبّاس، فلمّا طلع الفجر انقضّ الکوکب من الهواء فسقط فی دار علیّ بن ابی طالب (ع) فقال رسول الله (ص) لعلیّ (ع): یا علیّ والّذی بعثنی بالنّبوّة لقد وجب لک الوصیّة والخلافة والامامة بعدی، فقال المنافقون عبدالله بن اُبیّ واصحابه: لقد ضلّ محمّد فی محبّة ابن عمّه وغوی، وما ینطق فی ساعته الّا بالهوی، فأنزل الله هذه الآیة (الی آخر الحدیث) [إِذَا هَوَىٰ] سقط وغرب، واذا صعد وارتفع، فانّه یستعمل فیهما [مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ] یا قریش [وَمَا غَوَىٰ] یعنی ما ضلّ عن طریق الحقّ فی الاعمال والاقوال الظّاهرة وما ضلّ فی العلوم والعقائد الباطنة [وَمَا يَنْطِقُ] بالقرآن او بالولایة او بمطلق ماینطق به او بالاحکام الشّرعیّة [عَنِ الْهَوَىٰ] ای هوی نفسه من دون امر ربّه [إِنْ هُوَ] ای نطقه او القرآن او امر الولایة [إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] یعنی انّه خرج من انانیّته وصار انانیّته انانیّة الله فلم یکن منه فعل او قول او خلق الّا بوحی من الله وانانیّته [عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ] جمع القوّة مقابلة الضّعف، ولمّا کان قوّة جبرئیل فی جمیع ماله من انواع الادراکات والتّصرّفات جمع القوی [ذُو مِرَّةٍ] ذومتانة فی عقله وثبات من امره، فانّ صاحب المرّة یکون صاحب ثبات فی الامر ولذلک ورد انّه: ما بعث نبیّ قطّ الّا کان ذامرّة سوداء [فَاسْتَوَىٰ] ای فاستقام علی صورته الحقیقیّة الّتی خلقه الله علیها، قیل: مارآه احد من الانبیاء فی صورته غیر محمّد (ص) نبیّنا فانّه رآه علی صورته مرّتین، مرّة فی السّماء ومرّة فی الارض، وقیل: فاستوی علی جمیع ما فی الارض اوعلی ما امره الله به، وقیل: فاستوی محمّد (ص) ای استقام فی امره وتمکّن، وعلی ای تفسیر فالاتیان بالفاء کان فی محلّه، وقیل: کان جبرئیل یأتی النّبیّ (ص) فی صورة الآدمیّین فسأله رسول الله (ص) ان یریه نفسه علی صورته الّتی خلق علیها، فأراه نفسه مرّتین، مرّة فی الارض ومرّة فی السّماء، امّا فی الارض فانّ محمّداً (ص) کان بحراء فطلع له جبرئیل من المشرق فسدّ الافق الی المغرب فخرّ النّبیّ (ص) مغشیّاً علیه، فنزل جبرئیل فی صورة الآدمیّین فضمّه الی نفسه [وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ] ای جبرئیل بالافق الاعلی وهوافق عالم العقول الّذی هوعالم الجبروت من جهة اللّاهوت، وکان جبرئیل حین النّزول ینزل من افق المشرق وهواعلی من افق المغرب، او المراد انّ محمّداً (ص) کان حین نزول الوحی والتّعلیم بالافق الاعلی یعنی افق عالم العقول الی اللّاهوت، اوعالم النّفوس الی العقول، اوعالم المثال الی النّفوس، او افق عالم الطّبع الی عالم المثال، فانّه (ص) کان یوحی الیه فی جمیع تلک الآفاق [ثُمَّ دَنَىٰ] جبرئیل من الافق الاعلی من محمّد (ص) [فَتَدَلَّىٰ] فی الهواء، اوثمّ دنی محمّد (ص) من الافق الاعلی من الله، فتدلّی من انانیّته وتدلّی تحت العرش، فلم یبق له مقام ومکان ولا انانیّة یعتمد علیها بل صار تدلّیاً من غیر ذات متدلّیة، وقری فتدانی، وسئل الکاظم (ع) عن قوله دنی فتدلّی، فقال: انّ هذه لغة فی قریش اذا اراد الرّجل منهم ان یقول: قد سمعت یقول قد تدلّیت وانّما التّدلّی الفهم [فَكَانَ] الامتداد والمسافة بینهما [قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ] ای بل ادنی، وقاب القوس ما بین مقبضها الی رأسها، ولکلّ قوس قابان، ولذلک قیل: انّه علی القلب والاصل قابی قوس لکن لیس هذا علی القلب ولیس المقصوده انّه کان بینهما مقدار قابی القوس بل المقصود انّه کان بینهما مقدار قاب واحد من القوس اذا انعطفت لااذا کانت مستقیمة، فانّ القوس قطعة من الدّائرة ولکلّ

قوس اذاانعطفت قوسان مابين مقبضها و رأس كلّ طرف منها، وعن الصّادق (ع) : انّه سئل كم عرج برسول الله (ص) ؟- فقال : مرّتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال : مكانك يا محمّد (ص) فقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك ولا نبيٌّ قطّ ، انّ ربّك يصلّي، فقال: ياجبرئيل ، وكيف يصلّي؟-قال: يقول سبّوح قدّوس اناربّ الملائكة والرّوح، سبقت رحمتي غضبي ، فقال: اللّهمّ عفوك عفوك ، قال: وكان كما قال الله : قاب قوسين اوادنى ، قيل: ما قاب قوسين اوادنى؟- قال: ما بين سيتها[1] الى رأسها ، قال: فكان بينهما حجاب يتلألأ يخفق ولا اعلمه الّا وقد قال: زبرجد ، فنظر في مثل سمّ الابرة الى ماشاء الله من نور العظمة ، فقال الله تبارك وتعالى: يامحمّد (ص) ،قال: لبّيك ربّي، قال: من لامّتك من بعدك؟- قال: الله اعلم، قال: علىّ بن ابى طالب (ع) اميرالمؤمنين وسيّدالمسلمين وقائدالغرّ المحجّلين، ثمّ قال الصّادق (ع) : والله ماجاءت ولاية عليّ (ع) من الارض ولكن جاءت من السّماء مشافهةً ، وقال في الصّافي ؛ وفي التّعبير عن هذا المعنى بمثل هذه العبارة اشارةٌ لطيفةٌ الى انّ السّائر بهذا السّير منه سبحانه نزل و اليه صعد ، وانّ الحركة الصّعوديّة كانت انعطافيّة وانّها لم تقع على نفس المسافة النّزوليّة بل على مسافة اخرى كما حقّق في محلّه فسيره كان من الله والى الله وفي الله و بالله ومع الله تبارك وتعالى [فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ] ابهم الموحى للتّفخيم وقد مضى في آخر البقرة انّه كان فيما اوحى اليه قوله تعالى لله ما في السّماوات والارض وان تبدوا مافي انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله (الآية) وكانت الآية قد عرضت على الانبياء من لدن آدم (ع) الى ان بعث الله محمّداً (ص) وعرضت على الامم فأبوا ان يقبلوها من ثقلها ، وقبلها رسول الله (ص) ، وعرضها على امّته فقبلوها ، وقد مضى في آخر البقرة بيان هذه الآية و عدم منافاتها لما ورد انّه تعالى : لا يؤاخذ العباد على الخطرات و الوساوس و عزم المعاصي [مٰا كَذَبَ] قرئ بتخفيف الذّال و تشديدها [اَلْفُؤٰادُ] اي فؤاد محمّد (ص) ولم يضفه اليه لايهام ان ليس فؤادٌ غير فؤاده ، وانّ المطلق ينصرف اليه [مٰا رَءٰى] في بعض الاخبار انّ محمّداً (ص) رأى ربّه بفؤاده لا بالبصر؛ وفي بعض : لقد رأى من آيات ربّه الكبرى وآيات الله غير الله ، او رأى خلافة علىّ (ع) وعلىّ اكبر الآيات ، او رأى جبرئيل على صورته الّتي خلق عليها، ولم يره احد كذلك [أَفَتُمٰارُونَهُ] افتجادلونه،وقرئ افتمرونه من مرى بمعنى اتغلبونه في المحاجّة وتنكرونه ؟! فانّهم كانوا يجادلونه في خلافة علىّ (ع) [عَلىٰ مٰا يَرىٰ] كان الاوفق ان يقول على مارأى لكنّه ادّاه بالمضارع للاشعار باستمرار الرّؤية منه فانّه كان كلّما نظر بفؤاده رأى خلافة علىّ (ع) وولايته بعده ، وسئل رسول الله (ص) عن ذلك الوحي ، فقال: اوحى الىّ انّ عليّاً (ع) سيّد المؤمنين، وامام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، واوّل خليفة يستخلفه خاتم النّبيّين (ص) ، فدخل القوم في الكلام فقالوا : امن الله اومن رسوله ؟- فقال الله جلّ ذكره لرسوله قل لهم : ما كذب الفؤاد ما رأى ثمّ ردّ عليهم فقال: افتمارونه على ما يرى فقال لهم رسول الله (ص) : قد امرت فيه بغير هذا ، امرت ان انصبه للنّاس ، فأقول: هذا وليّكم من بعدى ، وانّه بمنزلة السّفينة يوم الغرق ، من دخل فيها نجا ، ومن خرج عنها غرق [وَلَقَدْ رَءٰاهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ] في نزول اخر من عرش الربّ اومرّة اخرى من غير اعتبار النّزول فيها فانّها تستعمل في معنى المرّة من غير اعتبار معنى مادّته [عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ] اى عند سدرة الواقعة في منتهى مقامات الامكان ، وتسمية الشّجرة النّوريّة الواقعة في منتهى المقامات بالسّدرة لانّها ليس عندها الّا الحيرة والدّهشة ، والسّادر هو المتحيّر وهي شجرة عن يمين العرش فوق السّماء السّابعة ينتهي اليها علم كلّ ملك ، وينتهي اليها اعمال الخلائق من الاوّلين والآخرين ، و اليها ينتهي الارواح الصّاعدة ، ولا يتجاوز عنها من كان مقيّداً بقيود الحدود ، ولذلك قال جبرئيل في هذا المقام : لو دنوت انملةً لاحترقت ؛ وهي شجرة طوبى ، وهي شجرة النّبوّة

(١) السّية كالعدة من الوعد = القوس ماعطف من طرفيها .

كما انّ فوقها شجرة الولاية [عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوٰى] الّتى لايتجاوز عنها الممكن بخلاف سائر الجنّات فانّها معبرٌ غير مأوىً لبعض النّفوس و ان كانت مأوىً لبعضٍ آخر [إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مٰا يَغْشٰى] لفظ ما فى امثال هذه الكلمة يفيد التّفخيم، قيل: يغشاها الملائكة امثال الغربان، وقيل: يغشاها من النّور والبهاء، وقيل: فراش من الذّهب، وقيل: لمّا رفع الحجاب بينه و بين رسول الله (ص) غشى نوره السّدرة [مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ] حتّى لم يكن يبصر ما هو الواقع و يكون مخطئاً فى ابصاره يعنى ما زاغ بصر محمّدٍ (ص) حين رأى عند السّدرة [وَمٰا طَغىٰ] وما جاوز عن حدّ القصد فى الابصار حتّى يكون مخطئاً فى الابصار [لَقَدْ رَءٰا مِنْ ءٰايٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ] مثل سدرة المنتهى و جبرئيل على صورته الّتى خلق عليها، وقيل: سمع كلاماً لولا انّه قوىً ماقوى، وقيل: رأى رفرفاً اخضر من رفارف الجنّة قد سدّ الافق، وقيل: رأى ربّه بقلبه، وقيل: رأى علياً (ع) فانّه الآية الكبرى الّتى لااكبر منها، و روى عن النّبىّ (ص) انّه قال لعلىّ (ع): يا علىّ انّ الله اشهدك معى فى سبع مواطن و عدّ من ذلك ليلة الاسراء [أَفَرَءَيْتُمُ اللّٰاتَ وَ الْعُزّٰى وَمَنٰوةَ الثّٰالِثَةَ الْأُخْرىٰ] اى اخبرونا عن هذه الآلهة الّتى تعبدونها يضرّونكم او ينفعون؟! اوهى بنات الله؟! وقيل: انّهم زعموا انّ الملائكة بنات الله وصوّروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقّوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا: اللّات من الله، والعزّى من العزيز، وقيل: انّ التّاء فى اللّات اصليّة، و قرئ اللّاتّ بتشديد التّاء؛ قيل: كان صنماً نحتوه على صورة رجل يلتّ السّويق و يطعم الحاجّ، وقيل: انّ اللّات كان صنماً لثقيف، والعزّى صنم، وقيل: انّها كانت شجرة يعبدها الغطفان فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها، ومناة كانت صنماً بقديد بين مكّة والمدينة، وقيل: ثلاثتها كانت اصناماً فى الكعبة يعبدونها، والثّالثة نعتٌ لمناة وكذلك الاخرى وكانتا نعتين بيانيّين [أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزىٰ] ذات جور، وضيزى قيل: انّه فعلا مضموم الفاء سواء جعل واويّاً او يائيّاً لعدم وجود الوصف على فعلى مكسور الفاء، وقرئ بالهمزة من ضازه اذا ظلمه [إِنْ هِيَ] اى الاصنام [إِلّٰا أَسْمٰاءٌ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ ءٰابٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ] قد سبق الآية فى سورة الاعراف مع تفاوت يسير فى اللّفظ و قد سبق تحقيق لها هناك و فى سورة البقرة ايضاً عند قوله تعالى: وعلّم آدم الاسماء كلّها [إِنْ يَتَّبِعُونَ] فى جعل هذه الاسماء الّتى ليست لها حكم فضلاً عن ان تكون معبودات مسمّيات و فى النّظر اليها والسّجدة لها، وقرئ تتّبعون بالخطاب و بالغيبة [إِلَّا الظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَى الْأَنْفُسُ] عطف على الظّنّ و يجوز ان يكون ما نافية او استفهاميّة [وَلَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدىٰ] ما به الهدى واليقين فأعرضوا عنه واتّبعوا الظّنّ وما به الضّلالة والمراد بالهدى الرّسول وكتابه و شريعته [أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّىٰ] فيكون لهم ما يتمنّونه من حسن الحال فى الدّنيا و حسن المآل فى الآخرة، او من شفاعة الاصنام فى الآخرة فانّه لادليل لهم على ذلك سوى تمنّيهم وليس كذلك [فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولىٰ] الفاء للسّببيّة يعنى اذا كان الآخرة والاولى لله فلم يكن للانسان ما تمنّى بل كان له ما اراد الله [وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ لٰا تُغْنِي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئًا] من الاغناء، اوشيئاً من عذاب الله [إِلّٰا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ] لهم فى الشّفاعة [لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَرْضىٰ] و من يشاء و يرضى ليس الّا من تولّى علياً (ع) فانّ ما به الرّضا هو اِنْفَحَةُ الولاية فما لهم يعبدون الملائكة من دون الله و يسمّون الملائكة بما لا يرضاه الله

[اِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلٰائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْاُنْثٰى] فيقولون : انّ الملائكة بنات الله [وَمَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ] ذمّهم اوّلا على تسمية الاشرف باسم الاخسّ ثمّ على القول بعدم العلم ثمّ على اتّباع الظنّ [وَاِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا] قد فسّر الحقّ ههنا بالعلم ، او المراد به نفس الامر ، او المشيّة ، او الحقّ الاوّل تعالى ، وشيئاً مفعول مطلق ، اوهو مفعول به و من الحقّ حال منه [فَاَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنَا] لمّا ذكر حال المشركين وانّهم اعرضوا عن اليقين و تمسّكوا بالظنّ والتّخمين قال: اذا كان حالهم على هذا ولم يتوجّهوا اليك والى ما به اليقين ، او لم يتوجّهوا الى عليّ (ع) الّذى بالتّوجّه اليه يحصل اليقين ، فأعرض عن مجادلتهم وعن النّصح والتّذكير لهم ، اواعرض عن مكافاتهم على سوء فعالهم ، والمراد بالذّكر هو ما به ذكر الله للعباد وهو العقل و القلب الّذى هو طريق العقل و القرآن و الرّسول وصاحب الولاية و جملة الآيات الآفاقيّة والانفسيّة ، اوالمراد ما به ذكر العباد لله وهو المذكورات مع الاذكار اللّسانيّة والقلبيّة لكنّ المنظور الاعراض عمّن انكر الولاية فانّه المستحقّ للاعراض سواء كان قابلاً للرّسالة اولم يكن [وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا] فانّ من اعرض عن القلب وصاحبه لايكون له ارادة من جملة افعاله واقواله وعلومه الّا الانتفاع فى جهة الحيوة الدّنيا فانّه ان صلّى صلّى لئلّا يحدث له حادثة تضرّه فى حيوته ، وان صام فكذلك ، وان حصل له علم لايكون وجه علمه الّا الى الدّنيا فيكون علمه جهلاً مشابهاً للعلم [ذٰلِكَ] المبلغ اى الحيوة الدّنيا ، اوطلب الحيوة الدّنيا [مَبْلَغُهُمْ] محلّ بلوغهم او بلوغهم [مِنَ الْعِلْمِ] لايتجاوز عنهم عنها الى الآخرة [اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهٖ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى] جوابُ سؤالٍ فى مقام التّعليل لقوله اعرض [وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ] اى لله السّماوات والارض ومافيهما كمامرّ مراراً [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اَسٰاؤُا] علّة غائيّة لاعرض يعنى انّك ما دمت مقبلاً عليهم لم يعذّب الله احداً منهم فاعرض عنهم حتّى يجزى الّذين أساؤا [بِمَا عَمِلُوا] او غاية لقوله : هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله اوعلّة لاثبات قوله هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله يعنى قلنا انّه اعلم لماترى انّه يجزى الّذين اساؤا اوغاية لقوله لله ما فى السّماوات و ما فى الارض ، اوعلّة لاثباته [وَيَجْزِيَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى] بالخصلة او العاقبة او النّعمة الحسنى [اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْاِثْمِ] صفة او بدل من الّذين احسنوا اوخبر مبتدء محذوف اومبتدء خبره جملة اِنّ ربّك واسع المغفرة بتقدير العائد ، اوالخبر محذوف بقرينة انّ ربّك واسع المغفرة اى مغفورٌ لهم ، ويكون قوله : اِنّ ربّك واسع المغفرة تعليلاً له وقد مضى بيان الكبيرة والصّغيرة فى سورة النّساء عند قوله تعالى : ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه [وَالْفَوٰاحِشَ] عطف على كبائر الاثم او على الاثم ، والفاحشة اقبح الاثم او هو الزّنا [اِلَّا اللَّمَمَ] اللّمم محرّكة صغار الذّنوب الّتى ينتزّل الانسان عن مقامه عليها ولم يكن مقامه مقام تلك الصّغار من الذّنوب ، فانّه قد مضى فى بيان الكبائر انّه اذا لم يكن الانسان متمكّناً فى طريق النّفس فكلّما صدر منه من الآثام كان صغيرة ، ولم يكن مقام ذلك الانسان مقام تلك الصّغيرة [اِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل لقوله تعالى ليجزى الّذين اساؤا [اِذْ اَنْشَاَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ] تعليلٌ لقوله اعلم بكم اوظرف له يعنى ان كان اعلم بكم فى وقت انشائكم من الارض

فكيف لايعلم حالكم حين حيوتكم الدّنيويّة اوحين بعثكم [وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى] يعنى لاتظهروا طهارة انفسكم ولاتمدحوها عندالله وعند رسوله فانّه اعلم بحالكم منكم بل اتّقوا سخط الله ، اواتّقوا الشّرك ، اواتّقوا الشّرك بالولاية عندانفسكم فلاتظهروا تقويكم فانّه اعلم بتقويكم [أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا] قال فى المجمع ، نزلت الآيات السّبع من قوله: أفرأيت الّذى (الى سبع آيات) فى عثمان بن عفّان كان يتصدّق وينفق ماله فقال اخوه من الرّضاعة عبدالله بن سعد بن ابى سرح: ماهذا الّذى تصنع؟ يوشك ان لايبقى لك شيء: فقال عثمان: انّ لى ذنوباً وانّى اطلب بما اصنع رضاالله وارجوعفوه ، فقال له عبدالله: اعطنى ناقتك برحلها وانا اتحمّل عنك ذنوبك كلّها ، فأعطاه و أشهد عليه وامسك عن الصّدقة، فنزلت: افرأيت الّذى تولّى اى يوم احد حين ترك المركز، وأعطى قليلاً ثمّ قطع نفقته الى قوله: وانّ سعيه سوف يرى فعاد عثمان الى ماكان عليه، وقيل: نزلت فى الوليد بن المغيرة ، ونقل نظير مانقل لعثمان ، وقيل : نزلت فى العاص بن وائل السّهمىّ ، وقيل: فى رجل قال لاهله : جهّزونى حتّى انطلق الى هذا الرّجل ، يريد النّبىّ (ص)، فتجهّز وخرج فلقيه رجلٌ من الكفّار فقال له مثل ماقيل لعثمان، وقيل: نزلت فى ابى جهل وذلك انّه قال والله ما يأمرنا محمّد (ص) الّا بمكارم الاخلاق فذلك قوله اعطى قليلًا [وَأَكْدَى] اكدى بمعنى بخل ، او قلّ خيره ، او قلّل عطاءه [أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى] ببصيرته انّ غيره يتحمّل عنه ذنوبه ، اويرى انّه صار مطهّراً من الذّنوب ، اويرى انّه لاعقوبة عليه [أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى] مبالغة فى الوفاء والايفاء والمعنى بالغ فى الوفاء بعهدالله الّذى اخذ منه ، وتقديم موسى (ع) لكونه اقرب الى المخاطبين المعاتبين ولكون صحفه اشهر واظهر [أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى] وجدّ ، لفظة ما مصدريّة، اوموصولة، او موصوفة ، وما ورد من انتفاع الاموات بالتّصدّقات والخيرات من الاحياء ليس من قبيل الانتفاع بسعى الغير بل الانتفاع بالمحبّة الّتى دخل منهم فى قلوب الاحياء من سعيهم فى الدّنيا [وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ] اى يجزى السّاعى بسعيه [الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى] انتهاء الكلّ وانتهاء اعمالهم فيجزيهم بنفسه الجزاء الاوفى فما لهم يعبدون غيره [وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى] اسرّ واحزن اوانّه اضحك السّماء برفع الغيم و ابكى السّماء بالمطر [وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى] اذا تتحوّل من الدّم منيّاً ، اواذا تنزّل الى الرّحم [وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى] اى اغنى بالاموال وجعلهم مدّخرين باصول الاموال و بضاعاتهم ، وقيل: اقنى بمعنى اخدم ، وقيل: اقنى بمعنى ارضى، وقيل: اغنى بالكفاية واقنى بالزّيادة ، وقيل: اقنى بمعنى حرم [وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى] كوكب فى السّماء كانت قريش وقومٌ من العرب يعبدونه [وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى] منهم احداً [وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ] اى من قبل عادٍ وثمود [إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى] اى اسقطها، والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوطٍ ائتفكت بأهلها اى انقلبت [فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى] بالعذاب فمالهم ينظرون الى غيره و يستمدّون من غيره و يعبدون اويتّبعون غيره [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى] الخطاب عامّ اوخاصٌّ بمحمّد (ص) على: ايّاك اعنى واسمعى ياجارة ، يعنى كلّ هذه المذكورات من النّعم والنّقم من آلاء ربّك ، لانّ هذه النّقم ايضاً نعم لمن كان بعد الماضين

من الامم لاتّعاظهم بالماضين ونقمهم، ففى اىّ نعم ربّك تشكّك ؟! او بسبب اىّ من الآلاء تجادل؟! والآلاء جمع الالْى بفتح الهمزة وكسرها وسكون اللّام، اوجمع الالْو بكسر الهمزة وسكون اللّام [هٰذَا] اى محمّد (ص) [نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولٰى] سئل الصّادق (ع) عنها فقال: انّ الله تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق فى الذّرّ الاوّل اقامهم صفوفاً قدّامه وبعث الله محمّداً (ص) حيث دعاهم فآمن به قومٌ وانكره قومٌ فقال الله عزّوجلّ: هذا نذير من النّذر الاولى يعنى محمّداً (ص) حيث دعاهم الى الله عزّوجلّ فى الذّرّ الاوّل [أَزِفَتِ الْآزِفَةُ] الآزفة من اسماء القيامة غلبت عليها، والتّاء لتأنيث القيامة، او للنّقل، او الآزفة مصدرٌ كالكاشفة والعافية، وقرب القيامة لانّها ليست فى عرض الزّمان حتّى يكون قربها قرباً زمانيّاً بل هى فى الطّول وبمنزلة الرّوح للازمان، وكما انّ روح كلّ شيء اقرب اليه من نفسه فروح الزّمان اقرب كلّ شيء من الزّمانيّات [لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اللّٰهِ كَاشِفَةٌ] نفس مظهرة، اوالكاشفة مصدر [أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ] حديث الآزفة اوازف الآزفة، اوالقرآن، اوماتقدّم من الاخبار كماوردعن الصّادق (ع) [تَعْجَبُونَ] انكاراً [وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ] سمد سموداً رفع رأسه تكبّراً، وسمد الابل جدّ فى السّير، وسمد دأب فى العمل وقام متحيّراً.

سجدةٌ واجبةٌ [فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ] يعنى اذا ازفت الآزفة، فاسجدوا لله [وَاعْبُدُوا] حتّى تكونوا حين الورود عليه مستأنسين لامستوحشين.

سورة القمر

مكّيّة؛ وهى خمس وخمسون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ] قد فسّرت السّاعة بساعة ظهور القائم (ع) وبساعة القيامة وبحالة الاحتضار والكلّ يرجع الى امر واحد هو وقت القيام عندالله، ولمّا كان رسول الله (ص) خاتم الرّسل فلايكون بعده رسولٌ ورسالةٌ لانتهاء مراتب الرّسالة اليه فلايكون مرتبة من الرّسالة الّا وهى مجتمعة فى وجوده، كان امّته ايضاً آخر الامم فلايكون بعدامّته امّة، وقد علمت انّ القيامة ليست فى عرض الزّمان وانّما هى فى طوله فاذا كان امّة محمّد (ص) آخر الامم لم يكن مرتبة زمانيّة بعد مرتبتهم ويكون بعد مرتبتهم الخروج من الزّمان، والخروج من الزّمان هو القيام عندالله فيكون القيامة قريبةً من امّة محمّد (ص) ولذلك ورد عن النّبىّ (ص): بعثت انا والسّاعة كهاتين، وكان (ص) آخر الزّمان وصار بوجوده قيامة ومحشراً كماقال المولوىّ قدّس سرّه:

پس محمد صد قيامت بود نقد — زانكه حلّ شد درفنا بش حلّ وعقد
زادهٔ ثانيست احمد در جهان — صد قيامت بود او اندر عيان
زو قيامت را همى پرسيده اند — كاى قيامت تا قيامت راه چند
با زبان حال ميگفتى بسى — كه ز محشر حشر را پرسد كسى!
پس قيامت شو قيامت را ببين — ديدن هرچيز را شرط است اين

[وَانْشَقَّ الْقَمَرُ] القمر اسم للكوكب الّذى يأخذ النّور من غيره ولا يكون منيراً بنفسه، وهل فى السّماء اقمار

عديدة؟ اوالقمر منحصرفي هذاالكوكب الّذى يدرك انّه مستنيرٌ من الشّمس؟ قيل: وجدواغيرهذاالقمر اقماراً اُخر، وفي العالم الصّغير القلب مظهرٌ للقمر، او القمر مظهرٌ للقلب فانّ القلب ايضاً يأخذ النّور من الرّوح ويستنير بنوره، ولمّا كان النّاس قلوبهم ذوات وجهين، وجه الى الرّوح وعالم الوحدة، ووجه الى النّفس وعالم الكثرة، وكان المراعي منهم للطّرفين قليلاً والجامع لكمال الطّرفين اقلّ حتّى انّ الانبياء لم يكونوا كاملين في الطّرفين بل كانوا ناقصين في طرف الكثرة اوطرف الوحدة، وكان نبيّنا (ص) كاملاً في الطّرفين حافظاً للجانبين ولذلك نسب اليه انّه قال: كان اخي موسى (ع) عينه اليمنى عمياء، واخي عيسى (ع) عينه اليسرى عمياء، وانا ذوالعينين، كان قلب نبيّنا (ص) من بينهم ذاشقّين كاملين، ولمّا كان القمر الصّوريّ مظهراً لقلبه كان لاغرو في انشقاق القمر الصّوريّ كما نسب الى معجزاته، ولمّا كان انشقاق القمر المعنويّ الّذى هو قلب النّبيّ (ص) بشقّين متساويين دليلاً على انتهاء مراتب التّجدّد في وجوده وابتداء الدّهر في وجوده كان دليلاً على شدّة قرب السّاعة الواقعة في الدّهر، ولمّا كان انشقاق القمر الصّوريّ دليلاً على انشقاق قلب فاعله بشقّين متساويين كان ذلك ايضاً من اشراط السّاعة، روى انّه اجتمع المشركون الى رسول الله (ص) فقالوا: ان كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، فقال لهم: ان فعلت تؤمنوا؟ ـ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر فسأل ربّه ان يعطيه ما قالوا، فانشقّ القمر فرقتين ورسول الله (ص) ينادى: يا فلان يافلان اشهدوا [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً] الجملة حاليّة والمعنى اقتربت السّاعة وظهر امارتها وينبغى ان يتذكّروا ويتوبوا وينيبوا ويتنبّهوا بكلّ شيء والحال انّهم مع ذلك ان يروا آية من آيات السّاعة مثل بياض شعر الرّأس واللّحية وسقوط الاسنان وضعف نور البصر وقلّة شهوة الطّعام والسّفاد ورخاوة الاعصاب والامراض الواردة وفوت الجيران والاقران، اوآية من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته، اوآية من آياته العظمى، اوآية معجزة لهم عن الاتيان بمثلها [يُعْرِضُوا] عنها [وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ] قوىّ يعلو كلّ سحر، وقيل: سحر ذاهب باطل، اوسحر مستمرّ من الازمان السّابقة [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ] قال القمّيّ: كانوا يعملون برأيهم ويكذّبون انبياءهم [وَكُلُّ أَمْرٍ] من التّكذيب والتّصديق والخير والشّرّ والطّاعة والمعصية [مُسْتَقِرٌّ] في الالواح العالية، وفي الصّحف الّتى بايدى الكرام البررة، وفي الواح النّفوس العاملة فلايفوت شيء منّا، فيكون هذا تهديداً لهم [وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ] اى انباء الانبياء (ع) واممهم الماضية والوقائع الواقعة بهم، اومن انباء الآخرة والثّواب والعقاب فانّه وصل انموذجها اليهم فى وجودهم وخبرها اليهم باخبار انبيائهم [مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ] انزجارٌ من المعاصى والتّكذيب [حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ] الى الغاية اى كاملة وهو بدل من مزدجر او خبر مبتدء محذوف اى هذه المواعظ، او هذا القرآن او ما جاءهم من الانباء حكمة بالغة [فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ] يعنى اذا كان لايغنى من عذاب الله تلك الحكمة البالغة الّتى فيها مزدجرٌ فاىّ شيء تغن النّذر، اوفلا تغنى جميع النّذر عن عذاب الله، او ما تغنى جميع النّذر عنهم، او اذا لم تغن النّذر في الدّنيا فما تغن النّذر يوم الاحتضار اويوم القيامة، والنّذر جمع النّذير، اومصدر بمعنى الانذار [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] يعنى اذا كانوا لاينفعهم النّذر فلاتجشّم في الدّعوة وتولّ عنهم، اوتولّ عنهم يوم الاحتضار حتّى لاتساء بمشاهدة سوء احوالهم، اوتولّ عنهم اذا تعرّضوا لشفاعتك يوم القيامة اوتولّ عنهم يوم القيامة لانّهم يرون العذاب في ذلك اليوم [يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ] قرئ باسقاط الياء اجراءً للوصل مجرى الوقف، وقرئ باثبات الياء، والدّاعى هو ملك الموت في النّفخة الاولى اوفي النّفخة الثّانية، وقيل: هو اسرافيل يدعوهم الى المحشر، او الملك الّذى يدعوهم الى النّار [إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ] منكر غير مأنوس فانّ جميع

امور الآخرة منكرٌ لغير اهلها غير معروفٍ ، و يوم يدع الدّاعى ظرفٌ لقوله : تولّ عنهم او ما تغن النّذر او مستقرّ، او يخرجون [خُشَّعًا أَبْصارُهُمْ] حالٌ مقدّمٌ [يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ] الطّبيعيّة الدّنيويّة ، او المثاليّة الاخرويّة [كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ] فى وجه الارض و المقصود انّهم من غاية الفزع كالجراد المنتشر لا انضباط لحركاتهم ولاجهة بل يدخل بعضهم فى بعضٍ من غير انضباطٍ ، وقيل : التّشبيه بالجراد فى الكثرة [مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ] اى مقبلين او مسرعين او ناظرين [يَقُولُ الْكافِرُونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا] نوحاً فلاتكن فى ضيقٍ من تكذيبهم فانّه ديدن الامثالهم [وَقالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ] انزجر شديداً من شيمتهم ورميهم ، اوانزجر بوعيدهم بالقتل [فَدَعا رَبَّهُ] بعد ما انزجر شديداً [أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] منهم بالاهلاك [فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ] و قرئ فتّحنا بالتّشديد [بِماءٍ مُنْهَمِرٍ] منصبٍّ مستمرٍّ غير منقطع [وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا] تميز محوّل عن المفعول [فَالْتَقَى الْماءُ] ماء السّماء و ماء الارض مشتملاً [عَلى أَمْرٍ] هى اهلاك القوم [قَدْ قُدِرَ] فى عالم القدر اوعلى ميزان قدّره الله من التّساوى اوالتّفاضل فى المائين اوعلى ميزان قدّره الله من مقدار ارتفاع الماء على وجه الارض [وَحَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ] وهى المسامير من الحديد اوكلّ مايشدّ به الشّيء اوخيوطٌ من ليف يشدّ بها السّفن ، وقيل: هى صدر السّفينة تدفع بها الماء ، وقيل: هى اضلاع السّفينة واصلها [تَجْرِي بِأَعْيُنِنا] بحافظيّتنا [جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ] و هو نوحٌ فانّ نعمة السّفينة وجريها بحفظه تعالى ، ونقمة القوم واهلاكهم كان جزاء لنوح وكفرقومه به [وَلَقَدْ تَرَكْناها] اى هذه الغفلة بقوم نوحٍ او السّفينة بعينها او بخبرها فى النّاس [آيَةً] يعتبر بها ، او آية على قدرتنا و انتقامنا او على صدق انبيائنا [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] معتبر بتلك الآية [فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ] وانذارى او هو جمع النّذير [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ] اى للتّذكّر والاتّعاظ بان ذكرنا فيه الحكايات المبشّرة والمنذرة والامثال العديدة بالفاظٍ واضحة الدّلالة، او يسّرنا القرآن بان نزّلناه من مقامه العالى وادخلناه فى قوالب الالفاظ والحروف ليسهل ادراكه لكم [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عادٌ] قوم عادٍ بعد قوم نوحٍ [فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ إِنّا أَرْسَلْنا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن العذاب [عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا] باردة [فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ] نحوستّه الى مثله، عن الصّادق (ع) : يوم الاربعاء يوم نحس لانّه اوّل يومٍ وآخر يومٍ من الايّام الّتى قال الله عزّوجلّ سخّرها عليهم سبع ليالٍ و ثمانية ايّامٍ حسوماً [تَنْزِعُ النّاسَ] روى انّهم كانوا يدخلون فى الشّعاب و يتمسّك بعضهم ببعضٍ فكانت الرّيح تنزعهم وتصرعهم موتى [كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] منقطعٍ من اصولها ، شبّههم باعجاز النّخل لانّهم بعد خروج ارواحهم تصير ابدانهم كأعجاز النّخل لانّ ارواحهم مثل اصول النّخل وغصونها [فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] كرّر هذه الكلمة وسابقتها لانّ السّورة لتهديد الكفّار وترغيب المؤمنين ، والتّكرار فى مقام التّهديد والتّرغيب مطلوب [كَذَّبَتْ ثَمُودُ] من بعد عادٍ [بِالنُّذُرِ فَقالُوا أَبَشَرًا مِنّا واحِدًا نَتَّبِعُهُ] على سبيل الانكار والاستغراب [إِنّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ] جمع السّعير ، او بمعنى الجنون ، او جمع

السّعر ككتف بمعنى المجنون ، وعطف على فى ضلال [ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ] اوالكتاب اوالوحى او المواعظ اواحكام الرّسالة [عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا] وفينا من هو احقّ منه بذلك [بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ] يعنى ليس ينزل عليه الوحى من بيننا بل هوكذّاب اشرّ حمله بطره على طلب الرّياسة والتّرفع [سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ] وقرئ ستعلمون بالخطاب التفاتاً منه تعالى من الغيبة الى الخطاب اوحكاية لقول صالح لهم [إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ] جواب سؤال مقدّر [فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ] ناظراً لحالهم الى م ترجع [وَاصْطَبِرْ] وبالغ فى الصّبر [وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ] اى كلّ نوبة [مُحْتَضَرٌ] لصاحبه لايزاحمهم النّاقة فى نوبتهم ولايزاحمونها فى نوبتها [فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى] السّيف لقتلها ، اوتعاطى النّاقة لقتلها ، اوتعاطى القوس ، اوقام على اطراف اصابع الرّجلين ومدّ يديه لقتلها [فَعَقَرَ] قيل : كمن لها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها ، ثمّ شدّ عليها بالسّيف وكان يقال له : احمر ثمود واحيمر ثمود على التّصغير ويضرب به المثل فى الشّؤم [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً] هى صيحة جبرئيل ، اوصيحة الصّاعقة وقد سبق فى سورة الاعراف وغيرها قصّتهم ورفع الاختلاف بين ماورد فى اهلاكهم من الصّيحة والزّلزلة [فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ] المحتظر الّذى يعمل الحظيرة لابله وغنمه ، وهشيمه ما يجعله المحتظر حول حظيرته من خشب وحطب وغيره [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ] بالرّسل اوبالانذار [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا] رامياً للحصباء عليهم وكان الحاصب جبرئيل بعد مارفع قُراهم ، وقيل : المراد بالحاصب الرّيح الّتى كانت تحصبهم بالحجارة ، اوالمراد الحاصب الّذى حصبهم بحجارة من سجّيل مسوّمة عند ربّك للمسرفين وهم الملائكة [إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ] فى وقت سحر متعلّق بنجّيناهم او بحاصباً [نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا] نجاة نعمة او لنعمة ، او انعمنا عليهم نعمة من عندنا [كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ] نعمنا بصرفها فيماخلقت لاجلها ، او بتعظيمنا فى انعامنا [وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ] لوطٌ [بَطْشَتَنَا] سطوتنا بالعذاب [فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ] تجادلوا فى النّذر ، اوشكّوا فيه ، اوتجادلوا ، او شكّوا بسبب النّذر [وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ] مسخناها وسوّيناها بسائر الوجه ، او طمسنا نورها ، ورد انّه اهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت اعينهم ، وورد ايضاً انّه اخذ كفّاً من تراب فضرب بها وجوههم فعمى اهل المدينة كلّهم ، وقد سبق قصّتهم فى سورة الاعراف وهود والحجر [فَذُوقُوا] اى فقلنا لهم ذوقوا [عَذَابِي وَنُذُرِ] اى ما انذرتم به [وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ] فيهم غير زائل عنهم [فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ] اى فرعون وآله لكن اكتفى بذكرهم لانّ استحقاق قوم لعذاب اوثواب باضافتهم الى شخص يدلّ على استحقاق ذلك الشّخص بالطّريق الاولى [كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] التّسع [كُلِّهَا] اوبآياتنا الآفاقيّة والانفسيّة كلّها ، اوبآياتنا العظمى كلّها وهم الرّسل [فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ أَكُفَّارُكُمْ] يا قريش اويا اهل مكّة اويا ايّها العرب اويا ايّها النّاس [خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ] الهالكين الماضين حتّى لانعذّبهم ولانهلكهم مثلهم وليس كذلك [أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ] بل اثبت لهم فى الزّبر الاوّلين اوفى الالواح العالية والكتب الّتى بايدى الملائكة براءة من العذاب اومن الهلكة اومن النّار

[اَمْ يَقُولُونَ] التفات من الخطاب [نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ] بل ايعتمدون على جماعتهم وعصابتهم ويقولون : نحن متّفقون ومنتصرون ممّن ارادبنا سوءً ولوكان المريدالله اوالملائكة ، و وحّد منتصراً لملاحظة لفظ جميع فانّه مفرد فى اللّفظ كالكلّ وان كان معناه جمعاً ، وللاشارة الى انّ الجماعة المتّفقة تكون كالرّجل الواحد ، او الضّمير لكلّ واحدٍ اى نحن جميع ومنتصر كلّ واحدٍ منّاممّن يخالفنا فكيف بجماعتنا [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ] ان كانوامتّكلين على جماعتهم والمراد انّهم سيهزمون فى القيامة اوفى الدّنيا يوم بدرٍ [وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ] المناسب لهذا الاضراب ان يكون المراد بهزيمتهم هزيمتهم فى الدّنيا يعنى انّهم يهزمون فى الدّنيا بل السّاعة اى القيامة اوساعة الموت [مَوْعِدُهُمْ] والّذى لهم فى الدّنيا من العذاب انموذجٌ من عذاب السّاعة [وَالسَّاعَةُ اَدْهٰى] اشدّ [وَاَمَرُّ] بل شدّة السّاعة ومرارته لاتقاس بعذاب الدّنيا [اِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلٰالٍ] فى الدّنيا [وَسُعُرٍ] فى الآخرة اوكلاهما فى الآخرة اوكلاهما فى الدّنيا ، ويكون المراد بالسّعر الجنون [يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النّٰارِ عَلٰى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ] حالٌ او مستأنف بتقدير القول، وسقرعلمٌ لجهنّم ، وعن الصّادق(ع) انّ فى جهنّم لواديا للمتكبّرين يقال له سقر شكا الى الله شدّة حرّه وسأله ان يأذن له ان يتنفّس ، فتنفّس فأحرق جهنّم [اِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ] بقدرٍ مخصوصٍ من امد بقائه واجله وكيفيّة بقائه ، او بسبب عالم القدر ، او بتقديرنا له فى عالم القدر ، عن الصّادق(ع) انّ القدريّة مجوس هذه الامّة وهم الّذين ارادوا ان يصفوا الله بعد له فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الآيات يوم يسحبون (الى قوله) بقدرٍ [وَمٰا اَمْرُنٰا اِلّٰا وٰاحِدَةٌ] .رفع توهّم نشأ من قوله كلّ شيءٍ خلقناه بقدرٍ فانّه يتوهّم متوهّم انّه اذا كان كلّ شيءٍ خلقه بقدرٍ لم يتيسّر ذلك الّا بعمّالٍ عديدةٍ يكون تحت كلّ عاملٍ عدّة عامل ، فقال : ما امرنا فى خلق العالم وجميع ما فيه الّا واحدةٌ اى فعلة واحدة ، اوكلمة واحدة ، اونشأ من قوله بل السّاعة موعدهم فانّه يتوهّم انّه اذا كان السّاعة موعدهم فليكن امد السّاعة بقدر امد الدّنيا بل اطول منه فقال: وماأمرنا فى الاتيان بالسّاعة وجمع الخلائق فيها ومحاسبتهم الّا واحدة [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ] فى اليسر والسّرعة [وَلَقَدْ اَهْلَكْنٰا اَشْيٰاعَكُمْ] امثالكم من منكرى الرّسالة و توحيدالله [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] متّعظ بتذكّر احوالهم [وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ] اى الالواح العالية اوصحف الاعمال فلايفوت شيءٌ منها ومنّا [وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ] من الذّوات والاعمال والاعراض [مُسْتَطَرٌ] قبل خلقته فى الاقلام العالية واللّوح المحفوظ والالواح القدريّة، او بعد خلقته فى صحائف نفوسهم وفى صحف الكرام الكاتبين [اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَنَهَرٍ] النّهر بالسّكون والنّهر بالتّحريك مجرى الماء [فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ] الصّدق على الاطلاق هواستقامة الانسان فى جميع ما يقتضيه انسانيّته وتمكّنه فيه من الخروج عن جميع الحدود والدّخول فى مقام الاطلاق والاتّصاف بجميع الصّفات الالهيّة ، والتّمكّن فى كلّ ذلك ، واضافة المقعد الى الصّدق امّا من قبيل اضافة السّبب الى المسبّب ، او المسبّب الى السّبب ، اومن قبيل لجين الماء ، او بيانيّة ، فانّ الصّدق هومحلّ السّكون والاطمينان للانسان ، وتنكير الصّدق للتّفخيم وفى مقعد صدقٍ امّا خبرٌ بعد خبرٍ ، اوخبر ابتداءٍ وفى جنّاتٍ حال او متعلّق بقوله فى جنّاتٍ [عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ] .

سورة الرّحمٰن

مكّيّة وقيل: غير آية يسأله من في السّموات والارض، وقيل: مدنيّة

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[الرَّحْمٰنُ] اقتضاء جعله آيةً برأسه ان يكون خبراً لمبتدء محذوف وقد مضى في اوّل الفاتحة انّ الرّحمن اسمٌ خاصّ بصفة عامّة ، وانّ الرّحمة الرّحمانيّة تقتضي وجود الاشياء بكمالاته الاوّليّة وبقاءها ، وانّ الرّحمة الرّحيميّة تقتضي الكمالات الثّانية اللاحقة للاشياء الصّاعدة ، ولمّا كان تعليم القرآن الّذي هو افاضة الوجود الّذي هو اضافته الاشراقيّة على جميع الموجودات ، وخلق الانسان وتعليمه البيان الّذي هو تمام ذاته بالنّطق الّذي هو فصله الاخير من اقتضاء صفته الرّحمانيّة أتى في اوّل هذه السّورة بالرّحمن [عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ] خبرٌ للرّحمن ، او مستأنف جوابٌ لسؤال مقدّر [خَلَقَ الْاِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ] تعدادٌ لاصول النّعم الّتي هي ايجاد كلّ موجود وايجاد كمالاته الاوّليّة وذكر خلق الانسان بعد تعليم القرآن من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام به ، وذكر تعليم البيان الّذي هو الكمال الاوّل للانسان المندرج في خلق الانسان للامتنان والاهتمام بهذا البيان فانّ الانسان غاية اخيرة لخلق العالم ، والبيان وان كان كمالاً اوّليّاً للانسان لكنّه باعتبار اطلاقه غاية اخيرة للانسان [اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ] اقتضاء جواز حمل السّابقة والآتية على الرّحمن ان يكون هذه الجملة ايضاً جائزة الحمل عليه فليقدّر بحسبان عنده يعني انّ خلقهما وجريانهما ليس الّا بمقدار خاصّ وميزان مخصوص لايتجاوزانه لانّ نظام العالم وانتظام معاش بني آدم منوطٌ بانتظامهما فكونهما بحسبان من النّعم كما انّ وجودهما من نعم الانسان ، واذا اريد بالشّمس والقمر روح الانسان ونفسه فكونهما من نعمه بل اجلّ نعمائه واضح [وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ] النّجم النّبات الّذي لاساق له ، والشّجر ماله ساق ، اوالمراد بالنّجم كواكب السّماء ، وسجودهما عبارة عن انقيادهما للنّفس المربّية المنمية لهما ، اوعبارة عن سجود جهتهما الملكوتيّة لله وتسبيحهما بالسنتهما الملكوتيّة الفصيحة ، او المراد بالنّجم والشّجر قوى النّفس الانسانيّة من الحسّاسة والمحرّكة فانّها ساجدة للنّفس ، وسجدتها للنّفس سجدتها لله تعالى شأنه والتّقدير ههنا يسجدان لله [وَالسَّمٰٓاءَ] اى سماء عالم الطّبع وسماء الارواح وسماء روح الانسان وسماء الولاية [رَفَعَهَا] بحيث لايبلغ ابصاركم الى ماهي عليه [وَوَضَعَ الْمِيزَانَ] قد سبق انّه لااختصاص للميزان بذي الكفّتين بل كلّما يوزن ويقاس به شيء آخر هو ميزان لذلك الشّيء فالميزان ذوالكفّتين والقبان والكيل والزّرع وخيوط البنّائين وغيرها من المحسوسات الّتي يقاس بها اشياء اُخر موازين ، وشريعة كلّ نبيّ ميزان لامّته كما انّ ولاية كلّ وليّ وخلافته لنبيّه ميزانٌ لاتباعه في اعمالهم ، والنّفوس الانسانيّة والعقول المعاشيّة والعقول المعاديّة موازين للاعضاء والقوى والاعمال وتمييز الاشياء باوصافها ، وميزان الكلّ هو الولاية بوجهها الى عالم الكثرات [اَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ] ان تفسيريّة ولا ناهية اومصدريّة ، ولا ناهية اونافية وان كانت نافية فالخبر يكون في معنى النّهي ليصحّ عطف الانشاء عليه ، والمراد بالطّغيان في الميزان التّجاوز عن حدّ الاعتدال الى الافراط كما انّ قوله تعالى [وَاَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ]

امر بالاعتدال، وقوله تعالى [وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ] نهى عن التّفريط فيه، نهى تعالى عن الزّيادة على الوزن سواء كان للوزّان اوعليه ، كما نهى عن البخس سواء كان له اوعليه ، وامر باقامة الوزن ، واقامته عبارة عن تسوية طرفي الميزان، وبالقسط تأكيد لهذا المعنى ، اوالمراد باقامة الوزن تسوية طرفي الميزان باليد ، وتقييدها بالقسط للاشارة الى تسوية القلب في ذلك [وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ] بسطها او هو مقابل رفع السّماء ذكر بسط الارض لانّ اتمام نعمة رفع السّماء ببسط الارض [فِيهَا فَاكِهَةٌ] الجملة حاليّة اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر [وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ] الاكمام هي غلف ثمر النّخل ، وقيل: المراد بها طلع النّخل ، وقيل : ليف النّخل [وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ] اى الورق اوالتّبن [وَالرَّيْحَانُ] قرئ بالرّفع عطفاً على الحبّ، و بالجرّ عطفاً على العصف، والرّيحان نبت معروف طيّب الرّائحة ، اومطلق النّبت الطّيّب الرّائحة ، اومطلق الرّزق ، اذا عرفتما ايّها الثّقلان هذه الآلاء الّتي لايقدر على ايتاء مثلها احدٌ سوى الله [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] روى عن الرّضا (ع) انّه قال: الرّحمن علّم القرآن ، الله علّم القرآن قبل خلق الانسان وذلك امير المؤمنين (ع) قيل علّمه البيان؟ـ قال : علّمه بيان كلّ شيء يحتاج اليه النّاس، قيل: الشّمس والقمر بحسبان ؟ـ قال: هما بعذاب ، قيل: الشّمس والقمر يعذّبان؟ـ قال: سألت عن شيء فأتقنه، انّ الشّمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له ضوؤهما من نور عرشه وحرّهما من جهنّم فاذا كانت القيامة عاد الى العرش نورهما وعاد الى النّار حرّهما فلايكون شمس ولاقمر وانّما عناهما الله لعنهما الله ، اوليس قد روى النّاس انّ رسول الله (ص) قال: انّ الشّمس والقمر نوران في النّار؟ـ قال: بلى، قال: اماسمعت قول النّاس: فلان وفلان شمس هذه الامّة ونورها؟ فهما في النّار ، والله ماعنى غيرهما، قيل: النّجم والشّجر يسجدان؟ـ قال: النّجم رسول الله (ص) وقد سمّاه الله في غير موضع فقال: والنّجم اذا هوى، وقال وعلامات وبالنّجم هم يهتدون فالعلامات الاوصياء (ع) ؛ والنّجم رسول الله (ص)، قيل: يسجدان؟ـ قال : يعبدان ، وقوله والسّماء رفعها ووضع الميزان ؟ـ قال: السّماء رسول الله (ص) رفعه الله اليه ، والميزان امير المؤمنين (ع) نصبه لخلقه، قيل: الّا تطغوا في الميزان؟ـ قال: لاتعصوا الامام ، قيل: واقيموا الوزن بالقسط؟ـ قال : اقيموا الامام بالعدل ، قيل: ولاتخسروا الميزان؟ـ قال: لاتبخسوا الامام حقّه ولاتظلموه ، وقوله : والارض وضعها للانام؟ـ قال: للنّاس فيها فاكهة ، والنّخل ذات الاكمام؟ـ قال: يكبر ثمر النّخل في القمع ثمّ يطلع منه ، قوله والحبّ ذو العصف والرّيحان؟ـ قال: الحبّ الحنطة والشّعير والحبوب ، والعصف التّبن والرّيحان ما يؤكل منه . وعن الصّادق (ع) في تفسير قوله تعالى : فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ؟ـ فبأيّ النّعمتين تكفران؟ـ بمحمّد (ص) ام بعليّ (ع)؟ وفي خبر: ابالنّبيّ (ص) ام بالوصيّ (ع)؟! ولمّا كان التّكرار في مقام الامتنان بتعدّد النّعم مطلوباً كرّر قوله : فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان تقريراً لها عندالمقرّين بها، وتوبيخاً للمكذّبين بها ، ولذلك ورد عن النّبيّ (ص) : انّه لمّا قرئ هذه السّورة على النّاس وسكتوا ولم يقولوا شيئاً، قال: الجنّ احسن جواباً منكم لمّا قرأت عليهم فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان؟ـ قالوا : لابشيء من آلاء ربّنا نكذّب [خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ] الصّلصال الطّين الطّيّب خلط بالرّمل ، او الطّين ما لم يجعل خزفاً [كَالْفَخَّارِ] الفخّارة الجرّة جمعها الفخّار ، اوهو الخزف [وَخَلَقَ الْجَانَّ] اسم جمع للجنّ او هو ابو الجنّ [مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ] اى نار خالصة من الدّخان وقد سبق في سورة البقرة كيفيّة خلق الجنّ من النّار [فَبِأَيِّ آلَاءِ

رَبُّكُمٰاتُكَذِّبٰانِ رَبُّ الْمُشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ] المراد بالمشرقين مشرق الشّمس فی الشّتاء ومشرقها فی الصّيف ، وهكذا مغرباها ، سئل امير المؤمنين (ع) عن هذه الآية ، فقال : انّ مشرق الشّتاء عليحدة ومشرق الصّيف عليحدة ، اما تعرف ذلك من قرب الشّمس و بعدها ؟! قال : واما قوله ربّ المشارق و المغارب فانّ لها ثلاث مائة وستّين برجاً تطلع كلّ يوم من برج و تغيب فی آخر فلاتعود اليه الّا من قابل فی ذلك اليوم ، وعن الصّادق (ع) : انّ المشرقين رسول الله (ص) واميرالمؤمنين (ع) ، والمغربين الحسن والحسين (ع) قال : وفی امثالهما يجری [فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰاتُكَذِّبٰانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ] ارسل البحر العذب الفرات والبحر الملح الاجاج ، اوالبحر الفاعلیّ والبحر القابلیّ و مظهرهما : و مظهرهما علیّ (ع) وفاطمة (ع) [يَلْتَقِيٰانِ] يتلاقيان من غير امتزاج [بَيْنَهُمٰابَرْزَخٌ] من قدرة الله ، اومن عالم المثال ، او من محمّد (ص) [لٰايَبْغِيٰانِ] لايغلب احدهما الاخر ولايبطل خاصيّته وقد مرّ فی سورة الفرقان بيانٌ اجماليٌّ للبحرين [فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰاتُكَذِّبٰانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجٰانُ فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰاتُكَذِّبٰانِ] روی عن الصّادق (ع) انّه قال : علیّ (ع) وفاطمة (ع) بحران عميقان لايبغی احدهما على صاحبه ، يخرج منهما اللّؤلؤ و المرجان ، قال : الحسن و الحسين (ع) و فی خبر و البرزخ محمّد (ص) ، و عن الصّادق (ع) عن علیّ (ع) يخرج منهما قال ، من ماء السّماء ومن ماء البحر فاذا أمطرت فتحت الاصداف افواهها فی البحر فيقع فيها من ماء المطر فتخلق اللّؤلؤة الصّغيرة من القطرة الصّغيرة ، واللّؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة [وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَـٰٔاتُ] قرئ بفتح الشّين بمعنى المرفوعات الشّرُع ، وقرئ بكسر الشّين بمعنى الرّافعات الشّرُع [فِی الْبَحْرِ كَالْاَعْلَامِ] كالجبال الطّوال [فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا] على الارض [فَانٍ] فانّ الكلّ بحسب الحدود و المهيّات فانيات الذّوات ، وبحسب الوجود الّذی هو وجه الله الباقی باقيات [وَيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلٰالِ وَالْاِكْرٰامِ] فانّ الوجود لا يقبل الفناء و العدم اصلاً ، و الّا لزم اتّصاف الشّیء بضدّه وانّما يقبل الموجودات العدم والفناء بحسب حدودها لا بحسب وجوداتها ، ومن ههنا يستنبط انّ الوجودات كلّها ظهور الحقّ الاوّل ، و بحسب حقيقتها غير قابلة للفناء ، و يستنبط انّ كلّها متقوّم بوجود الحقّ الواجب تعالى شأنه [فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰاتُكَذِّبٰانِ يَسْئَلُهُ مَنْ فِی السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] فانّه الغنیّ على الاطلاق و الكلّ محتاجون اليه سائلون عنه بألسنة فقرهم واستعدادهم و حالهم كما انّ الاكثر سائلون عنه بالسنة اقوالهم [كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ] مستأنف جوابٌ لسؤال مقدّر فی مقام التّعليل يعنی ليس الكامل فی كماله مستغنياً عنه وعن سؤاله كما انّه ليس النّاقص مستغنياً عنه لانّه كلّ يوم فی شأن فالكامل ان كان كماله بشأن اوشؤن منه لم يكن كاملاً بجميع شؤنه فليكن سائلاً منه شؤنه الاُخر [فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ اَيُّهَ الثَّقَلٰانِ] لمّا دلّ قوله : كلّ يوم هو فی شأن على انّ له بحسب مراتب العالم طولاً وعرضاً شؤناً ، وانّ له بحسب مراتب الانسان طولاً وعرضاً شؤناً ، وله بحسب كلّ من القوى الدّرّاكة والمحرّكة شأناً بل شؤناً جاز ان يتوهّم متوهّم انّه اذا كان له شؤن لم يكن له فراغ بحساب الخلائق وجزائهم بالثّواب والعقاب فردّ ذلك التّوهّم بانّ تلك الشّؤن انّما هی بحسب مراتب الكثرات و سنفرغ ای سنظهر بشأن التّوحيد فی القيامة فلم يكن لنا شأن سوى حساب الخلائق وانتهائهم الى جزائهم [فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ] حال من فاعل سنفرغ او من مفعوله بتقدير القول

اى قائلين اومقولاً فيكم اومستأنف جوابٌ لسؤال مقدّرٍ بتقدير القول مثل الوجه السّابق كأنّه قيل : ما يقال لهم وقت الفراغ لهم ؟ـ او نداء من الله للثّقلين من غير تقدير القول وخطابٌ لهم فى الدّنيا [إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى ان استطعتم ان تخرجوا بالنّفوذ فى اقطارهما من اقطارهما وتحتهما فارّين من الله او فارّين من ملائكته اوخارجين من ملكه [فَانْفُذُوا] امر للتّعجيز [لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ] من الله وهو وليّه الّذى كان واسطةً بينه وبين خلقه ، او الّا بسلطانٍ وهو السّكينة الّتى ينزلها الله على من يشاء من عباده فانّه اذا نزل تلك السّكينة وتمكّن سهل على الانسان النّفوذ والخروج من اقطار السّماوات والارض الى عالم الملكوت والجبروت كما نفذ محمّد (ص) وخرج من الملكوت والجبروت ، او المعنى ان استطعتم ان تنفذوا بقوّتكم العلّامة وعقولكم الفكريّة من اقطار السّماوات والارض لتعلموا ماوراءهما فانفذوا لاتنفذون الّا بسلطان هو وليّ امركم وهو سكينتكم النّازلة عليكم او برهانكم الّذى تستنبطون ما غاب عنكم منه : وروى انّه يحاط يوم القيامة على الخلق بالملائكة وبلسانٍ من نارٍ ثمّ ينادون : يامعشر الجنّ والانس (الى قوله) شواظٌ من نارٍ وعن الصّادق (ع) : اذا كان يوم القيامة جمع الله العباد فى صعيدٍ واحدٍ وذلك انّه يوحى الى السّماء الدّنيا ، ان اهبطى بمن فيك ، فيهبط اهل السّماء الدّنيا بمثلى من فى الارض من الجنّ والانس والملائكة ، فلا يزالون كذلك حتّى يهبط اهل سبع سماوات فتصير الجنّ والانس فى سبع سرادقات من الملائكة ثمّ ينادى منادٍ : يا معشر الجنّ والانس ان استطعتم (الآية) فينظرون فاذاً قد احاط بهم سبع اطواق من الملائكة [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ] الشّواظ كغراب وكتاب وقرئ بهما لهب لادخان فيه ، اودخان النّار وحرّها ، وحرّ الشّمس ، والصّياح وشدّة الغلّة[1] [وَنُحَاسٌ] النّحاس مثلّثة ، الصّفر المذاب اوالمطلق ، وما سقط من شرار الصّفر اوالحديد اذا طرق وقيل : المراد به الدّخان ، وقيل : المراد به المهل ، وقرئ بالرّفع وبالجرّ [فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ] فى العالم الصّغير فانّه فى حال الاحتضار تنشقّ سماء الرّوح الحيوانيّة فتنفلق الرّوح الانسانيّة منها ، واذا انشقّت السّماء الدّنيا فى العالم الصّغير انشقّت السّماء الدّنيا فى العالم الكبير فى نظر من انشقّت سماؤه فى عالمه [فَكَانَتْ وَرْدَةً] اى كنور النّبات فى انشقاقه وانفلاق الثّمر منه وعدم الاحتياج اليه اوصارت احمر واصفر وابيض يعنى بالوانٍ مختلفةٍ كلون النّور ، اوكلون الفرس بين الكميت والاشقر فانّ الوردة واحدة الورد وهو من كلّ شجرةٍ نورها ، وغلّب على الحوجم[2] وفرس بين الكميت والاشقر والزّعفران [كَالدِّهَانِ] الدّهان جمع الدّهن او هو الاديم الاحمر او هو عكر الزّيت فانّ الدّهن اذا صبّ بعضها فوق بعضٍ اختلف الوانها ودُردىّ الزّيت ايضاً تختلف الوانه [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] وجواب اذا امّا قوله : فكانت وردة ، اوقوله فباىّ آلاء ربّكما ، اوقوله تعالى [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ] اوقوله يعرف المجرمون [عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ] لما دهمه من الدّهشة والغشية والحيرة الّتى لايبقى معها موقع سؤالٍ عنه وانّما السّؤال فى القيامة الكبرى اولايسئل عن ذنب المذنب انسٌ ولاجانٌّ غيره بارجاع الضّمير الى المذنب المستفاد بالملازمة لا الى الانس والجانّ ، او يوم القيامة لايسئل عن ذنبه انسٌ ولاجانٌّ اذا كان من شيعة علىٍّ (ع) كما فى الخبر عن الرّضا (ع) وامّا غيرهم فيسئلون ، اولايسئل عن ذنبه سؤال استفهامٍ لانّ المجرم يعرف بسيماه بقرينة قوله يعرف المجرمون [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ]

(١) الغُلّة = العطش . (٢) الحوجمة = الوردة الحمراء والجمع الحوجم .

تعليل لقوله تعالى لا يسئل عن ذنبه على الوجه الاخير واستيناف كلام على سائر الوجوه ، والمراد بالسّيما العلامة التّى عليهم من سواد الوجه وزرقة العيون، اومايغشيهم من القتر والذّلّة [فَيُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِي وَالْأَقْدٰامِ] يعنى فتأخذهم الزّبانية فتجمع بين نواصيهم واقدامهم بالغلّ ثمّ يسحبون فى النّار ؛ اويأخذهم الزّبانية بنواصيهم واقدامهم فتسوقهم الى النّار ، عن الصّادق (ع) انّه سأل بعض اصحابه ما يقولون فى هذا ؟ ـ قال : يزعمون انّ الله تعالى يعرف المجرمين بسيماهم فى القيامة فيأمر بهم فيؤخذون بنواصيهم واقدامهم فيلقون فى النّار ، فقال : وكيف يحتاج تبارك وتعالى الى معرفة خلق انشأهم وهو خلقهم ؟ ـ قال : وما ذاك ؟ ـ قال : ذاك لوقام قائمنا اعطاه الله السّيما فيأمر بالكافر بن فيؤخذ بنواصيهم واقدامهم ثمّ يخبط بالسّيف خبطاً[1] [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ هٰذِهِ جَهَنَّمُ] حالية او مستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر اى يقال لهم : هذه جهنّم [الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ] يعنى يطوفون بين ماء حارّ واقع بين جهنّم ، او قد يطوفون بين جهنّم فى النّار ، و قد يطوفون بين ماء حارّ غاية الحرارة [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ وَلِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ] اى مقام ربّه بالنّسبة الى نفسه وانّه فى مقام يراه ويسمع قوله ؛ اومقامه عند ربّه للحساب، وعن الصّادق (ع) قال : من علم انّ الله يراه ويسمع مايقول ويعلم مايعمله من خير وشرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فذلك الّذى خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى [جَنَّتٰانِ] بحسب صفحتى النّفس العمّالة والعلّامة احديهما وهى الّتى تكون بحسب صفحتها العمّالة جنّة النّعيم والاخرى جنّة الرّضوان وذلك انّه منع قوّته العمّالة عن القبيح وقوّته العلّامة عن الشّيطنة [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ ذَوٰاتٰا أَفْنٰانٍ] جمع الفنّ بمعنى الانواع من الاشجار والاثمار والنّعم ، اوجمع الفنن بمعنى الاغصان [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا عَيْنٰانِ تَجْرِيٰانِ] فى كلّ من الجنّتين عينان اوفى كلّ منهما عين [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَةٍ] من فواكه الجنّات [زَوْجٰانِ] اى الرّطب واليابس ، او المعروف من الثّمار والغريب منها، اوالمراد مافيه حظّ للعلّامة ومافيه حظّ للعمّالة ، فانّ ثمار الدّنيا يلتذّ بها الباصرة كمايلتذّ بها الذّائقة، وفى الجنان يتميّز الكيفيّتان بمحالّهما او صنفٌ مستقدر لمقام تقدّر الانسان وصنف مجرّد لمقام تجرّده [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مُتَّكِئِينَ] حال ممّن خاف مقام ربّه [عَلىٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا] جمع البطانة بمعنى الباطن [مِنْ إِسْتَبْرَقٍ] شخين الحرير [وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ] اى الثّمار الّتى من شأنها ان تجنى دانية من الآكلين حتّى ينالها القائم والقاعد والمضطجع [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِنَّ] اى فى الجنان [قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ] على ازواجهنّ ، اوتقصر الاطراف عن النّظر اليهنّ لتلألئهنّ [لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلٰا جٰانٌّ] الطّمث الافتضاض والمسّ والانس [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ كَأَنَّهُنَّ الْيٰاقُوتُ وَالْمَرْجٰانُ] فى الصّفاء والتّشفيف فانّه روى انّ المرأة من اهل الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة من حرير [فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلَّا الْإِحْسٰانُ] اى ما جزاء من انعم عليه بالمعرفة اى معرفة الامام الّا الجنّة ؟ ـ فانّ الاحسان اى صيرورة الانسان ذاحسن لايحصل للانسان الّا بقبول ولاية علىّ (ع) ، وفى رواية : هل جزاء من قال : لا آله الّا الله الّا الجنّة ؟! يعنى بشرطها وعلىّ (ع) من شروطها ، وفى خبر : هل جزاء من انعمنا عليه بالتّوحيد الّا الجنّة ؟ ـ يعنى

(١) الخبط كالضرب وزناً و معناً .

بالولاية ، فانّ التّوحيد لا يحصل الّا بالولاية ، وفي خبر انّ هذه الآية جرت في الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر من صنع اليه معروف فعليه ان يكافي به وليس المكافاة ان تصنع كما صنع حتّى تربّي ، فان صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ وَمِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ] عطف على جنّتان اى لمن خاف مقام ربّه من دون الجنّتين الاولَيين اللّتين له بحسب قوّته العمّالة الانسانيّة و قوّته العلّامة الانسانيّة جنّتان بحسب قوتيه العمّالة الجزئيّة والعلّامة الجزئيّة ، وبعبارة اخرى بحسب مرتبته الاخرى الّتي شارك بها سائر الحيوان و بعبارة اخرى هاتان لمقامه المقداري وتانك لمقامه المجرّد ، اوحال اوعطف على مجموع لمن خاف مقام ربّه جنّتان يعني انّ لله من غير تينك الجنّتين جنّتين لمن دون من خاف مقام ربّه [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مُدْهٰامَّتٰانِ] اى تضربان الى السّواد من خضرتهما فانّ حسن الخضرة ان تضرب الى السّواد اومن كثرة اغصان اشجارهما والتفافهما وكثرة اوراقها [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا عَيْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ] نضخه رشّه و نضخ الماء اشتدّ فورانه ، و النّضاخ ككتّان الغزير من المطر ، قيل : تنضخ على اولياء الله بالمسك و العنبر والكافور ، و قيل : تنضخان بانواع الخيرات [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا فٰاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَرُمّٰانٌ] لعدم جمعهما بين الصّنفين لم يقل : زوجان ، و لعدم اشتمالهما على فواكه المقام العالي لم يقل من كلّ فاكهة ، ولكثرة فوائد النّخل والرّمّان افردهما بعد ذكر الفاكهة [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِنَّ خَيْرٰاتٌ] نساء خيرات الاخلاق من نساء الدّنيا اومن الحور [حِسٰانٌ] اى حسان الوجوه ، عن الصّادق (ع) : هنّ صوالح المؤمنات العارفات ، وسئل عنه من قول الرّجل للرّجل : جزاك الله خيراً ، مايعني به ؟ قال : انّ خيراً نهرٌ في الجنّة مخرجه من الكوثر ، والكوثر مخرجه من ساق العرش ، عليه منازل الاوصياء وشيعتهم ، على حافتي ذلك النّهر جوار نابتات كلّما قلعت واحدة نبتت اخرى يسمّين باسم ذلك النّهر ، وذلك قوله تعالى فيهنّ خيرات حسان ، فاذا قال الرّجل لصاحبه : جزاك الله خيراً فانّما ، يعني بذلك تلك المنازل الّتي اعدّها الله لصفوته و خيرته من خلقه [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ حُورٌ] بدل من خيرات بدل الكلّ على ان يكون المراد بالخيرات الحور ، او بالحور معناه اللّغوي حتّى يشمل النّساء من الإنس ، اوعطف على خيرات بحذف حرف العاطف من قبيل التّعداد [مَقْصُورٰاتٌ فِي الْخِيٰامِ] اى مخدّرات في الخيام ، وقيل : مقصورات الاطراف على ازواجهنّ ، او الانظار مقصورة عنهنّ ، وقيل : كلّ خيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلٰا جَانٌّ فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مُتَّكِـِٔينَ عَلىٰ رَفْرَفٍ] جمع الرّفرفة وقرئ رفارف [خُضْرٍ] قيل الرّفرف الفرش المرتفعة ، وقيل : رياض الجنّة ، وقيل : المجالس ، وقيل : الوسائد [وَعَبْقَرِيٍّ حِسٰانٍ] قيل : هي الزّرابيّ ، وقيل : الدّيباج ، وقيل : البُسُط ، و قيل : كلّ ثوب موشّى هو عبقريّ ، وقيل : العبقريّ منسوب الى العبقر وهو اسم بلد الجنّ بزعم العرب ، وفي القاموس : عبقر موضع كثير الجنّ ، و قرية ثيابها في غاية الحسن ، وامرأة ، والعبقريّ الكامل من كلّ شيء والسّيّد والذّي ليس فوقه شيء والتّشديد وضرب من البُسط [فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ تَبٰارَكَ اسْمُ رَبِّكَ] اسم الرّبّ مطلقاً هو اسمه الاعظم الذّي هو على بعلويّته [ذِي الْجَلٰالِ وَالْاِكْرٰامِ] وقرئ ذوالجلال بالرّفع وصفاً للاسم فانّ اسمه مثله ذوالجلال الاجلّ من ان يوصف وذوالاكرام الاتمّ .

سورة الواقعة

مكّيّة كلّها، وقيل: الّا آية: وتجعلون رزقكم انكم تكذّبون، وقيل: الّا قوله: ثلّة من الاوّلين وقوله: افبهذا الحديث انتم مدهنون، نزلت فى سفره الى المدينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[اِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَةُ] اى القيامة سمّيت واقعة لتحقّق وقوعها، او المراد بالواقعة الموت فانّه ايضاً متحقّق الوقوع [لَيْسَ لِوَقْعَتِهٰا كٰاذِبَةٌ] كذب، ليس ليس جواباً لاذا للزوم الفاء ان كان جواباً فالجملة حاليّة او معترضة جوابٌ لسؤال مقدّر، اوهوجواب اذابتقدير الفاء [خٰافِضَةٌ رٰافِعَةٌ] خبر مبتدء محذوف بتقدير الفاء وجوابٌ لاذا، او بدون تقدير الفاء ومستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر، واذالم تكن هذه الجملة وسابقتها جواباً لاذا فالجواب محذوف اى تخفض جماعة من الانس والجنّ وترفع جماعة او تخفض فرقة من قوى النّفس وترفع اخرى، اوجواب اذا قوله تعالى فاصحاب الميمنة (الى آخره) اوجواب اذا قوله تعالى [اِذٰا رُجَّتِ الْاَرْضُ رَجًّا] بتقدير الفاء، اواذا رجّت الارض بدل من اذا وقعت الواقعة او ظرف لوقعت، او لكاذبة اولخافضة اولرافعة، والرّجّ التّحريك والتّحرّك والاهتزاز والحبس [وَبُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا] البَسّ السّوق اللّين وان يلتّ السّويق او الدّقيق اوالاقط المطحون بالسّمن او الزّيت، والفتّ ومنه البسيس للسّويق [فَكٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا] الهباء الغبار الّذى ينبثّ فى الجوّ ويرى فى شعاع الشّمس [وَكُنْتُمْ اَزْوٰاجًا] اى اصنافاً [ثَلٰثَةً فَاَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ مٰا اَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ] ما استفهاميّة للتّعجّب والجملة خبر اصحاب الميمنة بتقدير القول [وَاَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ مٰا اَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ] والاستفهام والتّعجّب فى الاولى للتّفخيم وفى الثّانية للتّحقير [وَالسّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ] هذه جملة مبتدء وخبر والمعنى السّابقون على اصحاب اليمين هم المعروفون بالسّبق، اوالسّابقون على اصحاب اليمين هم السّابقون على الاطلاق فى جملة الكمالات، اوالسّابقون هم الانبياء (ع) المعروفون بالسّبق، اوالسّابقون فى الفضل هم السّابقون اصحاب اليمين، او السّابقون فى الايمان هم السّابقون على الكلّ كقول الشّاعر: انا ابوالنّجم وشعرى شعرى، او السّابقون الثّانى تأكيدٌ للاوّل وقوله تعالى [اُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ] خبره، اوبدل منه واولئك المقرّبون مبتدءٌ وخبرٌ، او موصوف وصفة فالوقف عليه، اوالوقف على قوله تعالى [فِى جَنّٰاتِ النَّعِيمِ] فانّه خبرٌ او خبرٌ بعد خبر، اوحالٌ، او خبر مبتدء محذوف.

اعلم، انّ بنى آدم لمّا كانوا جامعين بالقوّة لجميع انموذجات الموجودات وهذا معنى علّم آدم الاسماء كلّها، كانوا اذا صاروا بالفعل فى شيء من الاشياء صاروا من جنس ذلك الشّيء بحسب الباطن، ولذلك قيل: انّ الانسان بحسب الصّورة نوعٌ واحدٌ وبحسب الباطن انواعٌ مختلفةٌ، وانّ العوالم بحسب الامّهات ثلاثة: عالم الارواح الخبيثة، وعالم الارواح الطّيّبة، والعالم الواقع بين العالمين، وهوعالم الطّبائع والكيان، وانّ تلك العوالم بمنزلة

شخص انسانيّ يمينه عالم الارواح الطّيّبة ، وشماله عالم الارواح الخبيثة، والانسان الواقع بين هذين العالمين مالم يتمكّن في شيء من العالمين بل كان حاله باقية على البرزخيّة بينهما لايحكم عليه بشيء من العالمين والخارج من البرزخيّة المتمكّن في الارواح الخبيثة يحكم عليه بانّه منهم ، وانّه من اصحاب الشّمال واصحاب المشئمة ، والمتمكّن في الارواح الطّيّبة يحكم عليه بانّه منهم وانّه من اصحاب اليمين واصحاب الميمنة ، والباقي على البرزخيّة لايحكم عليه بشيء بل هو المرجى لأمر الله وهم اغلب النّاس ، والحائز لكمالات الانسان السّابق على اصحاب اليمين وهم الانبياء والاولياء(ع) هو السّابق وبعبارة اخرى الانسان امّا قابل للولاية اومعرض عنها، اوغير قابل وغير معرض ، والمعرض يحكم عليه بحسب اعراضه انّه من اصحاب الشّمال بشرط البقاء على اعراضه ، والقابل يحكم عليه بانّه من اصحاب اليمين ، وغيرهما مرجى لامر الله ، والقابل للولاية امّا صار بالفعل في بعض الكمالات وهو السّابق ، اولم يصر وهو من اصحاب اليمين ، وهذه القسمة بحسب كونهم في الدّنيا وفي الانظار القاصرة ، واّلا فهم بعد الموت وطيّ البرازخ امّا سابقون ، اواصحاب اليمين، اواصحاب الشّمال، وهكذا حالهم في الانظار البالغة في الدّنيا ، فانّ النّاظرين في العواقب يحكمون على الانسان بكونه من اصحاب الشّمال ، اواصحاب اليمين ، اوالسّابقين ، فالاقسام اربعة في الدّنيا عند القاصرين وثلاثة في الآخرة وفي الدّنيا عند الكاملين في الانظار ، وقد مضى في سورة المائدة عند قوله تعالى بل يداه مبسوطتان بيان للشّمال واليمين وانّهما بالنّسبة الى انفسهما والى العالم تسمّيان باليمين والشّمال، وامّا بالنّسبة الى الله تعالى فكلتا يديه يمين، وعن النّبيّ(ص) انّه سئل عن هذه الآية فقال(ص) : قال لي جبرئيل : ذلك عليّ وشيعته هم السّابقون الى الجنّة المقرّبون من الله بكرامته ، وعن عليّ(ع) قال : والسّابقون السّابقون اولئك المقرّبون فيّ نزلت ، وعن الباقر(ع) : ونحن السّابقون السّابقون ونحن الآخرون ، وقال الصّادق(ع) قال ابي لاناس من الشّيعة : انتم شيعة الله، وانتم انصار الله ، وانتم السّابقون الاوّلون، والسّابقون الآخرون ، والسّابقون في الدّنيا الى ولايتنا ، والسّابقون في الآخرة الى الجنّة [ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ] اى جمع كثير منهم من الاوّلين في الزّمان وهم من لدن آدم(ع) الى زمان الخاتم(ص)، اومن الاوّلين في البيعة وقبول الولاية ، اومن الاوّلين في الرّتبة وهذا هو المقصود ، فانّ المقصود انّ كثيراً من السّابقين كانوا من الاوّلين في الرّتبة وقليل منهم كانوا من الآخرين في الرّتبة عرجوا بعد الموت بتصادم البرازخ الى مقام الاوّلين ولذلك لم يقل في اصحاب الشّمال ، ثلّة من الاوّلين مع انّ اصحاب الشّمال جمع كثير منهم من الاوّلين، وقيل: ثلّة من الاوّلين من امّة محمّد(ص) [وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ] منهم [عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ] وضن الشّيء ثنّى بعضه على بعض وضاعفه ، اونضده ، اونسجه [مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ] فانّ الرّاحة في الاتّكاء، واشرف المجالس التّقابل [يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ] غلمان لانّهم الطف واصفى واشهى من جملة الخدم [مُخَلَّدُونَ] اى غير خارجين من الجنّات فانّهم لايخرجون منها ابداً ، اومخلّدون من حيث كونهم غلماناً بمعنى انّهم لايغيّرهم طول المدّة عن حالهم كأبناء الدّنيا يغيّرهم الازمان عن صفائهم وطراوتهم، اوالمقرّطون فانّ الخلد القرط [بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ] الكوب بالضّمّ كوز لاعروة له اولاخرطوم له ، والابريق معرّب «آبريز» كوز له عروة وخرطوم [وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ] اى الخمر الجارية، ومن معين وصف للثّلاثة ، اووصف للاخير، والكأس الاناء يشرب فيه اومادام الشّراب فيه، مؤنّثة مهموزة، والشّراب، ويجوز ان يراد بها ههنا الاناء والشّراب [لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا] لايأخذهم من تلك الكأس الصّداع كخمر الدّنيا [وَلَا يُنْزِفُونَ] نزف كعنى ذهب عقله ، ونزف البئر نزح ماءه ، ونزف البئر فنى ماؤه

لازمٌ ومتعدٍّ ،ونزفت عبرته فنبت،وقرئ ينزفون مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل [وَفٰاكِهَةٍ] اى يطوفون عليهم بفاكهة [مِمّٰا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ] قرئ بالجرّ عطفاً على اكواب ، وبالرّفع عطفاً على ولدانٌ ، وقرئ بالنّصب مفعولاً لمحذوف ، وقيل: فى وجه اعرابها على القراءات الثّلاث وجوهٌ اُخر [كَأَمْثٰالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] فى دارالدّنيا [لٰا يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْوًا وَلٰا تَأْثِيمًا] نسبة الى الاثم كما يسمعون فى الدّنيا [إِلّٰا قِيلًا سَلٰامًا سَلٰامًا] سلاماً الثّانى تأكيد للاوّل ، وسلاماً الاوّل مفعولٌ لقيلاً [وَأَصْحٰابُ الْيَمِينِ مٰا أَصْحٰابُ الْيَمِينِ] اى على اىّ وصف اصحاب اليمين؟ [فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ] خضد الشّجر قطع شوكه [وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ] الطّلح شجرٌ عظام ، والطّلع ، وشجر الموز ، وقيل: شجر له ظلّ بارد رطبٌ، وقيل: هوشجر من احسن الاشجار منظراً،وانّما ذكر هاتين الشّجرتين لانّ العرب تعرفهما وفيهما نفعهم [وَظِلٍّ مَمْدُودٍ] اى غير مقطوع [وَمٰاءٍ مَسْكُوبٍ] مصبوب اى دائم الجريان [وَفٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ] ولشرافة جنّات السّابقين قال هناك فاكهة ممّا يتخيّرون [لٰا مَقْطُوعَةٍ وَلٰا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ] عالية ، اومرفوع بعضها فوق بعض ، اوالمراد بالفرش النّساء اى النّساء العاليات ولذلك عقّبه بقوله [إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً] اى انشأنا نساءهم انشاءً عجيباً اى شابّة طريّة حسناء بعد ماصرن هرمات كريهات ، اوانشأنا الحور العين من غير طروّ حالات عليهنّ بل انشأناهنّ بالغات طرّيات [فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْكٰارًا عُرُبًا] جمع العروب المرءة المتحبّبة الى زوجها ، اوالعاشقه له ، اوالمتحبّبة اليه المظهرة له ذلك، اوالضّحاكة [أَتْرٰابًا] جمع التّرب بالكسر من ولد معك [لِأَصْحٰابِ الْيَمِينِ] وقد فسّر اليمين بامير المؤمنين (ع)، واصحاب اليمين بشيعته وذلك لانّه اصل عالم الارواح [ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ] اى جماعة كثيرة من الاوّلين فى الرّتبة من اصحاب اليمين وجماعة كثيرة من المتأخّرين عن اصحاب اليمين فانّ اغلب من كان مبتلىً فى البرازخ يلتحق بأصحاب اليمين بعد تطهيره فى البرازخ ، وكثيرٌ ممّن دخل فى الجحيم يخرج منها ويدخل فى الجنّات ويلتحق باصحاب اليمين بخلاف السّابقين فانّ الملتحق بهم من المتأخّرين قليل ، وبخلاف اصحاب الشّمال فانّهم لايكونون الّا من المتأخّرين فانّ الاوّلين لا يلتحقون بالآخرين ولذلك لم يقل هناك ثلّة: اوقليل من الاوّلين ،وقيل: ههنا ماقيل فى قوله تعالى ثلّة من الاوّلين وقليل من الآخرين [وَأَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ فِي سَمُومٍ] حرّ نار يدخل فى المسام [وَحَمِيمٍ] ماء متناه فى الحرارة [وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ] من دخان اسود اوجبل اسود فى جهنّم [لٰا بٰارِدٍ وَلٰا كَرِيمٍ] يلتذّ به النّظر وقد فسّر الشّمال باعداء آل محمّد واصحابهم اصحاب الشّمال [إِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ] متنعّمين أترفته النّعمة اطغته اونعّمته ، وأترف فلان اصرّ على البغى ، وأترفه تركه يصنع ما يشاء ولايمنع من تنعّمه ، والمترف الجبّار [وَكٰانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ] الحنث بالكسر الاثم والخلف فى اليمين والميل من باطل الى حقّ اوعكسه [وَكٰانُوا يَقُولُونَ أَئِذٰا مِتْنٰا وَكُنّٰا تُرٰابًا وَعِظٰامًا أَئِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبٰاؤُنَا الْأَوَّلُونَ] قل لهم [إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ] يعنى قل لهم ذلك ردّاً عليهم وتهديداً لهم [ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضّٰالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ] قدمضى بيان الزّقّوم فى سورة الصّافّات

[فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ] الهيم بالكسر الابل العطاش جمع الهيمان و الهيمى بمعنى العطشان ، او الابل الّتى بها داءٌ يصيبها شبه الاستسقاء جمع الهيمان والهيمى ، و الهيام كسحاب الرّمل الّذى لايتمالك كلّما صبّ عليه الماء استنقعه ، والهائم المتحيّر والهيام كغراب حالة كالجنون من العشق [هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ] النّزل ما يعدّ للنّازل تشريفاً له وهوتهكّم بهم و تهديدٌ بانّ هذا نزلهم فكيف بهم فى منازلهم المقرّرة لهم؟! [نَحْنُ خَلَقْناكُمْ] لاغيرنا [فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ] بمخلوقيّتكم حتّى تصدّقوا بخالقكم ، او لولا تصدّقون ببعثكم بعد اقراركم بخلقكم ابتداءً ، والبعث اهون فى انظاركم من الخلق ابتداءً [أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ] جواب شرطٍ مقدّرٍ والتّقدير ان لم نكن نحن خلقنا فأخبرونى عمّا تمنون [ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ] اوالفاء للسّببيّة ، والهمزة على التّقديم والتّأخير والتّقدير نحن خلقنا بسبب ان يقال : اخبرونى عمّا تمنون عن جواب هذا السّؤال الّذى هو انتم تخلقونه ام نحن الخالقون ولاجواب لكم الّا ان تقولوا : الله هو الخالق فلولا تصدّقون بخالقيّتنا؟ [نَحْنُ قَدَّرْنا] قرئ بالتّخفيف والتّشديد [بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ] لاغيرنا [وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ] بمغلوبين [عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيما لا تَعْلَمُونَ] اى فى عالمٍ لا تعلمونه يعنى نحن شأننا و شغلنا على الاستمرار تبديل الخلق بخلقٍ آخر واخراج الخلق الاوّل من قبور الابدان و انشاؤهم فى عالمٍ آخر نظير اخراج الجنين من الرّحم و انشائه فى عالمٍ لايعلمه و تبديله بجنين آخر ولا مانع لنا من ذلك [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى] اى النّشأة الدّنيا و تبديلنا للنّبات بنباتٍ آخر و انشاء النّبات فى نشأة الحيوان و الانسان و تبديل الحيوان و انشائه فى عالم حيوانٍ آخر او انسانٍ ، وتبديل النّطفة من صورةٍ الى صورةٍ ومن مقامٍ الى مقامٍ ومن حالٍ الى حالٍ وكلّما طرأ عليها من الاحوال والصّور كان اعلى واشرف من سابقه ، وانّ الدّنيا ليست الّا كالرّحم للجنين ، وانّ نقل الجنين من الرّحم الى الدّنيا ليس الّا النّقل من السّجن الى فسحة وسيعة [فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ] نقلكم من الدّنيا الى الآخرة ولولا تذكّرون؟! انّ هذا النّقل ايضاً ليس الّا النّقل من السّجن الى فسحة عظيمة وسيعة فلولا تذكّرون؟! انّه كما يكون نقل الجنين الى الدّنيا استكمالاً له بكثيرٍ من الكمالات الّتى لايمكن تحصيلها له فى الرّحم كذلك يكون نقل جنين الدّنيا من رحم الدّنيا الى الآخرة استكمالاً بكثيرٍ من الكمالات الّتى لايمكن تحصيلها له فى الدّنيا ، ولولا تذكّرون؟! انّ عالم الآخرة نسبته الى الدّنيا مثل نسبة الدّنيا الى الرّحم بل فوق ذلك ، ولقد علمتم النّشأة الاولى وكونكم فى الدّنيا و اتّصالكم بالآخرة فى النّوم الّذى هو اخو الموت وشهودكم لعالم المثال كلّ يومٍ مرّة اومرّتين : واطلاقكم من قبوركم الّتى يتعسّر عليكم طىّ الزّمان والمكان معها وطيّكم للزّمان وشهود مايأتى وطيّكم للمكان وشهود الوقائع الواقعة فى الامكنة البعيدة فلولا تذكّرون؟! انّ الموت ان لم يكن اشدّ من النّوم فى ذلك لم يكن انقص منه فتشتاقوا الى هذا الاطلاق ، وطىّ الزّمان والمكان وشهود مايأتى وشهود ما لم يكن فى مكانك و بلدتك ، عن السّجّاد (ع) العجب كلّ العجب لمن انكر النّشأة الاخرى وهو يرى النّشأة الاولى [أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ] اى ءانتم تنبتونه وتبلّغونه الى مقام بلوغ الحبّ والحصاد ام نحن فاعلون ذلك ؟ لستم تقولون انّ الانبات والتّبليغ الى الحصاد فعل البشر فانّه [لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً] هشيماً يليق للنّار [فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ] فكّهم بملح الكلام اظرفهم بها فالمعنى تتحدّثون بالاحاديث المليحة على سبيل التّهكّم ، اوظلتم تتحدّثون وتنقلون بينكم الاحاديث والاسمار فى ذلك [إِنّا لَمُغْرَمُونَ] من الغرام بمعنى الشّرّ الدّائم والهلاك والعذاب والولوع [بَلْ نَحْنُ] قوم [مَحْرُومُونَ] عن الارزاق

[أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ] لاتقدرون ان تقولوا انزله البشر فانّا [لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ] بتعظيم المنعم بهذه النّعم بامتثال اوامره و نواهيه [أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا] اى الشّجرة الّتى تأخذون منها الزّند والزّندة و هما تؤخذان من الشّجر الاخضر فيحكّ الزّند بالزّندة فتنقدح النّار [أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا] اى النّار او الشّجرة [تَذْكِرَةً] لتصرّف الحقّ تعالى وجعل كلّ شيء من سنخه كالنّار، اوتذكرة لقدرة الحقّ وعنايته بخلقه حيث اخرج من الشّجر الاخضر ناراً تنتفعون بها فى كثير من معايشكم [وَمَتَاعًا] و ما يتمتّع به [لِلْمُقْوِينَ] اقوى استغنى وافتقر و بات على القىّ بالكسر اى القفر من الارض وكذلك القواء بالكسر والمدّ والقواية بالفتح ؛ واقوى نزل فيه، اذا كان ربّك يفعل هذه و ينعم بهذه [فَسَبِّحْ] انت ولاتكترث بردّهم [بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] الباء للسّببيّة اى سبّح الله بسبب اسم ربّك يعنى بسبب تذكّره او بسبب بشريّة علىّ (ع) او بسبب مقام نورانيّته فانّ الكلّ اسم الله ، اوسبّح اسم ربّك فيكون الباء صلة سبّح [فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ] لا زائدة اونافية ردّ لماقالوه فى القرآن من انّه سحر اوشعر اواساطير الاوّلين ، اونافية ونفى للقسم والمعنى لااقسم فيما أدّعيه من انّه قرآن كريم بوضوحه وعدم احتياجه الى القسم ، ومواقع النّجوم مغاربها ، اومطالعها ، اوانتشارها يوم القيامة ، اوالانواء الّتى كانوا فى الجاهليّة يقولون: مُطرنا بنوء كذا وهوسقوط كوكب وقت طلوع الفجر وطلوع آخر مقابله ، اورجومها للشّياطين كما فى الخبر ، فانّه روى عن الصّادق(ع) انّ مواقع النّجوم رجومها للشّياطين ، وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه : فلااقسم بها، اوالمراد بمواقع النّجوم مواقع نزول القرآن فانّه نزل نجوماً [وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ] اى انّ المتلوّ عليك اوالموحى اليك اوقرآن ولاية علىّ (ع) قرآن كريم عزيز خطير [فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ] هو كتاب العقول الّذى هوالامام المبين، اوكتاب النّفوس الكلّيّة الّذى هوالكتاب المحفوظ ؛ فانّ القرآن نزل من مقام جمع الجمع الّذى هوالمشيّة الى مقام الجمع الّذى هومقام العقول الطّوليّة والعرضيّة ، والى مقام النّفوس الكلّيّة وثبت فى تلك المقامات اوّلاً ثمّ منها الى صدر النّبىّ (ص) ثمّ منه الى حسّه المشترك ، ثمّ منه الى الخارج بصورة الالفاظ والحروف ، او بصورة الكتابة والنّقوش وهو فى كلّ تلك المقامات قرآن جامع بين الوحدة والكثرة واحكام القلب والقالب والعلم والعمل [لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ] خبر و باق على خبريّته فانّ القرآن الّذى هوفى كتاب مكنون لايصل الى حريم قدسه الّا الّذى تطهّر من الواث المعاصى والمحرّمات ، وادناس التّوجّه الى الكثرات والانانيّات ، و ارجاس الحدود و التّعيّنات ، ولكن لمّا كان التّكليف مطابقاً للتّكوين و الظّاهر موافقاً للباطن كان التّكليف بحسب المقام البشرىّ ان لايمسّ قالب الانسان قالب القرآن و ظاهره كما ورد فى الاخبار وافتى به العلماء وقالوا: انّ الخبر ههنا فى معنى النّهى اى الّا المطهّر من الاحداث والاخباث، ولذلك نهوا عن مسّ خيطه وعلاقته وجلده وقرطاسه بدون الطّهارة واستشهدوا بهذه الآية ، و روى انّه لمّا استخلف عمر سأل علياً (ع) ان يدفع اليهم القرآن فقال : يااباالحسن ان جئت بالقرآن الّذى جئت به الى ابى بكر حتّى نجتمع عليه، فقال: هيهات ليس الى ذلك سبيل انّما جئت به الى ابى بكر لتقوم الحجّة عليكم ولاتقولوا يوم القيامة: انّا كنّا عن هذا غافلين اوتقولوا: ماجئتنا به فانّ القرآن الّذى عندى لايمسّه الّا المطهّرون والاوصياء من ولدى، فقال عمر: فهل وقت لاظهاره معلوم؟ قال علىّ : نعم ، اذا قام القائم من ولدى يظهره و يحمل النّاس عليه فتجرى السّنّة به [تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] تشريف آخر له [أَفَبِهَذَا

الْحَدِيثِ] اى القرآن الّذى هو بهذا الوصف اوقرآن ولاية علىّ (ع) اوحديث انّه كريم لا يمسّه الّا المطهّرون اوحديث انحصار الخلق والزّرع وانزال الماء وانشاء شجرة النّار فى الله تعالى [أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ] دهن نافق، وداهن وادهن اظهر خلاف مافى قلبه [وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ] اى تجعلون رزقكم الانسانىّ الّذى هو الحظّ من القرآن واستمداد الحيوة الانسانيّة منه فانّ القرآن رزق الانسان بعلومه واخلاقه انّكم تكذّبون به، او بمحمّد (ص) او بالله، اوتجعلون تكذيبكم شبيه رزقكم الّذى لا انفكاك لكم عنه، اوتجعلون القرآن الّذى رزقكم الله، اوسائر ارزاقكم الّتى رزقكم الله بها على صفة انّكم تكذّبون منعمها و رازقها، او تجعلون شكر رزقكم انّكم تكذّبون كما نقل انّه اصاب النّاس عطش شديد فى بعض اسفار محمّد (ص) فدعا (ص) فسقوا، فسمع رجلاً يقول مُطرنا بنوء كذا فنزلت الآية: وروى عن امير المؤمنين (ع) انّه قرأ الواقعة فقال تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون، فلمّا انصرف قال: انّى قد عرفت انّه سيقول قائل لم قرء هكذا، قرأتها انّى قد سمعت رسول الله (ص) يقرؤها كذلك وكانوا اذا امطروا قالوا امطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله و تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون [فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ] الانفاس او الارواح [الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ] يامن بلغت ارواحكم الحلقوم او ياأهل المحتضرين [حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ] الى احوالكم وخروج ارواحكم او تنظرون حال المحتضرين وخروج ارواحهم ولا يمكنكم علاجهم وردّ ارواحهم [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ] اى الى المحتضر [مِنْكُمْ] و وجه كونه اقرب انّ النّاس قربهم له قرب مكانىّ مشتمل على البينونة والفرقة والغيبة بخلاف قربه تعالى فانّ قربه تعالى من الاشياء قرب تقويمىّ قرب الفصول للانواع وهذا القرب لا يكون لشيء من الاشياء الى شيء من الاشياء الّا للمقوّم بالنّسبة الى المتقوّم فانّ المقوّم اقرب الى المتقوّم منه الى نفسه ولذلك كان تعالى اقرب الى الاشياء من انفسهم [وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ] اى لا تبصرونا اولا تبصرون قربنا [فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ] اى غير مجزيّين او غير محاسبين او غير مملوكين فانّ الدّين بمعنى الجزاء والذّل والدّاء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسّلطان والحكم والاكراه والملك، والكلّ مناسب ههنا [تَرْجِعُونَها] اى الرّوح [إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى تكذيبكم فانّه لا ثواب ولا عقاب ولا جزاء ولا اله [فَأَمّا إِنْ كانَ] المتوفّى [مِنَ الْمُقَرَّبِينَ] اى السّابقين [فَرَوْحٌ] قرئ بضمّ الرّاء اى فله روحٌ او فمنه روحٌ فانّ السّابق مالكٌ للكلّ، او فهو روحٌ فانّ الكلّ له ومنه وهو قوامه، والرّوح بالضّمّ ما به حيوة الانفس ويؤنّث، والقرآن والوحى وجبرئيل وملك اعظم من جبرائيل وميكائيل، اوامر النّبوّة وحكم الله، وبالفتح الرّاحة والرّحمة ونسيم الرّيح [وَرَيْحانٌ] الرّيحان نبت معروف، او كلّ نبت طيّب الرّائحة والرّزق [وَجَنَّةُ نَعِيمٍ] كأنّه تعالى اشار بالرّوح والرّيحان الى المراتب العالية من الجنان، وبجنّة النّعيم الى المراتب الدّانية، اوالمراد بجنّة النّعيم معنىً يشمل جميع مراتب الجنّات على تعميم النّعيم للنّعيم الصّورىّ والمعنوىّ، اوالمعنى فروحٌ وريحانٌ فى البرازخ وجنّة نعيم فى الآخرة كما فى الخبر [وَأَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ] قد مضى تفسير اليمين بعلىّ (ع) وتفسير اصحابه بشيعته الّذين باعوا البيعة الخاصّة الولويّة على يده، وقد مضى ايضاً مكرّراً انّ اليمين عالم الارواح، واصحاب اليمين هم الّذين تمكّنوا فى التّوجّه او الاتّصال بعالم الارواح الطّيّبة، ولا يحصل التّوجّه او الاتّصال بعالم الارواح الطّيّبة الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة [فَسَلامٌ لَكَ] يا محمّد (ص) [مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ] يعنى انّهم يكونون فى الجنّات مجاورين لك بحسب مراتبك الدّانية ويسلّمون عليك سلام التّحيّة او سلامة لك منهم بمعنى انّهم بمنزلة اجزائك ولهم السّلامة

من آفات الآخرة وسلامتهم سلامتك اوسلام لك يا من هومن اصحاب اليمين يعنى لايكون بعضهم شرّاً لبعض ، او يحيّى بعضهم بعضاً بتحيّة السّلام ، اويامن يتأتّى منه الخطاب فانّ اصحاب اليمين سلامة على الكلّ ويحيّون الكلّ [وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ] الماء الحارّ البالغ فى الحرارة اى لهم ذلك معدّاً لهم كمايعدّ للنّازل تشريفاً له [وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ] وادخال النّار [إِنَّ هٰذَا] المذكور من الاصناف الثّلاثة وجزاءهم [لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ] .

اعلم ، انّ الشّيء المتيقّن له ثلاث احوال : فانّ المدرك المتيقّن امّا متيقّن فى مقام العلم ، اوفى مقام الشّهود بمعنى انّ المدرك كان مشهوداً له ببصره او بصيرته ،اوفى مقام التّحقّق بمعنى انّ المدرك كان متحقّقاً بالمدرك وصار ذاته مثاله المتيقّن بالنّار بادراك الدّخان الّذى هو من آثارها او بشهودها ، او بصيرورته عين النّار ، والاوّل هو علم اليقين، والثّانى عين اليقين ، والثّالث حقّ اليقين ، والاضافة من قبيل اضافة السّبب الى المسبّب ، اوالمسبّب الى السّبب ،والمعنى انّ هذا الهو متحقّق وواقع ومورث بآثاره لليقين اوحاصل من اليقين به [فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] قد مضى هذه الآية قبيل هذا .

سورة الحديد

مدنيّة كلّها، تسع وعشرون آية .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] قد مضى فى سورة بنى اسرائيل بيان تسبيح الاشياء عند قوله: وان من شيءٍ الّا يسبّح بحمده ، ومضى مكرّراً انّ المقصود من التّسبيح من اىّ شيءٍ كان هوتنزيه لطيفته الآلهيّة ووجهته الرّبّانيّة من نقائص المادّة وحدودها فانّ كلّ موجودٍ ممّا له قوّة واستعداد بفطرة ذاته يخرج من القوّة الى الفعليّة ، ومن النّقص الى الكمال ، ومن الحدود الى الاطلاق بالاضافة الى مراتبه النّاقصة ، وهذا الخروج هو تسبيحه الفعلىّ ولمّا كان تلك الوجهة الا لهيّة بوجه ربّه و بوجه اسم ربّه و بوجه مظهرالله و بوجه شيئيّة ذلك الشّيء وذاته كان المقصود من التّسبيح سواء علّق على الله او على الرّبّ اوعلى اسم الرّبّ هوتنزيه تلك اللّطيفة ، واللّام فى الله زائدة للتّقوية، والله مفعول به لسبّح اوللتّعليل،ومفعوله محذوف،ولفظ سبّح مأخوذ من سبحان الله بطريق المشتقّات الجعليّة اى قال سبحان الله ، اوهومن التّسبيح بمعنى نزّه الله ، والاختلاف بالمضىّ والمضارعة فى تلك السّور للاشعار بانّ التّسبيح فطرىّ للاشياء غيرمقيّدٍ بزمانٍ دون زمانٍ ولتجديد نشاط السّامع والتّفنّن فى العبارة، والاتيان بالمصدر فى بنى اسرائيل للاشعار بانّه تعالى منزّه فى ذاته سبّحه مسبّحٌ ام لم يسبّحه [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى غلبته تقتضى تسبيح كلّ شيءٍ فانّ الغالب يتوجّه كلّ شيءٍ اليه ويعظّمه وينزّهه من كلّ نقصٍ [الْحَكِيمُ] الّذى اتقن صنع كلّ شيءٍ بحيث لايوجد شيءٌ الّا وهومسبّح له ولاتقان صنعه لايشعر احدٌ بتسبيح شيءٍ من الاشياء ولو اشعر هلك اوجنّ ما لم ينفتح سمعه الملكوتىّ [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] وجه آخر لتسبيح كلّ شيءٍ له [يُحْيِي]

على الاستمرار فى كلّ آنٍ جمعاً ينفخ الحيوة الحيوانيّة فى الاجنّة [وَيُمِيتُ] على الاستمرار جمعاً من الحيوة الحيوانيّة، او يحيى على الاستمرار نفوساً بالحيوة الانسانيّة بنفخ النّفخة الولويّة فيهم و يميت نفوساً عن الحيوة الانسانيّة، او يحيى بالحيوة البرزخيّة و يميت عن الحيوة الحيوانيّة ، او يحيى الاراضى بالنّبات ، و النّبات بالماء و النّضارة و الطّراوة و الحيوان بالحيوة الحيوانيّة ، و الانسان بالحيوة الانسانيّة ، و يميت كلّ ذلك بالموت المناسب له ، او يحيى كلّ شيءٍ باخراجه من القوى والاستعدادات على الاستمرار و يميت ذلك الشّيء عن الفعليّات النّاقصة، وهذا اوفق بتسبيح الاشياء كأنّه قال: سبّح لله ما فى السّموات وما فى الارض بالخروج من القوى الى الفعليّات ، والمخرج هوالله لانّه يحيى بالفعليّات و يميت عن النّقائص [وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ] من الاماتة والاحياء وغير ذلك [قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ] اى هوالاوّل فى تركيب الموجودات وهوالآخر فى تحليلها نظير الوحدة فى الاعداد وللاشارة الى هذا ورد: يا من لك وحدانيّة العدد ، فانّ مراتب الاعداد كلّها تركيبها من الوحدة لاغير ، وتحليلها الى الوحدة لاغير، وبهذا اللّحاظ قال تعالى [وَالظّٰاهِرُ وَالْبٰاطِنُ] فانّ مراتب الاعداد ظواهرها و بواطنها ليست الّا الوحدة و ما به التّميّز بين المراتب ليس الّا اعتباريّاً عدميّاً ، اوالمعنى هوالاوّل بلحاظ المراتب واعتبار حيثيّة العلّيّة والمعلوليّة فانّه تعالى بهذا اللّحاظ اوّل العلل الفاعليّة وآخر العلل الغائيّة لانّه مسبّب الاسباب وعلّة العلل وغاية الغايات ونهاية النّهايات ، اوالمعنى هوالاوّل فى الادراك فانّ الظّاهر على المدارك اوّلاً هوالوجود الّذى حقيقته الحقّ الاوّل تعالى والآخر فى الادراك بمعنى انّ المدرك كلّما ميّز مدركاته بعض اجزائها من بعضٍ لم يجد المدرك فى الحقيقة الّا الاوّل تعالى شأنه فكان آخر المدركات هوالاوّل تعالى و بهذا المعنى قال تعالى و الظّاهر و الباطن يعنى انّ المدرك من الاشياء اوّلاً هوالاوّل تعالى لانّه الظّاهر من كلّ الاشياء ، والمدرك من الاشياء آخراً هوايضاً لانّه الباطن من كلّ شيءٍ ، والباطن المختفى من الادراك المدرك بالتّعمّل من الاشياء ، اوهو اشارة الى مايقوله الصّوفيّة من مقام التّوحيد الّذى يظهر لبعض السّالكين بطريق الحال ، و لبعضٍ بنحو المقام ، ولا يجوز التّفوّه به لاحدٍ ما لم يصر ذلك التّوحيد حالاً اومقاماً له، واذا صار حالاً للسّالك لايجوز التّفوّه به له حين زواله ، واذا لم يكن ذلك التّوحيد حاله اومقامه فتفوّه به كان مباح الدّم وهو ان يتجلّى الله للسّالك باسم الواحد اوالاحد فلايرى فى الوجود الّا الواحد او الاحد فلايرى اوّلاً ولا آخراً ولاعلّةً ولامعلولاً ولاظاهراً ولاباطناً ولاصاعداً ولانازلاً ولامدركاً ولامدركاً بل يرى كلّ ذلك اعتبارات من النّفوس المحجوبة عدميّات لاحقّيّة ولاحقيقة لها فيكون المعنى هوالاوّل من غير اعتبار اوّليّة له ، وهوالآخر من غير اعتبار آخريّة له ، وهوالظّاهر والباطن كذلك يعنى ليس شيءٌ وشيءٌ ولااعتبار واعتبار فى دارالوجود ، والى هذا المقام كانت الاشارة فى هذا الشّعر :

حلول و اتحاد اينجا محال است كه در وحدت دوئى عين ضلال است

وكلّما ذكروا نثراً ونظماً من هذه المقولة كان اشارة الى هذا المقام اوناشئاً منه، والى عدم جواز التّفوّه بهذا الوحدة وعدم جواز اعتبارها لغير من كانت حاله اومقامه قيل:

آلا تاباخودى زنهار زنهار عبارات شريعت را نگهدار

[وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] بمنزلة قوله تعالى : وهو بكلّ شيءٍ محيط فانّ علمه عين ذاته ولا حاطته بكلّ الاشياء كان اوّلاً وآخراً وظاهراً و باطناً من الجميع [هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ] هذه الجمل كلّها مستأنفة واجوبة لاسئلة مقدّرة اذا لم تكن مع العاطف اوحاليّة [فِى سِتَّةِ أَيّٰامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى

هذه الآية مع بيانها فی سورة الاعراف [يَعْلَمُ مٰا يَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَمٰا يَخْرُجُ مِنْهٰا وَمٰا يَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَمٰا يَعْرُجُ فِيهٰا] قد مضی الآية ببيانها فی اوّل سورة النّسا [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمٰا كُنْتُمْ] معيّة قيّوميّة لازمة لرحمته الرّحمانيّة فانّه تعالی بوجوده الفعلیّ کلّ الاشياء وقوامها وفعليّتها واوّلها وآخرها وظاهرها وباطنها وهو تهديد وترغيب [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تتميم للتّهديد والتّرغيب [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] تأكيد فی مقام المدح فانّ التّأكيد والتّكرير مطلوب فی مقام المدح والرّضا ، وفی مقام الذّمّ والغضب ، والاوّل فی مقام التّعليل لتسبيح الاشياء والثّانی فی مقام التّعليل لاحاطة علمه بالاشياء وتتميم لتهديده وترغيبه [وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِی النَّهٰارِ وَيُولِجُ النَّهٰارَ فِی اللَّيْلِ] قد مضی الآية فی سورة آل عمران [وَهُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] من النّيّات والخطرات والخيالات والحالات والسّجيّات ، اومن القوی والاستعدادات الّتی لاخبر لصاحبی الصّدور عنها [ءٰامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] بمنزلة النّتيجة للسّابق كأنّه قال : اذا علمتم ذلك فلاعذر لكم فی الانصراف عن الله وعن رسوله (ص) ، اولا عذر لكم فی الانصراف عن الله و رسوله (ص) فی الخروج عن قولهما فی ولاية علیّ (ع) فآمنوا بالله وصدّقوه فيما قاله لكم من مطلق الاوامر والنّواهی ، اوفيما قاله لكم من ولاية علیّ (ع) وآمنوا برسوله (ص) بالبيعة العامّة اوالبيعة الخاصّة ، اوصدّقوه فيما قاله لكم من الاحكام اومن ولاية علیّ (ع) ، ولمّا كان الخطاب من الله تعالی عامّاً للموجودين المسلمين وغير المسلمين و المعدومين فكان لفظ آمنوا ايضاً عامّاً و شاملاً للاذعان و التّصديق و البيعة الاسلاميّة العامّة والبيعة الايمانيّة الخاصّة كأنّه قال : ايّها الكفّار والمستعدّون للاسلام من الموجودين والمعدومين آمنوا بالله و رسوله (ص) بالبيعة العامّة علی يد رسوله (ص) ، وايّها المسلمون اذعنوا وصدّقوا الله و رسوله (ص) فيما قال الرّسول (ص) لكم من مطلق الاحكام او ولاية علیّ (ع) و آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة بالله و رسوله (ص) علی يد رسوله (ص) اوعلی يد خليفته ، وقد مضی فی اوّل البقرة معانی الايمان [وَأَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] من الاموال الدّنيويّة والاعراض والحشمة والاعضاء والقوی ومن نسبة الافعال والاوصاف الی انفسكم ومن انانيّاتكم و للاشعار بانّ مالكم من جميع ذلك انّما هو عارية لكم وشأن العارية ان يستردّ حتّی يسهل عليكم انفاقه قال مستخلفين [فَالَّذِينَ ءٰامَنُوا] بالبيعة العامّة او البيعة الخاصّة [مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ] وعد الاجر الكبير للاشعار بانّ المنظور من الايمان البيعة الخاصّة الولويّة فانّ الاجر الكبير ليس الّا علی الولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة [وَمٰا لَكُمْ لٰا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ] لاتذعنون اولاتسلمون بالبيعة العامّة النّبويّة اولاتؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ] المطلق الّذی هو ربّ الارباب ، اوبربّكم فی الولاية وهو علیّ (ع) [وَقَدْ أَخَذَ] الله [مِيثٰاقَكُمْ] فی عالم الذّرّ بالايمان بالله اوبالبيعة مع محمّد (ص) اوبالبيعة مع علیّ (ع) وقد اخذ الرّسول (ص) ميثاقكم بعدم التّخلّف عن قوله فی البيعة العامّة ، وقری بالبناء للمفعول [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] ای مصدّقين مذعنين اوبائعين البيعة العامّة الاسلاميّة وجوابه محذوف بقرينة السّابق ای ان كنتم مؤمنين فما لكم لاتؤمنون بعلیّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة وقد اخذ الرّسول (ص) ميثاقكم علی عدم التّخلّف عن قوله [هُوَ الَّذِی يُنَزِّلُ عَلٰی عَبْدِهِ] الّذی هو الرّسول (ص) الدّاعی لكم الی الايمان بعلیّ (ع) [ءٰايٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ] من الآيات القرآنيّة والمعجزات النّبويّة [لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ] ای من ظلمات المادّة والشّبهات والشّكوك والاهوية والتّعلّقات الی

١٠ نور التّجرّد و اليقين والاطلاق من الاهوية و التّعلّقات [وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ وَ مَالَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ] حالكونكم فى سبيل الله الّذى هو الجهاد ، اوسبيل الحجّ اوسبيل الهجرة الى الرّسول (ص) اوالى الامام، او حالكونكم فى طريق القلب والسّلوك اليه والى الله ، اومالكم ان لاتنفقوا فى تحصيل سبيل الله وهو الولاية وطريق القلب، او مالكم لاتنفقون فى تعظيم سبيل الله وهو كلّ خير من العبادات والجهاد والحجّ ، اوهو الرّسالة، اوالولاية [وَ لِلهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ] جملة حاليّة فى موضع التّعليل ، و اضافة الميراث امّا بيانيّة او بتقدير فى او بتقدير اللّام فانّ سماوات الارواح وما فيها واراضى الاشباح ومافيها ميراث مقام المشيّة يرثها الانسان الكامل والعقول من المشيّة، و يرثها ما بعد العقول من العقول، ومابعد النّفوس من النّفوس ، ومابعد عالم المثال من عالم المثال ، والكلّ من الله تعالى، والمواليد المكوّنة ميراث ومتخلّف من الكمّلين من بعض لبعض ، والاموال العرضيّة الدّنيويّة ميراث من بنى آدم من بعض الى بعض فما بال ماكان لله لا تنفقون منها بأمره تعالى [لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ] ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف القرين بقرينة مايأتى.

الانفاق قبل الفتح

اعلم، انّ الفتح يطلق على النّصر والظّفر، وعلى اعطاء الله الغنائم الدّنيويّة اوالاخرويّة الّذى هو لازم الظّفر وفتح البلاد وفتح باب القلب وعلى فتح البلاد وعلى فتح باب القلب، والمخاطبون كانوا مسلمين مقصوراً همم اكثرهم على الظّفر على الاعداء وفتح البلاد وجمع الغنائم الدّنيويّة، ومؤمنين مقصوراً همم اكثرهم على فتح باب القلب وجمع الغنائم الاخرويّة ، وآيات القرآن منزّلة على مراتب حالات النّاس بكثرتها وسعتها ، واختلاف التّفاسير الواردة من المعصومين (ع) باعتبار اختلاف احوال النّاس ، وسعة وجوه القرآن بحسب سعة احوال النّاس فصحّ ان يقال: لايستوى منكم من أنفق من قبل النّصر والظّفر ، اومن قبل الغنائم الدّنيويّة اوالاخرويّة ؛ اومن قبل فتح البلاد للمسلمين اومن قبل فتح مكّة وان يقال : لايستوى منكم من أنفق من قبل فتح باب القلب الى الملكوت ومن أنفق بعد قوّة المسلمين وغلبتهم، وحين كثرة الغنائم وقوّة رجاء تعاقبها وتعاقب فتح البلاد ، وحين انفتاح باب القلب وشهود ما لاعين رأت ولااذن سمعت ، فانّ الانفاق والمقاتلة قبل ذلك لايكونان الّا عن قوّة اليقين وثبات القلب وقوّة الشّجاعة والسّخاوة ؛ وامّا بعد الحضور فلايبقى عدوٌّ وقوىّ حتّى يكون المقاتلة صعباً ولايبقى ميلٌ و محبّة الى ماله من الاموال و القوى و الانانيّات لوجدان العوض الاشرف الاعلى الابهى حتّى يكون الانفاق صعباً، فالمنفق والمقاتل حين ضعف المسلمين كان اعظم درجة لكونه اقوى يقيناً و المنفق و المقاتل فى الغياب البتّة اعظم اجراً من المنفق والمقاتل فى الحضور، وقيل: لايستوى منكم من أنفق من قبل فتح الرّسول (ص) بسبب المعراج فانّه (ص) بعد المعراج كان اقوى تأثيراً ، ومن أنفق قبل المعراج كان كالّتى يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نارٌ، ونعم ماقال المولوىّ رضوان الله عليه فى بيان هذه الآية :

يؤمنون بالغيب مى‌بايد مرا	زان ببستم روزن فانى سرا
ليك يك درصد بود ايمان بغيب	نيك دان و بگذراز ترديد و ريب
بندگى در غيب آيد خوب و كش	حفظ غيب آيد دراستبعاد خوش
قلعه دارى كز كنار مملكت	دور از سلطان و سايه سلطنت
پاس دارد قلعه را از دشمنان	قلعه نفروشد بمال بى كران
نزد شه بهتر بود از ديگران	كه بخدمت حاضرند و جان فشان
پس بغيبت نيم ذرّه حفظ كار	به كه اندر حاضرى زان صد هزار

[أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى] المثوبة الحسنى اوالعاقبة الحسنى [وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] فلاحاجة لكم فى اعمالكم الى الحضور [مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضٰاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ] يعنى فيردّه اليه مضاعفاً وكان له اجرٌ كريمٌ لاامتنان فيه ولاقصور ولازوال، وقدمضى الآية ببيانها فى اواخر البقرة، عن الكاظم (ع): نزلت فى صلة الامام، وفى رواية: فى دولة الفسّاق [يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ] ظرف ليضاعفه اوللخبر فى قوله تعالى له اجر كريم اولكريم، اوظرف ليقال المقدّر عند قوله تعالى بشريكم اليوم اوظرف ليسعى والمعنى كلّماترى المؤمنين [وَالْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمٰانِهِمْ] يعنى انّك فتحت بصيرتك فيوم ترى المؤمنين تريهم يسعى نورهم بين ايديهم والمراد بهذاالنّور هوالكيفيّة الدّاخلة فى قلب البائع البيعة الخاصّة الولويّة بقبول الولاية وهو فعليّته الاخيرة ولذلك يصبر ابناً لمن باع معه وقد يرى فى الواقعة بصورة من باع على يده، وقد يرى بصورة ولده من صلبه وتلك الكيفيّة ليست كيفيّة عرضيّة بل هى صورة جوهريّة نازلة من ولىّ امره داخلة فى قلبه وقوله تعالى: ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم اشارة الى تلك الصّورة، وتلك الصّورة لاترى بالابصار الحسيّة، وترى بالبصيرة فى الدّنيا والآخرة، وفى البرازخ والآخرة يخلّص تلك الصّورة من غواشى المادّة ويخلّص البصيرة لكلّ احدٍ من حجاب البصر فيشهدها كلّ احد ويشهدها صاحب النّور ايضاً فيرى تلك الكيفيّة بصورة امامه يسعى بين يديه، واختيار بين الايدى والايمان لانّ تلك الصّورة نورانيّة يستنير منها كلّما تظهر عليه، وخلف المؤمن الدّنيا الظّلمانيّة، وشماله الملكوت السّفلى الّتى هى اظلم ولا مناسبة للنّورانىّ مع الظّلمانىّ، وقدّامه عالم الغيب الّذى هو نور محض، ويمينه عالم الارواح الطّيّبة الّذى هوايضاً نورانىٌّ، وقد يظهر ذلك النّور على السّالك اذا اشتدّ محبّته واستقام فى سلوكه ومات بالموت الاختيارىّ، وهذاهوالّذى يقوله الصّوفيّة من انّه ينبغى للسّالك ان يكون اهتمامه فى سلوكه بحصول حال الحضور، وهذاهومعرفة علىّ (ع) بالنّورانيّة الّتى هى معرفة الله، وهذا هوالمسمّى بالحضور والسّكينة والفكر، وهذا هوذكرالله الحقيقىّ [بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ] اى تقول اويقول الملائكة اويقال بشريكم اليوم [جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا] قد مضى فى آخر آل عمران بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ] بدل من يوم ترى المؤمنين اومن اليوم [وَالْمُنٰافِقٰاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونٰا] انظروا الينا اوانتظروا لنا [نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ] ولمّا لم يكن بين المؤمنين ونورهم وبين المنافقين مناسبة [قِيلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ] كماكنتم فى الدّنيا راجعين الى ورائكم [فَالْتَمِسُوا نُورًا] قيل ذلك لهم استهزاءً [فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ] حائط [لَهُ بٰابٌ بٰاطِنُهُ] اى باطن الباب اوباطن السّور [فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظٰاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذٰابُ] فانّ السّور هوالحجاب الحاجز بين الملكوت السّفلى والملكوت العليا، وباطنه الى الملكوت العليا وفيها الرّحمة والرّضوان، وظاهره الى الملكوت السّفلى وفيها الجحيم ونيرانها وانواع عذابها [يُنٰادُونَهُمْ] اى ينادى المنافقون والمنافقات الّذين آمنوا [أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ] فى الانسانيّة، اوفى الاسلام والبيعة العامّة، اوفى الايمان والبيعة الخاصّة [قٰالُوا بَلىٰ] كنتم معنا فى ظاهرالاسلام وفى ظاهرالايمان [وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ] الفتنة اعجابك بالشّيء واذابة الذّهب

والفضّة والاضلال والايقاع فى الفتنة [أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ] بمحمّد (ص) او بالمؤمنين الدّوائر [وَارْتَبْتُمْ] فى دينكم وماكنتم فيه معنا [وَغَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ] عن طلب الآخرة والعمل لها [حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ] بقبض ارواحكم [وَغَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ] اى الشّيطان حيث قال انّ الله كريم وزمان التّوبة وسيع [فَالْيَوْمَ لٰا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ] لوكان لكم الفدية ولافداء لكم [وَلٰا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] ظاهراً وباطناً [مَأْوٰيكُمُ النّٰارُ هِيَ مَوْلٰيكُمْ] الّذى يلى امركم فانّها ملكتكم ولا تصرّف لغيرها فيكم [وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] النار [أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ] لمّا ذكر حال المنافقين و نور المؤمنين وكان النّفاق ينشأ من الوقوف على مرتبة والرّضا بالمقام فيها استبطأ حركة المؤمنين الى مقاماتهم العالية بنحو يكون تحذيراً من المقام على مراتبهم الحاصلة فانّ الاستفهام ههنا للتّوبيخ والانكار، وقد مضى فى سورة البقرة بيان معنى الخشوع والفرق بينه وبين الخضوع والتّواضع عند قوله تعالى: و انّها لكبيرة الّا على الخاشعين، والمراد بذكر الله هو الذّكر المأخوذ من صاحب الذّكر، او تذكّر الله وتذكّر عظمته، اوصاحب الذّكر الّذى هوعلىّ (ع) ببشريّته، او هو صاحب الذّكر بمقام نورانيّته [وَمٰا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ] من آيات القرآن، او احكام الرّسالة، اوقرآن ولاية علىّ (ع)، اوالواردات الآفاقيّة، او الانفسيّة [وَلٰا يَكُونُوا] قرئ بالغيبة ويكون نفياً و عطفاً على تخشع او نهياً و عطفاً على الم يأن باعتبار المعنى كأنّه قال: لايقف المؤمنون على مقامهم ولايكونوا، وقرئ بالخطاب نفياً و عطفاً على تخشع ويكون التفاتاً من الغيبة ونهياً وعطفاً باعتبار المعنى ويكون التفاتاً والتّقدير لايقفوا ولايكونوا [كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلُ فَطٰالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ] الزّمان اى طال زمان وقوفهم على مقامهم الحاصل لهم من دون التّرقّى الى المقامات المفقودة عنهم [فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ] يعنى صار كثير منهم منافقين فصاروا فاسقين خارجين من حكم امامهم، روى عن الصّادق (ع) انّ هذه الآية يعنى ولا تكونوا فى القائم (ع) والمعنى انّها نزلت فى المؤمنين بالغيبة فانّ الله حذّرهم ان يصيروا بسبب الوقوف على مقام واحد وعدم الخروج الى المقامات العالية منافقين مثل المنافقين الّذين كانوا فى زمان محمّد (ص) و نافقوا بسبب الوقوف وعدم الخروج، فانّهم اوتوا كتاب النّبوّة وقبلوها قبلهم [اِعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا] كأنّه بعد ما حذّرهم عن الوقوف و و بّخهم عليه يئس جمع من الواقفين عن الرّحمة وقالوا: فما لنا الّا قساوة القلوب فقال رفعاً لياسهم و ترجيحاً بجانب الرّجاء: اعلموا انّ الله يحيى ارض قلوب المؤمنين بذكر الله فى الدّنيا او بنور الامام فى الآخرة فلاتيأسوا من روح الله، عن الباقر (ع) انّه قال: يحييها الله تعالى بالقائم بعد موتها [قَدْ بَيَّنّٰا لَكُمُ الْآيٰاتِ] التّدوينيّة والآيات الآفاقيّة والانفسيّة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون عقلاء، اوتدركون ادراكاً عقلانياً، اوتدركون بعقولكم انّ الوقوف مورث للقسوة، وانّ الذّكر جلاء للقلوب ومورث للخشوع [إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقٰاتِ] قرئ بتشديد الصّاد من التّفعّل بمعنى الّذين يعطون الصّدقات، و قرئ بتخفيف الصّاد من التّفعيل بمعنى الّذين صدقوا الله ورسوله [وَأَقْرَضُوا اللّٰهَ] جملة حاليّة اومعترضة او معطوفة على صلة الالف واللّام، وعلى اىّ تقدير هو تقييد للتّصدّق ان كان بمعنى الانفاق المطلق، اوتأكيد له ان كان بمعنى الانفاق لوجه الله، او يكون المراد بالتّصدّق الانفاق على الفقراء، و باقراض الله صلة الامام (ع)، وعلى قراءة تخفيف الصّاد يكون عطفاً و بمنزلة ان يقال: انّ الّذين

آمنوا وانفقوا ، وعلى قراءة تشديد الصّاد يكون قوله : انّ المصدّقين والمصدّقات واقرضوا الله [قَرْضًا حَسَنًا يُضٰاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ] بمنزلة انّ الّذين يعطون الزّكوة و بياناً لجزاء الانفاق ويكون قوله [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ] بياناً لجزاء الايمان و بعبارة اخرى انّ المصدّقين بيان لجزاء القوّة العمّالة وانّ الّذين آمنوا بيانٌ لجزاء القوّة العلّامة ، وبعبارة اخرى الاوّل بيان لجزاء الزّكوة ، والثّاني بيان لجزاء الصّلوة و ترجيح لجانب القوّة العلّامة والصّلوة على القوّة العمّالة و الزّكوة فانّ قوله تعالى اولئك هم الصّدّيقون [وَالشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ] لحصر كمال الصّدق والشّهادة فيهم وقوله تعالى [لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ] تفخيمٌ لاجرهم ونورهم باضافتهما اليهم بمعنى انّ اجرهم لا يمكن معرفته الّا باضافته اليهم ، وقيل : انّ الشّهداء مبتدء وخبره لهم اجرهم ، وعن الباقر (ع) انّه قال : العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع القائم (ع) بسيفه ثمّ قال : بل والله كمن جاهد مع رسول الله (ص) بسيفه ، ثمّ قال الثّالثة : بل والله كمن استشهد مع رسول الله (ص) في فسطاطه ، وفيكم آية من كتاب الله قيل : واىّ آية ؟ـ قال : قول الله والّذين آمنوا بالله ورسله (الآية) ثمّ قال : صرتم والله صادقين شهداء عند ربّكم ، والاخبار الواردة بهذا المضمون يعني تخصيص الصّدّيقين والشّهداء بشيعتهم كثيرة ، وفي هذا الخبر غنية عن نقلها ، وروى عن امير المؤمنين (ع) انّه لمّا قتل يوم النّهر وان الخوارج قام اليه رجلٌ ، فقال : يا امير المؤمنين (ع) طوبى لنا اذ شهدنا معك هذا الموقف و قتلنا معك هؤلاء الخوارج ، فقال امير المؤمنين (ع) : والّذى فلق الحبّة و برأ النّسمة لقد شهدنا في هذا الموقف اناس لم يخلق الله آباءهم ولا اجدادهم بعدُ ، فقال الرّجل : وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا ؟ـ قال : بل قوم يكونون في آخر الزّمان يشركوننا فيما نحن فيه و يسلّمون لنا فاولئك شركاؤنا فيه حقّاً حقّاً [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ] مقابل الّذين آمنوا بالله ورسله [اِعْلَمُوا] ابتداء كلام منقطع عن سابقه و تزهيد عن الحيوة الدّنيا و لوازمها ، و ترغيب في الآخرة و الانفاق وتسهيل له [أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا لَعِبٌ وَلَهْوٌ] اللّعب ماله غاية خياليّة غير عقليّة ، واللّهو ما لم يكن له غاية خياليّة مدركة مشعوراً بها وان كان لا يجوز ان يكون فعل المختار بلا غاية ، والتّقدير اعلموا انّ متاع الحيوة الدّنيا او حاصل الحيوة الدّنيا لعب و لهو [وَزِينَةٌ وَتَفٰاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكٰاثُرٌ فِي الْأَمْوٰالِ وَالْأَوْلٰادِ] اى تغالب في ذلك ولا يبقى للعاقلة شيءٌ من ذلك [كَمَثَلِ غَيْثٍ] مفعول ثان لاعلموا او انّما و ما بعده قائم مقام المفعولين او هو خبر مبتدء محذوف [أَعْجَبَ الْكُفّٰارَ نَبٰاتُهُ] اى نبات الغيث الّذى نبت بسبب الغيث و قال تعالى : اعجب الكفّار لانّ الكفّار لكفرهم بالله اشدّ اعجاباً بصورة النّبات بخلاف غير الكفّار فانّهم يفرحون بالمنعم وانعامه [ثُمَّ يَهِيجُ] ييبس ببلوغه الى غايته او بعاهة [فَتَرٰيهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطٰامًا] لاثقاً للنّار [وَفِي الْآخِرَةِ عَذٰابٌ شَدِيدٌ] مثّل الحيوة الدّنيا ونزول ماء الحيوة من سماء الارواح بنزول المطر من السّماء وصورة الانسان في بدوالامر بنبات النّبات في اوّل الامر ضعيفاً ثمّ استواء الانسان باستواء النّبات في خضرته وطراوته واعجابه للغافل عن الآخرة ثمّ انحطاطه بانحطاط النّبات ثمّ موته بييبس النّبات واصفراره وتكسّره ثمّ العذاب في الآخرة للمفتون بالحيوة باحتراق النّبات اليابس [وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوٰانٌ] لمن لم يفتتن او للكلّ بشرط الاستعداد والاستحقاق [وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا إِلّٰا مَتٰاعُ الْغُرُورِ]

اى التّمتّع المسبّب من الغرور اومتاع سبب للغرور [سابِقُوا] هذا بمنزلة النّتيجة او جوابٌ لسؤال مقدّر ناش من سابقه كأنّه قيل: ان كان الحيوة الدّنيا متاع الغرور وفى الآخرة عذابٌ لاهلها اومغفرة فما نفعل؟ ـ فقال: سابقوا [إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهٰا كَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَالْأَرْضِ] قد مضى فى سورة آل عمران بيان تشبيه عرض الجنّة بعرض السّماوات والارض [أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ] هذه صفة او حال او مستأنفة [ذٰلِكَ] الايمان بالله و رسله اوذلك المذكور من المغفرة والجنّة [فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ] فانّ مبدء التّوفيق للايمان الّذى هو سبب المغفرة والجنّة منه تعالى فلايدخل الجنّة احد بنفسه ولا بعمله [وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مٰا أَصٰابَ] منقطعة عن سابقها او جوابٌ لسؤال ناش من السّابق كأنّه قيل: ان كان الله ذا الفضل بعباده فلمّ يكون هذه المصائب والبلايا ؟ ـ فقال فى الجواب: ما اصاب [مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ] فى العالم الكبير من البلايا العامّة الواردة على اموال اهل الارض [وَلٰا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلّٰا فِي كِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا] اى من قبل ان نبرأ الانفس او من قبل ان نبرأ الارض والانفس والمراد بالكتاب كتاب اللّوح المحفوظ والمقصود انّه ليست المصائب الّا بعلمنا و قدرتنا واصابتنا [إِنَّ ذٰلِكَ] الثّبت فى الكتاب [عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ لِكَيْلٰا تَأْسَوْا] متعلّق بقوله فى كتاب اومتعلّق بمحذوف والتّقدير اخبرناكم بذلك لتعلموا انّ مايقع فى الارض هو ثابت فى اللّوح و بعلمنا وارادتنا لكيلا تأسوا [عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَلٰا تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰيكُمْ] ولكى تصبروا وترضوا عند مافاتكم وتشكروا الله عند ماآتيكم وهذا هو غاية الزّهد فانّ عدم التّغيّر فى فوت ما فى اليد و فى اتيان ما ليس فى اليد كمال الزّهد كما روى عن امير المؤمنين (ع) انّه قال: الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم، ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد اخذ الزّهد بطرفيه، وعن الباقر (ع): نزلت فى ابى بكر واصحابه واحدة مقدّمة وواحدة مؤخّرة لا تأسوا على مافاتكم ممّا خصّ به على بن ابى طالب (ع) ولا تفرحوا بما اتيكم من الفتنة الّتى عرضت لكم بعد رسول الله (ص) [وَاللّٰهُ لٰا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ] عطف على قوله ما اصاب والمقصود انّ عدم الحزن على الفائتة وعدم الفرح قد يكون للاختيال والفخر وليس هذا ممدوحاً انّما المدح على ذلك اذا كان للزّهد فى الدّنيا، اوالمعنى انّ المصدّقين المنفقين والمؤمنين كذلك وغير المصدّقين الّذين يختالون ولا ينقصون من انانيّاتهم، والّذين يفخرون ولا يؤمنون بالله و رسوله مبغوضون لله فانّه قد تكرّر فيما سبق انّ مفهوم هذه العبارة و ان كان اعمّ من كونهم مبغوضين لكنّ المراد بحسب المقام ذلك [الَّذِينَ يَبْخَلُونَ] باموالهم واعراضهم وقوبهم وانانيّاتهم فلاينفقون ولاينقصون من انانيّاتهم فلا ينقادون لله و رسوله (ص) [وَيَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ] عن الانفاق والايمان فلايضرّ الله شيئاً [فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ] الّذى لاحاجة له الى اموالكم و اعراضكم و انفاقكم ممّا ينبغى ان ينفق منه [الْحَمِيدُ] الّذى لاحاجة له الى ايمانكم وتصديقكم وتعظيمكم والمقصود من يتولّ عن علىّ (ع) اوعن الله والرّسول (ص) فى ولاية علىّ (ع) فانّ علياً (ع) الّذى هو مظهر الله هو الغنىّ عنه وعن انفاقه الحميد فى نفسه صدّقه مصدّق اوكذّبه ولمّا كان هناك مظنّة ان يسأل احدٌ: بما يصير الانسان مؤمناً ومنفقاً حتّى لايتولّى عن الايمان وعن علىّ (ع)؟ ـ فقال تعالى جواباً لهذا السّؤال [لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلَنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ] اى بأحكام الرّسالة او بالمعجزات الدّالّة على صدقهم فمن اراد الايمان فليقبل عليهم [وَأَنْزَلْنٰا مَعَهُمُ الْكِتٰابَ] اى كتاب النّبوّة والكتب التّدوينيّة

والملل الآلهيّة صورها و لهذا ورد عن الصّادق(ع) فی هذه الآية الكتاب الاسم الاكبر الّذی يعلم به علم كلّ شيء الّذی كان مع الانبياء(ع) قال: وانّما عرف ممّا يدعی كتاب التّوراة والانجيل والفرقان فيها كتاب نوح و فيها كتاب صالح وشعيب وابراهيم(ع) فأخبرالله عزّوجلّ انّ هذا فی الصّحف الاولی صحف ابراهيم و موسی (ع) فابن صحف ابراهيم؟ انّما صحف ابراهيم(ع) الاسم الاكبر و صحف موسی (ع) الاسم الاكبر [وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ] الميزان كلّما يقاس به شيء آخر من ذی الكفّتين والقبان وخيوط البنّائين وسيرة السّلاطين فی سلطنتهم و احكام الشّرائع القالبيّة العمليّة والعقل والرّسول والرّسالة والولیّ والولاية والكتب السّماويّة، لكنّ الميزان الّذی يقوم النّاس به بالقسط هو الولاية و قبولها واحكامها و ولیّ الامر فانّ كلّما سواها ميزان لقيام النّاس بالقسط بشرط اتّصاله بها ، فالمراد بالكتاب الّذی مع الرّسل هو النّبوّة والرّسالة وهما الاسم الاكبر الّذی كلّ شيء فيه وشرائع الرّسل و كتبهم صورتهما، والمراد بالميزان هو الولاية الّتی نزلت من مقامها العالی الی بشريّة الرّسل وظهرت بعدهم فی اوصيائهم ليقوم النّاس بها بالقسط ، ولمّا كانت الولاية الّتی هی ميزان العدل و النّبوّة والرّسالة اللّتان هما ميزانان بالولاية من اعظم اسباب قيام النّاس بالقسط أتی بهذه الغاية قبل ذكر الحديد واضاف الحديد بعدها فقال [وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ] يعنی مع الرّسل اومطلقاً لكن لمّا كان المنظور من ذكر الحديد ترتّب غاية نصرة الرّسل عليه وعلی ما سبقه فالاولی ان يقال: وانزلنا الحديد مع الرّسل ، ومعنی انزال الحديد مع انّه يتكوّن فی المعادن ايجاده ، اوالمقصود انّ كلّ موجود فی هذا العالم كان موجوداً فی عالم المثال و فی العوالم الّتی فوقه ثمّ نزل من تلك العوالم الی عالم الكون و الفساد [فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ] كمايری من قطع الاعضاء والمفاصل من الحيوان به وقطع حيوة الحيوان والانسان به [وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ] لانّ منه آلات اكثر الصّنّاع والصّنائع [وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ] حالكون النّاصر بالغيب من الله ، اوحالكون الله بالغيب من النّاصر ، اوهوظرف لينصره وقوله تعالی ليعلم عطف علی قوله ليقوم النّاس وقد مضی وجه تأخيره عن نزول الحديد [إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] لاحاجة له الی نصرتكم لانّه قويّ يقدر علی كلّ ما اراد عزيز لامانع له من مراده ولاغالب عليه وانّما اراد اختباركم بذلك وامتياز الكافر والمنافق من المؤمن الموافق [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا] عطف علی قوله لقد أرسلنا عطف التّفصيل علی الاجمال [نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِی ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ] ای الرّسالة [فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ] فی غاية الاهتداء كالانبياء والاولياء(ع) او فی اواسط الاهتداء كسائر المؤمنين [وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] لم يقل فی مقابل منهم مهتد و منهم فاسق للاشارة الی الغلبة فی جانب الضّلالة [ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا] من انبياء بنی اسرائيل وموسی(ع) وشعيب(ع) [وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِی قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا] بالنّسبة الی دين موسی(ع) لانّهم ابتدعوها فی الدّين حتّی تكون بدعة، والرّأفة اشدّ الرّحمة اورقّها اومايظهر اثره فی الظّاهر، والرّحمة ما لايظهر اثره فی الظّاهر اوبالعكس، والرّهبانية والرّهبة مصدرا الرّاهب واحد رهبان النّصاری الّذين كانوا ينقطعون عن النّاس ويلبسون المسوح ويتعبّدون فی الجبال وفی الخلوات [مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ] ای ما القيناها فی قلوبهم [إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ] ای الّا لابتغاء رضوان الله اوفی حال ابتغاء رضوان الله فانّه لايجوز ان يكون مفعولاً له لكتبنا او المعنی انّهم ابتدعوها و ما فرضناها عليهم اصلاً ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فيكون الاستثناء

منقطعاً و لكن قوله تعالى [فَمٰا رَعَوْهٰا حَقَّ رِعٰايَتِهٰا] يؤيّد المعنى الاوّل بان جعلوها بأهوية انفسهم اوما عملوا بمقتضاها، اوماقصدوا بها رضوان الله، اومانتهوا بها الى خليفة الله المؤسّس لآداب السّلوك الى الله ونسب الى النّبيّ (ص) انّه قال لتكذيبهم بمحمّد (ص) [فَاٰتَيْنَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بمحمّد (ص) [مِنْهُمْ اَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ] عن اتّباع وليّ الامر و خليفة الله ، روى عن رسول الله (ص) انّه قال : اختلف من كان قبلكم على ثنتين و سبعين فرقة نجامنهما ثنتان وهلك سائرهن فرقة قاتل الملوك على دين عيسى (ع) فقتلوهم، وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيّهم يدعونهم الى دين الله تعالى ودين عيسى (ع) فساحوا فى البلاد و ترهّبوا وهم الّذين قال الله عزّوجلّ : و رهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها ثمّ قال : من آمن بى و صدّقنى واتّبعنى فقد رعاها حقّ رعايتها ، و من لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ما مدح المؤمنين من اهل الكتاب وذمّ الّذين بقوا على صورة ملّتهم ولم يؤمنوا بمحمّد (ص) بقوله : و كثير منهم فاسقون نادى مطلق من آمن بمحمّد (ص) بالبيعة العامّة النّبويّة ، اونادى المؤمنين بمحمّد (ص) من اهل الكتاب بالبيعة العامّة و قال : لوكان يكفى للنّجاة الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة وقبول الملّة لكان يكفى اهل الكتاب قبول ملّتهم ولم يكونوا يسمّون فاسقين فلاتقفوا انتم ايّها المؤمنون على صورة ملّة محمّد (ص) ولاتكتفوا بالبيعة العامّة بل [اتَّقُوا اللّٰهَ] فى جميع اوامره ونواهيه او اتّقوا الله فى مخالفة الرّسول (ص) ومخالفة قوله فى عليّ (ع) [وَاٰمِنُوا بِرَسُولِهِ] بالايمان الحقيقىّ الّذى يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة [يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ] نصيبين [مِنْ رَحْمَتِهِ] نصيباً على قبول الرّسالة ونصيباً على قبول الولاية، و بعبارة اخرى نصيباً على البيعة العامّة ونصيباً على البيعة الخاصّة ، و بعبارة اخرى نصيباً على الاسلام ونصيباً على الايمان ، و بعبارة اخرى نصيباً فى مقام النّفس الانسانيّة ونصيباً فى مقام القلب، و بعبارة اخرى نصيباً من جنّات النّعيم و نصيباً من جنّة الرّضوان ، و بعبارة اخرى نصيباً للقوّة العمّالة ونصيباً للقوّة العلّامة [وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ] والمقصود من النّور هو صورة وليّ الامر الّذى يدخل بالبيعة الخاصّة فى قلب البائع المعبّر عنه بالايمان الدّاخل فى القلب واذا خرج تلك الصّورة من حجب الاهواء والتّعلّقات ظهر نورها بحيث كان الانسان يستغنى من نور الشّمس واشرقت الارض بنور ربّها اشارة الى ظهور تلك الصّورة ومعرفة عليّ (ع) بالنّورانيّة الّتى هى معرفة الله ، وليست الّا للمؤمن الممتحن قلبه للايمان عبارة عن ظهور هذه الصّورة ، واذا خلعت تلك الصّورة من حجب النّفس وتعلّقاتها استغنى صاحبها من كلّ ماسواها وكانت تلك الصّورة قرينة للنّصر ونزول الملائكة ، وظهور تلك الصّورة هى نزول السّكينة ولذلك قال: نوراً تمشون به فى النّاس فانّ تلك الصّورة هى الفعليّة الاخيرة للانسان وجميع افعال الشّيء تكون بفعليّته الاخيرة فيجعل الله بتلك البيعة نوراً مختفياً اوظاهراً يكون جميع حركاته ومكناته وعباداته و مكاسبه بذلك النّور [وَيَغْفِرْ لَكُمْ] بذلك النّور فانّ هذا النّور هو باعث غفران الله، فانّ الله يستحيى ان يعذّب امّة دانت بامامة امام عادل من الله و ان كانت الامّة فى اعمالها فجرة [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] سجيّته المغفرة سواء كان لها باعث اولم يكن، فمن كان له مادّة المغفرة الّتى هى الولاية كان مغفوراً لامحالة [رَحِيمٌ] سجيّته الرّحمة سواء كان لها باعث اولم يكن، وقد فسّر النّور بالامام الّذى يأتمّون به ، وروى عن الصّادق (ع) انّه قال: كفلين من رحمته الحسن (ع) والحسين (ع) و نوراً تمشون به يعنى اماماً يأتمون به، وفى رواية والنّور علىّ (ع) [لِئَلّٰا يَعْلَمَ اَهْلُ الْكِتٰابِ] لا زائدة والمعنى على

ماذكرفى نزول الآية ليعلم اهل الكتاب اى اليهود والنّصارى [أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ] قيل فى نزوله : انّ رسول الله(ص) بعث جعفراً فى سبعين راكباً الى النّجاشىّ يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به، فلمّا كان عند انصرافه قال ناس ممّن آمن به من اهل مملكته وهم اربعون رجلاً : ائذن لنا فنأتى هذا النّبى فنسلّم به فقدموا مع جعفرٍ فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله(ص) وقالوا : يا نبىّ الله انّ لنا اموالاً ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فانزل الله فيهم: الّذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (الى قوله) ومما رزقناهم ينفقون فلمّا سمع اهل الكتاب ممّن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا : يا معاشر المسلمين امّا من آمن منّا بكتابكم وكتابنا فله اجران ، ومن آمن منّا بكتابنا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا ؟- فنزل قوله تعالى: يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله (الآية) فجعل لهم اجرين وزادهم النّور والمغفرة يعنى جعلنا لمن آمن بمحمّد(ص) واتّقى اجرين، ليعلم اهل الكتاب انّهم لا يقدرون على شيءٍ من فضل الله [وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] ولكن نقول على ما ذكر من الفرق بين الاسلام والايمان والملّة والدّين وانّ المراد بقوله : يا ايّها الّذين آمنوا يا ايّها الّذين اسلموا بقبول الدّعوة الظّاهرة والبيعة العامّة وانّ قوله آمنوا امر بالايمان الحقيقىّ وقبول الدّعوة الباطنة بالبيعة الخاصّة الولويّة يجوز ان يراد باهل الكتاب اهل الملّة سواء كان بنحو النّحلة او بقبول الرّسالة بالبيعة العامّة وسواء كانوا اهل ملّة محمّد(ص) او اهل سائر الملل وان لايكون لافى قوله لئلّا يعلم اهل الكتاب زائدة ، ويكون تعليلاً للقول المستفاد من قوله: آمنوا برسوله بالبيعة الخاصّة يعنى قلنا آمنوا برسوله بقبول الدّعوة الباطنة لانّ القائلين بالبيعة الاسلاميّة الّذين كانوا اهل كتاب الرّسالة لايعلمون انّهم لايقدرون على شيءٍ من فضل الله بل يظنّون انّهم قادرون على فضل الله الظّاهر من اموال الدّنيا وفضل الله الباطن من درجات الايمان ومقامات الرّسالة والنّبوّة والولاية كما كنّا نسمع من بعضٍ يقول : اذا خلونا اربعين يحصل لنا كثير من المراتب الغيبيّة ، واذا آمنتم بالرّسول (ص) بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبلتم الولاية ظهر لكم قصوركم وانّكم لاتقدرون على شيءٍ من فضل الله وبذلك تتدرّجون فى نقصان الانانيّة الّتى هى اعظم المعاصى فى الطّريق، واذا لم تعلموا ذلك تتدرّجون فى ازدياد الانانيّة .

[الجزء الثّامن والعشرون]

سورة المجادلة

مدنيّة ؛ احدى وعشرون آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

[قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] نزلت فى امرأةٍ من الانصار اسمها خولة وزوجها اوس بن الصّامت وكانت امرأة حسن الجسم فأرادها

زوجها فأبت فغضب عليها وقال: انت عليّ كظهر امّي، وكان في الجاهليّة اذا قال الرّجل لاهله: انت عليّ كظهر امّي، حرمت عليه آخر الابد، فندم الرّجل وقال لامرأته قد اتانا الاسلام فاذهبي الى رسول الله (ص) فاسأليه فأتت الى رسول الله (ص) فقالت: بابي أنت وامّي انّ اوس بن الصّامت هو زوجي و ابو ولدي وابن عمّي فقال لي: انت عليّ كظهر امّي، وانّا نحرّم ذلك في الجاهليّة، وقد اتانا الله بالاسلام بكّ فقال لها رسول الله (ص): ايّتها المرأة ما اراك الّا احرّمت عليه، فأعادت عليه قوله الاوّل، فقال (ص): ما اراك الا احرّمت عليه ولم اومر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله (ص) وكلّما قال لها رسول الله (ص)، حرّمت عليه هتفت وقالت: اشكو الى الله فاقتي وحاجتي وشدّة حالي، اللّهمّ فأنزل على لسان نبيّك وكان هذا اوّل ظهار في الاسلام فنزل عليه الآيات فقال: ادعي زوجك، فدعته، فتلا عليه رسول الله (ص) هذه الآيات (الى قوله) وللكافرين عذاب اليم [اَلَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسٰائِهِمْ مٰا هُنَّ اُمَّهٰاتِهِمْ اِنْ اُمَّهٰاتُهُمْ اِلَّا اللّٰاتِي وَلَدْنَهُمْ وَاِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَاِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ] يعفو عنهم ويغفر لهم اذا تابوا [وَالَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمٰاسّٰا] ظاهر الآية انّ من ظاهر فليس عليه شيء ان لم يكرّر القول، اوليس عليه شيء في المرتبة الاولى فاذا عاد وظاهر ثانيا فعليه الكفّارة المذكورة، وروى عن امير المؤمنين (ع) انّه قال: انّ الله عفى عن المظاهر الاوّل وغفر له بدون الكفّارة، فان عاد احد بعد المظاهر الاوّل فعليه الكفّارة، وقيل: معنى يعودون لما قالوا يعودون عمّا قالوا فانّه يستعمل يعود فيما قال والى ما قال ولما قال بمعنى يعود عمّا قال، وقيل: يعودون الى نسائهم، وقوله تعالى، لما قالوا، ابتداء كلام والمعنى فتحرير رقبة لما قالوا [ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ] يعني ذلكم التّحرير توعظون به لكي ترتدعوا من مثله [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ] يكفي في صدق تتابع الشّهرين اتّصال شيء من الشّهر الثّاني بالشّهر الاوّل [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمٰاسّٰا] بالمجامعة او مطلقا [فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعٰامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا] بقدر شبعهم او اعطاء كلّ مسكين مدّا من الطّعام [ذٰلِكَ] المذكور من عدم الحرمة ابدا بالظّهار كما كانت في الجاهليّة وجواز الرّجوع الى النّساء بعد الظّهار والتّرتيب في خصال الكفّارة [لِتُؤْمِنُوا] اي لترغبوا في شريعة محمّد (ص) ولا تنفروا عنها لما ترون فيها من التّخفيف وتؤمنوا [بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ] حدود حماه لا يجوز التّجاوز عنها [وَلِلْكٰافِرِينَ] بالله و رسوله (ص) او للكافرين بتلك الحدود [عَذٰابٌ اَلِيمٌ اِنَّ الَّذِينَ يُحٰادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] حادّه غاضبه وعادّه وخالفه [كُبِتُوا] كبته صرعه واخزاه وصرفه وكسره وردّه بغيظه واذلّه والمكتبت الممتلئ غما [كَمٰا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] الّذين حادّوا الله و رسوله من قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم (ع) [وَقَدْ اَنْزَلْنٰا] عليهم اوعليكم [اٰيٰاتٍ] دالّات على قدرتنا وحكمتنا، او دالّات على صدقنا في وعدنا ووعيدنا، اودالّات على صدق رسولنا [بَيِّنٰاتٍ] واضحات اوموضحات وهي الآيات التّدوينيّة اوالآيات الآفاقيّة والانفسيّة [وَلِلْكٰافِرِينَ] بتلك الآيات او بالله و رسوله (ص) [عَذٰابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ] ظرف لمهين، اولقوله للكافرين، اولقوله احصاه الله [جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا اَحْصٰيهُ اللّٰهُ] رفع لتوهّم متوهّم انّ العاملين لا يحصون اعمال انفسهم فكيف يحصي الله اعمال الجميع [وَنَسُوهُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] تعميم

وتعليل ٌ [اَلَمْ تَرَ] خطاب لمحمّدٍ (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب، وان كان خطاباً لمحمّدٍ (ص) فالمعنى لا ينبغي لكَ الاستغراب عن كونه على كلّ شيءٍ شهيداً لانّكَ ترى و تنظر الى آثار احاطة علمه تعالى بما في السّماوات وما في الارض ، وان كان الخطاب عامّاً فالمعنى لا ينبغي الاستغراب لظهور آثار احاطة علمه تعالى و ينبغي ان يراها كلّ راءٍ لظهورها [اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْاَرْضِ مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوٰى ثَلٰثَةٍ] نجوى جمع نجيّ او مصدر نجاه بمعنى سارّه، اواسم مصدرٍ بمعنى السّرّ، وعلى الاوّل جاز ان يكون مضافاً الى ثلثة وان يكون ثلثة بدلاً منه ومعنى النّجوى المصدريّ المسارّة بين اثنين او اكثر لكنّه يطلق على حديث النّفس وخطرات القلوب والرّؤيا الصّادقة والاحلام الكاذبة لانّها مسارّة الشّيطان او الملك مع الانسان ، و قد يطلق على مطلق المحاورة [اِلّٰا هُوَ رٰابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ اِلّٰا هُوَ سٰادِسُهُمْ] اختيار المتناجين اى المتسارّين لانّ المتناجين يكونون بحال لا يطّلع على نجواهم غيرهم فيكون الاطّلاع عليهم ابلغ في الدّلالة على الاطّلاع على خفيّات الامور، واختيار الثّلاثة والخمسة من بين مراتب العدد لانّ العدد الوتر اشرف مراتب العدد، الاترى انّه تعالى قال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ، و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، و يقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولانّ الله و تر يحبّ الوتر ، و اقلّ مراتب العدد الوتر الثّلاثة، واضاف اليها الخمسة ليعلم انّ خصوص مرتبة الثّلاثة ليس مقصوداً، وقيل : كان من انزلت الآية فيهم ثلاثة وخمسة والفرق بين ثالث الثّلاثة و رابع الثّلاثة انّ ثالث الثّلاثة يكون واحداً من الثّلاثة مقابلاً للآخرين متمّماً عددهم ولذا قال تعالى : لقد كفر الّذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة وامّا رابع الثّلاثة فهو الّذى يجعل الثّلاثة اربعة سواء كان من جنسهم وفي عدادهم او لم يكن ، وسواء جعل الثّلاثة اربعة بنفسه او بغيره فهذه العبارة لا تستلزم التّحدّد وكونه تعالى ثانياً لغيره وغير ذلك ممّا ينا في الوجوب كالعبارة الاولى فانّه تعالى يجعل كلّ ثلاثة اربعة بان يوكّل عليهم واحداً من وكلائه اواكثر، وايضاً يجعل الثّلاثة اربعة بان يكون هو بنفسه مقوّماً للثّلاثة ومعهم لا معيّة الاثنين من الانسان بل معيّة قيّوميّة لا ينفكّ شيءٌ من الاشياء عنها منفرداً كان اومنضمّاً الى واحد اواكثر وهذا المعنى لا يلزم شيئاً من لوازم الامكان ولذلك لم يكتف بهذا وقال [وَلَا اَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ] العدد [وَلَا اَكْثَرَ اِلّٰا هُوَ مَعَهُمْ اَيْنَ مٰا كٰانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] تعليل و تأكيد و نتيجة للسّابق و نزول الآية كما روى عن الصّادق (ع) في ابى عبيدة الجرّاح وعبدالرّحمن بن عوفٍ وسالمٍ مولى ابى حذيفة والمغيرة بن شعبة وعدّة اخر حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتواثقوا لئن مضى محمّدٌ (ص) لا يكون الخلافة في بني هاشم ولا النّبوّة ابداً [اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوٰى] اى المسارّة اوالمحاورة [ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنٰاجَوْنَ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوٰانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ] يعني يتناجون بغضب حقّ آل محمّد (ص) ومعاداتهم ومخالفة قول الرّسول (ص) فيهم، و بعبارة اخرى يتناجون بما فيه قوّة القوّة البهيميّة الشّهويّة، وقوّة القوّة الغضبيّة السّبعيّة، وقوّة القوّة الجهليّة الشّيطانيّة [وَاِذٰا جٰاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمٰا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ] اظهاراً لحبّهم لكَ بالتّحيّات العالية سرّاً لنفاقهم عنكَ وعن المؤمنين [وَيَقُولُونَ فِي اَنْفُسِهِمْ] من غير تلفّظٍ او فيما بينهم من غير اطّلاع الغير عليهم [لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ] لانّهم قبلوا الاسلام وصدّقوا محمّداً (ص) في اكثر ما قاله من امر الآخرة ولم يصدّقوه في خلافة علىّ (ع) [حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ] قيل : نزلت قوله : الم تر الى الّذين نهوا عن النّجوى

(الآيات) فى اليهود والمنافقين انّهم كانوا يتناجون فيمابينهم دون المؤمنين و ينظرون الى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم فاذا رأى المؤمنون نجويهم قالوا: ما نريهم الّا وقد بلغهم عن اقربائنا واخواننا الّذين خرجوا فى السّرايا قتلٌ اومصيبةٌ اوهزيمةٌ، فيحزنهم ذلك فلمّا طال ذلك شكوا الى رسول الله (ص) فأمرهم ان لايتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم ، لكن نقول: ان كان نزولها فى اليهود فالمقصود منها منافقوا الامّة الّذين كانوا يتناجون فى ردّ قول محمّدٍ (ص) فى علىٍّ (ع) ، وقيل : نزلت قوله : واذا جاؤك حيّوك (الى آخر الآية) فى اليهود فانّهم كانوا يأتون النّبىّ (ص) فيقولون: السّام عليك، والسّام الموت وهم يوهمون انّهم يقولون: السّلام عليك وكان النّبىّ (ص) يردّ عليهم بقوله : وعليكم فان كان النّزول فيهم فالمقصود منها المنافقون كما ذكرنا واشار الصّادق (ع) فى الحديث السّابق [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ماذمّ النّجوى مطلقاً وذمّ المتناجين بالاثم والعدوان ومعصية الرّسول (ص) نادى المؤمنين ونهاهم عن النّجوى بمافيه قوّة القوى الثّلاث ، فانّ الانسان اذا اجتمع مع غيره قوى فيه الشّأن الّذى هو عليه فنهاهم عن ذلك حتّى يتنبّهوا ، واذا كانوا على تلك الشّؤن ارتدعوا عنها فقال [اِذٰا تَنٰاجَيْتُمْ فَلٰا تَتَنٰاجَوْا بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوٰانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ] يعنى راقبوا احوالكم فان تروا قوّة الميل منكم الى ذلك فاعلموا انّكم بعد فى شأن البهيمة اوالسّبع او الشّيطان فعالجوا انفسكم بدفع تلك القوّة عنكم [وَتَنٰاجَوْا بِالْبِرِّ] الّذى هو لازم قوّتكم العاقلة [وَالتَّقْوىٰ] من القوى الثّلاث يعنى قوّوا بالاجتماع قوّتكم العاقلة وضعّفوا قواكم الثّلاث [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] اى سخط الله فى تقوية القوى الثّلاث [الَّذِى اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] توصيف للتّعليل [اِنَّمَا النَّجْوىٰ مِنَ الشَّيْطٰانِ] اى مطلق التّناجى بان حكم على الجنس بحكم اكثر الافراد واللّام للتّعريف يعنى النّجوى المذكورة وهى النّجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرّسول (ص) ، اوهى نجوى فاطمة سلام الله عليها ورؤياها كما سنذكر فى نزول الآية ان شاء الله [لِيَحْزُنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَلَيْسَ] اى الشّيطان اوالتّناجى [بِضٰارِّهِمْ شَيْئًا اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] ولايحزنوا بنجوى المنافقين، او بنجوى اليهود، او بالاحلام والرّؤيا الّتى يرونها و يحزنون بها ، وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولكنّ الله يفعل مايريد مايبيّن به عدم اضرار الشّيطان الّا باذن الله ، وفسّر النّجوى ههنا بالرّؤيا الكريهة روى عن النّبىّ (ص) انّه قال : اذا كنتم ثلاثةً فلايتناج اثنان دون صاحبهما فانّ ذلك يحزنه ، وعن الصّادق (ع) انّه كان سبب نزول هذه الآية انّ فاطمة (ع) رأت فى منامها انّ رسول الله (ص) همّ ان يخرج هو وفاطمة (ع) وعلىّ (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) من المدينة فخرجوا حتّى جاز وامن حيطان المدينة فعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله (ص) ذات اليمين حتّى انتهى الى موضعٍ فيه نخلٌ وماءٌ، فاشترى رسول الله (ص) شاة درّاء وهى الّتى فى احدى اذنيها نقط بيض فامر بذبحها، فلمّا اكلوا ماتوا فى مكانهم، فانتبهت فاطمة (ع) باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله (ص) بذلك فلمّا اصبحت جاء رسول الله (ص) بحمار فاركب عليه فاطمة (ع) وامر ان يخرج امير المؤمنين (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) من المدينة كما رأت فاطمة (ع) فى نومها، فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض لهم طريقان فأخذ رسول الله (ص) ذات اليمين كما رأت فاطمة (ع) حتّى انتهوا الى موضعٍ فيه نخل وماء ، فاشترى رسول الله (ص) شاةً درّاء كما رأت فاطمة (ع) فأمر بذبحها فذبحت وشويت ، فلمّا ارادوا اكلها قامت فاطمة (ع) وتنحّت ناحيةً منهم تبكى مخافة ان يموتوا، فطلبها رسول الله (ص) حتّى وقع عليها وهى تبكى فقال: ما شأنك يابنيّة ؟ـ قالت : يارسول الله (ص) رأيت البارحة كذا وكذا فى نومى وقد فعلت انت كما رأيته فتنحّيت عنكم لئلّا اراكم تموتون فقام رسول الله (ص) فصلّى ركعتين ثمّ ناجى ربّه فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد (ص) هذا شيطانٌ يقال له الزّها وهو الّذى ارى فاطمة (ع)

هذه الرّؤيا و يؤذى المؤمنين فى نومهم مايغتمّون به، فأمر جبرئيل فجاء به الى رسول الله (ص) فقال له: انت الّذى اريت فاطمة (ع) هذه الرّؤيا ؟ـ فقال: نعم يامحمّد (ص)، فبزق عليه ثلاث بزقات قبيحة فى ثلاث مواضع ثمّ قال جبرئيل لمحمّد (ص): يامحمّد اذارأيت شيئاً فى منامك تكرهه اورأى احد من المؤمنين فليقل: اعوذ بماعاذت به ملائكة الله المقرّبون وانبياء الله المرسلون وعباده الصّالحون من شرّ مارأيت من رؤياى، و يقرء الحمد والمعوّذتين وقل هو الله احد و يتفل عن يساره ثلاث تفلات فانّه لايضرّه مارأى؛ فأنزل الله عزّوجلّ على رسوله (ص): انّما النّجوى من الشّيطان (الآية)، وعنه (ص): اذأرى الرّجل منكم مايكره فى منامه فليتحوّل عن شقّه الّذى كان عليه نائماً وليقل: انّما النّجوى من الشّيطان ليحزن الّذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً الّا باذن الله ثمّ ليقل: عذت بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون وانبياؤه المرسلون وعباده الصّالحون من شرّ مارأيت ومن شرّ الشّيطان الرّجيم، والمقصود من جميع تلك الآيات منافقوا الامّة و ان كان النّزول فى غيرهم [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] لمّا اراد ان يأمرهم بادب من الآداب الّتى يكرهونها ناداهم تلطّفاً بهم وجبراناً لكلفة التّأدّب بمايكرهون [اِذٰا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ] الفسحة بالضّمّ السّعة، فسح المكان ككرم وافسح وتفسّح وانفسح فهو فسيح وفسح له كمنع وتفسّح وسّع له [وَاِذٰا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا] نشز من باب نصر وضرب ارتفع فى مكان و قرئ بهما، قيل: كانوا يتنافسون فى مجلس النّبىّ (ص) حتّى جاء جمع من البدريّين وكان النّبىّ (ص) مكرماً لهم فقاموا بين يدى النّبىّ (ص) ولم يكن لهم مجلس يجلسون فيه فقال النّبىّ (ص): يافلان، يافلان، يافلان، قوموا فقاموا، وكان ذلك شاقّاً على بعض فنزلت يعنى اذا قيل لكم تفسّحوا فى المجالس يعنى لايضمّ بعضكم ببعض حتّى تتأذوا من حرارة الهواء وحرارة الانضمام، واذا قيل: وسّعوا فى المجالس بان تخلّوا لمن يأتى بعدكم مجلساً بان يضمّ بعضكم ببعض حتّى يخلّى مجلس للآتى، او يقوم بعض عن مجلسه بعد زيارته للرّسول (ص) وقضاء وطره حتّى يجلس فى مجلسه من يأتى بعده فافسحوا، وذكر الغاية المترتّبة على الامتثال تطييباً لنفوسهم فقال: يفسح الله لكم ولم يقيّده بالمجالس ايهاماً للتّعميم يعنى يفسح الله لكم فى المجالس والارزاق والصّدور فى الدّنيا والآخرة، واذا قيل: ارتفعوا وقوموا عن مجالسكم فقوموا ولاتغتمّوا بذلك [يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ] فى الدّنيا بحسن الصّيت و الاعزاز من الخلق والتّبسّط عليهم و فى الآخرة فى درجات الجنان [وَالَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ] خصّص المؤمنين برفع الدّرجات لانّ غير المؤمنين لادرجة ولارفع درجة لهم لانّ اجر العمل مشروط بالايمان، وخصّص العلماء من بينهم بالذّكر لشرفهم وعلوّ درجاتهم بالنّسبة الى المؤمنين، فانّ فضل العالم على سائر النّاس كفضل النّبىّ (ص) على سائر الخلق او كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، والشّفعاء يوم القيامة ثلاثة؛ الانبياء (ع) ثمّ العلماء ثمّ الشّهداء، ويوزن دماء الشّهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشّهداء [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ] من امتثال اوامره ونواهيه ومخالفتهما [خَبِيرٌ] ترغيبٌ وتهديدٌ [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذٰا نٰاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَةً] لمّا كان هذا الادب مكروهاً لاكثر النّفوس صدّره بالنّداء.

اعلم، انّ المناجاة ههنا اعمّ من المسارّة و المحاورة و المسائلة الجهريّة و انّ المتحاورين اذا لم يكونا متناسبين لم تكن المحاورة بينهما مؤثّرة فى جانب الآخرة ولا مورثة للتّوافق ولا لنجح المسؤل فانّ المحاورة مع الرّسول (ص) من حيث انّه رسول لاتكون الّا فى امور الآخرة و ينبغى ان تكون مقرّبة اليها، واذا لم تكن بين المناجى والرّسول (ص)

مناسبة لم تكن مناجاته مؤثّرة ولا مقرّبة الى الآخرة بل كانت مؤثّرة فى عكس المراد ومبعّدة من الآخرة والرّسول (ص) لانّه كما فى الخبر لا يجلس اثنان الّا و يقومان بزيادة اونقيصة ؛ الم يكن ابوجهل يحاور كثيراً الرّسول (ص) ولم تكن محاورته مؤثّرة بل كانت مبعّدة، فالرّبّ تعالى بكمال رأفته امر العباد بتقديم الصّدقة الّتى هى كناية عن كسر الانانيّة الّتى هى ضدّ للرّسول (ص) ومشاقة له حتّى يوافق المناجى له بعض الموافقة فيتأثّر من محاورته على انّ فى التّصدّق بأمر الله تعالى نفعاً للفقراء و مسّاً ليد الرّسول (ص) وتعظيماً له وامتثالاً لامر الله تعالى وكسر الانانيّة الّتى هى شبكة الشّيطان واعظم معصية للانسان وتمييزاً للمخلص عن غيره ، روى عن علىّ (ع) انّه قال فى كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى، آية النّجوى انّه كان لى دينار فبعته بعشرة دراهم فجعلت اقدّم بين يدى كلّ نجوى اناجيها النّبىّ (ص) درهماً قال: فنسخها قوله ااشفقتم (الى قوله) خبير بما تعملون [ذٰلِكَ] التّصدّق اوالتّناجى [خَيْرٌ لَكُمْ] لانّه ادخل فى النّجح وفى التّأثّر بمحاورة الرّسول (ص) [وَأَطْهَرُ] لانفسكم من رجس الانانيّة وحبّ المال والرّغبة فى الدّنيا [فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا] صدقة تقدّموها امام نجويكم فلا يضرّكم عدم التّقديم [فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر بفضله رجس انانيّاتكم وان لم تتصدّقوا صدقة فيها كسرها [رَحِيمٌ] برحمكم بنجح مسؤلكم وتأثّركم بمحاورة الرّسول (ص) بدون التّصدّق [ءَأَشْفَقْتُمْ] على ما فى ايديكم ومن الفقر والحاجة [أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوٰيكُمْ صَدَقَاتٍ] جمع الصّدقات ههنا لملاحظة جمع المناجين ، اولاشارة الى انّ فى الصّدقة الصّوريّة كسراً للانانيّة وهو صدقة من الانانيّة ، وخشوعاً للقلب وهو تصدّق من القلب ، وخضوعاً من الجسد وهو تصدّق منه ، وتوجّهاً من القوى الدّرّاكة الى الرّسول (ص) والى جهة الآخرة ، وامتثالاً لامر الله وحركات من القوى العمّالة فى جهة الآخرة وهى تصدّقات منها [فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا] تقديم الصّدقات [وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ] بان رخّص لكم فى تركه ، عن امير المؤمنين (ع) فى هذه الآية فهل تكون التّوبة الّا عن ذنب [فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ] جبراناً لتقصير ترك الصّدقة امام المناجاة فانّ الحسنات يذهبن السّيّئات فانّ فى الصّلوة توجّهاً الى الآخرة نحو التّوجّه فى التّصدّق ، وفى الزّكوة كسراً للانانيّة مثل ما فى التّصدّق امام المناجاة [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فى سائر ما أمراكم به ونهياكم عنه [وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] ترغيبٌ فى الامتثال و تهديدٌ من تركه [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] قيل المراد منهم قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود و يفشون اليهم اسرار المؤمنين و يجتمعون معهم على ذكر مساءة النّبىّ (ص) والمؤمنين [مَا هُمْ مِنْكُمْ] لعدم ايمانهم باطناً [وَلَا مِنْهُمْ] لاقرارهم اللّسانىّ بالاسلام [وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ] اى على عدم مجالستهم لهؤلاء القوم ، اوعدم استماعهم الى ازدراء المؤمنين ، اوعلى قصد تقوية الدّين والكلّ كذب منهم [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّهم يحلفون على الكذب [أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً] معنويّة لدفع لوم المسلمين و حفظ عرضهم و مالهم من المسلمين بصورة الاسلام و من الكفّار بالمسلمين [فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] بصدّ قويهم عن طريق القلب و بتشكيك الضّعفاء من المسلمين ومنع الرّاغبين فى الاسلام من الكافرين ، او يتّخذ الغاصبون بحقّ آل محمّد (ص) ايمانهم عند المسلمين جنّة يدفعون بها ظنّ المسلمين بهم النّفاق و يدفعون بها لوم اللّائمين لهم على الانحراف ، فيصدّون خلقاً كثيراً عن سبيل الله الّذى هو الولاية وهو امير المؤمنين (ع)، وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة يعنى اتّخذوا صورة اسلامهم جنّة يدفعون بها لوم المسلمين ومعارضتهم ومقاتلتهم معهم و يدفعون بها معارضة الكفّار ومقاتلتهم معهم [فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ]

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوٰالُهُمْ وَلَا اَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا] من الاغناء او من عذاب الله [أُولٰئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا] ظرف لقوله تعالى لن تغنى اوليحلفون ، على ان يكون الفاء زائدة او بتقدير امّا اوتوهّمها [فَيَحْلِفُونَ لَهُ] اى لله فى القيامة [كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ] فى الدّنيا [وَيَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ عَلٰى شَيْءٍ] حيث يقولون انّما اردنا بذلك تقوية الدّين ونشر سنّة سيّد المرسلين (ص) و يحلفون لله ظنّاً منهم انّ هذا منهم كان حقّاً وانّ الله يقبل منهم بحلفهم [اَلٰا اِنَّهُمْ هُمُ الْكٰاذِبُونَ] البالغون فى الكذب لانّ كذبهم مثل جهلهم مركّب لاعلاج له لانّهم اعتقدوا انّهم صادقون فلايمكن ارتداعهم من كذبهم .

اعلم ، انّ كلّ من اتّصف بصفة وطلب امراً يعتقد انّ اتّصافه بتلك الصّفة محمود مرضىّ لله وطلبه لذلك الامر المطلوب مرضىّ الّا من شذّ كما انّ علماء العامّة الّذين ارادوا اصلاح الدّين وحفظه بالقياس والرّأى والظّنّ والاستحسان الّتى ابتدعوها وليس هذا الّا هدم الدّين وصدّ العباد عن الائمّة (ع) والعلماء يحسبون انّهم مهتدون وانّهم مصلحون للدّين وللعباد ، وانّ للمصيب منهم اجرين وللمخطى اجراً واحداً بل قال المصوّبة منهم ان لاخطاء فى آرائهم وانّ حكم الله تابع لآرائهم وهكذا كان الحال فيهم الى يومنا هذا [اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰانُ] استولى وغلب عليهم بحيث تمكّن منهم [فَاَنْسٰيهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ] الفطرىّ او الاختيارىّ [أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰانِ اَلٰا اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰانِ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] لاتلافهم بضاعتهم الّتى هى فطرتهم الانسانيّة ومدّة اعمارهم الشّريفة واخذ العذاب المؤبّد عوضها وعوض النّعيم الابدىّ الّذى كان مقرّراً لفطرتهم وعوضاً لاعمارهم ، وقيل فى قوله يوم يبعثهم الله اذا كان يوم القيامة جمع الله الّذين غصبوا آل محمّد (ص) حقّهم فيعرض عليهم اعمالهم فيحلفون له انّهم لم يعملوا منها شيئاً كما حلفوا لرسول الله (ص) فى الدّنيا حين حلفوا ان لايردّوا الولاية فى بنى هاشم ، وحين همّوا بقتل رسول الله (ص) فى العقبة فلمّا اطلع الله نبيّه (ص) واخبره حلفوا له انّهم لم يقولوا ذلك ولم يهمّوا به حين انزل الله على رسوله (ص) يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وهمّوا بما لم ينالوا) ومانقموا الّا ان اغناهم الله ورسوله (ص) من فضله فاذا عرض الله عزّوجلّ ذلك عليهم فى القيامة ينكرونه و يحلفون له كما حلفوا لرسول الله (ص) [اِنَّ الَّذِينَ يُحٰادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] يغاضبونه او يناهضونه فى الحرب او يخالفونه [أُولٰئِكَ فِى الْاَذَلِّينَ] فى جملة من هو اذلّ الخلق [كَتَبَ اللّٰهُ] تعليل للسّابق [لَاَغْلِبَنَّ] لمّا اجرى كتب مجرى القسم فى الاتيان به للتّأكيد أتى له بجواب مثل جواب القسم [اَنَا وَرُسُلِى] فى الدّنيا بالحجّة والدّين وعلى جنود الشّياطين الّذين كانوا فى مملكتهم وان صاروا مغلوبين بحسب اجسامهم بعض الاحيان [اِنَّ اللّٰهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ] تعليل للسّابق [لٰا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حٰادَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كٰانُوا اٰبٰاءَهُمْ اَوْ اَبْنٰاءَهُمْ اَوْ اِخْوٰانَهُمْ اَوْ عَشِيرَتَهُمْ] وذلك لانّ نسبة الايمان الى صاحب الايمان اذا ظهرت وقويت غلبت على النّسب الجسمانيّة لانّ الانسان بالبيعة الخاصّة الولويّة ودخول الايمان والصّورة الولويّة فى قلبه بالبيعة يصير فعليّته الاخيرة هى فعليّة الايمان و يكون الحكم لتلك الفعليّة لا للفعليّات السّابقة الّتى هى كالمادّة و يكون محبّته ناشئة عن تلك الفعليّة ، وتلك الفعليّة مضادّة لمن حادّ الله و رسوله فلايصير محبّته النّاشئة عن صورة ولىّ الامر متعلّقة بمن ضادّ تلك الفعليّة [أُولٰئِكَ كَتَبَ] اى كتب الله ، وقرى كتب مبنيّاً للمفعول اى ثبت ورسخ [فِى قُلُوبِهِمُ الْاِيمٰانَ] وهو الصّورة الدّاخلة فى قلوبهم من ولىّ امرهم [وَاَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ] المقصود من الرّوح هو ربّ النّوع الانسانىّ وتأييده بالرّوح بان يوكّل عليه ملكاً من جنود هذه الرّوح يؤيّده و يسدّده به

فانّ لقلب المؤمن اذنين اذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس واذن ينفث فيها الملك الموكّل عليه من قبل ربّ النّوع، وعن الكاظم (ع) انّ الله تبارك وتعالى ايّد المؤمن بروح منه فتحضره في كلّ وقت يحسن فيه وتبقى وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدى فهي معه تهتزّ سروراً عند احسانه وتسيخ[1] في الثّرى عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاح انفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءً هم بخير فعمله وهمّ بشرّ فارتدع عنه، ثمّ قال: نحن نؤيّد بالرّوح بالطّاعة لله والعمل له هذا في الدّنيا [وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات في آخر سورة آل عمران [خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ].

اعلم، انّ انفحة الولاية الّتي تدخل قلوب المؤمنين كما انّها سبب انعقاد القلب على الايمان تكون مادّة رضوان الله عن عباده كما قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً، ولمّا كان قبول الولاية بالبيعة الخاصّة مادّة لرضوان الله لم يقدّم رضا العباد على رضاه كما قدّم ما للعباد في سائر الاوصاف على صفته مثل اذكروني اذكركم، واوفوا بعهدي اوف بعهدكم ولئن شكرتم لازيدنّكم [أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

اعلم، انّ الانسان ان دخل الايمان الّذي هو صورة وليّ امره في قلبه بالبيعة مع وليّ امره والتّوبة على يده صار فعليّته الاخيرة فعليّة وليّ امره ووليّ امره من جند الله فيصير البائع بتلك البيعة بواسطة تلك الفعليّة من جند الله، وينصر بوجوده وجنود مملكته ولسان قاله وحاله دين الله، ويقاتل بفطرته وباختياره مع جنود الشّيطان ويدعو عباد الله بوجوده ولسان حاله وقاله الى الله، ومن تمكّن في الجهل واتّباع الشّيطان صار من حزب الشّيطان وكان للشّيطان مثل من كان من حزب الله، ومن لم يدخل الايمان في قلبه ولم يتمكّن في اتّباع الشّيطان لايحكم عليه بشيء من كونه من جنود الرّحمن والشّيطان كما لايحكم عليه بالنّقمة والنّعمة بل كان مرجئ لامر الله الى الاعراف امّا يعذّبه وامّا يتوب عليه.

سورة الحشر

مدنيّة، اربع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ] الحشر اخراج جمع من مكان الى آخر والمعنى اخرجهم في اوّل حشر المؤمنين اليهم للقتال، او في اوّل حشرهم من حصونهم للقتال، اولاجل حشرهم الاوّل الى الشّام اوالى خيبر وثاني حشرهم الى القيامة اوالى الشّام، اووقت ظهور القائم (ع) من الشّام، اوفي القيامة من الشّام، اوالمعنى في اوّل حشر وجلاء وقع في زمان الرّسول (ص) وبعده وقع جلاء وحشر لغيرهم على يد الرّسول (ص) [مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ] اى من بأس الله [فَأَتَاهُمُ اللَّهُ] اى أتاهم عذابه او بأسه اوخليفته [مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا] لقوّة وثوقهم واعتمادهم على حصونهم فأتاهم بأس الله في حصونهم، عن القمّيّ سبب ذلك انّه كان بالمدينة ثلاثة ابطن من اليهود، بني النّضير وقريظة وقينقاع وكان بينهم وبين رسول الله (ص) عهد ومدّة فنقضوا

(١) ساخ يسيخ ويسوخ = دخل وغاب و رسخ وخسف.

عهدهم وكان سبب ذلك بني النّضير وذلك انّه اتاهم رسول الله (ص) يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجلٌ من اصحابه غيلةً يعني يستقرض، وكان (ص) قصد كعب بن الاشرف فلمّا دخل على كعبٍ قال: مرحباً يا اباالقاسم واهلاً وقام كأنّه يصنع له الطّعام وحدّث نفسه ان يقتل رسول الله (ص) ويتبع اصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك فرجع رسول الله (ص) الى المدينة وقال لمحمّد بن مسلمة الانصاريّ: اذهب الى بني النّضير فأخبرهم انّ الله تعالى قد أخبرني بما هممتم به من الغدر فامّا ان تخرجوا من بلدنا وامّا ان تأذنوا بحربٍ، فقالوا: نخرج من بلادك فبعث اليهم عبدالله بن أُبيٍّ: الا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب فانّي انصركم انا وقومي وحلفائي، فان خرجتم خرجت معكم وان قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّؤا للقتال وبعثوا الى رسول الله (ص) انّا لا نخرج فاصنع ما انت صانع، فقام رسول الله (ص) وكبّر وكبّر اصحابه وقال لامير المؤمنين (ع): تقدّم الى بني النّضير فأخذ امير المؤمنين (ع) الرّاية وتقدّم وجاء رسول الله (ص) واحاط بحصنهم وغدر بهم عبدالله بن أبيٍّ وكان رسول الله (ص) اذا ظهر بمقدّم بيوتهم حصّنوا مايليهم وخرّبوا مايليه، وكان الرّجل منهم ممّن كان له بيت حسن خرّبه وقد كان رسول الله (ص) امر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمّد (ص) انّ الله يأمرك بالفساد؟! ان كان لك هذا فخذه، وان كان لنا فلا تقطعه، فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يامحمّد (ص) نخرج من بلادك فأعطنا مالنا، فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ماحملت الابل، فلم يقبلوا ذلك، فبقوا اياماً ثمّ قالوا: نخرج ولنا ماحملت الابل، فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل احدٌ منكم شيئاً فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه، فخرجوا على ذلك ووقع قومٌ منهم الى فدك ووادي القرى، وخرج قوم منهم الى الشّام، وقيل: لمّا غزا رسول الله (ص) غزاة بدرٍ قال بنو النّضير: هذا هو النّبيّ الموعود انّه لا تردّ له راية، فلمّا غزا غزاة احدٍ وهزم المسلمون ارتابوا، وكان بينهم وبين محمّدٍ (ص) عهد فنقضوا العهد وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكباً منهم الى مكّة، فأتوا قريشاً وابا سفيان وحالفوا على ان يكون كلمتهم واحدةً على محمّد (ص)، فأخبر الله تعالى رسوله (ص) بذلك، فلمّا ورد كعب بن الاشرف امر الله رسوله (ص) بقتل كعب بن الاشرف فأمر محمّد بن مسلمة وكان اخا كعب من الرّضاعة بقتله فخرج محمّد ومعه اربعة رجال وذهب الى قرب قصره واجلس قومه عند جدارٍ وناداه: يا كعب، فانتبه، وقال: من انت؟ قال: انا محمّد بن مسلمة اخوك، جئتك استقرض منك دراهم فانّ محمّداً (ص) يسألنا الصّدقة وليس معنا الدّراهم فقال: لا اقرضك الّا بالرّهن، قال: معي رهنٌ انزل فخذه، وكانت له امرأة بني بها تلك اللّيلة، فقالت: لا ادعك تنزل لانّي ارى حمرة الدّم في ذلك الصّوت فلم يلتفت اليها فخرج، وعانقه محمّد بن مسلمة وهما يتحادثان حتّى تباعدا من القصر الى الصّحراء، ثمّ أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته وصاحت وسمع بنو النّضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً. ورجع القوم سالمين الى رسول الله (ص)، فأمر رسول الله (ص) بحر بهم. قيل: كان اجلاء بني النّضير مرجع النّبيّ (ص) من أُحدٍ وكان فتح قريظة مرجعه من الاحزاب، وبينهما سنتان. وقيل: كان اجلاء بني النّضير قبل أُحدٍ على رأس ستّة اشهر من وقعة بدر، وقيل: كان ذلك بعد الحديبيّة، واليه اشار المولوىّ قدّس سرّه بقوله:

وقت واگشت حديبيّه رسول	درّ تفكّر بود و غمگين و ملول
ناگهان اندر حق شمع رسل	دولت انّا فتحنا زد دهل
آمدش پيغام از دولت كه رو	تو زمنع اين ظفر غمگين مشو
كاندراين خواري بنقدت فتحهاست	نك فلان قلعه فلان قلعه تراست
بنگر آخر چونكه واگرديد تفت	برقريظه و بر نضير از وى چه رفت

[وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ] كانت بنو النّضير يخربون بيوتهم

بأيديهم ضنّة بها على المسلمين واخراجاً لآلاته النّفيسة وتوسعة للقتال ومجالة مع المسلمين وتحصّناً باطرافها الّتى تليهم بجمع آلات الاطراف الّتى تلى المسلمين فى الاطراف الّتى تليهم [وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ] فانّ المؤمنين ايضاً كانوا يخربون الاطراف الّتى تليهم من بيوتهم لتوسعة القتال وامكان الوصول اليهم ، ولمّا كانوا سبباً لقتال المسلمين بنقض العهد نسب الاخراب بايدى المؤمنين اليهم، وقرئ يخرّبون بتشديد الرّاء [فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ] فاتّعظوا بحالهم فانّ الإعتبار عبارة عن ان ينظر الرّجل الى امر حسن اوالى امر قبيح وان ينظر الى عاقبته ومايترتّب عليه ثمّ عطف النّظر الى نفسه فارتدع عن القبيح ورغب فى الحسن ،وتمسّك بعض من اعتبر القياس بمثل هذه الآية ولايخفى عدم دلالتها على اعتبار القياس [وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا] مثل بنى قريظة [وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ] يعنى انّ عذاب النّار ثابت لهم فى الآخرة وان لم يعذّبوا فى الدّنيا [ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ] عاندوا الله ورسوله (ص) ونبذوا عهده [وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فى الدّنيا والآخرة يعنى يعاقبه بشدّة العقوبة لانّ الله شديد العقاب [مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ] اللّينة اردء التّمر ، اوماكان اجناساً غير معروفة ، و نسب الى الصّادق (ع) انّه قال : يعنى العجوة وهى امّ التّمر وهى الّتى انزلها الله من الجنّة لآدم (ع) [أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ] جواب عمّا قالوا : يا محمّد انّ الله يأمرك بالفساد ؟ ! حين قطع النّخل [وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ] بغيظهم وحسرتهم على قطع نخيلهم فى حضورهم [وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ] اى ردّه اليه .

اعلم، انّ تمام ماسوى الله مملوك للحقّ تعالى شأنه نحو مملوكيّة القوى العلّامة والعمّالة للنّفس الانسانيّة بل نحو مملوكيّة الصّور الذّهنيّة للنّفس الانسانيّة وانّ الانسان كلّما رقى مرتبة من المراتب الانسانيّة كان المرتبة الدّانية فى عين مملوكيّته خليفة للمرتبة العالية مثلاً اذا عرج الانسان عن مقام النّفس الى مقام القلب صار مقام النّفس مملوكاً للقلب وخليفة له فى التّصرّف فى القوى، وصارت القوى كما انّها مملوكة للنّفس بعد القلب وهكذا، وانّ الله تعالى مالك لجميع ماسواه و بعده تعالى العقول مالكة لما دونها، و بعدها النّفوس الكلّيّة مالكة، و بعدها النّفوس الجزئيّة مالكة، هذا فى النّزول، وامّا فى الصّعود وهو مختصّ بالانسان، فاذا استكمل الانسان واتّصل بعالم الملأ الاعلى صار مالكاً لما دونه وخليفة لله فيما دونه فكلّما فى عالم الطّبع فهو لله، وماكان لله فهو لرسوله (ص) ، وماكان لرسوله (ص) فهو للائمّة (ع) ، وماكان للائمّة (ع) فهو مباح لشيعتهم كما قال تعالى: [قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ، وماكان فى ايدى الاغيار فهو مغصوب فى ايديهم ، وما اخذه الرّسول (ص) والائمّة (ع) والمؤمنون منهم فهو حقّهم الّذى كان مأخوذاً منهم غصباً وصار عائداً الى اهله الّذين كانوا مالكين له ولذلك سمّى فيئاً [فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ] وجف يجف اضطرب، والوجيف ضرب من سير الخيل والابل [مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ] الخيل جماعة الافراس لاواحد له ، او واحده الخائل ، و يطلق على جماعة الفرسان ، والرّكاب ككتاب الابل واحدتها الرّاحلة ، قيل : نزلت هذه الآية فى غنائم بنى النّضير والآية الآتية فى سائر اموال الكفّار الّتى يفيئها الله على رسوله (ص)، وقيل : كلتاهما نزلتا فى غنائم بنى قريظة و بنى النّضير كانوا بقرب المدينة فمشوا الى قراهم سوى الرّسول (ص) فانّه ركب حماراً اوجملاً ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منها شيئاً الّا رجلين او ثلاثة وفى غنائم خيبر وفدك ، وقرى عَرُيْنه و ينبع ، والآية الاولى لبيان عدم استحقاق

المقاتلين بحقّ المقاتلة ، والآية الثانية لبيان المصرف [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلٰى مَنْ يَشٰاءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلٰى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرٰى فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبٰى] اى ذى قربى الرّسول (ص) [وَالْيَتٰامٰى وَالْمَسٰاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ] من قرابات الرّسول (ص) وقد خصّص فى الاخبار كلّ ذلك باقرباء الرّسول (ص) [كَيْلٰا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيٰاءِ مِنْكُمْ] الدّولة بالفتح والضّمّ المال الّذى يتداولونه بينهم، اوبالضّمّ فى المال ، وبالفتح فى الحرب، اوبالضّمّ فى الآخرة ، وبالفتح فى الدّنيا ، كذا فى القاموس [وَمٰا آتٰيكُمُ الرَّسُولُ] اى ما اعطاكم من غنائم بنى النّضير ، اومن مطلق الغنائم ، اومن مطلق الاموال والاوامر [فَخُذُوهُ وَمٰا نَهٰيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى مخالفة الرّسول (ص) [إِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ] عن الصّادق (ع) انّ الله عزّوجلّ ادّب رسوله (ص) حتّى قومه على ما اراد ثمّ فوّض اليه فقال عزّ ذكره : ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فمافوّض الله الى رسوله (ص) فقد فوّضه الينا ، والاخبار فى تفويض امر العباد الى رسول الله (ص) كثيرة وانّه صلّى الله عليه وآله احلّ وحرّم اشياء فأجازه الله تعالى ذلك له [لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ] بدل من قوله لذى القربى ،اوبدل من مجموع قوله لله وللرّسول ويكون ابداله بالنّسبة الى الله ورسوله نحو بدل الاشتمال ، وبالنّسبة الى ذى القربى ومابعده نحو بدل الكلّ من الكلّ والمراد بالمهاجرين من هاجر من مكّة اومن سائر بلادالكفر الى المدينة اومن هاجر السّيّئات الى الحسنات ، اومن هاجر من دارالنّفس الامّارة الى دارالنّفس اللّوّامة ، ومنها الى النّفس المطمئنّة اللّتين هما دارالاسلام، ومنها الى القلب الّذى هودارالايمان [الَّذِينَ أُخْرِجُوا] صفة للفقراء او ابتداء كلام ومبتدأ ويتبعون خبره ، اواولئك هم الصّادقون خبره والجملة فى مقام التّعليل ، ووضع الظّاهر موضع المضمر ليكون بعقد الوضع دالّا على علّة الحكم ايضاً والمقصود انّهم اخرجهم الكفّار من مكّة اومن سائر بلادهم ، اواخرجهم الملائكة من بلادالكفر ، اومن مراتب نفوسهم وقال: اخرجوا دون خرجوا للاشعار بانّ الخارج من وطنه اومن مقام الى مقام ان لم يكن بحسب الظّاهر له مخرجٌ فهوخارج بمخرج باطنىّ وليس خارجاً بنفسه فيكون خروجه نعمة من ربّه [مِنْ دِيٰارِهِمْ وَأَمْوٰالِهِمْ يَبْتَغُونَ] فى ذلك الخروج [فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوٰانًا] الفضل كما تكرّر ذكره النّعم الصّور بيّة والرّسالة واحكامها وقبولها ، والرّضوان الولاية وآثارها وقبولها [وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ] عطف على الفقراء المهاجرين اوعلى المهاجرين اوعلى الّذين اخرجوا اومبتدء وخبره يحبّون من هاجر اليهم والجملة معطوفة على سابقتها والمعنى الّذين اقاموا فى دورهم وهم الانصار الّذين لم يكن لهم ان يخرجوا لهجرة الرّسول (ص) اليهم [وَالْإِيمٰانَ] يعنى اقاموا فى الايمان فانّ الاوصاف كثيراً يحكم عليها بحكم الظّروف [مِنْ قَبْلِهِمْ] اى من قبل المهاجرين فيكون المراد الّذين آمنوا بمكّة ثمّ رجعوا الى المدينة وانتظروا قدوم محمّد (ص) ، اوالمعنى تبوّأوا الدّار والايمان من قبل هجرة المهاجرين [يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَيْهِمْ] من المؤمنين المهاجرين لانّهم احسنوا الى المهاجرين و اسكنوهم دورهم واشركوهم فى اموالهم [وَلٰا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا] اى المهاجرون اى لايجد الّذين تبوّأوا الدّار فى انفسهم حسداً اوغيظاً لازماً للحاجة والفقر ناشئاً ممّا اوتى المهاجرون ، اومن اجل ما اوتى المهاجرون

من غنائم اهل القرى اوغنائم بنى النّضير، اوممّا اوتوا من الفضل الصّورىّ والمعنوىّ لتسليمهم لقسم الله وتوكّلهم على الله ورضاهم بما آتى الله العباد من الفضل الصّورىّ والمعنوىّ، اولايجدون فى صدورهم حاجة فى شيء من الاشياء لاجل ما اوتوا من قوّة اليقين وقوّة التّوكّل واستغناء القلب فيكون حينئذ مرفوعا و توا راجعاً الى الّذين تبوّؤا الدّار [وَيُؤْثِرُونَ] المؤمنين المهاجرين [عَلٰى اَنْفُسِهِمْ] بان يقدّموا المؤمنين فى حظوظهم النّفسانيّة وفى افضال الله بحسب الظّاهر والباطن [وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ] فقر وحاجة [وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ] يعنى من حفظه الله من شحّ نفسه والشّحيح ابلغ من البخيل فانّ البخيل من يبخل بما فى يده ولا يعطيه لمستحقّه، والشّحيح من يبخل بمال الغير بمعنى انّه يريد ان يكون ما فى يد الغير له و يحتال فى اخذ مافى يد الغير بالحلال اوالحرام، وقيل: شحّ النّفس هواخذ الحرام ومنع الزّكوة [فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] روى انّه جاء رجل الى رسول الله (ص) فشكى اليه الجوع فبعث رسول الله (ص) الى بيوت ازواجه فقلن: ماعندنا الّا الماء، فقال رسول الله (ص): من لهذا الرّجل اللّيلة؟ فقال علىّ بن ابى طالب (ع): انا له يا رسول الله (ص)، وأتى فاطمة (ع) فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟، فقالت: ما عندنا الّا قوت العشيّة لكنّا نؤثر ضيفنا، فقال يا ابنة محمّد (ص) نومى الصّبية واطفئ المصباح، فلمّا اصبح علىّ (ع) غدا على رسول الله (ص) فأخبره الخبر فلم يبرح حتّى انزل عزّوجلّ: و يؤثرون على انفسهم (الآية)، وقيل: انّه اهدى لبعض الصّحابة رأس مشوىّ وكان مجهوداً فوجّه به الى جار له فتداولته تسعة ثمّ عاد الى الاوّل فنزل: و يؤثرون على انفسهم. وقيل: قال رسول الله (ص) يوم بنى النّضير للانصار: ان شئتم قسّمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة، وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسّم لكم شيء من الغنيمة فقال الانصار: بل نقسّم لهم من اموالنا وديارنا و نؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها، فنزلت الآية. وقيل: نزلت فى سبعة عطشوا فى يوم احد فجيئ بماء يكفى لاحدهم فقال واحد منهم: ناول فلاناً حتّى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب احد منهم، فأثنى الله سبحانه عليهم بهذه الآية. [وَالَّذِينَ جَاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ] عطف على المهاجرين، اوعلى الفقراء، اوعلى من هاجر اليهم عطف المفرد، او مبتدأ وخبره يقولون والمعنى الّذين يجيئون من بعد المهاجرين من مكّة اومن سائر البلاد، اوالّذين يجيئون من بعد المهاجرين والانصار من سائر المؤمنين من العدم الى الوجود [يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْاِيمَانِ] اى سبقونا فى رتبة الايمان اوسبقونا فى اصل الايمان والتّوصيف به لبيان وجه الاخوّة وانّها اخوة فى الدّين [وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا] اى حقداً [لِلَّذِينَ اٰمَنُوا رَبَّنَا اِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] تجيب عبادك برأفتك [اَلَمْ تَرَ] يا محمّد (ص) اومن يمكنه الرّؤية [اِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا] وهو عبدالله بن اُبىّ [يَقُولُونَ لِاِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ] يعنى بنى النّضير [لَئِنْ اُخْرِجْتُمْ] من دياركم [لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ اَحَدًا اَبَدًا] يعنى لانطيع محمّداً (ص) واصحابه فى القتال معكم [وَاِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ اُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ] وكان كذلك حيث وعدهم ابن اُبىّ ثمّ تخلّف كما مضى [وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ] قضيّة فرضيّة فانّه لم يقع منهم نصر لهم [لَيُوَلُّنَّ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ لَاَنْتُمْ اَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِمْ مِنَ اللّٰهِ] لانّهم لايخافون من الله و يخافون منكم و يوافقونكم [ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] لايعلمون علماً دينيّاً اخرويّاً وكان ادراكاتهم محصورة على ظاهر

الدّنيا ولذلك لا يخافون من الله و يخافون منكم [لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] لا يقاتلونكم [إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ] لخوفهم منكم وهذه تجرئة للمؤمنين [أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ] ولكن لالقاء الرّعب في قلوبهم لا يجترئون على مقاتلتكم لا لضعف وجبن فيهم [تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ] كما انّ هذا شأن جميع اهل الدّنيا تكون ابدانهم مجتمعة وقلوبهم متفرّقة [ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] لا عقل لهم ، او لا يدركون بعقولهم ، او لا يتعقّلون ما فيه صلاحهم [كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] متعلّق بواحد من الافعال السّابقة ، او خبر مبتدء محذوف والتّقدير مثلهم في ذلك كمثل الّذين من قبلهم والمراد بمن قبلهم بنو قينقاع ، والّذين قتلوا ببدر او كلّ ابناء الدّنيا ، فانّ من كان من اهل الدّنيا حاله ان لا يفي بوعده ان لم يكن في الوفاء نفعه الدّنيوىّ وكان من يشاهدونهم اشدّ رهبة في صدورهم ممّن لا يشاهدونه وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى. قيل: انّ بني قينقاع نقضوا العهد وقت رجوع رسول الله (ص) من بدر فأمرهم رسول الله (ص) ان يخرجوا قال عبدالله بن اُبيّ : لا تخرجوا فانّي اتي النّبيّ (ص) فاكلّمه فيكم اوادخل معكم الحصن ، فكان هؤلاء ايضاً مغترّين بارسال عبدالله بن اُبيّ ثمّ ترك نصرتهم [قَرِيبًا] اى حالكونهم قريباً منكم اوزماناً قريباً [ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] في الآخرة [كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ] متعلّق بقوله تعالى : من قبلهم ، او بذاقوا او بقوله لهم في لهم عذاب اليم ، او خبر مبتدء محذوف والتّقدير مثل عبدالله بن اُبيّ في غزوه بني النّضير و بني قينقاع كمثل الشّيطان [إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ] قولاً فعلياً او قولاً نفسانياً [فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ] الاتيان بالماضي للاشعار بانّ المراد بذلك القول وهذا الانسان قولٌ شخصيٌّ وانسان مشخّص لا القول النّوعيّ والانسان الجنسيّ ، والّا كان المناسب ان يقول كمثل الشّيطان يقول للانسان على الاستمرار اكفر ، ولعلّه اشارة الى تمثّله بصورة سراقة واغراء المشركين على محمّد (ص) ببدر ، وقيل: انّه اشارة الى عابد بني اسرائيل كان اسمه برصيصا ، عبدالله زماناً من الدّهر حتّى بلغ من عبادته الى ان يؤتى بالمجانين اليه وكان يداويهم و يعوّذهم ، فيبرؤن ، وأتى بامرأة كانت في شرف في اهلها قد جنّت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشّيطان حتّى وقع عليها فحملت فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها ، فذهب الشّيطان فقال لاخوتها واحداً واحداً ، فجعل الرّجل يلقى اخاه فيقول: والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر علىّ ذكره ، فذكر بعضهم لبعض حتّى بلغ ذلك ملكهم ، فسار الملك والنّاس فاستذلّوه فاقرّ لهم بما فعل ، فأمر به فصلب ، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشّيطان فقال : انا الّذى القيتك في هذا فهل انت مطيعي فيما اقول لك اخلّصك ممّا انت فيه ؟ـ قال: نعم ، قال: اسجد لي سجدة واحدة فقال: كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة؟ـ فقال : اكتفى منك بالايماء ، فأومى له بالسّجود فكفر بالله وقتل الرّجل [فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا] اى الشّيطان والانسان الكافر بقوله او عاقبة الفريقين من الممثّل له والممثّل به [أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الاسلاميّة [اتَّقُوا اللَّهَ] في ارتكاب المناهي وترك الاوامر القالبيّة ، او اتّقوا الله في نقض البيعة ونقض العهد كعبدالله بن اُبيّ و بني النّضير و بني قينقاع ، او اتّقوا الله في شوب الاعمال القالبيّة بالاغراض النّفسانيّة المباحة او الغير المباحة ، او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الايمانيّة الولويّة اتّقوا الله في الانحراف عن طريق القلب او اتّقوا الله في نسيان الذّكر المأخوذ ، او في نسيان الله في جميع اعمالكم ، او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالايمان الشّهودىّ بشهود ملكوت ولىّ الأمر ونزول السّكينة والحضور عند ولىّ امركم اتّقوا الله في الالتفات الى غير ولىّ امركم والالتذاذ

بغير شهود جماله فانّه ضيف عزيز غيور اذا نظرتم الى غيره او انصرفتم الى لذّة غير لذّة شهود جماله لم يقم في بيوت قلوبكم و بقي لكم حسرة فراقه وندامته ، اواتّقوا الله في نسبة الافعال والصّفات الى انفسكم حين حضوركم عند وليّ امركم [وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ] نكّر النّفس مع انّ المراد ولتنظر كلّ نفس ما قدّمت لغد لايهام انّه اذا نظر نفس واحدة من المؤمنين الى اعماله يكفي عن سائر المؤمنين لاتّحاد بينهم ، اوللاشارة الى انّهم نفس واحدة وان كان ابدانهم متعدّدة لانّ فعليّتهم الاخيرة هي صورة وليّ امرهم النّازلة اليهم بالبيعة وقبول الولاية فعلى هذا يكون المعنى : ولتنظر نفس عظيمة هي صورة وليّ امرهم وهي فعليّتهم الاخيرة ما قدّمت لغد ، ويكون فيه اشارة الى انّ من ينظر الى اعماله الاخرويّة فلينظر بالفعليّة الاخيرة الّتي هي فعليّة الولاية حتّى يمكنه ان يميّز بين صحيحها و فاسدها مشوبها وخالصها ، مدّخرها لغده و راجعها الى النّفس والعاجل؛ فانّ هذا التّميز امر صعب لايحصل الّا للنّاقد البصير المخلص ، اوللاشارة الى انّ نفس وليّ امرهم نفسيّة الكلّ والمعنى ولتنظر نفس عظيمة ما قدّمت لغد بنفسها فانّ نظرها الى ما قدّمت هي يكفي عن نظر المؤمنين ، اولتنظر نفس وليّ الامر ما قدّمت لغد اى ما قدّمت اتباعها لغد فانّ فعل الاتباع فعل وليّ الامر بوجه ، والمعنى انّ وليّ الامر مأمور بان ينظر الى اعمال اتباعه و يجبر نقصانها وقال لغد مع انّ المراد ماقدّمت للقيامة للاشارة الى قربها ، ولانّ المراتب الطّوليّة كالايّام العرضيّة كلّ يجيء بعقب الاخرى وكلّ يخلف الاخرى ولانّ المراتب الطّوليّة كلّ بالنّسبة الى الاخرى يوم وليل باعتبارين كماسبق مكرّراً ، ونكّر الغد لتفخيمه وللاشارة الى انّه لايمكن تعريفه للمحجوبين بحجاب المادّة ، ولفظة ما نافية ، والجملة صفة لنفس ، او معلّق عنها العامل ، اواستفهاميّة ومعلّق عنها العامل ، اوموصولة ومفعول لتنظر [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] تأكيد لقوله اتّقوا الله او النّظر منه الى مرتبة اخرى من التّقوى فانّ للتّقوى كما مرّ في اوّل البقرة و اشرنا اليه ههنا مراتب عديدة مترتّبة ، او المقصود منه ان تتّقوا الله بعد ما نظرتم الى اعمالكم الاخرويّة وميّزتم سقيمها عن سليمها و مشوبها عن خالصها في ان تفسدوها بالاغراض النّفسانيّة ، اوتشوبوها بالانتفاعات النّفسيّة ولو كانت تلك الانتفاعات القرب من الله اورضاه او المقامات الاخرويّة [إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ] فيميز المشوب عن الخالص فهو تأكيد للتّقوى وتعليل للامر بها [وَلٰا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ] مطلقاً فلايعملون لغد ، اولاتكونوا كالّذين نسوا الله فيما يعملون للآخرة فيجعلونها للدّنيا من حيث لايشعرون [فَأَنْسٰيهُمْ أَنْفُسَهُمْ] الّتي هي جهاتهم الآلهيّة ولطيفتهم الانسانيّة فانّها ذواتهم وانفسهم الانسانيّة ، و بنسيان انفسهم ينسون ما ينفعها فلايفعلون مايفعلون الّا لانفسهم الحيوانيّة لالانفسهم الانسانيّة فيكونون في الآخرة من الاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً ، او فأنسيهم امامهم الّذي هو نفسيّة انفسهم و بنسيان الامام لايكون للانسان الّا الوبال والخسران [أُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ] تعليل للسّابق [لٰا يَسْتَوِي أَصْحٰابُ النّٰارِ وَأَصْحٰابُ الْجَنَّةِ] في مقام التّعليل كانّه قال : نهيناكم عن المماثلة معهم لانّه لايستوي في القيامة النّاسون لانفسهم والمتّقون لان النّاسين اصحاب النّار والمتّقين اصحاب الجنّة لكنّه عدل عن المضمر الى هذا الظّاهر لافادة انّهم اصحاب النّار و انّ المتّقين اصحاب الجنّة ، وللاشارة الى علّة عدم الاستواء [أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفٰائِزُونَ] و يستفاد من حصر الفوز باصحاب الجنّة بقرينة المقابلة انّ اصحاب النّار هم الخاسرون المعذّبون [لَوْ أَنْزَلْنٰا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ] مع صلابته وعظمته [لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ] و قد انزلناه عليكم وانتم ضعفاء ليّنون و ما خشعتم وماتصدّعتم من خشية الله ، وهذه قضيّة فرضيّة وتعريض ببني آدم [وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ] الفرضيّة [نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] في احوالهم

و ينظرون الى قساوتهم و يتدبّرون فى تليين قلوبهم [هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] كلام مقطع عن سابقه و المنظور اثبات التّوحيد الّذى هوالمنظور من كلّ منظور ومبدء كلّ مبدء وغاية كلّ غاية والثّناء عليه و تعداد محامده [عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] اى عالم بماغاب عن الخلق و بما كان مشهوداً لهم ، اوعالم بعالم الغيب وعالم الشّهادة [هُوَ الرَّحْمٰنُ] المفيض للوجودات و للكمالات الاوّليّة على الموجودات [الرَّحِيمُ] المفيض للكمالات الثّانويّة عليها ، اوالرّحمن هوالمفيض لاصل الوجود وجميع كمالاته على الاشياء و المفيض للوجود وكمالاته الاولويّة على الانسان، والرّحيم هوالمفيض للكمالات الثّانية على الانسان وقد سبق معناهما مفصّلاً فى سورة فاتحة الكتاب [هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] لمّا كان المنظور التّوحيد و تعداد المحامد أتى بهذه الجملة بدون العاطف بنحو التّعداد، وفى هذه اشارة الى تعليل السّابق وهو باعث لترك العاطف ايضاً وهى تأكيد للاولى وهوايضاً باعث لترك العاطف [الْمَلِكُ] الّذى يتصوّر كونه ملكاً بتصوير كون النّفس ملكاً لقواها بل لصورها الذّهنيّة و بذلك يثبت كونه رحماناً رحيماً وكونه عالماً بالغيب والشّهادة [الْقُدُّوسُ] الّذى كان منزّهاً عن الكثرات ، ونسبة الافعال والصّفات، ولحاظ تلك النّسب والحيثيّات، وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله تعالى : و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك بيان وتفصيل للتّسبيح والتّقديس، وقرئ قدّوس بفتح الفاء وهمالغتان فيه والصّيغة للمبالغة مثل سبّوحاً مفتوحاً ومضموماً [السَّلَامُ] السّالم من كلّ نقص وعيب ومن كلّ انحاء الكثرات والحدود والنّسب والاضافات الّا فى اعتبار المعتبرين ، والسّالم من تمسّك به من كلّ اثم وذنب وخطاء ،والسّالم من خاف منه من كلّ امر مخوف، والسّالم عباده من ظلمه [الْمُؤْمِنُ] الّذى آمن خلقه عن ظلمه،اوآمن خلقه من المخوفات، اوجعل عباده امناء،اوامن بنفسه قبل ايمان خلقه،اودعى خلقه الى الايمان به [الْمُهَيْمِنُ] هيمن قال امين مثل امّن ، وهيمن الطّائر على فراخه رفّ ، وهيمن على كذا صار رقيباً عليه ، والمهيمن من اسمائه تعالى بمعنى المؤتمن ، اومن آمن غيره من الخوف ، اوالامين، اوالشّاهد ، اوالرّقيب ، وقيل: هو مؤامن بهمزتين قلبت الثّانية ياء ثمّ الاولى هاء [الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايغلب اوذوالمناعة والتّأنّف [الْجَبَّارُ] الّذى يجبر كلّ كسر ونقص وقصور وتقصير من عباده،اومن سائر خلقه، اوالعظيم الشّأن، اوالّذى يذلّ من دونه ولا تناله يد غيره [الْمُتَكَبِّرُ] البالغ فى كبره بحيث لايبقى عنده جليل ولا حقير [سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ] من الاصنام والكواكب والعناصر وسائر المواليد لعدم بقاء شيء عند كبره [هُوَ اللّٰهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ] تعداد للمدائح وتعليل للسّابق، والخالق هوالّذى اوجد مادّة الشّيء اوّلاً، والبارئ هوالّذى سوّاه واوجده على ما ينبغى، والمصوّر هوالّذى يعطى كلّه وكلّ اجزائه صوراً لائقة بحالها [لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] الاسم كما سبق فى اوّل الفاتحة وفى اوّل البقرة عند قوله [عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] للاختصاص له بالاسم اللّفظىّ بل كلّ ما يدلّ على شيء آخر هواسم لذلك الشّيء سواء كان دلالته وضعيّة ام طبعيّة ام عقليّة ، وسواء كان الدّالّ لفظاً اومعنىً اوذاتاً جوهريّاً ، والاسم الحسن هوالّذى لايكون فى اطلاقه على الله وفى دلالته عليه شوب نقص وعدم وحدّ ، وهذه العبارة تفيد بتقديم له ومعناه حصر الاسماء الحسنى فيه وذلك لحصر الصّفات العليا فيه ، و بمفهوم مخالفة الصّفة تفيد عدم جواز اطلاق الاسماء السّوءى عليه، والاسماء السّوءى ما كان دلالته اواطلاقه عليه تعالى مستلزماً للنّقص والحدّ، والجملة فى مقام التّعليل لاتّصافه تعالى بالاسماء السّابقة ، وقد مضى فى سورة الاعراف عند قوله تعالى : ولله الاسماء الحسنى تفصيل لهذه العبارة [يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] لمّا كان السّورة لبيان توجّه الاشياء اليه تعالى ، و توجّهه

تعالى بالتّربية اليهم ختم السّورة بما فتحها به وجعله تعليلاً لقوله تعالى: له الاسماء الحسنى فانّ تمام الاسماء الاضافيّة والاسماء الحقيقيّة تستفاد من تسبيح جميع الاشياء له ، وقوله: هو العزيز الحكيم تعليلٌ وتأكيدٌ لما يستفاد من تسبيح الاشياء له فانّه لا يتصوّر ان تكون الاشياء مسبّحة له تعالى الّا اذا كان هو الفعليّة الاخيرة للاشياء وكان قوام جميع الاشياء به ، وهذا المعنى يستلزم جميع الصّفات السّلبيّة والاضافيّة والحقيقيّة ذات الاضافة والحقيقة المحضة .

سورة الممتحنة

مدنيّة ؛ وثلاث عشرة آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ] قيل: نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انّ مولاة ابي عمرو اتت رسول الله (ص) من مكّة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله (ص): امسلمة جئت؟ - قالت: لا ، قال: فما جاء بك؟ - قالت: احتجت حاجة شديدة فأتيتكم لترفعوا حاجتي ، قال: فاين انت من شبّان مكّة؟ - وكانت مغنيّة نائحة قالت: ماطلب منّي احد بعد وقعة بدر فحثّ رسول الله (ص) عليها بني عبد المطّلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقة ، وكان رسول الله (ص) يتجهّز لفتح مكّة فأتاها حاطب بن ابي بلتعة وكتب معها كتاباً الى اهل مكّة واخبرهم انّ محمّداً (ص) يريدهم ، فخرجت سارّة ومعها الكتاب وكانت كتمته في ذؤابتها ، فنزل جبرئيل فأخبر النّبيّ (ع) فبعث رسول الله (ص) عليّاً وعمّاراً وعمر والزّبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلّهم فرساناً ، وقال لهم: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ وخذوا الكتاب منها ، فخرجوا الى ذلك المكان فوجدوها به فقالوا لها: اين الكتاب؟ - فحلفت بالله ما معها كتاب ففتّشوها فلم يجدوا معها كتاباً فهمّوا بالرّجوع ، فقال عليّ (ع): والله ما كذب رسول الله (ص) وسلّ سيفه وقال: اخرجي الكتاب والّا والله لاضربنّ عنقك فأخرجته من ذؤابتها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله (ص) ، فقال لحاطب: ما حملك على ما صنعت؟ - قال: يا رسول الله (ص) والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكن لم يكن احدٌ من المهاجرين الّا وله بمكّة من يمنع عشيرته وكنت غريباً وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فأردت ان اتّخذ عندهم يداً وقد علمت انّ كتابي لا يغني عنهم شيئاً [وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ] من مكّة [أَنْ تُؤْمِنُوا] لان تؤمنوا [بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي] شرط تهييجيّ [تُسِرُّونَ] تلقون [إِلَيْهِمْ] في السّرّ اوتظهرون اليهم في السّرّ [بِالْمَوَدَّةِ] اوتعلمونهم في السّرّ من احوال الرّسول (ص) بسبب المودّة التي بينكم وبينهم [وَأَنَا أَعْلَمُ] فعل او افعل التّفضيل [بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ] فاطّلع رسولي عليكم [وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ] وهو الصّراط الانسانيّ يعني ضلّ سواء السّبيل الى الطّرق الشّيطانيّة [إِنْ يَثْقَفُوكُمْ] في موضع التّعليل [يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ] بالقتل والضّرب والشّتم [وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ] عطف على جملة الشّرط والجزاء [لَنْ تَنْفَعَكُمْ

اَرْحامُكُمْ] الّذين تخالفون رسول الله (ص) بسببهم [وَلا اَوْلادُكُمْ] والجملة جوابٌ لسؤال مقدّر عن كيفيّة انتفاعهم بأرحامهم اوعن علّة هذا القول [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] ظرف لقوله لن تنفعكم اولما بعده [يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ] اى يفرّق بينكم يوم القيامة بشدّة الهول والخوف بحيث يفرّ كلٌّ من كلٍّ ، وقرئ يفصل مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول من الثّلاثيّ المجرّد ومن التّفعيل [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فيجازيكم على ماعملتم فلا نجاة لكم من قبل ارحامكم ولامن قبل الله تعالى [قَدْ كٰانَتْ لَكُمْ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] اقتداء حسن اوخصلة حسنة ينبغى ان يقتدى بها [فِي اِبْرٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ اِذْ قٰالُوا] بدل من ابراهيم اوتعليل ٌ اوظرفٌ لقوله معه [لِقَوْمِهِمْ اِنّٰا بُرَءٰاؤُا مِنْكُمْ وَمِمّٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ كَفَرْنٰا بِكُمْ] اى تبرّأنا منكم فانّ الكفر ههنا كما فى الخبر بمعنى البراءة [وَبَدا بَيْنَنٰا وَبَيْنَكُمُ الْعَدٰاوَةُ وَ الْبَغْضٰاءُ اَبَدًا] يعنى بغضنا لكم بغض لله و بغضكم لنا بغض للشّيطان [حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ] فحينئذٍ ينقلب العداوة محبّة ً والفة ً [اِلّٰا قَوْلَ اِبْرٰهِيمَ] استثناء من ابراهيم استثناء ً متّصلاً فى كلام تام ٍ اواستثناء ٌ مفرّغ والتّقدير لكم اسوة حسنة فى ابراهيم فى كلّ شيء ٍ منه الّا فى قول ابراهيم (ع) [لِاَبِيهِ لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ] فانّ هذا القول كان لموعدة ٍ وعدها ايّاه والّا كان متبرّء ً منه [وَمٰا اَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ] اى من قبل الله او من رحمة الله اومن عذاب الله [رَبَّنٰا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنٰا وَاِلَيْكَ اَنَبْنٰا وَاِلَيْكَ الْمَصِيرُ] اشارة الى الفناءات الثّلاثة ، فانّ التّوكّل ليس الّا بترك نسبة الفعل الى النّفس ، والانابة حينئذٍ تكون بترك نسبة الصّفات ، واليك المصير اشارة الى فناء الذّات ، هذه الجمل من مقول القول الاوّل ومن جملة مايتأسّى به [رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا] اى لاتجعلنا امتحاناً اوضلالاً ً اواثماً اوكفراً اوفضيحة ً اوعذاباً اواضلالاً ً يعنى لاتجعلنا سبب ذلك لهم ، اولاتجعلنا ممتحنين لاجل عذاب الّذين كفروا ، اولاجل هداية الّذين كفروا ومعنى كونهم سبباً لفتنة الّذين كفروا ان يجعلهم بحال ٍ من الفقر والحاجة اومن الابتلاء والمصيبة اومن ارتكاب ما لاينبغى ان يرتكبوا من المعاصى اومن اختلاف الكلمة والنّزاع بينهم ، اومن موالاة الكفّار واتّباعهم فى بعض مالهم ، اومن المعارضة معهم ، اومن المجادلة معهم والضّعف عن جوابهم يستهزء بهم او يغتابون او يعارضون او يُشتمون او ينفر منهم ومن دينهم او يقاتلون ، وقيل : معناه ولاتسلّطهم علينا فيفتنونا عن دينك ، وقيل : الطف بنا حتّى نصبر على اذاهم ولاتتّبعهم فنصير فتنة ً لهم ، و روى عن الصّادق (ع) انّه قال : ماكان من ولد آدم (ع) مؤمن ٌ الّا فقيراً ولاكافر الّا غنيّاً حتّى جاء ابراهيم (ع) فقال : ربّنا لاتجعلنا فتنة ً للّذين كفروا ، فصيّر الله فى هؤلاء اموالاً ً وحاجة ً وفى هؤلاء اموالاً ً وحاجة ً اقول على المؤمنين ان يشكروا ابراهيم (ع) ولاينسوا منّته الّتى منّها عليهم [وَاغْفِرْ لَنٰا] ما فرّط منّا حتّى لاتؤاخذنا بذلك فتجعلنا فتنة ً لغيرنا [رَبَّنٰا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ] الغالب المنيع [الْحَكِيمُ] الّذى تعلم دقائق الامور وتتقن الصّنع مشتملاً ً على غايات ٍ دقيقة ٍ انيقة ٍ [لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِيهِمْ] فى ابراهيم (ع) وقومه [اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] كرّره للتّأكيد والتّرغيب ولتخصيصه بمن كان يرجوا الله [لِمَنْ كٰانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ] يعنى هذه الاسوة مختصّة بمن كان يرجوا الله واممّا غيره فلا يتأسّى [وَمَنْ يَتَوَلَّ] عن التّأسّى منكم فلا يضرّ الله شيئاً وانّما امركم بالتّأسّى ترحّماً عليكم [فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] حمد امّ لم يحمد [عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عٰادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً] جوابٌ

لسؤال مقدّر [وَاللّٰهُ قَدِيرٌ] على ان يبدّل المعاداة والتبرّی محبّة وموالاة [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] يغفر ماصدر منهم من معاداتكم بجهالة وما صدر منكم من موالاتهم بجهالة [رَحِيمٌ] يرحمهم ويرحمكم فضلاً عن مغفرته لكم ، فی خبر عن الباقر(ع) : قطع الله ولاية المؤمنين من قومهم من اهل مكّة واظهروا لهم العداوة فقال : عسى الله ان يجعل بينكم وبين الّذين عاديتم منهم مودّة فلمّا اسلم اهل مكّة خالطهم اصحاب رسول الله (ص) وناكحوهم وتزوّج رسول الله (ص) حبيبة بنت ابی سفيان بن حرب [لَا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقٰاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوهُمْ] بدل عن الّذين لم يقاتلوكم [وَتُقْسِطُوا اِلَيْهِمْ] بتضمين تقضوا [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ اِنَّمٰا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ قٰاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَاَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ وَظٰاهَرُوا عَلٰى اِخْرٰاجِكُمْ اَنْ تَوَلَّوْهُمْ] بدل عن الّذين قاتلوكم او التّقدير كراهة ان تولّوهم [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ] بوضع الولاية غير موضعها بل موضع العداوة [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] ابتداء كلام وادب آخر للمؤمنين ولذلك صدّره بالنّداء جبراناً لكلفة التّأديب وتنشيطاً في الاستماع [اِذٰا جٰاءَكُمُ الْمُؤْمِنٰاتُ مُهٰاجِرٰاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ] بان تختبروا موافقة قلوبهن لالسنتهن بان يحلفن ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس ديناً وما خرجن الّا حبّاً لله ، و على هذا كان معنى مؤمنات مذعنات ومصدّقات ، او مشرفات على الاسلام ، قيل : صالح رسول الله (ص) بالحديبيّة على انّ من أتاه من اهل مكّة ردّه عليهم ، ومن أتى اهل مكّة من اصحاب رسول الله (ص) لم يردّوه ، فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنّبیّ (ص) بالحديبيّة فأقبل زوجها مسافر من بنی مخزوم فی طلبها وكان كافراً فقال : يامحمّد اردد علیّ امرأتی فانك قد شرطت اليوم ان تردّ علينا من أتاك منّا ، فنزلت الآية فأعطى رسول الله (ص) زوجها مهرها ومااتفق عليها ولم يردّها عليه فزوّجها عمر بن الخطّاب وكان رسول الله (ص) يردّ من جاءه من الرّجال ويحبس من جاءه من النّساء ، اذا امتحن [اَللّٰهُ اَعْلَمُ بِاِيمٰانِهِنَّ] وانّما يأمركم بالامتحان ليظهر عليكم ايضاً ايمانهن [فَاِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنٰاتٍ فَلٰا تَرْجِعُوهُنَّ اِلَى الْكُفّٰارِ لٰا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ] فی موضع التّعليل [وَلٰا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ] روی انّه قيل للصّادق (ع) : انّ لامرأتی اختاً عارفة على رأينا بالبصرة وليس على رأينا بالبصرة الّا قليل فازوّجها ممّن لايری رأيها ؟ - قال : لا ، ولانعمة ؛ انّ الله يقول : فلا ترجعوهنّ الى الكفّار (الآية) [وَاٰتُوهُمْ] اى آتوا الكفّار [مٰا اَنْفَقُوا] على تلك النّساء من المهر وغيره [وَلَا جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ اَنْ تَنْكِحُوهُنَّ] ترخيص لهم فی نكاحهن بعد اسلامهن [اِذٰا اٰتَيْتُمُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ] مهورهنّ سمّاها اجوراً لانّ المهر اجر لبذل البضع ، وهذا يدلّ على عدم الاكتفاء فی مهورهنّ بمهورهنّ الاولى المردودة الى ازواجهنّ [وَلٰا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوٰافِرِ] يعنی كما انّ المؤمنات لا يحللن للكفّار فكذلك المؤمنون لايحلّون للكافرات ، والعصم جمع العصمة بكسر العين وقد يضمّ القلادة ، وهذه الآية كما تدلّ على حرمة المشركات تدلّ على حرمة الكتابيّات [وَاسْئَلُوا مٰا اَنْفَقْتُمْ] ان لحقت منكم امرأة بالكفّار [وَلْيَسْئَلُوا مٰا اَنْفَقُوا] يعنی اذا كان بينكم معاهدة فاسئلوا انتم ماأنفقتم وليسألوا ايضاً ماأنفقوا ولاترجعوا النّساء الملحقات بكم منهم اليهم ولاتستردّوا الملحقات بهم منكم [ذٰلِكُمْ] المذكور من حكم الملحقات بهم وبكم [حُكْمُ اللّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ] به

[وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] بالمصالح والغايات المترتّبة على الافعال والاحكام [حَكِيمٌ] لا يفعل فعلا الّا بغايات محكمة نافعة ولا يحكم حكماً الّا لمصالح عديدة وغايات شريفة [وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ] اى واحدة [مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ] اى راجعة الى الكفّار [فَعَاقَبْتُمْ] اى فأصبتم من الكفّار عقبى اى غنيمة [فَآتُوا] ايّها المؤمنون [الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا] من الغنيمة الّتى اصبتم اوالمعنى فعاقبتم على نساء اخر فأتوا ايّها المؤمنون من بيت مال المسلمين الّذين ذهبت ازواجهم ماأنفقوا، وقيل: عاقبتم الكفّار لسبى النّساء منهم او باخذ الغنيمة او باتيان النّساء منهم اليكم مؤمنات [وَاتَّقُوا] ايّها المؤمنون من عدم اعطاء ما أنفقوا [اللّٰهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ] قيل: كانت لحق المشركين من نساء المؤمنين ستّ نسوة فأعطى النّبىّ (ص) ازواجهنّ مهورهنّ [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] خصّ الخطاب والنّداء به لاختصاص الحكم به فانّه كان يأخذ البيعة من الرّجال والنّساء دون غيره [إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ] اى المذعنات او المشرفات على الاسلام [يُبَايِعْنَكَ] لمّا كان زمان بعثة الرّسول (ص) زمان فترة من الرّسل (ع) واندراس من احكامهم وكان النّاس بالاخذ من الآباء والمعلّمين منتحلين لملّتهم وكان البيعة الّتى كانت اصل جملة الخيرات ولم يكن شريعة ولم يصدق ملّة الّا بها مندرسة ممحوّاً اثرها من الاذهان، بل كانت غريبة فى انظارهم مستهجنة فى عقولهم الجزئيّة وكان الرّجال بعد مشاهدة هذه الفعلة من الرّسول (ص) واخذ البيعة من كلّ من اراد الاسلام ايقنوا انّهم اذا ارادوا الاسلام وجب عليهم هذه الفعلة، واما النّساء فكأنّه خفىّ عليهنّ وجوبها وكأنّهنّ اعتقدن انّ الاسلام بان يقلن: لا اله الّا الله، محمّد رسول الله (ص)، ولم يعلمن انّ الانسان بهذه الكلمة فى امان فامّا الاسلام فلا يتحقّق الّا بالبيعة اظهر الله تعالى كيفيّة بيعتهنّ تعريضاً بوجوبها عليهنّ ايضاً [عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللّٰهِ شَيْئًا] من الاشياء اولا يشركن شيئاً من الاشراك [وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ] بالوأد [وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ] قيل: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدى منك كنّى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الّذى تلصقه بزوجها كذباً لانّ بطنها الّذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الّذى تلده به بين الرّجلين، وليس المعنى نهيهن عن الاتيان بولد من الزّنا لان الشّرط بنهى الزّنا قد تقدّم، وقيل: البهتان الّذى نهين عنه قذف المحصنات والكذب على النّاس، واضافة الاولاد الى الازواج على البطلان، يعنى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ذلك فى الحاضر والمستقبل من الزّمان [وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ] يعنى لا يعصينك فيما امرت به فانّه ليس الّا معروفاً [فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ].

اعلم، انّ البيعة الّتى كانت معمولة فى جميع الشّرائع كانت بمنزلة الانفحة للبن الوجود وما لم تتّصل الانفحة باللّبن لم ينعقد وبمنزلة التّأبير لثمر النّخل مالم يؤبّر النّخل لم يحمل الثّمر وبها يحصل اللّبّ لجوز الوجود وفستقه، وبمنزلة الوصلة من الشّجر الحلو على الشّجر المرّ مالم يتّصل من الشّجر الحلو وصلة بالشّجر المرّ لم يصر ثمره حلواً، ولذلك كانوا فى كلّ شريعة من اوّل الامر مهتمّين بالبيعة، قيل: كان النّبىّ (ص) يبايع النّساء بالكلام بهذه الآية: وما مسّت يد رسول الله (ص) يد امرأة قطّ الّا امرأة يملكها، وروى انّه كان اذا بايع النّساء دعا بقدح ماء فغمس فيه يده ويقول ما قاله الله تعالى ثمّ اخرج يده ثمّ غمس ايديهنّ فيه، وقيل: انّه كان يبايعهنّ من وراء الثّوب، وقيل: الوجه فى بيعة النّساء مع انّهنّ لسن من أهل النّصرة بالمحاربة هو اخذ العهد عليهنّ بما يصلح شأنهنّ فى الدّين والانفس والازواج، وكان ذلك فى صدر الاسلام، ولئلّا ينفتق لهنّ فتق لما صنع من الاحكام فبايعهنّ النّبىّ (ص) حسماً لذلك

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] لمّا لم يكن هذا الحكم خاصّاً بالنّبيّ (ص) خاطب جميع المؤمنين [لٰا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] قيل : كان فقراء المسلمين يخبرون اليهود اخبار المسلمين فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك [قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْاٰخِرَةِ كَمٰا يَئِسَ الْكُفّٰارُ مِنْ اَصْحٰابِ الْقُبُورِ] اى الكفّار الّذين هم جنس اهل القبور من الآخرة ، اوكما يئس الكفّار من وصول خير من اهل القبور اليهم، اوكما يئس الكفّار من ان يحيى اهل القبور.

سورة الصّف

مدنيّة، وهى اربع عشرة آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لٰا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُولُوا مٰا لٰا تَفْعَلُونَ] قيل : نزلت فى قوم كانوا يقولون اذالقينا العدوّ لم نفرّ ولم نرجع عنهم ثمّ لم يفوا يوم اُحد، وقيل: نزلت فى قوم قالوا : جاهدنا وأبلينا وفعلنا ولم يفعلوا، وقيل: نزلت فى المؤمنين فانّهم بعد ماسمعوا ثواب شهداء بدر قالوا: لولقينا قتالاً جهدنا غاية جهدنا ولم نفرّ، وقيل: انّ المسلمين قالوا: لوعلمنا احبّ الاعمال لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا، فأنزل الله انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون فى سبيله صفّاً فلم يفوا يوم اُحد وقال القمّيّ: نزلت فى الّذين وعدوا محمّداً (ص) ان لاينقضوا عهده فى امير المؤمنين (ع) فعلم الله انّهم لايفون بما يقولون وقد سمّاهم الله المؤمنين باقرارهم وان لم يصدّقوا .

اعلم ، انّ القول ههنا اعمّ من القول اللّسانىّ والقول النّفسانىّ اى الاعتقاد الجنانىّ، واماّ الخطرات والخيالات الّتى تقذف فى قلوب النّاس من غير عزم منهم عليها فهى ليست اقوالاً لهم بل هى واردة عليهم من الشّيطان اوالملك فهى اقوال الشّيطان او الملك ، وهذا القول اعمّ من ان يكون فى الاحكام الآلهيّة بان يقول الانسان بنحو الافتاء او التّقليد حكماً من الاحكام ولايفعل به ، وفى الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر بان يأمر غيره ولايأتمر وينهى ولاينتهى، وفى المواعظ والنّصائح بان يعظ وينصح بمالم يفعله ، وقد ابتلى بالاوّل والثّانى المجتهدون الّذين نصبوا انفسهم لبيان احكام العباد، والمقلّدون الّذين نصبوا انفسهم لذلك، وبالثّالث القصّاص والوعّاظ وان كان لايخلو من الثّلاثة اكثر النّاس ولو بالنّسبة الى من تحت يده، وفى المواعيد والعقود والبيعة الاسلاميّة والايمانيّة، فانّه وردعن الصّادق (ع) : عدة المؤمن اخاه نذر لاكفّارة له فمن اخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرّض، وذلك قوله : يا ايّها الّذين آمنوا (الآيتين) وعن عليّ : الخلف يوجب المقت عندالله وعندالنّاس قال الله تعالى : كبر مقتا عندالله (الآية) وفى الصّنائع والحرف فانّ صاحب الحرفة اذاقال : ينبغى لصاحب الصّنعة ان يكون صنعته كذاوكذا، اوقال : الصّنعة اذا كانت كذاوكذا كان المصنوع محكماً وكان ابقى ولم يكن يفعل [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا] مصطفّين تعليل لقوله: لم تقولون ما لاتفعلون على ما بيّن من نزوله فى الّذين تمنّوا القتال والجهاد ثمّ لم يثبتوا فى اُحد اومطلقا، فانّ توفيق الفعل للقول يحتاج الى كثير جهاد مع النّفس والشّيطان [كَأَنَّهُمْ بُنْيٰانٌ مَرْصُوصٌ] الرّصّ اتّصال بعض البناء

ببعض واستحكامه، وعن امير المؤمنين (ع) انّه قال: انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً، اتدرون ما سبيل الله؟ ومن سبيله؟! انا سبيل الله الّذي نصبني للاتّباع بعد نبيّه (ص) [وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ] اى ذكّرهم اذ قال موسى (ع) [لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ] حتّى يتذكّروا بقبح فعل قوم موسى (ع) وغايته المترتّبة عليه فارتدعوا من ايذائك او ايذاء عترتك بعدك [فَلَمَّا زَاغُوا] عن الحقّ [أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ] عن الاستقامة الانسانيّة وجعلهم منكوساً رؤسهم [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] تعريض بمن خرج عن قول الرّسول (ص) في حقّ عليّ (ع) اومطلقاً، يعني من لا يهديه الله لا يقبل الحقّ ولو أتى بالف آية والله لا يهدي القوم الفاسقين وانّكم ياقوم محمّد (ص) فسّاق بالخروج عن قوله وعدم طاعته [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ] يعني ذكّرهم حتّى يتذكّروا بحقّيّتك ولا يخرجوا من طاعتك [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ] والاخبار في تبشير الانبياء (ع) واخبارهم بظهور محمّد (ص) وبعثته اكثر من ان تحصى، ونسب الى الباقر (ع) انّ اسم النّبيّ (ص) في صحف ابراهيم (ع) **الماحي** وفي توراة موسى (ع) **الحادّ**، وفي انجيل عيسى (ع) **احمد** (ص)، وفي القرآن **محمّد** (ص)، ونقل انّه سأل بعض اليهود رسول الله: لم سمّيت احمد؟ قال: لانّي في السّماء احمد منّي في الارض [فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ] ظاهره منزل في منكري محمّد (ص) ورسالته ومعجزاته وقولهم: انّ الانبياء (ع) اوصوا ان لا نؤمن برسول حتّى يكون كذا وكذا، اوقالوا لنا: لا نبيّ بعدنا لكنّ التّعريض بمن ادّعى الخلافة بعد الرّسول (ص) وادّعوا ذلك من الرّسول (ص) او من الله [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] بوضع الولاية غير موضعها وبادّعاء الخلافة من غير استحقاق، ويدلّ على انّ المراد بها التّعريض بمدّعي الخلافة ومنكري عليّ (ع) قوله تعالى [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ] لانّ نور الله هو الولاية وفسّر في آيات اُخر بعليّ (ع) [وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] بالولاية، عن الكاظم (ع) يريدون ليطفؤا ولاية امير المؤمنين (ع) بافواههم والله متمّ الامامة لقوله: الّذين آمنوا بالله ورسوله والنّور الّذي انزلنا، فالنّور هو الامام، وقيل: والله متمّ نوره يعني بالقائم من آل محمّد (ص) اذا خرج يظهره الله على الدّين كلّه حتّى لا يعبد غير الله [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ] اى الرّسالة والاسلام الّذي هو ما به الهداية الى الامام والايمان [وَدِينِ الْحَقِّ] اى الطّريق الى الله الّذي هو سبب للوصول الى الحقّ، اومسبّب عن الحقّ الّذي هو الولاية المطلقة، والطّريق الى الله بهذا الوصف عليّ (ع) وولايته [لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ] يعني على جنس الاديان والطّرق المختلفة، ولمّا اراد الجنس المستغرق اكّده بقوله [كُلِّهِ] فانّ طرق النّفس الى الشّيطان كثيرة والطّريق الى الله واحد وهو طريق الولاية واذا تمسّك الانسان به على ما ينبغي ظهر وغلب طريق الولاية على جميع الطّرق بحيث لا يبقى للطّرق الشّيطانيّة اثر [وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ] بالولاية وقد سبق في سورة التّوبة هذه الآية مع بيان لها [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة العامّة، ولمّا اراد ان يأمرهم بالايمان والبيعة الثّانية وكان ذلك شاقّاً على بعض تلطّف بهم وناداهم جبراناً لكلفة هذا الامر ولذلك أدّى الامر بصورة الاستفهام والدّلالة على التّجارة المنجية من العذاب الاليم ليتهيّؤا لسماعه ويستعدّوا لقبوله [هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ]

بالايمان الخاص و البيعة الايمانيّة الولويّة [وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ] ببذل الاموال الّتى هى كلّ ما ينسب الى الانسان [وَأَنْفُسِكُمْ] ببذلها بحيث لا يبقى لكم انفس ولا ما ينسب الى انفسكم و تؤمنون جوابٌ لسؤال مقدّر لبيان التّجارة [ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] يعنى ان كنتم من اهل العلم علمتم ذلك ، او ان كنتم تعلمون ذلك اخترتم ذلك [يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ] مجزومٌ فى جواب الشّرط يعنى ان كنتم تعلمون ذلك يغفر لكم لانّ العلم يجذب الى العمل واختيار المعلوم ، واختيار المعلوم مورثٌ لمغفرتكم ، او فى جواب تؤمنون فانّه فى معنى آمنوا ، او فى جواب الاستفهام والمعنى هل ادلّكم ان ادلّكم يغفر لكم فانّ دلالتى ليست الّا بتوجّهى والتفاتى اليكم ، وتوجّهى والتفاتى اليكم مورثٌ لتغيير احوالكم ورغبتكم الى العمل والآخرة وهى تورث مغفرتكم [وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ] اى جنّات الاقامة وهى اخرى الجنّات [ذَٰلِكَ] المذكور من المغفرة وادخال الجنّات اوادخال جنّات عدن [الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا] اى لكم خصلة اخرى تحبّونها ، اوتعطون نعمة اخرى ، اوهل ادلّكم على تجارة اخرى و يكون المعنى هل ادلّكم على ربح آخر لتجارتكم ، او اخرى مبتدءٌ وخبره [نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ] فى الدّنيا بظهور القائم (ع) كما عن القمّىّ ولمّا كان جُلّ اصحاب الرّسول (ص) طالبين للظّفر والغنيمة واعلاء الكلمة قال : اخرى تحبّونها [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] بالظّفر على جنود النّفس بظهور القائم (ع) ونصرة الله فانّ الايمان يقتضى النّصرة لامحالة بمنطوق وعد الله [الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم فى الارض (الآية) [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة [كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ] لمّا كان اللّطيفة الانسانيّة الفطريّة واللّطيفة الولويّة الّتى هى انسانيّة اختياريّة مظهر الله تعالى ، و نصرته بالعلوم الاخرويّة و الاعمال الصّالحة تكون نصرة لله وكان خليفة الله ايضاً مظهراً لله و نصرته تكون نصرة لله اراد بنصرة الله نصرة تلك اللّطيفة وذلك الخليفة ، وأدّاه بنصرة الله للاشعار بانّ نصرتهما نصرة لله فى الحقيقة [كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ] يعنى قلنا لكم كونوا انصار الله كما قال عيسى (ع) ، او المعنى قل يا محمّد (ص) : يا ايّها الّذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى (ع) ، او كما قال عيسى متعلّق بكونوا انصار الله و يكون المشبّه به كون الحواريّين انصار الله [لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ] قدمضت هذه الآية فى سورة آل عمران مع بيان لها [فَآمَنَتْ] بعد قول عيسى بن مريم (ع) [طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ] يعنى بالله بواسطة عيسى او بعيسى (ع) بعد قوله هذا [فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ] يعنى غالبين وهذه تسلية للرّسول (ص) و تبشير و تسلية للمؤمنين و تهديدٌ للكافرين من امّة محمّد (ص).

سورة الجمعة

مدنيّة ، احدى عشرة آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

[يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰافِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰافِي الْأَرْضِ] قد مضى وجه الاداء بالماضى فى السّور السّابقة ، والاتيان بالمضارع فى هذه السّورة و فى التّغابن [الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ] قد مضى بيان قدسه تعالى و الفرق بينه و بين تسبيحه فى البقرة عند قوله تعالى: ونحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك [الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] التّوصيف بهذه الاوصاف لبيان علّة تسبيح الاشياء تماماً له ، وقرئ الكلّ بالرّفع على المدح [هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ] كلام منقطع عن سابقه و بيان للامتنان على امّة محمّد (ص) وتمهيد للتّعريض الآتى [يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ] قد مضى بيان لهذه الآية ووجه تقديم التّزكية على التّعليم فيها ، و وجه تقديم التّعليم على التّزكية فى دعاء ابراهيم (ع) بقوله (ربّنا و ابعث فيهم رسولًا منهم يتلو اعليهم آياتك و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم [وَآخَرِينَ مِنْهُمْ] من الامّيّين اومن جنسهم من سائر النّاس من الاعاجم وهو عطف على الامّيّين اوعلى مفعول يعلّمهم والمراد بالآخرين التّابعون وتابعوا التّابعين الى يوم القيامة ، اوغير اهل مكّة من اهل العالم من الفارس والتّرك والرّوم، اوالمراد بالآخرين آخرون فى الرّتبة ، وروى انّ النّبيّ (ع) قرأ هذه الآية فقيل له : من هؤلاء؟- فوضع يده على كتف سلمان رحمه الله وقال: لو كان الايمان فى الثّريا لنالته رجال من هؤلاء [لَمّٰا يَلْحَقُوا بِهِمْ] وسيلحقون بهم الى يوم القيامة [وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذٰلِكَ] اى بعث رسول من جنس البشر اوبعث مثل محمّد (ص) الّذى يزكّيهم ثمّ يعلّمهم الكتاب و الحكمة [فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ] من الامم فيكون منّة منه تعالى على امّة محمّد (ص) ،اوذلك الرّسالة وتذكير اسم الاشارة باعتبار الخبر كأنّه قال: ذلك الفضل الّذى هو الرّسالة والنّبوّة فضل الله يؤتيه من يشاء من افراد البشر [وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] فيعطى ازيد من ذلك اولاينقص من فضله شيء بايتاء الرّسالة للمستحقّين اوذوا الفضل العظيم على النّاس ببعثة محمّد (ص) فيهم [مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاةَ] حملهم التّوراة انبياؤهم وعلماؤهم بان علّموهم التّوراة وكلّفوهم العمل بها ، و هذا بيان لحال اليهود و ذمّ لهم لكنّه تعريض بمنافقى امّة محمّد (ص) الّذين لم يقرّوا بعلىّ (ع) والّذين لم يعملوا بالقرآن [ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا] بان لم يعملوا بها [كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰارًا] فى كلفة الحمل والتّعب فيها وعدم الانتفاع بها بل التّضرّر بثقلها وتعب حملها ، فمن تعلّم القرآن ولم يعمل بما فيه كائناً من كان كان من اهل هذا المثل مثل الصّحابة الّذين اهتمّوا بحفظ القرآن عن التّغيير و بتلاوته وقراءته ولم يعملوا بما فيه من مراعاة العترة ومودّتهم واتّباعهم ، وكذلك من تعلّم القرآن وعلم احكامه وعمل بما فيه ، ومن تعلّم احكام الشّريعة وعمل بها لكن كان منظوره من علم ذلك الحيوة الدّنيا لا الحيوة الآخرة كان من اهل هذا المثل، ونعم ماقال المولوىّ :

علمهای اهل دل حمّالشان — علمهای اهل تن احمالشان
علم چون بر دل زند یاری شود — علم چون بر تن زند باری شود
گفت ایزد یحمل اسفاره — بار باشد علم کان نبود زهو

علم كان نبود ز هو بيواسطه — آن نپايد همچو رنگ ما شطه
ليك چون اين بار را نيكو كشي — بار برگيرند و بخشندت خوشي
هين بكش بهر خدا اين بار علم — تا بيني در درون انبار علم
تا كه بر رهوار علم آئي سوار — آنگهان افتد ترا از دوش بار

[بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ] يعنى كلّ من كذّب بآيات الله وكلّ من كان اهل ملّة ولم يرد وجه الله كان من اهل هذا المثل [وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] يعنى المكذّبين بآيات الله والمحمّلين للكتب السّماويّة والغير الحاملين لها ، لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم وتعليلاً للحكم يعنى انّ الله لا يهديهم الى الصّراط الانسانيّ اوالى الجنّة اوالى مقاصدهم [قُلْ] لليهود تعريضاً بمن ادّعى منكث الخلافة او بجميع امّتك [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى هذا الادّعاء يعنى ان كنتم اولياء لله فالحيوة الدّنيويّة تحجبكم عنه وكلّ محبّ يتمنّى لقاء المحبوب والموت يخرجكم من الحجاب ويوصلكم الى لقاء الله [وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا] لانّهم ناسون لله وراضون بالحيوة الدّنيا [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ] من المعاصى الّتى يخافون ان يدخلوا بها النّار ، اومن المعاصى الّتى تنسيهم الآخرة وتصرفهم الى جهة الدّنيا بحيث صاروا محبّين للدّنيا غير محبّين للآخرة [وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] اى بهم ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم ومبالغة فى تهديدهم [قُلْ] لليهود اولجميع الخلق [إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ] فلا ينفعكم الفرار منه وليكن فراركم ممّا يضرّ فيما بعده [ثُمَّ تُرَدُّونَ] بعد الموت [إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] اى الى الّذى يعلم جميع الغائبات عن المدارك اوجميع الغائبات عن الخلق وجميع المشهودات ، اوجميع مامن شأنه ان يشاهد اوعالم عالم الغيب وعالم عالم الشّهادة وعلى اىّ تقدير فهو تحذير عن مخالفة الله فى السّرّ والعلانية [فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] ويجازيكم بحسبه وبعد ما هدّد المسلمين بالتّعريض ناديهم تلطّفاً فقال [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ] .

اعلم ، انّ ايّام الاسبوع مظاهر للايّام الرّبوبيّة ودَوَران الايّام على الاسبوع ليس بمواضعة بنى آدم والّا لاختلف الاختلاف فى دَوَرانها وكان فرقة يديرها على السّتة اوالخمسة او الاربعة ، وفرقة يديرها على الثّمانية اوالتّسعة ، اوغير ذلك ومن يديرها على السّبعة لم يكن يديرها بتلك الادارة بان يجعل المبدء الاحد والمنتهى السّبت ، اوالمبدء السّبت والمنتهى الجمعة ، وفى الجملة لم يكونوا يسمّى كلّهم احداً احداً ومنسوباً الى الشّمس والسّبت سبتاً ومنسوباً الى كوكب خاصّ وبالجملة لم يكن عند جميع المنجّمين كلّ يوم مخصوص منسوباً الى كوكب خاصّ ، وقد اتّفق المنجّمون من كلّ ملّة وفى كلّ لسان على ادارة الايّام على السّبعة بهذا التّرتيب المخصوص وانتساب كلّ يوم مخصوص الى كوكب خاصّ سمّيت بهذه الاسماء ام لم تسمّ ، والايّام الرّبوبيّة الّتى هذه الايّام بازائها يوم المجرّدات الّتى هم قيام لا ينظرون ، ويوم الصّافّات صفّاً ، ويوم المدبّرات امراً ، ويوم ذوى الاجنحة مثنى وثلث ورباع ، ويوم الكيان ، ويوم الملكوت السّفلى ، اويوم المدبّرات امراً ، ويوم الرّكّع والسّجّد ، ويوم المتقدّرات المجرّدة علويّين كانوا ام سفليّين ، وهذه الايّام كما اشير اليها فى سورة الاعراف هى الايّام الّتى خلق السّماوات والارض فيها وبها احتجب عن الخلق ، واليوم السّابع هو يوم جمع الجمع الّذى يعبّر عنه بالمشيّة ومقام الظّهور ، ولمّا كان الجمعة بازاء

يوم الجمع طولاً امر الله العباد بانعقاد الجمعة ، وامر ان لا ينعقد الجمعة باقلّ من سبعة اوخمسة ، ولمّا كان يوم الجمع خاصاً بمحمّد (ص) لاحظّ لاحد سواه (ص) فيه جعل الجمعة الّتي بازائه عيداً خاصاً بمحمّد (ص) وحرّم السّفر فيها على من كان المسافة بينه و بين مجمع النّاس للجمعة اقلّ من فرسخين او بقدر فرسخين ، ولذلك قال : اذا نودي للصّلوة من يوم الجمعة يعني اذا اذّن لصلوة الجمعة [فَاسْعَوْا] اى فأسرعوا [إِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ] يعني الصّلوة [وَذَرُوا الْبَيْعَ] فانّ البيع في هذا اليوم خلاف مقتضى هذا اليوم خصوصاً وقت وصول الشّمس الى نصف النّهار [ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ] فانّه اذا اعطى كلّ يوم حقّه كان خيراً لكم [إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] كان خيراً لكم يعني ان اتّبعتم عليّاً (ع) وقبلتم ولايته بالبيعة معه فانّ العلم والتّعلّم منحصران في شيعة عليّ (ع) ، او ان كنتم تعلمون انّه خير لكم اخترتموه [فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلٰوةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ] لمّا كان الاجتماع في الجمعة لذكر الله بمنزلة الفناء الذّاتيّ والبقاء في ذلك الفناء يورث نقصان الوجود والمطلوب من الانسان استكماله بجميع جنوده ولا يمكن الّا بالبقاء بعد الفناء امرهم بالانتشار في الارض وابتغاء فضله كما قال [وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ] الصّوريّ بطلب ما تحتاجون اليه من جهة الحلال ، وفضل الله المعنويّ بزيارة الاخوان وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم كما في الخبر عن النّبيّ (ص) وعن الصّادق (ع) : الصّلوة يوم الجمعة ، والانتشار يوم السّبت ، وعنه (ع) انّي لاركب في الحاجة الّتي كفاها الله ما اركب فيها الّا التماس ان يراني الله اضحى في طلب الحلال ، اما تسمع قول الله عزّ اسمه ؟ فاذا قضيت الصّلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله [وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراً] في حال ابتغاء الفضل او في جميع الاحوال فانّ ذكر الله مرغوب فيه ولو كنت تبول فانّه كما في الخبر لا بأس بذكر الله وانت تبول وقد مضى في سورة البقرة عند قوله تعالى : فاذكروني اذكركم بيان للذّكر ومراتبه وكيفيّته [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح بالذّكر لانّ مناط الطّاعة والمعصية كما يستفاد ممّا ورد عن الصّادق (ع) الذّكر والغفلة ، روي عن النّبيّ (ص) من ذكر الله مخلصاً في السّوق عند غفلة النّاس وشغلهم بما هم فيه كتب الله له الف حسنة و يغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر [وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا] اليها استدراك كأنّه قال : لكنّهم لا يقبلون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضّوا [إِلَيْهَا] اى الى التّجارة خصّ الضّمير بها لانّ اللّهو كان تبعاً للتّجارة [وَتَرَكُوكَ قَائِماً] تخطب على المنبر كما في خبر ، او في الصّلوة كما في خبر آخر [قُلْ] لهم [مَا عِنْدَ اللّٰهِ] من النّعيم المقيم [خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ] فانّ التّجارة ان كان فيه نفع دنيويّ واللّهو ان كان فيه نفع خياليّ والتذاذ وهميّ فما عند الله خير لانّ نفعه عقليّ روحيّ وهو غير منقطع وغير مشوب بالآلام [وَاللّٰهُ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ] روي عن جابر انّه قال : اقبلت عير ونحن نصلّي مع رسول الله (ص) فانفضّ النّاس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلاً انا فيهم فنزلت الآية ، وفي رواية : اقبلت عير و بين يديها قوم يضربون بالدّفوف والملاهي فقال النّبيّ (ص) : والّذي نفسي بيده لو تتابعتم حتّى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي ناراً ، وعن الصّادق (ع) : انّ الواجب على كلّ مؤمن اذا كان لنا شيعة ان يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبّح اسم ربّك الاعلى ، وفي صلوة الظّهر بالجمعة والمنافقين فاذا فعل ذلك فكأنّما يعمل بعمل رسول الله (ص) وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنّة ،

سورة المنافقون

مدنيّة، وهي احدى عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ] لبيان انّ المشهود به صدق و رفع توهّم رجوع التّكذيب الى المشهود قدّم هذا ثمّ قال [وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ] لعدم مطابقة المشهود به لما في قلوبهم [اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً] عن القتل والاسر وحفظوا بها دماءهم واموالهم او اتّخذوها جنّة عن شتم المسلمين ولومهم، اوجنّة عن سوء ظنّ المسلمين بهم وفرارهم عنهم، وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة [فَصَدُّوا] منعوا اوا عرضوا [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] الّذى هو علىّ (ع) و ولايته [إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ].

اعلم، انّ النّفاق عبارة عن اظهار ما لم تكن تعتقده مثل الّذين اظهروا الاسلام و باعوا البيعة النّبويّة من غير اعتقاد برسالة الرّسول (ص) اومع الشّكّ فى رسالته، اوكانوا معتقدين ثمّ طرأ الشّكّ والانكار، هذا بحسب الظّاهر و الاعتقاد وقد يعتبر النّفاق بحسب الاعمال الظّاهرة من غير موافقة الاحوال الباطنة و هذا نفاق قلّ من يخلو عنه من المسلمين، فانّ الاذكار والافعال الواقعة فى الصّلوة كلّها عناوين واظهار لاحوال النّفوس فانّ قول القائل بسم الله الرّحمن الرّحيم تعبير عن نفسه وانّه يتسم نفسه بالعبادة فاذا لم يكن حاله موافقاً لهذا التّعبير كان منافقاً حالاً، وهكذا الحمد لله ربّ العالمين وهكذا إيّاك نعبد حصر للعبادة فيه و إيّاك نستعين حصر للاستعانة فيه فلو كان حال القائل ذلك ان يرى موصوفاً آخر او يعتقد موصوفاً آخر بالصّفات الحميدة اوكان له معبود آخر من الاهوية اوالاناسيّ، اوكان نظره الى معين آخر و الاستعانة بغير الله كان منافقاً حالاً، وفعل الرّكوع تعبير عن نفسه بانّه خاشع لله بحيث دعا خشوعه له الى الانثناء، وسجوده تعبير عن كمال خضوعه له تعالى فاذا لم يكن حاله على هذا المنوال كان منافقاً، وهكذا قنوته وساثر دعواته فى احوال الصّلوة، وصيامه تعبير عن نفسه بانّه صام عن غير التذاذ بجمال الله والسّلوك اليه، وزكوته كناية عن انّه فى نقصان الانانيّة، فلو لم ينقص من انانيّته بل كان فى زكوته معجباً بنفسه رائياً عمله كان منافقاً، و قد ورد: ما زاد خشوع الجسد على خشوع القلب فهو من النّفاق [ذَٰلِكَ] الكذب واتّخاذ الايمان جنّة والصّدّ اوالصّدود عن سبيل الله [بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا] والكفر بعد الايمان ابلغ واشدّ من الكفر الاوّل، وكفر النّفاق افضح [فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ] بحيث لم يبق فيها مدخل ومخرج للملك والنّور [فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] لايدركون ادراكاً اخرويّاً مؤدّياً الى ادراك آخر [وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ] بحسنها وتجمّلها بما يتجمّل بها وطراوتها ونضارتها [وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ] لطلاقة لسانهم وحلاوة كلامهم و تسمع قام مقام القول اى يقل اسمع لقولهم [كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ] على الحائط فى كونهم خالين عن الرّوح والعقل، وفى عدم الانتفاع بهم بوجه آخر مثل الخشب المسنّدة الّتى ليست عمداً لسقف اوغيره [يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ] لعدم توكّلهم على ربّهم وجبنهم واتّهامهم فى المسلمين [هُمُ الْعَدُوُّ] استيناف جواب سؤال مقدّر كانّه قيل: فما شأنهم؟ ومانفعل بهم؟ - فقال: هم الكاملون فى العداوة

[فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ] اخبار عن حالهم بانّهم قاتلهم الله عن الحيوة الانسانيّة ، اواخبار عمّا يفعل بهم بعد لكنّه ادّاه بالماضي لتحقّق وقوعه ، اودعاء عليهم بمقاتلة الله لهم [أَنّٰى يُؤْفَكُونَ] كيف يصرفون عن الحقّ [وَإِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّٰهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ] كناية عن الانكار والاستكبار [وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ] يعرضون اويمنعون [وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ] عن الاتيان والاعتذار والاستغفار [سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ] تعليل لاستواء الاستغفار وعدمه ومبالغة في يأسهم عن مغفرة الله فانّ عدم مغفرته مع استغفار الرّسول (ص) دليل ان ليس فيهم مايمكن المغفرة لهم [إِنَّ اللّٰهَ لٰا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ] تعليل آخر والمقصود عدم الهداية الى الجنّة او الى الحقّ [هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لٰا تُنْفِقُوا عَلىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ حَتّٰى يَنْفَضُّوا] يتفرّقوا [وَلِلّٰهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ] جملة حاليّة [وَلٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ] الّذين يقولون لاتنفقوا حتّى ينفضّوا [لٰا يَفْقَهُونَ] اى لايدركون ذلك ادراكاً اخرويّاً [يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنٰا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ] كنّوا عن انفسهم بالاعزّ وعن المؤمنين بالاذلّ [وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لٰا يَعْلَمُونَ] انّ العزّة الدّنيويّة والاخرويّة لله وعند الله ولمن كان من حزب الله وان كانوا بحسب الانظار الظّاهرة مغلوبين ، نزلت الآيات كما عن القمّيّ ، في غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة وكان رسول الله (ص) خرج اليها فلمّا رجع منها نزل على بئر وكان الماء قليلاً فيها وكان سيّار حليف الانصار وكان جهجاه بن سعيد الغفاريّ اجيراً لعمر بن الخطّاب فاجتمعوا على البئر فتعلّق دلو سيّار بدلو جهجاه فقال سيّار: دلوي وقال جهجاه: دلوي ، فضرب جهجاه يده على وجه سيّار فسال منه الدّم فنادى سيّار بالخزرج ونادى جهجاه بقريش فاخذ النّاس السّلاح وكاد ان تقع الفتنة فسمع عبدالله بن أبيّ النّداء فقال: ماهذا؟ ـ فأخبروه بالخبر فغضب غضباً شديداً ثمّ قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير انّي لاذلّ العرب؟! ماظننت انّي ابقى الى ان اسمع مثل هذا فلايكون عندي تغيير ، ثمّ اقبل على اصحابه فقال: هذا عملكم ، أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم ، ووقيتموهم بأنفسكم وأبرزتم نحوركم للقتل ، فأرمل نساءكم وايتم صبيانكم ، ولواخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم ، ثمّ قال: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذلّ ، وكان في القوم زيد بن ارقم وكان غلاماً قدراهق وكان رسول الله (ص) في ظلّ شجرة في وقت الهاجرة وعنده قوم من اصحابه من المهاجرين والانصار ، فجاء زيد فأخبره بما قال عبدالله بن ابيّ : فقال رسول الله (ص) : لعلّك وهمت ياغلام؟ ـ قال: لا والله ماوهمت ، فقال: لعلّك غضبت عليه؟ قال: لا والله ماغضبت عليه ، قال: فلعلّه سفّه عليك؟ ـ قال: لا والله ، فقال رسول الله (ص) لشقران مولاه فأحدج[1] فاحدج راحلته وركب وتسامع النّاس بذلك ، فقالوا: ماكان رسول الله (ص) ليرحل في مثل هذا الوقت فرحل النّاس الى ان قال: فسار رسول الله (ص) يومه كلّه لايكلّمه احد فأقبلت الخزرج على عبدالله بن ابيّ يعذلونه فحلف عبدالله انّه لم يقل شيئاً من ذلك ، فقالوا: فقم بنا الى رسول الله (ص) حتّى نعتذر اليه فلوّى عنقه ، فلمّا جنّ اللّيل سار رسول الله (ص) ليله كلّه والنّهار فلم ينزلوا الّا للصّلوة ، فلمّا كان من الغد نزل رسول الله (ص) ونزل اصحابه وقد امهدهم الارض من السّهر الّذي اصابهم ، فجاء عبدالله بن ابيّ الى رسول الله (ص) فحلف انّه لم يقل ذلك وانّه ليشهد ان لااله الّا الله وانّك لرسول الله وانّ زيداً قد كذب عليّ ، فقبل رسول الله (ص) منه وأقبلت الخزرج على زيد بن ارقم يشتمونه (الى ان قال) فنزل الوحي عليه فلمّا نزل جمع اصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين ففضّح الله

(١) الحدج كالضرب والاحداج شدّ الحمل على البعير ، والحدج بالكسر الحمل .

عبدالله بن ابيّ ، و عن الكاظم (ع) انّ الله تبارك و تعالى سمّى من لم يتّبع رسوله (ص) فى ولاية عليّ (ع) وصيّه منافقين ، و جعل من جحد وصيّه امامته كمن جحد محمّداً (ص) و انزل بذلك قرآناً فقال : يا محمّد اذا جاءك المنافقون بولاية وصيّك قالوا نشهد انّك لرسول الله والله يعلم انّك لرسوله والله يشهد انّ المنافقين بولاية عليّ لكاذبون، اتّخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله والسّبيل هوالوصيّ انّهم ساء ماكانوا يعملون، ذلك بانّهم آمنوا برسالتك وكفروا بولاية وصيّك فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ، يقول: لا يعقلون نبوّتك ، واذا قيل لهم :ارجعوا الى ولاية عليّ (ع) يستغفر لكم النّبيّ (ع) من ذنوبكم لوّوا رؤسهم قال الله و رأيتهم يصدّون عن ولاية عليّ (ع) وهم مستكبرون عليه، ثمّ عطف القول بمعرفته بهم فقال: سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم انّ الله لا يهدى القوم الفاسقين يقول الظّالمين لوصيّك [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰتُلْهِكُمْ اَمْوٰالُكُمْ وَلاٰاَوْلاٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ] فانّ القلب للطافته يران عليه و يقسيه اشتغاله بالكثرات الخياليّة وذكر الله يجلوه عن الرّين، فلو اشتغل الانسان بالاموال والاولاد فاذا كان ذاكراً لله صار الذّكر جالياً لقلبه عن الرّين ، واذا كان غافلاً عن ذكر الله صار الرّين متراكماً على قلبه بحيث يتشكّك اوّلاً ثمّ يكفر و ينافق [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] لاتلاف بضاعتهم وعدم اخذ العوض له [وَاَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ] من الاموال والقوى والاعراض، ومن نسب الافعال والاوصاف الى انفسكم، ومن انانيّاتكم [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ] فيؤخذ جميع ذلك منكم فلاتروا شيئاً ممّا تنسبونه الى انفسكم [فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاٰ اَخَّرْتَنِي اِلىٰ اَجَلٍ قَرِيبٍ] يعنى الى مدّة قريبة من هذه المدّة ان كان هذا القول حال الاحتضار، اومن مدّة قريبة من وقت الموت ان كان هذا القول فى القيامة اوفى البرزخ [فَاَصَّدَّقَ] فأتصدّق ممّا ينبغى ان يتصدّق منه [وَاَكُنْ مِنَ الصّٰالِحِينَ] مجزوم معطوف على مجموع الفاء وما بعده فانّه واقع موقع المضارع المجزوم فى جواب لولا، وقرئ منصوباً عطفاً على ما بعد الفاء ، ومرفوعاً بتقدير انا اكون من الصّالحين[1] [وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللّٰهُ] جملة حاليّة و رفع لتوهّم انّه يجوز التّأخير ام لا [نَفْساً اِذٰا جٰاءَ اَجَلُهٰا] اذا قدّر مجيء اجلها ، عن الباقر (ع) انّ عند الله كتباً موقوفة يقدّم منها مايشاء و يؤخّر مايشاء ، فاذا كان ليلة القدر انزل الله فيها كلّ شيء يكون الى مثلها فذلك قوله: ولن يؤخّر الله نفساً اذا جاء اجلها اذا انزل الله ، وكتبه كتاب السّموات وهو الّذى لا يؤخّره [وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ] تهديد للمنافقين والكافرين، اوردع وزجر للكافر فى القيامة .

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مدنيّة ،وقيل : مكّيّة غير ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة : يٰاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنَّ مِنْ اَزْوٰاجِكُمْ (الى آخر السّورة) ثمانى عشرة آيَةً .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْاَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ] اى ما ينبغى ان يملك [وَلَهُ الْحَمْدُ]

اى ما ينبغى ان يوصف الكامل به [وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على استنطاق الاشياء بالتّسبيح وهذه تعداد الاوصاف الجميلة و اشارة الى علّة تسبيح الاشياء له ، و لكونها تعداداً لاوصافه الحميدة قال [هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ] بدون العاطف والمعنى فمنكم مؤمن بالولاية ، ومنكم كافر بالولاية كمامرّ مراراً انّ مناط الكفر والايمان معرفة الولاية وانكارها ، وعن الصّادق (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال: عرّف الله ايمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم اخذ عليهم الميثاق فى صلب آدم (ع) وهم ذرّ [وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تهديدٌ للكافر وترغيبٌ للمؤمن [خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] فلم يكن اسباب السّماوات والارض الّتى بها ايجادكم و ابقاؤكم الّا لامرٍ حقٍّ وغايةٍ شريفةٍ متقنةٍ لالهذه الغايات الدّنيّة الباطلة الّتى هى وصول القوى الشّهويّة والغضبيّة والشّيطانيّة الى مستلذّاتها فلاتقطعوا غاياتكم الشّريفة ولاتبطلوا ذواتكم [وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] لتكونوا مقرّبين له فانّه خلقكم وصوّركم مشتملين على جميع ما فى عالم الامر والخلق بل على جميع ما فى العالم الآلهىّ لتصيروا بطرح الطّوارى عن وجوه ذواتكم بشأنه تعالى و تصيروا احقّاء بقربه فلاتبطلوا ذواتكم دون الوصول الى غاياتكم [وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] اى مصيركم ترغيب و تهديد يعنى استعدّوا للحضور عنده و تهيّؤا للوصول اليه بأحسن الوجوه [يَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ] تهديدٌ وترغيبٌ [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] قد مضى امثال هذه الآية مع تفسيرها مكرّراً [أَلَمْ يَأْتِكُمْ] ايّها النّاس [نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ] فتعتبروا بأحوالهم وترتدعوا عن مثل افعالهم [فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ] فى الدّنيا فاحذروا عن مثل افعالهم [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فى الآخرة [ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] كما جاءكم رسولكم بالبيّنات [فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا] مثل ما تقولون لوشاء الله ان يرسل رسولا لأنزل ملائكة [فَكَفَرُوا] بالرّسل مثلكم [وَتَوَلَّوْا] عنهم وعن بيّناتهم وعن التّدبّر فيها [وَاسْتَغْنَى اللّٰهُ] عنهم يعنى استغنى الله فى مظاهر رسلهم (ع) بمعنى استغنى الرّسل عنهم وعن الاعتداد بهم فلم يكن من قبلهم استعداد لقبول الايمان ولم يكن من قبل الرّسل دعوةٌ لهم [وَاللّٰهُ غَنِيٌّ] عنهم وعن عبادتهم وعن ايمانهم [حَمِيدٌ] فى نفسه عرف ام لم يعرف ، حمد ام لم يحمد [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلٰى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ فَآمِنُوا] يعنى اذا كنتم تبعثون فآمنوا [بِاللّٰهِ] الّذى تبعثون اليه [وَرَسُولِهِ] الّذى يعلّمكم طريق الايمان به [وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا] والنّور المنزل هو ولاية علىّ (ع) الّتى كانت مع كلّ نبىّ سرّاً ومع محمّد (ص) سرّاً وجهراً ، وقد فسّر فى الاخبار بالامامة و بالامام ، وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية فقال: النّور والله الائمّة (ع) ، لنور الامام فى قلوب المؤمنين انور من الشّمس المضيئة بالنّهار ، و هم الّذين ينوّرون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشيهم بها .

اعلم ، انّ النّور هو الّذى ظهر بذاته واظهر غيره وهذا حقّ الوجود فانّه الظّاهر بذاته بحيث انّه اقدم البديهيّات و اوّل المدركات ، و بعد تعيين المفهوم هو اوّل المسؤلات ، فانّ السّؤال بما الشّارحة الّذى هو سؤال عن مفهوم اللّفظ مقدّم على السّؤال بهل البسيطة ، و بعد تعيين مفهوم اللّفظ لايسأل الّا بهل البسيطة و بعد السّؤال بهل البسيطة يكون سائر السّؤالات ، ومعنى كونه مظهراً للاشياء انّه لاظهور لشيء من الاشياء على مدرك من المدارك الّا بالوجود ،

والوجود الظّاهر بذاته المظهر لغيره هو المشيّة الّتي هي فعل الحقّ الاوّل تعالى واضافته الى الاشياء وهي الولاية المطلقة الّتي جميع الولايات الجزئيّة حصصٌ منها وكلّ موجود موجودٌ بها وكلّ ظاهر ظاهرٌ بها حتّى النّور العرضيّ الّذي به يظهر السّطوح والاشكال والالوان، فانّه لولا الوجود لما ظهر ذلك النّور على الابصار ولما اظهر الاشياء، وكلّ امام لمّا صار متّصلا بالمشيّة نحو اتّصال في الصّعود بعد ما كان متّصلا بها مثل سائر الاشياء في النّزول و بذلك الاتّصال يؤثّر فيمن اتّصل به و يفيده فعليّةً وجوديّةً في الصّعود لم تكن له تلك الفعليّة و بتلك الفعليّة يظهر عليه وجوده وفسّروا النّور بالامام قبل الاتّصال بالامام، وتلك الفعليّة وجود حادث في فعليّات هذا المتّصل ومقوّمة لسائرها ومحيطة بها، وهي الايمان الدّاخل في قلب المؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة، و بتلك الفعليّة يظهر على المؤمن السّالك دقائق اخلاقه الّتي هي ادقّ من الشّعر واخفى من دبيب النّملة السّوداء على الصّخرة الصمّاء في اللّيلة الظّلماء، و يظهر عليه مثل هذا الشّرك الخفيّ ولم تكن تظهر عليه امثال هذه قبل ذلك، ولم تكن تظهر بنور الشّمع والسّراج، ولا بنور الكواكب والقمر، ولا بنور الشّمس الّتي هي انور، ولمثل هذا النّور وهذا الظّهور قدير المؤمن نفسه اسوء من كلّ مسيء واشدّ ذنباً من كلّ مذنب، وقد يصير مبغضاً لنفسه اشدّ بغض، ولمثل هذا الظّهور يصير الدّنيا سجناً له ، هذا هو الظّهور العلميّ والحاليّ الوجدانيّ، وقد يظهر الامام بصورته الملكوتيّة النّورانيّة على صدر السّالك وهذا الظّهور هو ظهور القائم (ع) في العالم الصّغير وحينئذ تشرق ارض وجود السّالك بنور ربّه اشراقاً اشدّ من اشراق ارض العالم الكبير بنور الشّمس ولشدّة الاشراق لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً، و يومئذ تحدّث اخبارها، واخرجت اثقالها ، فعليكم بالاتّصال بهذا النّور فان لم يظهر عليكم الامام بصورته الملكوتيّة فلا اقلّ من ظهور الرّذائل والخصائل بنوره ولا اقلّ من ادراك قبح الرّذائل ثمّ الانزجار منها و ادراك حسن الخصائل ثمّ الرّغبة فيها والطّلب لها [وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] ترغيب و تهديد [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ] ظرف لخبير او لاذكروا مقدّراً كأنّه قيل: فما نفعل حتّى يستقيم ايماننا بهذا النّور؟- فقال: اذكروا حضوركم عند ربّكم حتّى يسهل عليكم الايمان بهذا النّور و تستقيموا على الايمان به [ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ] يوم ظهور غبن المغبون ، او يوم غبن اهل الجنّة اهل النّار بتزولهم منازل اهل النّار في الجنّة ، وفي الخبر يوم يغبن اهل الجنّة اهل النّار [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا] اى صالح كان حتّى يظهر بعمل صالح ما صحّة ايمانه او يعمل صالحاً عظيماً هو قبول الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة [يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] قد مضى الايتان مكرّرتين [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ان كان من يؤمن بالله و يعمل صالحاً كذا وكذا في الآخرة فلم يصيبهم المصائب في الدّنيا؟- فقال: اصابة المصيبة لا تكون الّا باذن الله، وليست الّا لحكمة تكميل المؤمن، او كأنّه قيل: كأنّ كفر الكافر ليس باذن الله؟- فقال: ما اصاب من مصيبة الّا باذن الله غاية الامر انّ مصيبة المؤمن تكون تكميلاً له ، ومصيبة الكافر او كفره كانت باستعداده السّابق ونقمة له [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ] بالبيعة العامّة [يَهْدِ قَلْبَهُ] للايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة ، او من يؤمن بالله بالبيعة الخاصّة يهد قلبه الى العلم بانّ اصابة المصائب ليست الّا باذن الله ، عن الصّادق (ع) انّ القلب ليترجّح[1] فيما بين الصّدر والحنجرة حتّى يعقد على الايمان ، فاذا عقد على الايمان قرّ وذلك قول الله عزّ وجلّ : و من يؤمن بالله يهد قلبه [وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم القلوب وايمانها و سائر احوالها [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] في جميع ما قالاه لكم او في خصوص ولاية عليّ (ع) وهذا هو المنظور، فانّ المقصود من طاعة الله و رسوله (ص) في سائر ما امر رسوله (ص) انتهاء الطّاعة الى قبول

(١) اى يتزلزل و ترجرج = تحرّك و اضطرب.

الولاية لانّها المنظور من كلّ منظور، والمطلوب من كلّ مطلوب [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عن الله و رسوله فلا يرد عليه شين من ذلك [فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] وقد بلّغ رسالته اواحكام رسالته او ولاية خليفته [اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] لانّ الايمان يقتضى الاقرار بان لامبدء لحادث من الحوادث الّا الله ، وهذا الاقرار يقتضى التّوكّل عليه والتّوسّل به ؛ وترك التّوسّل والتّوكّل على غيره، ولمّا كان الاشتغال بالكثرات مطلقاً مانعاً للقلب عن التّوجّه الى الله والاشتغال بطريق الولاية وكان الايمان بالنّور الّذى هو الولاية امراً مهمّاً مرغوباً فيه ، وكان الاشتغال بما يكون القلب متعلّقاً به من الكثرات اشدّ منعاً و اكثر تأثيراً فى ذلك خصوصاً الازواج والاولاد لشدّة تعلّق القلب بهما نادى المؤمنين تلطّفاً بهم وحذّرهم عن التّعلّق بهما ، ثمّ امرهم بالعطوفة عليهما فقال [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ] يعنى انّ بعض الاولاد والازواج يكونون معينين لكم فى امر آخرتكم ويكونون محبّين لكم فى ذلك ، لكنّ البعض الآخر يكونون اعداءً لكم فى امر آخرتكم لاسيّما اذا كانوا مخالفين او موافقين فى جهة الدّنيا لا فى جهة الآخرة سواءٌ ظهر منهم عداوةٌ فى الظّاهر اولم يظهر [فَاحْذَرُوهُمْ] ولا تخالفوا امر الله فى رضاهم ولكن لاتدعوهم الى انفسهم وادعوا الله لهم واطلبوا من الله المغفرة لهم [وَإِنْ تَعْفُوا] عن مسيئهم [وَتَصْفَحُوا] بتطهير القلوب عن الحقد عليهم [وَتَغْفِرُوا] مساويهم يغفر الله لكم و يرحمكم او يغفر الله لكم ولهم ويرحمكم وايّاهم [فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] نسب الى الباقر (ع) فى هذه الآية ، انّ الرّجل كان اذا اراد الهجرة الى رسول الله (ص) تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا : ننشدك الله ان تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك ، فمنهم من يطيع اهله فيقيم فحذّرهم الله ابناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم ، ومنهم من يمضى ويذرهم ويقول : اما والله لئن لم تهاجروا معى ثمّ يجمع الله بينى وبينكم فى دار الهجرة لانفعكم بشيء ابداً، فلمّا جمع الله بينه و بينهم امره الله ان يحسن اليهم ويصلهم فقال: وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فانّ الله غفورٌ رحيمٌ [إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ] الّتى امر الله بحفظها [فِتْنَةٌ] لكم اى اختبارٌ او فساد او عذابٌ لكم [وَاللّٰهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] لمن آثر طاعة الله على محبّة الاموال و الاولاد ، اولمن حفظهما بأمر الله وتوجّه اليهما لله وتحمّل مشاقّ حفظهما ومشاقّ تربية الاولاد وتنمية الاموال لله، عن امير المؤمنين (ع): لايقولنّ احدكم : اللّهمّ انّى اعوذبك من الفتنة لانّه ليس احدٌ الّا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن فانّ الله يقول: [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ] فى تعلّق القلب بالكثرات وفى ترك الكثرات وطرحها وفى الانتقام من الازواج والاولاد اوالحقد عليهم، او اذا كان الله عنده اجر عظيمٌ فاتّقوا الله فى جميع اوامره ونواهيه [مَا اسْتَطَعْتُمْ] فانّ الله لايكلّف نفساً الّا وسعها [وَاسْمَعُوا] منه اوامره ونواهيه على السنة خلفائه [وَأَطِيعُوا] رسوله (ص) [وَأَنْفِقُوا] من اموالكم و اعراضكم وقواكم ونسب الافعال والاوصاف الى انفسكم وانانيّاتكم [خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ] صفة مفعول مطلق ، اوهو مفعول به لانفقوا ، اومفعولٌ لمحذوف اى انفقوا وادركوا خيراً ممّا تنفقون لانفسكم وهو النّعيم الباقى الاخروىّ ، او خبر لكان محذوفاً اى انفقوا يكن الانفاق خيراً لانفسكم [وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] قد سبق هذه الآية فى سورة الحشر [إِنْ تُقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ] قد مضى الآية مع بيانها

فى سورة البقرة [وَاللّٰهُ شَكُورٌ] ومقتضى شكوريّته ان يضاعف المقرض عوض قرضه [حَلِيمٌ] لا يعاجل بالمؤاخذة من لم يقرض [عٰالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهٰادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ].

سورة الطّلاق

مدنيّة، احدى عشرة آية، وقيل: اثنتا عشرة آية.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ] نداء وخطاب له تشريفاً له ولكنّ المقصود بالحكم امّته ولذلك اشرك الامّة فى الخطاب معه حين الحكم [إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ] فى عدّتهن، والعدّة ههنا هى الطّهر كما عن الباقر (ع): العدّة الطّهر من المحيض [وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ] اى مدّة التربّص وهى ثلاثة قروء فى ذوات القرء، وثلاثة اشهر فى ذوات الاشهر، ووضع الحمل فى الحامل [وَاتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ] فى التّضييق عليهنّ حتّى يضطررن الى الفداء للطّلاق، او فى تطويل المدّة والعدّة، او فى حبسهنّ بعد العدّة، او فى عدم طلاقهنّ وابقائهنّ بلا قسامة [لٰا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ] بعد الطّلاق حتّى تنقضى عدّتهنّ [وَلٰا يَخْرُجْنَ] بانفسهنّ لعلّ اللّه يجعل بينهنّ وبين ازواجهنّ تعاطفاً والفةً، وعن الكاظم (ع) انّما عنى بذلك الّتى تطلّق تطليقة بعد تطليقة فتلك الّتى لا تخرج ولا تخرج حتّى تطلّق الثّالثة، فاذا طلّقت الثّالثة فقد بانت منه ولا نفقة لها، والمرأة الّتى يطلّقها الرّجل تطليقة ثمّ يدعها حتّى يخلو اجلها فهذه ايضاً تقعد فى منزل زوجها ولها النّفقة والسّكنى حتّى تنقضى عدّتها [إِلّٰا أَنْ يَأْتِينَ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] المراد بالفاحشة ههنا الزّنا او اذاها لاهل الرّجل وسوء خلقها، اواشرافها على الرّجال، اوسلاطتها على زوجها، او مساحقتها وقد اشير الى كلّ فى الاخبار [وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ] حدود حماه واحكامه المقرّرة لعباده [وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لٰا تَدْرِي] يا محمّد (ص)، اويا من يتأتّى منه الخطاب، اوالفاعل راجع الى النّفس فى نفسه، او الى المطلّقة المستفادة بالتّضمّن [لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ] الطّلاق او بعد ذلك البقاء فى بيوت ازواجهنّ [أَمْرًا] وهو رغبة الزّوج فى المطلّقة ورجوعه اليها، وهذا هو علّة التربّص وعدم الخروج من بيوتهنّ [فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى قاربن من آخر مدّتهنّ [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] اى راجعوهنّ وأمسكوهنّ فى بيوتكم مع ان تحسنوا صحبتهنّ وقسامتهنّ [أَوْ فٰارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] بنحو يعدّه العقل والعرف حسناً بان تدعوهنّ يخرجن من بيوتكم ويتزوّجن بغيركم [وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ] على الطّلاق اوعلى الطّلاق وعلى الامساك يعنى الرّجوع اليهنّ [وَأَقِيمُوا] ايّها الشّهود [الشَّهٰادَةَ لِلّٰهِ] لا بتغاء مرضاة اللّه لا لرضا المشهود له، او للاعراض والاغراض الدّنيويّة [ذٰلِكُمْ] الامر بالطّلاق فى الطّهر واحصاء العدّة وعدم اخراج المطلّقات والامساك بالمعروف اوالمفارقة بالمعروف [يُوعَظُ بِهِ مَنْ كٰانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] فانّه الملتفت لحكمه ومصالحه والطّالب لان يأتمر بأوامر اللّه

[وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ] فی خلاف اوامره ونواهیه والتّجاوز عن حدوده [يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا] من شبهات الدّنیا ومن غمرات الموت وشدائد یوم القیامة ومن کلّ فتنة ومن کلّ بلیّة فی الدّنیا او الآخرة وقد اشیر الی کلّ فی الاخبار، ولعلّ اطلاق المخرج کان لتعمیمه لکلّ ما یمکن ان یصدق علیه، وعن الصّادق (ع) عن آبائه عن علیّ (ع): من آتاه الله برزق لم یخط الیه برجله، ولم یمدّ الیه یده، ولم یتکلّم فیه بلسانه، ولم یشدّ الیه ثیابه، ولم یتعرّض له کان ممّن ذکره الله عزّوجلّ فی کتابه: ومن یتّق الله (الآیة)، وعنه (ع) انّ قوماً من اصحاب رسول الله (ص) لمّا نزلت هذه الآیة اغلقوا الباب واقبلوا علی العبادة وقالوا: قد کفینا فبلغ ذلک النّبیّ (ص) فأرسل الیهم فقال: ما حملکم علی ما صنعتم؟ - فقالوا: یا رسول الله (ص) تکفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا علی العبادة، فقال: انّه من فعل ذلک لم یستجب له، علیکم بالطّلب [وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] عن الصّادق (ع): هؤلاء قوم من شیعتنا ضعفاء لیس عندهم ما یتحمّلون به الینا فیستمعون حدیثنا ویقتبسون من علمنا فیرحل قوم فوقهم وینفقون اموالهم ویتعبون ابدانهم حتّی یدخلوا علینا فیسمعوا حدیثنا فینقلوه الیهم فیعیه هؤلاء ویضیعه هؤلاء فاولئک الّذین یجعل الله عزّ وجلّ لهم مخرجاً ویرزقهم من حیث لا یحتسبون، ولا یخفی تعمیم الرّزق للرّزق النّباتیّ والحیوانیّ والانسانیّ [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ] فی امور دنیاه وآخرته لانّ التّوکّل عبارة عن الخروج عن ارادة النّفس وانتفاعه والایتمار بأمر الله من دون النّظر الی غایة نافعة من امره تعالی وامتثاله للنّفس، وهذا المعنی لا ینافی الجدّ فی مکاسب الدّنیا او عبادات العقبی کما یظنّ [فَهُوَ حَسْبُهُ] لکمال علمه وقدرته واحاطته [إِنَّ اللّٰهَ بَالِغُ أَمْرِهِ] الی ما یرید من غیر مانع یمنعه ومن غیر عجز له [قَدْ جَعَلَ اللّٰهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا] جواب لسؤال مقدّر کأنّه قیل: فما لنا نری المتوکّلین علی الله لا یکفی مهمّاتهم؟ - فقال: قد جعل الله لکلّ شیء قدراً تقدیراً فی عالم التّقدیر، او مقدّراً لا یتجاوز عنه، ولذلک: لا یعجّل کفایة امور المتوکّلین، او هو ایضاً تعلیل للامر بالتّوکّل [وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ] بانقطاع الحیض عنهنّ لمرض او حمل او لکبر لکن لم یبلغ کبرهنّ الی خمسین اوستّین، او کان بلوغهنّ مشکوکاً فیه، واما اللّائی یئسن من المحیض بسبب البلوغ الی الخمسین اوالسّتّین فلا یصبرن بعد التّفریق ثلاثة اشهر ولا یعتددن من الطّلاق اصلاً ولذلک قال [إِنِ ارْتَبْتُمْ] فی کبرهنّ وبلوغهنّ الی سنّ من لا تحیض [فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ] بعد ولکنّهنّ بلغن سنّ من تحیض فعدّتهنّ ثلاثة اشهر مثل من قطع حیضهنّ ولم یبلغن خمسین اوستّین [وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ] ای مدّة عدّتهنّ او آخر عدّتهنّ [أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ] وبیان الطّلاق وکیفیّته واقسامه مذکورة فی الکتب الفقهیّة [وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ] فی امر النّساء، اوفی احکام الطّلاق، اوفی الرّفق بهنّ وعدم الاقدام علی الطّلاق، اوفی مطلق احکام الله [يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا] فی الدّنیا اوفی الدّنیا والآخرة [ذَٰلِكَ] المذکور من امر النّساء اومن امر الطّلاق والعدّة [أَمْرُ اللّٰهِ] ای حکمه [أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ] تأکید للسّابق واشارة الی غایة اخری، او الاوّل اشارة الی التّقوی فی امر النّساء، والثّانی الی التّقوی فی مطلق احکام الله [يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ] الّتی وقعت منه قبل التّقوی اوبالخطاء [وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا] فی الآخرة [أَسْكِنُوهُنَّ] ای اسکنوا المطلّقات اللّاتی لا یخرجن من بیوتکم [مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ] یعنی لا تجعلوا مساکنهنّ ادون من مساکنکم [مِنْ وُجْدِكُمْ] ممّا تجدون لسکناکم [وَلَا تُضَارُّوهُنَّ] فی السّکنی اولا تضارّوهنّ من جهة اخری غیر السّکنی [لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ] فتلجئوهنّ الی

الخروج من مساكنكم [وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ] يعنى انّ الرّجعيّات اللّاتى عليهنّ البقاء فى بيت الزّوج لهنّ النّفقة والبائنات لانفقة لها الّا ان يكنّ حاملات فلهنّ النّفقة حتّى يضعن حملهنّ [فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ] اولادكم بعد وضع الحمل وانقطاع علاقة النّكاح [فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] على الارضاع لكم [وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ] يعنى ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف فى الارضاع وفى ايتاء الاجر [وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ] اى تضايقتم ايّها الآباء عن اتمام الاجرة وايفاء ما هو حقّ الامّهات من الاجور، وايّتها الامّهات من المساهلة فى مقدار الاجرة [فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ] مرضعةً اخرى وهو عتابٌ للآباء على المضائقة فى الاجرة ومقدارها، وللامّهات على المضائقة المزبورة [لِيُنْفِقْ] على ماينبغى ان ينفق عليه من النّفس والاولاد والآباء والازواج وسائر من تحت اليد من العبيد والاماء والخدم والمطلّقات الرّجعيّات والبائنات الحاملات، اولينفق على المطلّقات الرّجعيّات والبائنات الحاملات، اوعلى البائنات الحاملات، اوعلى البائنات الخارجات عن العدّة المرضعات للاولاد [ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ] وضيق فى المعيشة [يُسْرًا] وسعة فى المعيشة، روى عن الصّادق (ع) انّه سئل عن الرّجل الموسر يتّخذ الثّياب الكثيرة الجياد والطّيالسة والقمص الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمّل بها ايكون مسرفاً؟ـ قال: لا، لانّ الله عزّوجلّ قال: لينفق ذو سعة من سعته [وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ] عطف على قوله: ومن يتّق الله، وتلويح الى انّ من لايتّقى يكون له العاقبة السّوءى [فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا] بالاستقصاء فى المحاسبة والمدّاقّة فيها ومن يداقّه الله فلامناص له [وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا] منكراً لايعرفه احدٌ لعظمته [فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا] ضياعاً لاصل البضاعة وبيانه قوله [أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا] فى الدّنيا اوالقيامة وبعدها [فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ] الّذين صاروا ذوى لبّ بالولاية والبيعة الولويّة ولذلك فسّره بقوله [الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة ودخول الايمان بها فى قلوبهم، ويجوز ان يكون التّقدير يا ايّها الّذين آمنوا، ويجوز ان يكون خبراً لمبتدء محذوف [قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا] المراد بالذّكر الرّسول (ص)، اوالمراد بالذّكر جبرئيل، اوالمراد بالذّكر القرآن، ورسولاً بدل منه بدل الاشتمال [يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة اوالخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] بالوفاء بالشّروط المأخوذة فى البيعتين [مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا اللَّهُ] بدل من الله فى احسن الله له رزقاً، او مبتدء خبره الموصول الآتى، اوخبرٌ لمبتدء محذوف [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ] فى العدد، روى عن الرّضا (ع): انّ الارضين السّبع احديها الارض الّتى تحت اقدامنا، وثانيتها السّماء الاولى، وثالثتها السّماء الثّانية، الى السّادسة، وعلى ماسبق منّا مكرّراً من انّ العوالم بعضها الغالب عليه الكيفيّة الارضيّة، وبعضها الغالب عليه الكيفيّة السّماويّة نقول: الارض الاولى هى الهيولى الاولى، والثّانية الامتداد الجسمانىّ، والثّالثة البسائط العنصريّة، والرّابعة المادّة الجماديّة، والخامسة المادّة النّباتيّة، والسّادسة المادّة الحيوانيّة، والسّابعة المادّة البشريّة؛ او الاولى عالم المثال السّفلىّ، والثّانية عالم الموادّ، والثّالثة عالم الطّبائع، والرّابعة عالم النّفوس النّباتيّة، والخامسة

عالم النّفوس الحيوانيّة ، والسّادسة عالم النّفوس البشريّة ، والسّابعة عالم المثال العلوىّ [يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا] بتنزّل الامر بينهنّ او بخلق السّماوات السّبع والارضين السّبع [أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا] فانّ النّاظر الى السّماوات فى العالم الكبير اوالصّغير و الى الارضين فيهما يظهر آثار قدرته وعلمه ورأفته بخلقه له ، وهكذا احاطة علمه بالجليل والحقير :

سورة التحريم

مدنيّة ، واثنتا عشرة آيةً .

بسم الله الرحمن الرحيم

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ] يغفر لكم ما لحقكم من ايمانكم [رَحِيمٌ] يرحمكم بعد المغفرة [قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ] اى اوجب الله او قدّر الله او اثبت [تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ] اى تحليل ايمانكم اوكفّارة ايمانكم فانّها مابه التّحليل [وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ] فهواولى بالاسترضاء [وَهُوَ الْعَلِيمُ] بمصالحكم فاذا قال حلّوا ايمانكم بالكفّارة فحلّوا [الْحَكِيمُ] فى فعاله واقواله فلايشرع لكم ولايأمركم ولاينهاكم الّا بمافيه مصالح وله غايات شريفة انيقة ، وقال الّذين توسّلوا بأمثال هذه الآية فى تصحيح خلافة خلفائهم وامامة ائمّتهم : انّ فى هذه الآية دلالة على انّه تعالى عاتب نبيّه (ص) وليس العتاب الّا لذنب صدر منه والذّنب ههنا كما نقل فى نزول الآية تحريمه (ص) من قبل نفسه بدون امر الله مارية القبطيّة اوشرب العسل على نفسه ، فنقول : مثل هذا العتاب يدلّ على كمال عنايته بمحمّد (ص) و رأفته به بحيث لم يرض انّه (ص) حرّم على نفسه بعض الملاذّ المباحة ، كالاب الشّفيق الّذى يمنع ولده عن ترك بعض الملاذّ النّفسانيّة شفقة عليه ومنعاً له من الامساك عن بعض ما فيه حظوظ النّفس ، ولا يدلّ على انّه صدر منه ذنب او خلاف امر ، غاية الامر انّه يدلّ على انّه امتنع عن بعض الملاذّ استرضاءً لبعض ازواجه ، واسترضاء الازواج ممّا ندب عليه ، اما ترى جواز الكذب للازواج استرضاءً لهنّ قال القمّىّ وغيره سبب نزول الآيات انّ رسول الله (ص) كان فى بيت عايشة اوفى بيت حفصة ، فتناول رسول الله (ص) مارية ، فعلمت حفصة بذلك فغضبت واقبلت على رسول الله (ص) ، فقالت يا رسول الله ، فى يومى فى دارى و على فراشى ؟ ! . فاستحيى رسول الله (ص) ، فقال كُفّى ، فقد حرّمت مارية على نفسى وانا اقضى اليك سرّاً ان انت اخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والنّاس اجمعين ، فقالت نعم ماهو ! . فقال (ص) انّ ابابكر يلى الخلافة بعدى ثمّ بعده ابوك ، فقالت من انبأك هذا ؟ قال نبّأنى العليم الخبير ، فاخبرت حفصة به عايشة من يومها ذلك ، و اخبرت عايشة ابابكر ، فجاء ابوبكر الى عمر ، فقال له انّ عايشة اخبرتنى بشيء عن حفصة ولا اثق بقولها ، فاسئل انت حفصة ، فجاء عمر الى حفصة وقال ، ماهذا الّذى اخبرت عنك عايشة ؟ فانكرت ذلك وقالت ماقلت لها من ذلك شيئاً ، فقال لها عمر انّ هذا حقّ فاخبرينا حتّى نتقدّم فيه ، فقالت نعم قال رسول الله (ص) ، فنزل جبرئيل على رسول الله بهذه السّورة واظهره الله عليه يعنى اظهره الله على ما اخبرت به وعرّف بعضه اى خبرها وقال لم اخبرت ما اخبرتك ؟ ! واعرض عن بعض يعنى لم يخبرهم بما يعلم ، وقيل : خلا النّبىّ (ص) فى بيت عائشة مع مارية فاطّلعت عليه حفصة فقال لها رسول الله : لاتعلمى عائشة ذلك وحرّم مارية على نفسه ، واخبرها انّ اباها يملك بعده و بعده عمر فأعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها اياه فاطلع الله نبيّه (ص) على ذلك و هو قوله : واذ اسرّ النّبىّ الى بعض ازواجه حديثاً (الآية) ، وقيل : انّ

رسول الله (ص) كان اذا صلّى الغداة يدخل على ازواجه واحدة واحدة وكان اذا دخل على حفصة حبسته واحضرت العسل له وانّ عائشة انكرت احتباسه عندها، فتواطئت مع بعض ازواجه انّه اذا دخل النّبيّ (ص) عليهنّ يقلن متّفقات: انّا نجد منك ريح المغافير[1]، فلمّا دخل الرّسول على كلّ قلن ذلك، فقال الرّسول (ص): لا اشرب العسل بعد ذلك، وقيل: كانت زينب بنت جحش تحبس النّبيّ (ص) فتواطئت عائشة مع بعض ازواجه ان يقلن ذلك لما علمن انّه كان
٣ يشرب عند زينب العسل [وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا] حديث خلافة ابى بكر و عمر، او حديث تحريم مارية و امرها بكتمانه [فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ] عائشة به [وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ] اى اظهر اخبارها لعائشة [عَلَيْهِ] على محمّد (ص) [عَرَّفَ] تلك الزّوج المأمورة بالكتمان [بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ] كما مضى [فَلَمَّا نَبَّأَهَا
٤ بِهِ قَالَتْ] حفصة [مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ] ثمّ خاطب الله على لسان جبرئيل ومحمّد (ص) حفصة و عائشة فقال: [إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ] من افشاء ما امرتما بكتمانه او من همّتكما لسمّه [فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا] الفاء سببيّة والجزاء محذوف يعنى ان تتوبا الى الله لاجل ميل قلوبكما عن الحقّ والى خلاف محمّد (ص) الّذى ينبغى التّوبة منه كان خيراً لكما فقد صغت قلوبكما، او الفاء للجزاء و قوله: قد صغت قلوبكما قائم مقام الجزاء والمعنى ان تتوبا الى الله كان واجباً عليكما التّوبة لانّه قد صغت قلوبكما، وجمع القلوب لما عليه العرب من انّه اذا اضيف تثنية الى تثنية اتى بالتّثنية الاولى بصورة الجمع كراهة الاجتماع بين التّثنيتين، وللاشعار بانّ لكلّ منهما قلوباً متعدّدة، والآية باتّفاق المفسّرين من الخاصّة و العامّة فى عائشة وحفصة [وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ] و المراد بصالح المؤمنين علىّ بن ابى طالب (ع) قيل: انّه سئل عمر بن الخطّاب من اللّتان تظاهرتا على رسول الله (ص)؟ فقال: عائشة وحفصة، وعن الباقر (ع) قال: لقد عرّف رسول الله (ص) علياً (ع) اصحابه مرّتين، امّا مرّة فحيث قال: من كنت مولاه فعلىّ (ع) مولاه، وامّا الثّانية فحيثما نزلت هذه الآية اخذ رسول الله (ص) بيد علىّ (ع) وقال: يا ايّها النّاس هذا صالح المؤمنين، وقد ورد الرّواية بطريق العامّة والخاصّة انّ المراد بصالح المؤمنين علىّ بن ابى طالب (ع) [عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ] الاتيان بالايمان بعد الاسلام للاشارة الى انّ الايمان غير الاسلام فليكن الطّالب للآخرة طالباً للايمان بعد الاسلام [قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ] قيل: المراد منه الصّائمات، لقول النّبيّ (ص): سياحة امّتى الصّيام، فانّ الصّوم عن مشتهيات النّفس اطلاق للنّفس، وفى اطلاقها سياحة لها فى ملكوت الرّبّ، وقيل: المراد به ماضيات فى امر الله وطاعته، وقيل: مهاجرات الى رسول الله (ص) [ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا] أتى بالعاطف لانّهما بمنزلة صفة واحدة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة النّبويّة، او بالبيعة الخاصّة الولويّة [قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ] وقاية الشّخص لنفسه من النّار بحفظه لها عن اتّباع الشّهوات والغضبات والحيل الشّيطانيّة، و وقايته لاهليه بأمرهم بالمعروف وتعليمه لهم و نهيهم عن المنكر وتعليمه لهم وترغيبهم فى الخيرات وتحذيرهم عن الشّرور واعلامهم بما هو غاية الغايات ونهاية النّهايات من الولاية واتّباع ولىّ الامر، عن الصّادق (ع): لمّا نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكى وقال: عجزت عن نفسى كلّفت اهلى، فقال رسول الله (ص): حسبك ان تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك، و بهذا

(١) المغافر كمنابر والمغافير صمغ شجر فيه حرقة كريه الريح، الواحد مغفر كمنبر ومغفر بضمّتين ومغفور بزيادة الواو على الضمّتين، و مغفار و مغفير بكسرهما.

المضمون وردعنهم اخبار كثيرة [عَلَيْهَا مَلٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَآ اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وهوحال اومستأنف بتقدير القول من الملائكة او من الله [يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [تُوبُوا اِلَى اللّٰهِ] بالبيعة الخاصّة ، او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة توبوا وارجعوا من مقام نفوسكم الى الله الّذى مظهره قلوبكم [تَوْبَةً نَصُوحًا] خالصة من وصمة العود ، او توبة ناصحاً صاحبها لنفسه فيها بان يكون نادماً على مامضى وعازماً على التّرك فيمايأتى ، اوتوبة ترقع الخروق الّتى وقعت فى الدّين وترتق الفتوق وتصلح الفاسد من النّصح بمعنى الخياطة ، اوالمراد بها التّوبة الجارية على يد ولىّ الامر فى البيعة الخاصّة الولويّة فانّها الّتى يخلّص صاحبها عن كلّ سوء وغشّ وغلّ ، وهى الّتى يبصر بها صاحبها كلّ سوء و رذيلة فينصح نفسه فى الخلاص عنها ، وهى الّتى ترقع كلّ خرق وقع للنّفس قبلها . اعلم ، انّ للتّوبة بحسب الصّورة معانى فانّ معناها ان يقول الانسان : أتوب الى الله ، اوتبت الى الله ، وان يرجع الى نبىّ وقته او ولىّ وقته و باع على يده بيعة عامّة او بيعة خاصّة ، وان يندم على المعاصى القالبيّة ، وان يندم على الرّذائل النّفسانيّة ، وان يندم على العقائد الزّائغة ، وان يرجع عن ملاحظة نسبة الافعال الى نفسه ، اوملاحظة نسبة الصّفات الى نفسه ، اونسبة الوجود الى نفسه ، وان يندم على تلوّنه فى مقاماته و يطلب التّمكين و يرجع اليه والكلّ توبة والكلّ منظور من الآية بحسب مراتب الاشخاص [عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ] من المعاصى القالبيّة والرّذائل النّفسانيّة والعقائد الزّائغة ومن رؤية الافعال من انفسكم ونسبة الصّفات الى انفسكم ومن انانيّاتكم [وَيُدْخِلَكُمْ] بعد ازالة السّيّئات [جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] قد مضى فى سورة آل عمران فى آخرها بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [يَوْمَ لَا يُخْزِى اللّٰهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ] اى باعوا البيعة العامّة او الخاصّة معه لكنّ المناسب لقوله تعالى [نُورُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ] هو المعنى الثّانى وقد مضى فى سورة التّغابن بيان هذا النّور وانّه فى قلب المؤمن انور من الشّمس المضيئة بالنّهار ، واختار من جملة الجهات مابين الايدى والايمان اشعاراً بجهتى النّفس المطيعة الّتى هى بحسب قوّتيها العلّامة والعمّالة ، واماّ الخلف واليسار فانّهما لايكونان للنّفس المطيعة بمعنى انّه لايكون لهاجهة شيطانيّة ولاجهة حيوانيّة اللّتان يعبّر عنهما بالخلف واليسار ولوكانتا لم يكن ذلك النّور فى تينك الجهتين [يَقُولُونَ] حالاً و قالاً [رَبَّنَا اَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا] فانّهم بظهور هذا النّور و الصّورة الملكوتيّة من امامهم يشتدّ لوعتهم و يزداد حرقتهم و يزيد طلبتهم فيطلبون ازدياد الظّهور واشتداد هذا النّور بحيث لايبقى لهم ذات واثر ، فانّ مثلهم فى تلك الحال مثل الفراش و السّراج لايسكنون ماكان لهم ذات وحركة [وَاغْفِرْ لَنَا] الحدود و النّقائص الملحقة بنا المانعة لنا من كمال ادراك هذا النّور [اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] يا اَيُّهَا النَّبِىُّ جٰاهِدِ الْكُفّٰارَ وَالْمُنٰافِقِينَ] فى العالم الصّغير والعالم الكبير ، وقرأ الصّادق (ع) : جاهد الكفّار بالمنافقين قال : انّ رسول الله (ص) لم يقاتل منافقاً قطّ انّما كان يتألّفهم ، وفى خبر عنه : جاهد الكفّار والمنافقين ، قال : هكذا نزلت فجاهد رسول الله (ص) الكفّار ، وجاهد علىّ (ع) المنافقين فجهاد علىّ (ع) جهاد رسول الله (ص) [وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَاْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا] كفر النّفاق وان كان لهم قرب الى الانبياء و الاولياء (ع) [امْرَاَةَ نُوحٍ وَامْرَاَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبٰادِنَا] الخاصّين بنا [صٰالِحَيْنِ] وكونهما تحتهما كناية عن كمال قربهما [فَخَانَتٰاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَقِيلَ

ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ] فانّ وصلة الكفّار ومخالطتهم لاتضرّهم كما انّ وصلة آسية ومخالطتها لفرعون ماكانت تضرّها [إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] اى القبطىّ التّابعين له [وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا] من ان ينظر اليه اوتنظر هى بنفسها اليه [فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ] المراد بالكلمات هى الكلمات الوجوديّة وهى مراتب العالم مندرجة فى ابن آدم (ع)، والمراد بالكتب احكام النّبوّات والرّسالات وآثار الولايات، ومنها الكتب التّدوينيّة [وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ] لامن القانتات بل هى عدّت من الرّجال، روى عن النّبىّ (ص) انّه قال: كمل من الرّجال كثير ولم يكمل من النّساء الّا اربع، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجه (ع) بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله.

[الجزء التّاسع والعشرون]

سورة الملك

مكّيّة، ثلاثون آيةً، وقيل: احدى وثلاثون آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ] الملك يطلق على عالم الطّبع مقابل الملكوت العامّة الّتى هى جملة عالم الارواح، اوالخاصّة وهى عالم المثال، وهذا الاطلاق هوالمشهور عندهم، ويطلق على جملة ماسوى الله، وعلى الرّسالة والصّدر المستنير بنورها، وعلى النّبوّة والقلب المستضيء بضوئها، وعلى الولاية الّتى بها يكون التّصرّف فى العباد ودعوتهم الى التّوحيد، واليد تطلق على ما به التّصرّف، وعلى القدرة الّتى هى مبدء التّصرّف، وعلى صفات الله اللّطفية والقهريّة، وعلى عالمى الملكوت العليا والملكوت السّفلى، والكلّ مناسب ههنا [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ] من الممكنات الواقعة فى عالم الطّبع وعالمى الملكوت [قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ] لمّا كان الموت من اعدام الملكات، واعدام الملكات لها حظّ ضعيفٌ من الوجود وماله حظٌّ من الوجود صحّ تعلّق الخلق به قال: خلق الموت [وَالْحَيَاةَ] ولمّا كان الموت فى عالم الطّبع بوجه مقدّماً على الحيوة بالطّبع، اوكان المنظور من ذكر خلق الموت والحيوة التّهديد عن الشّرور والتّرغيب فى الخيرات وكان الموت فى هذا المنظور ابلغ قدّم الموت [لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] ولم يقل، اواسوء عملاً، للاشارة الى انّ المنظور من كلّ ذلك ان يحسن الانسان عمله، وسوء العمل يكون من الطّوارى وليس علّة غائيّةً وحسن العمل يكون بنيّة حسنة كاملة، والنّيّة الحسنة تكون بالعقل الكامل ولذلك ورد فى اخبار عديدة انّ المراد به ايّكم اتمّ عقلاً، وروى عن الصّادق (ع) انّه قال: ليس يعنى اكثر عملاً ولكن اصوبكم عملاً وانّما الاصابة خشية الله والنّيّة الصّادقة ثمّ قال: الابقاء على العمل حتّى يخلص اشدّ من العمل، والعمل الخالص الّذى لاتريد ان يحمدك عليه احدٌ الّا الله عزّوجلّ، والنّيّة افضل من العمل، الا وانّ النّيّة هوالعمل، ثمّ تلا قوله

عزّوجلّ : قل كلٌّ يعمل على شاكلته يعنى على نيّته [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لامانع له من حكمه وارادته فليحذر الّذين يخالفون امره و يسيئون فى عملهم وليرج الّذين يطيعونه و يحسنون عملهم [الْغَفُورُ] فلاييأس الّذين يعملون السّيّئات [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبٰاقًا] مصدراوجمع ، والموصول بدل من الّذى فى تبارك الّذى ، اوصفة للعزيز ، اوخبرٌ بعد خبرٍ ، اومبتدءٌ وخبره قوله [مٰا تَرىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ] والعائد الرّحمن الّذى هو بمعناه والمنظور منه بيان قدرته وحكمته وعنايته بخلقه وعدم اهمالهم بلاثواب وعقاب والمراد بالتّفاوت الاختلاف فى الاتقان وعدمه ، وقرئ من تفوّتٍ وهو بمعنى التّفاوت [فَارْجِعِ الْبَصَرَ] يعنى انظر الى السّماء ثمّ تفكّر فى نفسك وتأمّل فى خلل السّماء ثمّ ارجع بصرك الى السّماء [هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ] انشقاق فيها وخلل وفساد فى خلقها [ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ] فى ارتياد الخلل والنّقص والفساد ليس التّثنية منظورة بل المنظور تكرار النّظر وكثرته [يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خٰاسِئًا] خسأ الكلب كمنع طرده ، وخسأ الكلب بعد كانخسأ ، وخسى من باب علم وخسأ البصر كمنع كلّ ، والخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد الّذى لايترك ان يدنو من النّاس [وَهُوَ حَسِيرٌ] كليل و منقطع من الابصار من طول المدى فى الابصار ، ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه فى بيان هذه الآية :

اندر این گردون سکرر کن نظر — زانکه حق فرمود ثمّ ارجع بصر
یک نظر قانع مشو زین سقف نور — بارها بنگر ببین هل من فطور
چونکه گفت کاندر این سقف نکو — بارها بنگر چو برد عیب جو

[وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا] اى اقرب السّماوات الى الارض فانّ جنس سماء الطّبع اقرب اصناف السّماوات الى الارض ، وان كان المكوكبة منها هى الثّامنة منها ، فانّ سماوات عالم المثال وعالم النّفوس وعالم العقول ابعد السّماوات الى الارض ، وهكذا فى العالم الصّغير سماء الصّدر المنشرح بالاسلام وسماء القلب الدّاخل فيه الايمان اقرب السّماوات الى ارض البدن وارض النّفس الامّارة واللّوّامة [بِمَصٰابِيحَ] بالكواكب الصّوريّة او بالكواكب الذّكريّة النّفسانيّة [وَجَعَلْنٰاهٰا رُجُومًا لِلشَّيٰاطِينِ] كون النّجوم الذّكريّة رجوماً للشّياطين واضح ، واما كون الشّهب السّماويّة رجوماً للشّياطين فقد انكر الفلاسفة سقوط الكواكب عن محالّها لانّها بسائط وليست مركّبة من العناصر بل هى على ما خلقت من غير تغيير و تغيّر ، والشّهب الّتى تترائى انّما تتكوّن فى كرة الدّخان وهى انموذج للشّهب الّتى بها ترجم الشّياطين وانّ الشّياطين من اهل عالم المثال السّفلىّ ولاتزاحم بين اهل عالم المثالين واجزاء عالم الطّبع ، وقد مضى فى سورة الحجر وسورة الصّافّات بيان لهذه الآية [وَأَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰابَ السَّعِيرِ] فى الآخرة [وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذٰابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذٰا أُلْقُوا فِيهٰا سَمِعُوا لَهٰا شَهِيقًا] صوتاً كصوت الحمير وقد مضى فى سورة هود بيان انّ لهم فيها زفيراً وشهيقاً [وَهِيَ تَفُورُ] اى تغلى بهم غليان المرجل بما فيه [تَكٰادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ] اى تتفرّق من الغيظ على اعداء الله [كُلَّمٰا أُلْقِيَ فِيهٰا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهٰا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قٰالُوا بَلىٰ قَدْ جٰاءَنٰا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنٰا وَقُلْنٰا مٰا نَزَّلَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلّٰا فِي ضَلٰالٍ كَبِيرٍ وَقٰالُوا] اعترافاً بعدم التّحقيق وعدم التّقليد [لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ] ونتقاد لاولياء الامر وكنّا فى تقليد صحيح [أَوْ نَعْقِلُ] اى

ندرك بعقولنا و نميّز الحق من الباطل وكنّا محقّقين [مٰا كُنّٰا فِي اَصْحٰابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ] لمّا رأوا قصورهم وتقصيرهم في تشخيص حال الانبياء (ع) [فَسُحْقًا لِاَصْحٰابِ السَّعِيرِ] اى بعداً، روى انّ هذه الآيات في اعداء عليّ (ع) واولاده، والّتي بعدها في اوليائهم [اِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ] حالكونهم في الغيب من ربّهم ، اوحالكون الربّ في الغيب منهم ، او بسبب غيبة حالهم ، اوغيبة حال الربّ في رضاه وسخطه عنهم، وقد سبق الاشارة الى انّ الخوف في مقام النّفس وظنّه والخشية ايضاً في مقام النّفس لكن بعد ترقّيه الى ادنى مرتبة العلم اواعلاها ، وقد سبق في سورة الفاطر عند قوله : انّما يخشى الله من عباده العلماء بيان للخشية [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَاَجْرٌ كَبِيرٌ] والآيتان وعيد و وعد للفريقين [وَاَسِرُّوا قَوْلَكُمْ اَوِ اجْهَرُوا بِهِ] عطفٌ على واحد من الجمل السّابقة لكون الانشاء في معنى الخبر فانّ الامر للتّخيير فهو في معنى انتم مخيّرون بين الاسرار والاعلان اوللتّسوية، والمعنى سواء اسراركم واجهاركم بالقول عنده [اِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] الّتي هي اخفى من القول الخفيّ ، والمراد بذات الصّدور الخطرات والخيالات ، اوالنيّات والعزمات ، اوالقوى و الاستعدادات المكمونات الّتي لاشعور لصاحبي الصّدور بها [اَلٰا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ] تأكيد لاحاطة علمه فانّ الخالق لايكون جاهلاً بمخلوقه [وَهُوَ اللَّطِيفُ] في علمه بحيث لايشذّ عن علمه اصغر ما يكون [الْخَبِيرُ] ببواطن الامور، روى انّ المشركين كانوا يتكلّمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون : اسرّوا قولكم لئلّا يسمع اله محمّد (ص) فنبّه الله على جهلهم [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُولًا] مستأنف جوابٌ لسؤال مقدّر [فَامْشُوا] اى اذ كانت ذلولاً فامشوا [فِي مَنٰاكِبِهٰا] اى في نواحيها [وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَاِلَيْهِ النُّشُورُ] فاحذروا كفران نعمه ومخالفة امره [ءَاَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمٰاءِ] يعني الملائكة الّذين هم في السّماء [اَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْاَرْضَ] كما فعل بقارون [فَاِذٰا هِيَ تَمُورُ] تضطرب قبل الخسف او بعده يعني صرتم آمنين فتكفرون به و تكفرون بنعمائه لذلك و تخالفون امره و امر رسوله (ص) في ولاية عليّ (ع) [اَمْ اَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمٰاءِ اَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حٰاصِبًا] اى رامياً لكم بالحصباء او ريحاً حاملة للتّراب [فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ] اى انذاري حين رأيتم المنذر به [وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ] انكاري عليهم فاعتبروا انتم بهم وتسلّ انت يا محمّد (ص) عن تكذيبهم [اَوَلَمْ يَرَوْا اِلَى الطَّيْرِ] الم ينظروا في آيات قدرته ولم يروا الى الطّير [فَوْقَهُمْ صٰافّٰاتٍ] باسطات اجنحتهن [وَيَقْبِضْنَ] بالدّفيف أتى به مضارعاً لانّ الدّفيف يكون مكرّراً متدرّجاً و يناسبه المضارع الدّال على الاستمرار التّجدّدي، والصّفيف اذا وقع يكون باقياً على الحالة الاولى و يناسبه الفاعل الدّال على الاستمرار من دون التّجدّد في الحدوث [مٰا يُمْسِكُهُنَّ] في الجوّ [اِلَّا الرَّحْمٰنُ اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ] فيعلم دقائق ما يحتاج اليه المخلوق والغرض من النّظر الى الطّير ان ينظر العاقل الى انّها مخلوقة من التّراب والغالب عليه الجزء الارضيّ وهي بالطّبع طالب للمركز ، وانّ الله تعالى خلقها بحيث يكون تعيّشها في الجوّ وقوتها يكون من حركتها في الجوّ في الاغلب فخلقها تعالى بحيث يكون جميع ما تحتاج اليه في حركتها وتعيّشها في الجوّ مهيّأة ، وليس هذا الا فعل حكيم بصير قدير وليس فعل طبيعة السّماء والسّماويات كما يقول الدّهريّون، ولا فعل الطّبائع الارضيّة كما يقول الطّبيعيّون فيعلم من ذلك مبدء قديراً عليماً حكيماً لنفسه، و يعلم انّ الّذي لايهمل شيئاً ممّا يحتاج

اليه الطير لا يهمل الانسان الذى هو اشرف من الطير ولم يخلقه عبثاً [أَمْ مَنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ] ام منقطعة ومن استفهامية للانكار و هذا الذى خبره [يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ] ينصركم حال اومستأنف جواب لسؤال مقدر اوصفة لجند وتوحيد الضمير لوحدة صورة الجند ولذلك حمل على هذا و من دون الرحمن بمعنى من عند الرحمن متعلق بينصركم او حال عن فاعل ينصركم ، او بمعنى من غير الرحمن، و حال من فاعل ينصركم او صفة اخرى لجند يعنى لا يقدر اصنامكم وسائر جنودكم ان تنصركم فباى قوة تعصوننى [إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ] من الشيطان [أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ] الله [رِزْقَهُ بَلْ] ليس اعتمادهم فى مخالفتهم على رازق سوى الله يرزقهم ولكنهم [لَجُّوا] خاصموا نبيّنا [فِي عُتُوٍّ] فى استكبار عن الحق واهله و تجاوز عن الحد فى اللجاجة [وَنُفُورٍ] من الحق واهله [أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلٰى وَجْهِهِ] اى مصروعاً على وجهه فان كبّه واكبّه بمعنى صرعه ، واكبّ بمعنى انكبّ لازم ومتعد [أَهْدٰى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] غير منحرف عن المقصد ، سئل الكاظم (ع) عن هذه الآية فقال: ان الله ضرب مثلاً من حاد عن ولاية علىّ (ع) كمن يمشى على وجهه لا يهتدى لامره وجعل من تبعه سوياً على صراط مستقيم ، و الصراط المستقيم امير المؤمنين (ع) [قُلْ] يا محمد (ص) لقومك [هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ] ذكر امن اصول ما يحتاج اليه الانسان ما هو اظهر ، و الحاجة اليه اكثر [قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ] شكراً قليلاً او نعيماً قليلاً من نعمائه تشكرون [قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] فهو المبدء والمنتهى والفاعل والغاية، ومن تحتاجون اليه فى الدنيا والآخرة [وَيَقُولُونَ] اى قومك المنكرون للبعث [مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ] لهم ان البعث خارج عن الزمان انما هو فى طول الزمان لا فى عرضه و انتم تسألون عن وقته فى عرض الزمان و [إِنَّمَا الْعِلْمُ] بمرتبته فى طول الزمان [عِنْدَ اللّٰهِ] من العلوم الخاصة به لا يعلمها غيره [وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ] من عنده [مُبِينٌ] ظاهر اومظهر لصدقى [فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً] ذا زلفة اى لما رأوا الموعود ذا قرب [سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ] لهم [هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ] قرئ بتخفيف الدال وبتشديده، والمعنى فى كليهما واحد يعنى هذا الذى كنتم تستعجلون به وتدعون الله بتعجيله، وقيل: هو من الدعوى والمعنى كنتم تدّعون انه ليس بحق ، و يكون الباء للتعدية اوللالصاق، روى عن الباقر (ع) : هذه نزلت فى امير المؤمنين (ع) واصحابه الذين عملوا ما عملوا، يرون امير المؤمنين (ع) فى اغبط الاماكن لهم فيسيء وجوههم و يقال: هذا الذى كنتم به تدّعون الذى انتحلتم اسمه، وعنه (ع) فلما رأوا مكان علىّ (ع) من النبى (ص) سيئت وجوه الذين كفروا يعنى الذين كذبوا بفضله ، والاتيان بالماضى فى قوله فلما رأوا لتحقق وقوعه على الاولين ولماضويته على الاخير [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] ايها الكفار [إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللّٰهُ] اماتنى [وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا] بابقائنا الى آخر اعمارنا [فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ] هو عذاب الدنيا اوعذاب الموت اوالبرازخ اوالقيامة ، وهذا جواب لهم حيث قالوا نتربّص به ريب المنون [قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ] المفيض للوجود وكمالات الوجود على كل موجود [آمَنَّا بِهِ] تؤمنون به اولا تؤمنون [وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا] فلا تبال معاداتكم ومودتكم [فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] روى عن الباقر (ع) فستعلمون يا معشر المكذبين حيث انبأتكم رسالة ربى فى ولاية علىّ (ع) والائمة (ع) من بعده من

هو فی ضلال مبين ، كذا انزلت [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا] غائراً فی الارض بحيث لايمكن اجراؤه على وجه الارض ولانيله بدلو وغيره [فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ] جارٍ اوظاهر ، ولمّا لم يكن اسم الماء خاصّاً بالماء العنصريّ الّذی هو جسم سيّال محيط بالارض بل كلّ ما كان سبباً لحياة ما وسبباً لتماسك الاجسام اليابسة ماء فالعلم والايمان وافاضات الله كلّها مياه بوجه ، والامام الّذي به يكون الايمان ، والولاية الّتی هی البيعة الخاصّة الايمانيّة الّتی بها يحصل الايمان ويدخل بذر المعرفة فی القلوب ماء ، والحياة النّباتيّة والحيوانيّة بمراتبها ، والانسانيّة بمراتبها كلّها مياه ، والعقول والارواح والنّفوس الكلّيّة والجزئيّة البشريّة والحيوانيّة والنّباتيّة كلّها مياه ، والرّوح النّفسانيّة الّتی هی مركب القوی الدّرّاكة والحيوانيّة الّتی هی مركب حياة الاعضاء ماء ، والمشيّة الّتی هی اصل كلّ اصل ومبدء كلّ مبدء ومنتهی كلّ منتهیّ اصل المياه ، فاذا عرفت ذلك سهل عليك تصوّر وجوه الآية ونعم ماقال المولوی قدّس سرّه فی بيان وجه من وجوه الآية :

مُقرئی میخواند از روی کتاب ماؤکم غوراً ز چشمه بندم آب
آبرا در چشمه که آرد دگر جز من بی مثل وبا فضل و خطر
فلسفیّ منطقیّ بستهان میگذشت ازسوی مکتب آن زمان
چونکه بشنید آیت او از ناپسند گفت آریم آب را ما با کلند
شب بخفت ودید او یك شیرمرد زد طپانچه هردوچشمش کور کرد
گفت زین دوچشمهٔ چشم ای شقی با تبر نوری بیار ارصادقی
روز برجست ودوچشمش کوردید نور فائض از دو چشمش ناپدید

سورة القلم

وهی مكّيّة ، وقيل : من اوّله (الی قوله تعالی) سنسمه علی الخرطوم ، مكّيّ ، ومابعده (الی قوله تعالی) لوكانوا يعلمون ، مدنيّ ، ومابعده (الی قوله تعالی) يكتبون ، مكّيّ ، ومابعده مدنيّ ، وهی اثنتان وخمسون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[نٓ] روی عن الصّادق (ع) وامّا نٓ فهو نهر فی الجنّة قال الله عزّوجلّ : اجمد ، فجمد ، فصار مداداً ثمّ قال عزّوجلّ للقلم : اكتب ، فسطر القلم فی اللّوح المحفوظ ماكان وماهو كائن الی يوم القيامة فالمداد مداد من نور والقلم قلم من نور ، واللّوح لوح من نور ، وبهذا المعنی مع اختلاف فی اللّفظ اخبار كثيرة ، وقيل : المراد به الحوت الّذی عليه الارضون ، وقيل : هو لوح من نور ، وقيل : هو الدّواة ، وقيل : هو مطلق الحوت فی البحر ، وقيل : هو من اسماء السّورة ، وقيل : هو من حروف اسم الرّحمن ، وقيل : هو من أسماء محمّد (ص) ولعلّك بعد ماسبق فی اوّل البقرة يسهل عليك التّوفيق بين هذه الاقوال ؛ وتعلم انّ نٓ كناية عن مرتبة من مراتب العالم وانّ محمّداً (ص) متّحد مع جميع مراتب العالم وانّ مراتب العالم مراتب سعة وجود الله تعالی ، وانّ السّورة ظهور لتلك المرتبة [وَالْقَلَمِ] قيل : المراد به مطلق القلم ، اقسم الله به لكثرة منافع الخلق به ؛ اذهو احد لسانی الانسان بل هو اشرف لسانيه لانّ لسانه لايبلّغ مافی جنانه الی من بعد منه زماناً اومكاناً ، والقلم يبلّغ ما فی جنان الانسان الی الاباعد منه ، والكلام يفنی من حينه ولو بقی اثره فی قلب

السّامع لم يبق في الاغلب الى آخر عمره ، ولو بقى لم يبق بعده بخلاف كتاب القلم كما قيل: انّ البيان بيانان ، بيان اللّسان و بيان البنان ، و بيان اللّسان تدرسه الاعوام ، و بيان الاقلام باقٍ على مرّ الايّام ، و بالقلم يحفظ احكام الاديان و به يستقيم امور العالمين كما قيل: انّ قوام الدّنيا بشيئين ، القلم والسّيف ، والسّيف تحت القلم ، وقد قيل:

ان يخدم القلمَ السّيفُ الّذى خضعت ... له الرّقاب و دانت حذوه الاممُ

كذا قضى الله للاقلام مذ برئت ... انّ السّيوف لها مذ اُرهفت خدمُ

و روى انّ المراد به القلم الاعلى الّذى سطر ما كان وما هو كائن وهو ملك من الملائكة [وَمٰا يَسْطُرُونَ] اقسم بالمسطورات او بالملائكة الّذين يسطرون ما كان و ما هو كائن او الملائكة الّذين يسطرون احوال الارضيين ، او كُتّاب الاعمال الّذين يسطرون اعمال بنى آدم ، او النّاس الّذين يسطرون الكتب السّماويّة والاحكام الآلهيّة والشّرائع الحقّة والفنون والصّناعات المعاشيّة والدّيون والمعاملات والمحاسبات الخلقيّة [مٰا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ] بنعمة ربّك حال والباء للمصاحبة ، والعامل فيها معنى النّفى ، او للسّببيّة ومتعلّقة بمعنى النّفى [وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا] على التّبليغ و تحمّل مشاقّه [غَيْرَ مَمْنُونٍ] اى غير مقطوع او غير ممنون به عليك [وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ] الخلق بالضّمّ و بالضّمّتين السّجيّة والطّبع والمروءة والدّين ، والكلّ مناسب ههنا ، ولكنّ المراد هو السّجيّة ، فانّ المقصود انّك على خلق تتحمّل به كلّ ما يرد عليك ممّا يغيّر غيرك اذا ورد عليه ولا يغيّرك لا ظاهراً ولا باطناً ، و مثل ذلك الخلق لا يكون الّا عن دين عظيم هو ولاية علىّ (ع) وهى الولاية المطلقة ، فانّ من ترقّى عن مقام البشريّة و وصل الى مقام الولاية المطلقة يتبدّل جميع اوصافه الرّذيلة الّتى هى الاخلاق الحيوانيّة والرّذائل النّفسانيّة بالاوصاف الملكيّة الّتى هى الخصائل الحسنة و منها المروّة الكاملة ، و سبب الكلّ هو الطّبع الكامل و المزاج المعتدل وقد فسّر فى الاخبار بالدّين والاسلام ، وعن الصّادق (ع) : انّ الله عزّ وجلّ ادّب نبيّه (ص) فأحسن ادبه فلمّا اكمل له الادب قال: انّك لعلى خلق عظيم ، وفى خبر ان الله ادّب نبيّه (ص) فاحسن تأديبه فقال : خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ، فلمّا كان ذلك انزل الله انّك لعلى خلق عظيم [فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ] الباء بمعنى مع ، والمفتون بمعنى المصدر ، او المفتون اسم مفعول ، والمعنى بأيّكم العقل المفتون ، او هو من باب التّجريد اى مع ايّكم الرّجل المفتون ، او الباء زائدة ، او بمعنى فى و المعنى فى اىّ الفريقين منكم المفتون ، روى عن الباقر (ع) انّه قال: قال رسول الله (ص) : ما من مؤمن الّا وقد خلّص ودّى الى قلبه ، و ما خلّص ودّى الى قلب احد الّا وقد خلّص ودّ علىّ (ع) الى قلبه ، كذب ياعلىّ من زعم انّه يحبّنى و يبغضك ، فقال رجلان من المنافقين: لقد فتن رسول الله (ص) بهذا الغلام فأنزل الله تبارك: فستبصر و يبصرون بأيّكم المفتون ، قال: نزلت فيهما (الى آخر الآيات) [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ] الّذى هو ولاية علىّ (ع) والضّالّ عن سبيل الولاية هو المجنون حقيقةً [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] الى الولاية [فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ] لله اولك فى علىّ (ع) او لعلىّ [وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ] المداهنة والادهان اظهار خلاف ما تضمر والغشّ [فَيُدْهِنُونَ] والمعنى ودّوا ادهانك وغشّك او نفاقك اومداراتك معهم بخلاف ما اضمرت فيدهنون بعدك او ودّوا ادهانك بسبب انّهم يدهنون على الاستمرار ، و قال القمّى: اى احبّوا ان تغشّ فى علىّ (ع) فيغشّون معك [وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلّٰافٍ مَهِينٍ] تأكيدٌ للاوّل وتبديل للمكذّبين بالاوصاف الاخر ذمّاً لهم بجميع ذلك فانّ كلّ كذّاب يكون كثير الحلف ، وكلّ كثير الحلف يكون مهيناً عند الخلق وعند الله ، فانّ كثرة الحلف لا تكون الّا من كون الحالف مهيناً لا يقبل منه ،

وكثرة حلفه تصبر سبباً لكونه مهيناً ايضاً [هَمَّازٍ] عيّاب طعّان [مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ] النّمّ التّوريش والاغراء ورفع الحديث اشاعة له وافساداو تزيين الكلام ، والنّميم والنّميمة اسم له [مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ] يمنع قواه ومداركه واهل مملكته عن خيراتهم الحقيقيّة الّتي هي انقيادهم لوليّ امرهم وللعقل ثمّ عن خيراتهم المجازيّة اللّازمة لتلك الخيرات، ثمّ يمنع اهل المملكة الكبيرة عن الخيرات الحقيقيّة ، ثمّ عن الخيرات المجازيّة [مُعْتَدٍ] متجاوز عن الحدّ اوظالم على نفسه بالطّغيان على الامام [أَثِيمٍ] كثير الاثم [عُتُلٍّ] العتلّ الاكول المنيع الجافي الغليظ [بَعْدَ ذٰلِكَ] المذكور من المثالب [زَنِيمٍ] الزّنيم المستلحق في قوم ليس منهم والدّعيّ واللّئيم المعروف بلؤمة اوشره ، روى عن النّبيّ (ص) انّه سئل عن العتلّ الزّنيم فقال : هوالشّديد الخلق المصحيح[1] الاكول الشّروب الواجد للطّعام والشّراب الظّلوم للنّاس ، الرّحب الجوف ،وعن عليّ (ع) : الزّنيم هوالّذي لااصل له ، وقال القمّيّ : الخبر امير المؤمنين (ع) معتد اى اعتدى عليه عتلّ بعد ذلك قال : العتلّ العظيم الكفر والزّنيم الدّعيّ [أَنْ كٰانَ ذٰا مٰالٍ وَبَنِينَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] قد مضى بيان الاساطير مكرّراً في السّابق ، وقيل : نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة كان يمنع عشيرته عن الاسلام وكان موسراً وله عشر بنين فكان يقول لهم وللحمته : من اسلم منكم منعته رفدي وكان دعيّاً ادّعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده [سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ] على الانف قيل : قد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره ، وقيل : انّه كناية عن ان يذلّه غاية الاذلال ، وقال القمّيّ : اساطير الاوّلين اى اكاذيب الاوّلين سنسمه على الخرطوم قال في الرّجعة اذا رجع امير المؤمنين (ع) ويرجع اعداؤه فيسمهم بميسم معه كما يوسم البهائم على الخراطيم الانف والشّفتان [إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ] اى اهل مكّة بالقحط والجوع [كَمٰا بَلَوْنٰا أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ] المعهودة الّتي كانت مالكوها مستعدّين لان يصرموها فلمّا دخلوها وجدوها بلاثمر لانّهم لم يستثنوا وكانت تلك الجنّة على تسعة اميال من صنعاء اليمن وكانت يقال لها الرّضوان [إِذْ أَقْسَمُوا] اى المالكون لها [لَيَصْرِمُنَّهٰا مُصْبِحِينَ] وقت الصّباح [وَلٰا يَسْتَثْنُونَ] لايقولون ان شاءالله وسمّي استثناء لما فيه من الاخراج من مشيّة القائل والتّعليق على مشيّة الله تعالى [فَطٰافَ عَلَيْهٰا طٰائِفٌ] اى حرّ طائف كالسّموم ، اوبرد طائف [مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نٰائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ] صارت وقت الصّباح [كَالصَّرِيمِ] كالجنّة المقطوعة الثّمار اوكاللّيل المظلم باحتراقها ، او كالنّهار المضيء بابيضاضها وعدم خضرتها، فانّ الصّريم يطلق على اللّيل والنّهار [فَتَنٰادَوْا] نادى بعضهم بعضاً [مُصْبِحِينَ] وقت الصّباح [أَنِ اغْدُوا عَلىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰارِمِينَ فَانْطَلَقُوا] الى جنّتهم للصّرم [وَهُمْ يَتَخٰافَتُونَ] يسارّون [أَنْ لٰا يَدْخُلَنَّهٰا] مفعول ليتخافتون بلاواسطة او بواسطة الباء الجارّة [الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلىٰ حَرْدٍ] اى على منع للفقراء ، اوعلى جدّ من امرهم ، اوعلى غضب على الفقراء وقت الصّرم [قٰادِرِينَ] اى يقدّرون عند انفسهم ذلك [فَلَمّٰا] دخلوا بستانهم و [رَأَوْهٰا قٰالُوا إِنّٰا لَضٰالُّونَ] عن جنّتنا فانّها ليست على صفة جنّتنا ، اولضالّون عن طريق الحقّ في امرنا حيث اردنا منع الفقراء فلذلك عوقبنا [بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ] بل هي جنّتنا لكنّا صرنا محرومين من ثمارها باردادتنا منع الفقراء [قٰالَ أَوْسَطُهُمْ] سنّاً اواعدلهم

(١) وزن مبالغة اى غالب الصّحة وقليل المرض ومقابله الممريض والممراض ،والخبر انّه لاخير في البدن المصحاح .

او افضلهم واعقلهم [اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ] تنزّهون الله فتؤدّوا شكر نعمه وتؤدّوا حقوقها ، اوتصلّون [قالُوا] اعترافاً بظلمهم لانفسهم وتنزيهاً للحقّ تعالى عن الظّلم [سُبْحانَ رَبِّنا اِنّا كُنّا ظالِمِينَ فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ قالُوا] اعترافاً بطغيانهم [يا وَيْلَنا] يا قوم ويلنا اونادوا الويل لغاية دهشتهم [اِنّا كُنّا طاغِينَ] وهذه تقال عند شدّة الغيظ وغلظ اليأس ، ويقال عند التّوجّه الى الله والتّوبة اليه والنّدم على ما فرّط [عَسى رَبُّنا اَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها] وهذه تدلّ على انّهم تابوا الى الله وندموا على مافرّط منهم [اِنّا اِلى رَبِّنا راغِبُونَ كَذلِكَ الْعَذابُ] فى الدّنيا [وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ اَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ] نسب الى عبدالله بن مسعود انّه قال : بلغنى انّ القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصّدق فابدلهم بها جنّة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً ، وقال ابوخالد اليمامىّ : رأيت تلك الجنّة ورأيت كلّ عنقود منها كالرّجل الاسود القائم [اِنَّ لِلْمُتَّقِينَ] عن المعاصى اوعن رؤية انفسهم [عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ] لم نجعل لهم جنّات [فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ] كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمّد (ص) فانّ حالنا يكون افضل فى الآخرة كما فى الدّنيا ولو لم يكونوا يقولون ذلك بالسنتهم فانّهم كانوا يقولون ذلك بلسان حالهم فقال الله تعالى ، ذلك ظنٌّ فاسدٌ وزعمٌ باطلٌ [ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] على الله ما لا يرضاه الجاهل اوكيف تحكمون بينكم بترجيح الكافر المعاند على المسلم الموافق [اَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ] ذلك اى تقرأون والحال ان ليس لكم كتاب وكتاب الله الّذى هو القرآن يحكم بخلاف ذلك [اِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ] تدرسون معلّق عنه اوهو استفهام على الاستيناف بتقدير اداة الاستفهام [اَمْ لَكُمْ اَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ] اى ثابت علينا الى يوم القيامة اوكاملة باقية [اِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ] جوابٌ للقسم [سَلْهُمْ اَيُّهُمْ بِذلِكَ] المذكور من جعلنا المسلمين كالمجرمين [زَعِيمٌ اَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ] لله يجعلونهم مثل المسلمين [فَلْيَاْتُوا بِشُرَكائِهِمْ اِنْ كانُوا صادِقِينَ] فى دعويهم امر للتّعجيز [يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ] ظرف لقوله تعالى : فليأتوا ، او المعنى فليأتوا بشركائهم فى الدّنيا حتّى نعلم انّ لهم شركاء ويوم يكشف ظرف لقوله تعالى : ترهقهم ذلّة كناية عن هول اليوم وشدّته ، فانّ الامر اذا اشتدّ واحتاج الانسان الى الفرار يكشف عن ساقه يعنى يوم يشتدّ الامر عليهم ، اوالمعنى يوم يكشف عن ساق البدن الاخروىّ فانّ البدن الدّنيوىّ كالحجاب واللّباس للبدن الاخروىّ بل بساق البدن الاخروىّ ولارادة ساق البدن الاخروىّ نكّر السّاق اشارة الى منكوريّته لهم اوالى تفخيمه ، اوالمعنى يكشف عن شدّة عظيمة فانّه يكنّى عن الشّدّة بالسّاق ، وهذا معنى قوله تعالى : والتفّت السّاق بالسّاق ، اوالمعنى يوم يكشف عن اصل الامور وحقيقتها [وَيُدْعَوْنَ اِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ] لانّ استكبارهم عن السّجود فى الدّنيا يظهر بصورة عدم الاستطاعة له فى الآخرة ، عنهما (ع) انّهما قالا : افحم[1] القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الابصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من النّدامة والخزى والذّلّة ، وعن الرّضا (ع) انّه قال حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجّداً ويُدبَّح[2] اصلاب المنافقين فلا يستطيعون السّجود [خاشِعَةً اَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ] من شدّة الهول وكثرة الشّدائد [وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ اِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ]

(١) افحم القوم عجزوا ـ وافحمه الهمّ منعه . (٢) دبّح بالدّال والباء الموحّدة المشدّدة والحاء المهملة = بسط ظهره وطأطأ راسه .

فى الدّنيا ، وعن الصّادق (ع) وهم سالمون اى مستطيعون ، وقال القمّىّ: يكشف عن الامور الّتى خفيت وما غصبوا آل محمّد (ص) حقّهم و يدعون الى السّجود قال: يكشف لامير المؤمنين (ع) فيصير اعناقهم مثل صياصى البقر يعنى قرونها فلا يستطيعون ان يسجدوا وهى عقوبة لهم لانّهم لم يطيعوا الله فى الدّنيا فى امره وهو قوله و قد كانوا يدعون الى السّجود وهم سالمون قال الى ولايته فى الدّنيا وهم يستطيعون [فَذَرْنِى وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ] اى حديث ولاية علىّ (ع) ، تهديد بليغ لهم [سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ] قد مضى الآية فى سورة الاعراف [أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ] قد مضت الآية فى سورة الطّور [أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ] من ذلك ما يستغنون به عنك وما يحكمون به [فَاصْبِرْ] اى فانتظر [لِحُكْمِ رَبِّكَ] فيهم ولا تعجل بالدّعاء عليهم او فاصبر على أذاهم وتدبيرهم لمنع علىّ (ع) عن حقّه لاجل حكم ربّك بامهالهم ولا تعاجل بالدّعاء عليهم [وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ] يعنى يونس بن متّى (ع) حيث تعجّل بالدّعاء على قومه فوعده الله العذاب وتاب على قومه و رفع عنهم العذاب فغضب يونس (ع) و فرّ منهم و ابتلى ببطن الحوت [إِذْ نَادٰى] فى بطن الحوت او نادى الله بالعذاب على قومه [وَهُوَ مَكْظُومٌ] مملوّ غيظاً على قومه ، وعن الباقر (ع) اى مغموم [لَوْلَا أَنْ تَدٰارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ] وهى التّوبة عليه و الشّفقة [لَنُبِذَ بِالْعَرٰاءِ] اى الارض الخالية من الاشجار و النّبات والسّقوف [وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبٰاهُ رَبُّهُ] بان اخرجه من بطن الحوت ونبذه بارض ذات ظلّ وجعله ثانياً رسولاً الى قومه [فَجَعَلَهُ مِنَ الصّٰالِحِينَ وَإِنْ يَكٰادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصٰارِهِمْ لَمّٰا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمٰا هُوَ] اى محمّد (ص) اوالقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) [إِلّٰا ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ] قيل: نزلت حين نزول القرآن وقراءته حيث كانوا ينظرون اليه من شدّة البغض والحسد نظراً يكادون يصرعونه بنظرهم، و ورد فى الخبر: انّها نزلت حين قال: من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه آخذاً بعضد علىّ (ع) رافعاً له وقال بعضهم لبعض: انظروا الى عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون ، وقيل: نزلت فى اصابة العين فانّه روى انّه كان فى بنى اسد عيّانون فأراد بعضهم على ان يعيّنه (ص)، و ورد انّ العين ليدخل الرّجل القبر والجمل القدر ، و روى انّه مرّ الصّادق (ع) بمسجد الغدير فنظر الى ميسرة المسجد فقال: ذاك موضع قدم رسول الله (ص) حيث قال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، ثمّ نظر الى الجانب الآخر فقال: ذاك موضع فسطاط بعض المنافقين فلمّا ان رأوه رافعاً يده قال بعضهم لبعض: انظروا الى عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون ، فنزل جبرئيل بهذه الآية .

سورة الحاقة

مكّيّة، احدى وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[الْحٰاقَّةُ مَا الْحٰاقَّةُ] من حقّ بمعنى وجب اوثبت، اومن حقّ يحقّ من باب نصر من حاققته فحققته احقّه من المغالبة، وعلى اىّ معنى فسمّيت القيامة حاقّة لتحقّقها وثبوتها ، اولغلبتها على الكافرين وابطالهم، اولتحقّق الامور

فيها وثبوت الحقّ فيها و بطلان الباطل ليكون من قبيل الوصف بحال المتعلّق ، والاستفهام عنها واتيان الظّاهر موضع المضمر للتّفخيم والتّعجيب [وَمَا أَدْرٰيكَ مَا الْحَاقَّةُ] انكار درايته (ص) بالاستفهام الانكاريّ الدّال على المبالغة والاتيان بالاسم الظّاهر موضع المضمر والاتيان بالاستفهام كلّها يدلّ على التّفخيم [كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ] بالقيامة سمّيت بها لانّها تقرع قلوب الكفّار باهوالها وافزاعها ، اوتقرع فيها رؤسهم بالمقارع من النّار فلينظر هؤلاء الى تكذيبهم بها وعاقبتهم حتّى يرتدعوا عن التّكذيب [فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ] الصّيحة والرّجفة المتجاوزة عن الحدّ كما مضى مكرّراً [وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ] قد مضى قصّتهم مكرّراً ومضى في سورة فصّلت وسورة القمر بيان الرّيح الصّرصر [سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ] قد مضى في سورة القمر بيان الايّام الثّمانية ، وقد مضى سابقاً قصّة عاد وثمود [حُسُومًا] الحسوم بالضّمّ النّشؤم والدّؤب[1] في العمل ، ويجوز ان يكون جمعاً لحاسم بمعنى القاطع او بمعنى المانع ، فالمعنى ثمانية ايّام شومات ، اومتتابعات او قاطعات لحياتهم ، اومانعات لهم ، قال القمّيّ : كان القمر منحوساً بزحل [فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى] موتى [كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ] خالية الاجواف تشبيه لهم بعد خروج ارواحهم باعجاز النّخل المتأكّلة الاجواف [فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ] من الامم الماضية ، وقرئ من قِبَله بكسر القاف وفتح الباء اى من عنده من اتباعه [وَالْمُؤْتَفِكَاتُ] اى قرى قوم لوط الّتى ائتفكت بأهلها [بِالْخَاطِئَةِ] اى بالخطيئة [فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ] ربّهم [أَخْذَةً رَابِيَةً] مثل زيادة عملهم في القبح ، اواخذة زائدة على خطائهم [إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ] في امّة نوح (ع) [حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ] اى السّفينة الجارية يعنى حملنا آباءكم وانتم في اصلابهم [لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ] اى لنجعل الفعلة من طغيان الماء وحملكم في الجارية واهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين تذكرة لكم وعظة وتعى هذه الفعلة اوالتّذكرة اذن واعية ، وللاشارة الى التّأويل روى انّه قال الرّسول (ص) لعليّ (ع) : يا عليّ انّ الله تعالى أمرني ان ادنيك ولا اقصيك ، وان اعلّمك وتعى ، وحقّ على الله ان تعى ، فنزل : و تعيها اذن واعية ، وفيه اشارة ما الى التّأويل فانّ فيه انّا لمّا التقى ماء البحر الاجاج من الارض الهيولويّة وماء سماء الاهوية وطغى الماء ان الملتقيان وحملناكم في سفينة نوح (ع) الّتى هي سفينة الشّريعة الّتى من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك ، اوسفينة الولاية الّتى هي المركب المنجي الحقيقيّ فانّ مثل عترته مثل سفينة نوح (ع) ينجو من ركبها و يهلك من تخلّف عنها ، لنجعل تلك الفعلة من طغيان الماء اوركوب السّفينة اونفس السّفينة الّتى هي الشّريعة اوالطّريقة تذكرة لامور الآخرة وتعيها اى الشّريعة اوالطّريقة بآدابها ، اوهذه التّذكرة اذن واعية شأنها ان تعى مايسمع و يرى ، و ورد انّ رسول الله (ص) لمّا نزلت هذه الآية قال : سألت الله عزّوجلّ ان يجعلها اذنك يا عليّ (ع) ، وفي رواية قال (ص) : اللّهمّ اجعلها اذن عليّ (ع) [فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ] لمّا ذكر القيامة وفخّمها فضّلها للتّهويل والتّهديد و المراد بالنّفخة هي النّفخة الاولى اوالثّانية ، والتّوصيف بالواحدة للاشعار باختصارها وسهولتها مثل قوله تعالى : وما أمرنا الّا واحدة كلمح بالبصر [وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ] اى رفعت عن مكانها [وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً] اى دقّتا وكسرتا ، والتّوصيف بالواحدة مثل توصيف النّفخة يعنى يجعل الارض مثل الاديم المنبسط ليس فيها تلال ولا وهاد [فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ] اى القيامة ، سمّيت واقعة لوقوعها لامحالة [وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ]

(١) الدّؤب بالضّم = الجدّ والتّعب في العمل.

رخوة [وَالْمَلَكُ عَلٰى اَرْجَائِهَا] اى جنس الملك بكثرتها على اطراف السّماء [وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ] روى عن النّبيّ (ص) انّ حملة العرش اليوم اربعةٌ فاذا كان يوم القيامة ايّدهم باربعة اخرى فيكونون ثمانيةً، وعن الصّادق (ع): حملة العرش والعرش العلم ثمانية، اربعة منّا واربعة ممّن شاء الله.

اعلم، انّ حملة العرش والعرش بوجهٍ جملة المخلوقات، وبوجهٍ العلم، وبوجهٍ الوجود المطلق الّذى هو اضافة الحقّ الاوّل اضافته الاشراقيّة بوجهه الّذى الى الحقّ تعالى شأنه فى النّزول اربعة من الاملاك وهم الملائكة المقرّبون وفى الصّعود وعود النّفوس الى الله يصير الحملة ثمانيةً، اربعة من الملائكة المقرّبين واربعة من نفوس الكمّلين من الانبياء المرسلين (ع) الّذين وصلوا الى اعلى درجات الكاملين واتّحدوا مع الملائكة المقرّبين [يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفٰى مِنْكُمْ] قرئ بالتّاء الفوقانيّة والياء التّحتانيّة [خَافِيَةٌ] اى نفس خافية اوفعلة اوخصلة اوخطرة خافية، اوهو مصدر اواسم فاعل، والتّاء للمبالغة لا للتّأنيث [فَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتٰابَهُ] عطف من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ] تبجّحاً [هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ] ها اسم لخذ وقد يمدّ ويلحق بهما كاف الخطاب ويتصرّف فيها تصرّف الضّمائر بحسب حال المخاطب، وقد يستغنى بتصريف الهمزة نحو تصاريف الكاف عن الحاق الكاف فيقال: هاء بفتح الهمزة وهاء بكسرها، وهاؤما، وهاؤم، وهاؤنّ [اِنِّي ظَنَنْتُ اَنِّي مُلٰاقٍ حِسٰابِيَهْ] لمّا كان علوم النّفس مغايرة لمعلوماتها وجائزة الانفكاك عنها كالظّنون كثيراً ما يعبّر عنها بالظّنون كما سبق مكرّراً والمعنى انّى كنت فى الدّنيا موقناً انّى ملاقٍ حسابى عند ربّى فعملت على طبق يقينى، عن الصّادق (ع): كلّ امّة يحاسبها امام زمانها ويعرف الائمّة (ع) اولياءهم واعداءهم بسيماهم وهو قوله: وعلى الاعراف رجال يعرفون، وهم الائمّة (ع) يعرفون كلّاً بسيماهم فيعطوا اولياءهم كتابهم بيمينهم، فيمرّوا الى الجنّة بلاحساب، ويعطوا اعداءهم كتابهم بشمالهم، فيمرّوا الى النّار بلاحساب فاذا نظروا اولياؤهم فى كتابهم يقولون لاخوانهم: هاؤم اقرؤا كتابيه انّى ظننت انّى ملاقٍ حسابيه [فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ] اى راضٍ صاحبها بها وقيل راضية بمعنى المرضية [فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ] على الجنّات [قُطُوفُهٰا] جمع القطف بالكسر العنقود، واسم للثّمار المقطوفة اى المجنيّة، وقطف العنب من باب ضرب جناه [دٰانِيَةٌ] يعنى ثمارها الّتى من شأنها ان تجنى دانية للقائم والقاعد [كُلُوا] حال او مستأنف بتقدير القول [وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمٰا اَسْلَفْتُمْ فِي الْاَيّٰامِ الْخٰالِيَةِ] اى الماضية من الاعمال الحسنة [وَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ] قيل: نزلت فى معاوية [فَيَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ اُوتَ كِتٰابِيَهْ وَلَمْ اَدْرِ مٰا حِسٰابِيَهْ] لما يرى من سوء العاقبة وثبت الاعمال السّيّئة [يٰا لَيْتَهٰا] اى يا ليت الموتة الّتى متّها [كٰانَتِ الْقٰاضِيَةَ] لى من غير حياة بعدها [مٰا اَغْنٰى] الله اوما اغنى العذاب [عَنِّي مٰالِيَهْ] اى الّذى كان لى من الاتباع والاولاد والاموال، اوما اغنى مالى عنّى مالى الّذى جمعته فى الدّنيا [هَلَكَ عَنِّي سُلْطٰانِيَهْ] سلطنتى اوسلطانى الّذى كان يأمرنى بأعمال فى الدّنيا، او سلطانى الّذى كنت اشركه بالله واجعله شفيعاً لى عند الله [خُذُوهُ] حال اومستأنف بتقدير القول [فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ] اى ادخلوه [ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعًا فَاسْلُكُوهُ] وقد وصف الصّادق (ع) تلك السّلسلة بانّ حلقةً منها لو وضعت على الدّنيا لذابت الدّنيا من حرّها، وعنه (ع): وكان معاوية صاحب السّلسلة الّتى قال الله

عزّوجلّ في سلسلة ذرعها (الآية)، وعن الباقر (ع): كنت خلف ابى (ع) وهو على بغلته فنظرت بغلته فاذا هو شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه فقال: ياعليّ بن الحسين (ع) اسقني، فقال الرّجل: لاتسقه لاسقاه الله، قال: وكان الشّيخ معاوية، وقال القمّيّ: معنى السّلسلة سبعون ذراعاً في الباطن هم الجبابرة السّبعون.

اعلم، انّ الانسان واقع بين الحيوانيّة و بين الملكيّة ولنفسه وجه الى الحيوانيّة و وجه الى الملكيّة و يعبّر عن الجهتين باليسار واليمين، واذا عمل الانسان عمله من حيث وجهته الى الحيوانيّة يثبت ذلك العمل في صفحة النّفس الّتي تلي الحيوانيّة، و بحذائها الكتاب الّذي بيد كاتب السّيّئات فيثبت ذلك العمل كاتب السّيّئات في كتاب السّيّئات سواء كان ذلك العمل بحسب صورته من الطّاعات اومن المعاصي، ولذلك ورد في حقّ النّاصب: صلّى اوزنى، واذا بعث ذلك العامل يوم القيامة يتمثّل العمل الّذي كان في صفحة النّفس الدّانية و يأتيه كتاب عمله الّذي كتبه كاتب السّيّئات من تلك الجهة وهي شمال النّفس والانسان، واذا عمل عمله من حيث وجهته الى الملكيّة ثبت ذلك العمل اوّلاً في صفحة نفسه الملكيّة و بحذائها الكتاب الّذي بيد كاتب الحسنات فيثبته كاتب الحسنات في كتاب الحسنات سواء عدّ ذلك العمل بحسب صورته من السّيّئات اومن الحسنات، وهذا احد وجوه تبديل السّيّئات حسنات، واذا بعث ذلك العامل يوم القيامة يتمثّل صورة العمل الّذي كان في صفحة النّفس العليا و يؤتى كتابه من تلك الجهة فيرى صورة اعماله في صفحة نفسه وفي كتابه على غاية الحسن و البهاء فيتبجّح و يقول من غاية الوجد و السّرور: هاؤم اقرؤا كتابيه [إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِينِ] يعني انّه لم يكن صاحب خير لابحسب قوّته العلّامة ولابحسب قوّته العمّالة [فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ] لانّ النّسب الجسمانيّة صارت منقطعة والنّسب الرّوحانيّة الالهيّة لم تكن له حاصلة لانّ حصولها لايكون الّا بالايمان بالله بالبيعة العامّة اوالخاصّة فلم يكن له في ذلك الموقف حميم جسمانيّ ولاحميم روحانيّ [وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ] هو مايغسل من الثّوب ونحوه كالغسالة، ومايسيل من جلود اهل النّار، وما كان شديد الحرّ، واسم شجر في النّار ولم يكن له طعام الّا من غسلين لانّه لم يكن يطعم من طعامه حتّى يعطيه طعاماً طيّباً عوضاً من طعامه [لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُنَ] اى المذنبون من خطئ الرّجل اذا اذنب عمداً اوخطأً [فَلَا أُقْسِمُ] لفظة لامزيدة للتّأكيد وشاع زيادتها في القسم [بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ] بكلّ ما من شأنه ان يبصر وان لايبصر [إِنَّهُ] اى القرآن اوقرآن ولاية عليّ (ع) [لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] وقول الرّسول (ص) من حيث انّه رسول ليس الّا من المرسل سواء اريد بالرّسول جبرئيل اومحمّد (ص) [وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ] كما تقولون تارة انّه شاعر [قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ] كما تقولون اخرى [قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ] قليلاً صفة مفعول مطلق محذوف، اوظرف لتذكّرون وما زائدة للتّأكيد اوصفته والاتيان بالايمان في جانب نفي كونه شعراً لانّ تميّزكونه من الله دون الشّعر يحتاج الى الايمان العامّ اوالخاصّ، اوالاذعان بالله واليوم الآخر حتّى يعلم انّ مضمونه ليس الّا آلهياً اخروياً عقلياً بخلاف الشّعر فانّه لايكون في الاغلب الّا اخيالياً نفسانياً، واتى في جانب نفي الكهانة بالتّذكّر لعدم اكتفاء الايمان في تميّز القرآن من الكهانة الّتي هي ايضاً اخبار بالغيب، وللحاجة الى تذكّر حال الكاهن وحال الرّسول (ص) واقوالهما وانّ حال الكاهن لايشبه حال الآلهيّين الاخرويّين وانّ حال الرّسول (ص) وقوله لايشبه حال الكاهنين الشّيطانيّين [تَنْزِيلٌ] اى بل هو تنزيل [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ] ابتدع [عَلَيْنَا] كذباً [بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ] لامسكنا من اعضائه بيمينه كما يمسك من اعضاء الجاني المستحقّ للعذاب بيده، وذكر اليمين لانّه اشرف اطرافه فيكون ابلغ في الدّلالة على الاذلال اولاخذنا منه باليمين للقطع اى قطعناها فانّه حينئذٍ يكون سارقاً في الدّين، والسّارق يقطع منه اليمين، اولاخذناه بقوّة، واستعمال اليمين في القوّة

لظهورها على اليد في الاغلب ، واليمين اقوى الاطراف [ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ] وهو حبل القلب اذا قطع هلك صاحبه، وقطعه كناية عن اهلاكه [فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ] مانعين وكافّين وجمع الحاجز ين لحمله على احد المفيد للعموم في سياق النّفي [وَإِنَّهُ] اى القرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) [لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] وقد مضى بيان التّقوى ومراتبها في اوّل البقرة [وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] قد سبق مكرّراً انّ المراد بتسبيح الرّبّ تنزيه اللّطيفة الانسانيّة الّتى هى مظهر الله وهو الرّبّ بوجه واسم الرّبّ بوجه سواء علّق التّسبيح على الله اوعلى الرّبّ اوعلى اسم الرّبّ ، والباء ههنا صلة التّسبيح لتأكيد اللّصوق اوسببيّة ، روى عن الكاظم (ع) انّه لقول رسول كريم يعنى جبرئيل عن الله فى ولاية علىّ (ع)، قال (ع) قالوا : انّ محمّداً (ص) كذب على ربّه ومامره الله بهذا فى علىّ (ع) فأنزل الله بذلك قرآناً فقال: انّ ولاية علىّ (ع) تنزيل من ربّ العالمين ولوتقوّل علينا محمّد (ص) بعض الاقاويل (الآية) ثمّ عطف القول فقال : انّ ولاية علىّ (ع) لتذكرة للمتّقين وانّ علياً (ع) لحسرة على الكافرين وانّ ولايته لحقّ اليقين فسبّح باسم ربّك العظيم يقول اشكر ربّك العظيم الّذى اعطاك هذا الفضل، وعن الصّادق (ع) : لمّا اخذ رسول الله (ص) بيد علىّ (ع) فأظهر ولايته قالا جميعاً: والله ماهذا من تلقاء الله ولا هذا الّا شيء اراد ان يشرّف ابن عمه فأنزل الله : ولو تقوّل علينا (الآيات) وفى خبر: نزلت فى امير المؤمنين (ع) ومعاوية عليه ما عليه .

سورة المعارج

مكّيّة ، وقيل : سوى قوله تعالى: والّذين فى اموالهم حقٌّ معلوم ، اربع واربعون آيةً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ] سأل يتعدّى بنفسه وبعن وبالباء الى المفعول الثّانى ، ويخفّف الهمزة فيقال: سال يسال مثل خاف يخاف ، وقرئ به ايضاً ، قيل: نزلت فى ابى جهل حين قال الرّسول (ص) لقريش : انّ الله يعثنى ان اقتل جميع ملوك الدّنيا واجرّ الملك اليكم فأجيبونى الى ماادعوكم اليه تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم وتكونوا ملوكاً فى الجنّة، فقال ابوجهل: اللّهمّ ان كان هذا الّذى يقول محمّد (ص) هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء او ائتنا بعذاب اليم حسداً لرسول الله (ص) ،وقيل: نزلت فى الحارث بن عمر الفهرى حين قال رسول الله (ص) فى علىّ (ع) ماقال فقال: اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك (الآية) وقدسبق فى سورة الانفال عند قوله: ان كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء ، بيان لنزول الآية، وفى خبر: لمّا اصطفّت الخيلان يوم بدر رفع ابوجهل يده فقال: اللّهمّ اقطعنا للرّحم وآتانا بما لا نعرفه ففاجئه العذاب، فأنزل الله تبارك وتعالى سأل سائلٌ بعذاب واقع [لِلْكَافِرِينَ] اللّام للتّبيين اومتعلّق بواقع واشارة الى انّ الكافر لا حاجة له الى انتظار العذاب بل العذاب واقع له [لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ] يدفعه عنهم [مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ] المعراج والمعرج كمكحل والمعرج بفتح الميم والرّاء السّلّم، والله باضافته الاشراقيّة الّتى هى فعله وغير خالية منه معراج لعباده السّالكين، وله معارج بعدد نفوس السّالكين بل بعدد نفوس الخلق اجمعين ، وله ايضاً معارج بعدد انواع الموجودات فهو بوجه معارج، وبوجه ذومعارج،

[تَعْرُجُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ] هو ربّ النّوع الانسانيّ و هو اعظم من جميع الملائكة المقرّبين و هوالّذى لم يكن مع احدمن الانبياء(ع) وكان مع نبيّنا(ص) وكان مع اوصيائه الكاملين [فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] والمقصود انّه تعرج الملائكة والرّوح اليه فى تلك المعارج، فانّ الملائكة والرّوح تنزل من مقامها العالى الى مقام الطّبع فى الملك الكبير والصّغير ثمّ تعرج الى الله ومقامها الاوّل فى تلك المعارج، وقدمضى فى سورة بنى اسرائيل وسورة السّجدة بيانٌ لهذه الآية، وعن الصّادق(ع) انّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقام الف سنة ثمّ تلا الآية [فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا] على تكذيب قومك وكفرهم بولاية علىّ(ع) لانّهم واقعون فى العذاب من غير انتظار لمجيئه [إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا] اى يرون ذلك اليوم اوالعذاب بعيداً من الامكان او بعيداً امده [وَنَرٰيهُ قَرِيبًا] من الوقوع اوقريباً امده وانت ترى برؤيتنا فينبغى ان تراه قريباً [يَوْمَ تَكُونُ السَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ] كالفلز المذاب اوكدردىّ الزّيت و يوم بدل من قوله فى يوم اوخبر مبتدء محذوف اوظرف ليبصرونهم اوليودّ المجرم [وَتَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ] العهن القطعة من الصّوف اوالمصبوغ الوانا.

اعلم، انّ الملائكة الموكّلة على بنى آدم والرّوح النّازلة اليهم من مقامها العالى تعرج الى مقاماتها بل الى الله تعالى بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ، و بالموت يصير سماوات مقامات الارواح كالصّفر المذاب فى عدم تماسكها وعدم تمانعها وانشقاقها لخروج الرّوح الانسانيّة النّاطقة وتصير جبال الانانيّات كالصّوف المنفوش فى عدم ثباتها وعدم تمانعها، وتصير الاعضاء البدنيّة ايضاً كالعهن فى تخلخلها بخروج الرّوح عنها [وَلٰا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا] قرئ بالبناء للفاعل وقرئ بالبناء للمفعول يعنى انّ كلّا منهم مشغول بنفسه بحيث لا يسأل الحميم عن حميمه او لا يسأل حميم عن حميم حمل اوزاره او دفع العذاب عنه، لمعرفته انّه لا يغنى عنه شيئاً، او المعنى على البناء للمفعول لا يسئل حميم عن حال حميمه لعدم الاحتياج الى ذلك لمعرفة كلّ كلّ من سواه، اولانّ المذنب والمحسن والكافر والمؤمن كانوا ذوى علامات مغنية عن الاستفسار [يُبَصَّرُونَهُمْ] قرئ مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل و بصّره من التّفعيل يستعمل فى معنى عرّفه وفى معنى قطعه، وعن الباقر(ع) يعرّفونهم ثمّ لا يتساءلون [يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصٰاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ] اى عشيرته الّتى يأوى هو اليهم فى نوائبه وكانوا يؤوبه فى كلّ امر وكان يأوى اليهم فى نسبه وصار منفصلاً عنهم بالتّولّد منهم [وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ] ذلك الفداء [كَلّٰا] اى يقال له كلّا ردعاً له عن ذلك الوداد وعن انجاء الفداء [إِنَّهٰا لَظىٰ] اللّظى كالفتى النّار او لهبها و لظى معرفة كما ههنا اسم لجهنّم اولواد منها و ضمير انّها للقصّة اولجهنّم، و استغنى عن ذكرها بشهودها [نَزّٰاعَةً لِلشَّوىٰ] قرئ بالرّفع خبراً للظى، اوخبراً بعد خبر لانّ وقرئ بالنّصب حالاً والشّوى الامر الهيّن ورذال المال واليدان والرّجلان والاطراف وقحف الرّأس وما كان غير مقتل، والنّزاعة من نزعه قلعه، اومن نزع الى اهله نزوعاً اشتاق [تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ] حينئذ عنها اومن ادبر عن الولاية [وَتَوَلّىٰ] عنها اوعن الولاية اواليها، واستعمال تدعو فى معنى تجرّ بعنف للتّهكّم بهم [وَجَمَعَ] المال [فَأَوْعىٰ] فى وعاء الكنز [إِنَّ الْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعًا] تعليل للجمع والايعاء يعنى انّ الانسان بطبعه شديد الحرص وقليل الصّبر، و قوله تعالى [إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا] اذا ظرف لجزوعاً، وجزوعاً ومنوعاً بدل تفصيلىّ من هلوعاً، وهلوعاً حال مقدّرة اومحقّقة، اوجزوعاً خبر لكان مقدّراً، واذا

ظرف له او لشرطه [وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا] والمراد بالشّر كلّ ما لا يلائم طبعه و بالخير كلّ ما يلائم طبعه [إِلَّا الْمُصَلِّينَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان الصّلوة ومراتبها [اَلَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلٰوتِهِمْ دَائِمُونَ] .

اعلم، انّ الصّلوة اسم لكلّ ما به يتوجّه الى الله ولذلك لم يكن شريعة الّا وكانت الصّلوة فى تلك الشّريعة وبعبارة اخرى الصّلوة هى التّحلّى بحلى اوصاف الرّوحانيّين كما انّ الزّكوة كانت اسماً للتبرّى من كلّ ما يتبرّى منه ولذلك كانت فى كلّ شريعة، وصلوة القالب كانت فى الشّرائع بحسب الاذكار والافعال مختلفة، ولمّا كانت شريعة محمّد (ص) اكمل الشّرائع جعلت الصّلوة القالبيّة فيها اكمل الصّلوات مشتملة على عبادات جميع اصناف الملائكة من الّذين هم قيام لا ينظرون ومن الرّكع و السّجد وعلى صلوة جميع اصناف المواليد من الطّبائع المنطبعة والنّفوس النّباتيّة الّتى هى بوجه قيام لا ينظرون ، و بوجه سجّد ومنطبعة، ومن النّفوس الحيوانيّة الّتى هى بالطّبع راكعة منكوسة، ومن النّفوس الانسانيّة الّتى هى قائمة باحسن التّقويم متمكّنة من الرّكوع والسّجود، والقيام الّتى كانت لسائر الموجودات، ولمّا كانت الصّلوة القالبيّة مانعة من الاشغال الضّروريّة من الاكل والشّرب وطلب الحاجات وقضاء الحاجة والنّوم كانت لا يمكن ادامتها الّا على ضرب من التّأويل والمجاز بان يكون المراد من ادامتها عدم فوتها عن اوقاتها المقرّرة ، فليكن المراد ادامة الصّلوة القلبيّة المأخوذة من ولىّ الامر فانّها ان كان الانسان مواظباً عليها مستغرقاً فيها لم يكن يمنع الاشغال الضّروريّة عن اقامتها بل يكون الانسان فى حالة النّوم ايضاً مشغولاً بها من غير تعمّل وفكر و رويّة ، ولذلك قال: على صلوتهم يعنى صلوتهم المخصوصة بهم فانّ لكلّ انسان صلوة خاصّة لا يشاركه فيها غيره بخلاف الصّلوة القالبيّة فانّها مشرّعة للكلّ لا اختصاص لها بفرد دون فرد ، وفى الخبر: اذا فرض على نفسه شيئاً من النّوافل دام عليه ، وفى خبر: الّذين يقضون مافاتهم من اللّيل بالنّهار ومافاتهم من النّهار باللّيل ؛ ومجمل القول انّ الولاية الحاصلة بالبيعة الثّانية هى الصّلوة الّتى تزكّى الانسان من الرّذائل الّتى منها كونه هلوعاً وتحلّيه بحلية الخصائل الحسنة الّتى منها ادامة الصّلوة القالبيّة والقلبيّة والصّدريّة [وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ] فى الخبر ليس المراد بالحقّ المعلوم الزّكوة ولا الصّدقة المفروضتين بل هو ما يخرجه من ماله يصل به اقرباءه واخوانه ، والمحروم هو الّذى قد حرم كدّيده فى الشرى، اوالمحترف الّذى لم يبسط له فى رزقه [وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ] اى يوم الجزاء [وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ] تعليل لاشفاقهم [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلٰى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغٰى وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلٰى صَلٰوتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولٰئِكَ فِى جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ] قد مضى اكثر تلك الآيات فى سورة المؤمنون فلا نعيد تفسيرها [فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا] يعنى اذا كان هذا حال المنافقين الّذين ادبروا عن الولاية ولم يقبلوها وذلك حال من اقبل على الولاية وباع البيعة الخاصّة فما للّذين كفروا بالولاية؟ ! فانّ الآية كما فى الاخبار نزلت فى المنافقين الّذين لم يقبلوا ولاية علىّ (ع) [قِبَلَكَ] يعنى فما لهم عندك [مُهْطِعِينَ] مسرعين اليك ، اومقبلين عليك، اوناظرين اليك [عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ] اى عن يمينك وشمالك [عِزِينَ] العزة كالعدة الجماعة والعصبة منقوص واوىّ جمعه عزين، وقيل: معناه قعود، عن امير المؤمنين (ع) فى ذكر حال المنافقين: ومازال رسول الله (ص) يتألّفهم ويقرّبهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتّى اذن الله له فى ابعادهم بقوله: واهجرهم هجراً

جميلًا، وبقوله: فمالّذين كفروا قبلك مهطعين (الآيات) [أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ] قيل: هوانكار لقولهم: لوصحّ ما يقوله لنكون فيها افضل حظّاً منهم كما فى الدّنيا [كَلَّا] ردع لهم عن هذا الطّمع [إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ] اى من نطفة قذرة لائقة للمزابل لا للجنّات النّعيم وانّما يدخل الجنّات اذا بدّل مادّته بمادّة شريفة لطيفة قابلة للجنان الاخرويّة، ولا يكون ذلك الّا بالايمان بعلىّ (ع) فانّه الماء الّذى كلّما دخل فيه واتّصل به صار من سنخه وجنسه [فَلَا أُقْسِمُ] لفظة لا قد مضى مكرّراً انّها شائع دخولها فى القسم، وتكون زائدة للتّأكيد [بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ] مشارق عالم الطّبع ومغاربه فانّ للشّمس فى كلّ يوم بل فى كلّ آنٍ مشرقاً ومغرباً غير ما كان له فى الآن السّابق، ومشارق العوالم العالية ومغاربها، فانّ كلّ عالم مشرقٌ بوجهٍ ومغرب بوجهٍ، وله مشرق بوجهٍ ومغرب بوجهٍ [إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ] بان نذهبهم ونجعل بدلهم جمعاً يكونون خيراً منهم [وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ] بمغلوبين ان اردنا ذلك يعنى نقدر على ذلك ولا مانع لنا ولكنّا اهملناهم لحكمةٍ ومصلحةٍ [فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا] فى اباطيلهم [وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ] اى القبور [سِرَاعًا] مسرعين [كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ] النّصب بالفتح والسّكون وقرئ به وبالتّحريك العلم المنصوب، وبالضّمّتين كلّما جعل علماً وكلّما عبد من دون الله وقرئ به، والنّصب بالضّمّ والسّكون كلّما عبد من دون الله [يُوفِضُونَ] اى يسرعون، قال القمّىّ: الى الدّاعى يبادرون [خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ] للخوف والدّهشة [تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ] العظيم [الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ] فى الدّنيا وكانوا ينكرونها ويقولون استهزاءً: لو كان ما يقولون حقّاً لكنّا خيراً منهم فيها.

سورة نوح

مكّيّة، ثمان وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فى الدّنيا، اوفى الآخرة، اوبين الدّنيا والآخرة حين الاحتضار، اوفى البرازخ [قَالَ] امتثالاً لامرنا وتبادراً الى تبليغ رسالته [يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ] ظاهر الصّدق، اومظهر لصدقى، اومظهر لما انذر به، اومظهر للامر بعبادة الله [أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ] ان تفسيريّة وتفسير لنذيرٌ اولمبينٌ، اومصدريّة بتقدير اللّام، اومصدريّة مفعولٌ به لمبين [وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ] بعض ذنوبكم فانّ الكلّ لا يغفر الّا بعد الفناء التّامّ وهو الفناء عن الفناء [وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى] هو آخر مدّة اعمارهم وهو الاجل المعيّن الّذى سمّى فى الالواح العالية [إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ] اذا قدّر مجيئه او اذا قرب مجيئه [لَا يُؤَخَّرُ] فاعملوا لما بعده فى زمان الامهال [لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] لامتنعتم ممّا

انتم عليه اوليتكم كنتم تعلمون عقوبة افعالكم ، اوليتكم كنتم من اهل العلم [قَالَ] بعدما دعاهم ولم يجيبوه اظهاراً لامتثاله وتشكياً من عدم اجابتهم [رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا] عنّى وعن الايمان بكَ وعن تصديقي [وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ] اليكَ والى الايمان بكَ [لِتَغْفِرَ لَهُمْ] مساويهم اللّازمة لذواتهم وشنائع اعمالهم [جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ] لئلا يسمعوا قولي [وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ] لئلا يرونى ادعوهم اليكَ، لجاجاً وتنفّراً عن الحقّ [وَأَصَرُّوا] على الامتناع [وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا] عظيماً عن انقيادى وسماع قولي [ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا] تفصيل لدعائه ليلاً ونهاراً ولذلكَ عطف بثمّ ، وجهاراً مفعول مطلق نوعيّ من غير لفظ الفعل [ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا] يعنى دعوتهم اولاً جهاراً فلمّا رأيت انّه لا ينفع فيهم لفّقت الجهر والاسرار بالنّسبة الى كلّ ، اواعلنت لبعضٍ واسررت لبعضٍ آخرلانّ بعضهم كانوا يتأنّفون عن قبول الدّعاء جهاراً [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ] بيانٌ لكيفيّة دعائه يعنى انّى دعوتهم ووعدتهم على مقتضى اهويتهم ليكون دعائى سبباً لميلهم الى المدعوّ لا سبباً لنفرتهم [إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] لمن يستغفره [يُرْسِلِ السَّمَاءَ] اى السّحاب [عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا] كثير الدّرّ والمطر [وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا] في الدّنيا والآخرة [مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا] هومن قول نوح (ع)، اوابتداء كلام من الله خطاباً معهم، والوقار الرّزانة والعظمة ، والرّجاء ضدّ اليأس، وقد يستعمل في الخوف، والمعنى اىّ حالٍ لكم؟ اسفهاء انتم ام مجانين ؟ لانّكم لا ترجون لله وقاراً فتستعجلونه بالعذاب ، اواىّ نفعٍ لكم في حالكونكم لا ترجون لله وقاراً وعظمةً ، اوما حالكم؟ـ امجانين انتم ام سكارى؟ ! لانّكم لا تخافون عظمة الله ، اواىّ نفعٍ لكم في ذلكَ؟ [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] نطفةً قذرةً وعلقةً ومضغةً وعظماً ولحماً ونفساً ناقصةً وكاملةً ، اوخلقكم متطوّرين في احوالكم من الرّضا والسّخط والبسط والقبض والغنى والفقر والعزّة والذّلّة من غير تصرّفٍ لكم فيها ومن دون ارادةٍ واختيارٍ، فمالكم لا ترجون رزانته وقد شاهدتموها في تطوّراتكم الخلقيّة ، اومالكم لا تخافون عظمته وقد شاهدتموها في تطوّراتكم في احوالكم [أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا] هذه ايضاً من كلام نوح (ع) استشهاداً على عظمته ، او من كلام الله تعالى [وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا] مثّل الشّمس بالسّراج في مقابل القمر للاشعار بانّ نورها من ذاتها كالسّراج دون القمر ، وللاشارة الى انّها بضوئها تزيل ظلمة اللّيل كالسّراج [وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا] انشأكم منها من غير مداخلة اختياركم فيه [ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا] بجعل ابدانكم واوائل موادّكم جزءً منها وقد كنتم متّحدين معها مدّة حياتكم ، اوالله انبتكم بحسب نفوسكم من ارض ابدانكم ونطفكم نباتاً منكوراً لا تعرفونها، ثمّ يعيدكم فيها بعد اختياركم بتوجّهكم الى ابدانكم بلوازم معاشكم [وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا] يعنى يوقع ذلكَ بكم مكرّراً ، او يخرجكم بالموت اخراجاً ، او يخرجكم من ابدانكم البرزخيّة اخراجاً منكوراً لكم [وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا] واسعات، ومن يفعل ذلكَ ينبغى ان يرجى له الرّزانة او يخاف منه العظمة [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا] اى الرّؤساء الّذين ابطرهم كثرة اموالهم واولادهم [وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا] كبيراً غاية الكبارة [وَقَالُوا] فيما بينهم [لَا تَذَرُنَّ

اٰلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا] يعنى لاتذرنّ هؤلاء مخصوصاً، قيل: كان هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح (ع) فنشأ قوم بعدهم يأخذون اخذهم فى العبادة فقال لهم ابليس: لوصوّرتم صُورهم كان انشط لكم و اشوق الى العبادة، ففعلوا فنشأ بعدهم قومٌ فقال لهم ابليس: انّ الّذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، فصار عبادة الاوثان سيرة من ذلك الزّمان، وقيل: كان نوح (ع) يحرس جسد آدم (ع) على جبلٍ بالهند و يحول بينه و بين الكفّار لئلّا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس: انّ هؤلاء يفخرون عليكم و يزعمون انّهم بنو آدم دونكم وانّما هو جسد وانا اصوّر لكم مثله تطوفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهى ودّ وسواع و يعوق و يغوث ونسر، فلمّا كان ايّام الطّوفان دفن تلك الاصنام وطمّها التّراب فأخرجها الشّيطان لمشركى العرب، وقيل: صارت اوثان قوم نوح (ع) الى العرب فكانت ودّ لقضاعة، و يغوث لبطنان من طيّ، و يعوق صار الى همدان، ونسر لخثعم، وسواع لآل ذى الكلاع، واللّات لثقيف، والعزّى لسليم، ومناة لقديد، واساف ونائلة وهبل لاهل مكّة، وقيل: كان ودّ على صورة الرّجل، وسواع على صورة امراة، و يغوث على صورة اسد، و يعوق على صورة فرس، ونسر على صورة النّسر. [وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا] اى اضلّ عابدوا تلك الالهة كثيراً من النّاس، اواضلّ هؤلاء الآلهة كثيراً بما ظهر من الشّيطان على هياكلها [وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا] لمّا كان دعاء الانبياء (ع) على وفق الواقع و التّكوين و قد شاهد نوح (ع) من قومه انّهم فى ازدياد الضّلال والبعد عن طريق الانسان ورأى انّهم قطعوا الانسانيّة و الفطرة و يئس من صلاحهم وخيرهم دعا بذلك، اولمّا بالغوا فى العتوّ والنّفار واخذه البغض فى الله واشتدّ غضبه لله دعا بذلك [مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ] اى من اجل خطاياهم و ذنوبهم [أُغْرِقُوا] بالطّوفان [فَأُدْخِلُوا نَارًا] بسبب الاغراق فانّهم ماتوا و خرجت انفسهم بالموت الى النّار [فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا] يدفعون عنهم العذاب [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] وهذا دليل على انّه علم انّهم قطعوا الفطرة بحيث لايبقى فيهم استعداد تولّد المؤمن منهم، روى عن الباقر (ع) انّه سئل: ما كان علم نوح (ع) حين دعا على قومه انّهم لايلدون الّا فاجراً كفّاراً؟ فقال: اما سمعت قول الله تعالى لنوح (ع) [إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ] [رَبِّ اغْفِرْ لِي] بعد ما دعا على قومه لشدّة غضبه لله تضرّع على الله واستغفر من غضبه لله فانّ الحبّ فى الله اولى من البغض فى الله [وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا] عن الصّادق (ع) يعنى الولاية، من دخل فى الولاية دخل فى بيت الانبياء (ع) [وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] اى المسلمين والمسلمات الّذين قبلوا الدّعوة العامّة ولم يقبلوا الدّعوة الخاصّة، او المراد بهم المؤمنون والمؤمنات بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة لكنّ المراد بمن دخل بيته من باع البيعة الخاصّة على يده، و بالمؤمنين والمؤمنات من باع البيعة الخاصّة على يده وعلى ايدى غيره من الانبياء والاولياء (ع) [وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] بعد دعائه للمؤمنين كرّر دعاءه على الظّالمين لجمعه بين الحبّ فى الله والبغض فيه، وهذا هو الكمال التّامّ للانسان حيث لايذهب بغضه فى الله حبّه فى الله، ولاحبّه فى الله بغضه فى الله كما اشار تعالى الى هذا الكمال بقوله: محمّد (ص) رسول الله والّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم، قيل: دعا نوح (ع) دعوتين، دعوة على الكفّار ودعوة للمؤمنين، فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الارض، ونرجو ان يستجيب ايضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم.

سورة الجن

مكّيّة ثمانٍ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[قُلْ] لاهل مكّة [أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا] قد سبق فی سورة الاحقاف نزول الآية وقصّة الجنّ [وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا] الجدّ بمعنى البخت، وروى عن الباقر(ع): انّما هو شيء قالته الجنّ بجهالة فحكى الله عنهم، او هو مستعار للعظمة، وقرئ انّه بكسر الهمزة على انّه محكيّ بقول الجنّ، وقرئ بفتحها على انّه معطوف على الضّمير المجرور فی قوله: فآمنّا به، او على انّه معطوف على انّه استمع، وهكذا الحال فی اختلاف القراءة وفی العطف فيما بعد الّا انّ بعض الفقرات لا يمكن ان يكون معطوفاً على انّه استمع [مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا] كما يقول بعض الانس [وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا] اى من كان منحرفاً منّا عن الدّين [عَلَى اللَّهِ شَطَطًا] قولا بعيداً عن الحقّ مجاوزاً عن الحدّ، اوهو بمعنى الظّلم، والمراد بالسّفيه الشّيطان، اومطلق المنحرفين عن الحقّ [وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] يعنى ان كنّا نتّبع السّفيه فذلك كان من ذلك الظّنّ يعنى كان تصديقنا واتّباعنا لمن قال الله تعالى بالشّريك والصّاحبة والولد لذلك حتّى سمعنا القرآن وايقنّا انّهم يقولون كذباً [وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ] من فی من الجنّ تبعيضيّة، اوتعليليّة، روى عن الباقر(ع) فی هذه الآية: انّه كان الرّجل ينطلق الى الكاهن الّذى يوحى اليه الشّيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذ بك، وقيل: كان الرّجل من العرب اذا نزل وادياً فی سفره ليلاً قال: اعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه، وقيل: كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس من اجل شرّ الجنّ [فَزَادُوهُمْ رَهَقًا] الرّهق محرّكة السّفه والخفّة وركوب الشّر والظّلم، وغشيان المحارم، وحمل الانسان على ما لا يطيقه، والكذب، والعجلة، وضمير فاعل زادوهم للرّجال من الانس، اوللرّجال من الجنّ، والمفعول بعكس ذلك، اوهو للرّجال العائذين او للمعوّذبهم اوللجنّ، والمفعول ايضاً يحتمل الكلّ [وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا] هذا من قول مؤمنى الجنّ لكفّارهم يعنى انّ هؤلاء الرّجال العائذين لضعف حالهم وسوء عقيدتهم عاذوا بالجنّ او بالاناسيّ، فانّهم ظنّوا كما ظننتم ايّها الجنّ ان لن يبعث الله احداً رسولاً الى بنى آدم، اولن يبعث الله احداً فی القيامة اوهو معترض من الله والمعنى انّهم اى الجنّ ظنّوا كما ظننتم ايّها الانس ان لن يبعث الله احداً [وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ] اى قربناها، اوصعدنا اليها، اوطلبنا الصّعود اليها [فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا] الحرس جمع الحارس وتذكير الشّديد لاجراء الفعيل بمعنى الفاعل مجرى الفعيل بمعنى المفعول فی استواء التّذكير والتّأنيث فيه اى حفظة اقوياء لا يمكن الاسترّاق معهم [وَشُهُبًا] جمع الشّهاب [وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا] يترصّده

للرّمي له وقد مضى في سورة الحجر بيان لهذه الآية ولاستماع الجنّ وردعهم بالشهب [وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ] فانّ تغيير اوضاع السّماء يدلّ على حدوث حادث عظيم [أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا] خيراً وصلاحاً [وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا] قوم [دُونَ ذَٰلِكَ] في الصّلاح اودون ذلك بانّ بعضهم في غاية الشرارة وبعضهم لايكون في غاية الشرارة يعني منّا غير صالحين [كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا] اى ذوى طرائق مختلفة متفرّقة، اوكنّا بانفسنا طرائق متفرّقة، او الطّرائق بمعنى الاماثل [وَأَنَّا ظَنَنَّا] اى علمنا، والاتيان بالظنّ لما سبق مكرّراً انّ علوم النّفوس شأنها شأن الظنّ في مغايرتها لمعلوماتها وجواز انفكاك معلوماتها عنها [أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ] اينما كنّا فيها [وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا] حال اوتميز اومفعول مطلق لمحذوف حال يعني ظنّنا انّا لن نعجزه اذا هربنا منه الى السّماء [وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ] اى القرآن او الرّسالة او الولاية [آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ] الفاء للسّببيّة [فَلَا يَخَافُ بَخْسًا] نقصاً اوظلماً او مشاحّة في الحساب اوفقاً لعينه [وَلَا رَهَقًا] قد مضى الرّهق قبيل ذلك، عن الكاظم (ع) انّه قال: الهدى الولاية، آمنّا بمولانا فمن آمن بولاية مولاه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً، قيل: تنزيل؟! قال: لا، تأويل [وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ] اى الخارجون عن الحقّ [فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا] عن الباقر (ع) اى الّذين اقرّوا بولايتنا [وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا] يعني يحرقون به او يوقد الجحيم بهم [وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا] انهذه مخفّفة من الثّقيلة والمجموع معطوف على قوله انّه استمع نفر، اوان زائدة في الكلام والجملة ابتداء كلام من الله [عَلَى الطَّرِيقَةِ] اى الولاية او الطّريقة المعهودة المأخوذة من الآباء وهي طريقة الكفر، ونظير الوجهين قوله تعالى: لو انّ اهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء والارض وقوله تعالى: لولا ان يكون النّاس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة [لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا] اى كثيراً، لمّا كان الماء عزيز الوجود في ملك العرب وكان جلّ الخيرات منوطاً به كنّى به عن كثرة الخيرات، وعن الصّادق (ع): لافدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الائمّة (ع)، وعن الباقر (ع) يعني لواستقاموا على ولاية امير المؤمنين (ع) عليّ (ع) والاوصياء (ع) من ولده وقبلوا طاعتهم في امرهم ونهيهم لاسقيناهم ماءً غدقاً يقول: لاشربنا قلوبهم الايمان [لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ] لنختبرهم في ذلك الماء، او لنعذّبهم بسببه [وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ] اى عن ذكره لربّه اوذكر ربّه له، اوعمّا به ذكر ربّه، واصل مابه ذكر الرّبّ عليٌّ (ع) وولايته كماروى عن ابن عبّاس انّه قال: ذكر ربّه ولاية عليّ بن ابي طالب (ع) [يَسْلُكْهُ] اى يدخله [عَذَابًا صَعَدًا] صاعداً كلّ العذاب اوغالباً وغالباً على المعذّب [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ] اى مختصّة به [فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] فيها، اوالمعنى فلاتدعوا مع مظاهر الله الّتي هي المساجد احداً، وقد فسّر المساجد ههنا بالوجه واليدين والرّكبتين والابهامين، وعن الكاظم (ع) انّ المساجد هم الاوصياء (ع) وقد سبق في سورة البقرة عند قوله تعالى: ومن أظلم ممّن منع مساجد الله (الآية) بيانٌ للمساجد [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ] يعني محمّداً (ص) [يَدْعُوهُ] اى يعبده، اويدعوه بلسانه، اويقول: لا آله الّا الله اويقرأ القرآن، اويدعو اليه وهو من جملة ما اوحي اليه (ص)، او هو من قول الجنّ بعضهم لبعض [كَادُوا] يعني الجنّ لاستماع دعائه او اصحابه لاستماع القرآن واحاديثه، او قريشاً لمنعه وردعه [يَكُونُونَ

عَلَيْهِ لِبَدًا] اللّبدة بالكسرة والسّكون و بالضمّ والسّكون الصّوف المتراكم بعضه على بعض ، واللّبد بالكسر او الضمّ والفتح ، وقرئ بهما جمع لهما، وقرئ لبّداً بالضمّ والتّشديد جمع لابد ولبداً بالضمّتين [قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا] وقرئ قال: انّما ادعوا [رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا] سواء رضيتم عنّى اوسخطتم [قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا] حتّى آتى بما تستعجلون من العذاب او آتى بما تقترحون من الآيات، وروى عن الكاظم (ع) انّ رسول الله (ص) دعا النّاس الى ولاية علىّ (ع) فاجتمعت اليه قريش فقالوا : يامحمّد (ص) اعفنا من هذا ، فقال لهم رسول الله (ص) : هذا الى الله ليس الىّ ، فاتّهموه وخرجوا من عنده فأنزل الله عزّ وجلّ : قل لا املك (الآية) [قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] ملتجأ اومنحرفاً وهو تعريض بهم حيث اعتمدوا على الاوثان او على رؤساء الضّلالة [إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ] اى تبليغاً من جانب الله او بلوغ الوحى من الله الىّ و هو استثناء من ملتحداً او من احداً وضرّاً اورشداً ، روى عن الكاظم (ع) انّه قال الّا بلاغاً من الله و رسالاته فى علىّ (ع)، قيل: هذا تنزيل؟ـ قال: نعم [وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] فى ولاية علىّ (ع) كما عن الكاظم (ع) [فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ] من العذاب او من الحساب او من كون علىّ (ع) قسيم الجنّة والنّار ، اومن الموت ، اوالقائم (ع) و انصاره ، اوعلىّ (ع) فى الرّجعة [فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا] كما يقولون : نحن اقوياء واكثر عدداً من علىّ (ع) [قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ] ممّا ذكر [أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا] اى مدّة و هوكناية عن البعد ، قال القمّىّ : لمّا اخبرهم رسول الله (ص) بما يكون من الرّجعة قالوا : متى يكون هذا ؟ـ قال الله : قل يامحمّد (ص) ان ادرى (الآية) [عَالِمُ الْغَيْبِ] اى عالِم عالَم الغيب اوعالم ما هوالغيب عن الابصار والاسماع [فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ] عن الرّضا (ع) فرسول الله (ص) عندالله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرّسول (ص) الّذى اطلعه الله على من يشاء من غيبه ، فعلمنا ماكان وما يكون الى يوم القيامة ، وقد مضى وجه عدم المنافاة بين هذه الآية و بين قوله تعالى: قل لا يعلم من فى السّموات و الارض الغيب الّا الله ، و انّ المطّلعين على الغيب ليس اطّلاعهم الّا بلطيفة الهيّة [فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا] سلكت زيدالمكان وفى المكان، وسلكت زيدعمراً لازم ومتعدّ ، واسم انّ راجع الى الرّسول (ص)، او الى الله ، وهكذا فاعل يسلك وهولازم اومتعدّ ، و رصداً مصدر ، اوجمع للرّاصد والمعنى انّ الله لا يظهر على غيبه احداً الّا من ارتضاه من رسول بشرىّ او ملكىّ لانّ الرّسول (ص) يسلك من بين يدى نفسه اى الآخرة ومن خلفه اى الدّنيا مترقّباً لامورهما ، اوللاطّلاع على اسرارهما ، اوهومفعول مطلق نوعىّ او يجعل رصّاداً ومترقّبين من بين يديه ومن خلفه من قواه الدّرّاكة والملائكة الموكّلة عليه حتّى يعلّموه اخبار الدّنيا واسرار الآخرة ، او يسلك الله بمظاهره الّذين هم ملائكته الموكّلة على الرّسول مترقّباً للاخبار واعلام الرّسول (ص) او يجعل الله رصّاداً له لاعلامه [لِيَعْلَمَ] الله [أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا] اى الرّسل الّذين هم الملائكة اوالرّسل البشريّون [رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ] والمعنى ليظهر علمه بذلك اوليعلم الرّسول (ص) ان قدابلغ الملائكة اوابلغ الرّسل الماضون رسالات ربّهم [وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ] عطف على عالم الغيب ورفع لتوهّم ان يكون لله علم حادث كما يتوهّم من قوله ليعلم [وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا]

تأكيد وتعميم بعدتخصيص .

سورة المزّمّل

مكّيّة كلّها، وقيل: مدنيّة، وقيل: بعضها مدنيٌّ وبعضها مكّيٌّ، وهي عشرون آيةً في المشهور

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يٰاَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ] تزمّل تلفّف بالثّياب اوالتّحاف اوامثال ذلك اواختفى، والخطاب خاصّ بالنّبيّ (ص) اوعامّ وكان النّبيّ (ص) يتلفّف بثيابه اولحافه وينام اوكان متلفّفاً باحكام الرّسالة وكان يختفى من النّاس تأنّفاً من المقابلة مع امثالهم، والمعنى يا من تلحّفت باللّحاف او بثيابك او بأحكام الرّسالة، اوالمعنى يا من اختفى ممّا يرى من مدّعي الرّياسة ويرى انّ معاداتهم كانت شيئاً عن العاقل [قُمِ الَّيْلَ] لصلوة اللّيل فانّه ليس لك ان تنام كلّ اللّيل، اوقم في عالم الكثرة واهد عباد الله الى الوحدة، اوقم في عالم الطّبع وانظر الى العوالم العالية، اوقم عن الاشتغال بالكثرات بحكم الرّسالة وتوجّه الى الوحدة، اوقم عن الاختفاء واظهر امرك واصدع بما تؤمر، ونعم ماقال المولوىّ رحمه الله:

احمقان سرور شدستند و زيم — عاقلان سرها كشيده در گليم
خواند مزّمّل نبى را زان سبب — كه برون آ از گليم اى بوالهرب
سر مكش اندر گليم و رو مپوش — كه جهان جسمى است سرگردان توهوش
هين مشو پنهان ز ننگ مدّعى — كه تو دارى نور وحى شمشعى
هين قم اللّيل كه شمعى اى همام — شمع دايم شب بود اندر قيام
خيز و بنگر كاروان ره زده — غول كشتيبان اين بحر آمده
خضر وقتى غوث هر كشتى توئى — همچو روح الله سكن تنها روى

[اِلَّا قَلِيلًا] من اللّيل [نِصْفَهُ] بدل من المستثنى والمستثنى منه، وايّاً ماكان فالمعنى واحد [اَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا اَوْ زِدْ عَلَيْهِ] قليلاً، او المعنى يا من تلفّف بثياب طبعه من افراد البشر قم في ليل طبعك وظلمة نفسك، اوعن ليل طبعك واهوية نفسك للسّلوك الى ربّك الّا قليلاً من اللّيل فانّ ضروريّات البدن تحصل في قليل من اللّيل في نصفه اواكثر اوانقص، فانّ الوقت ينبغي ان يكون اثلاثاً اوارباعاً لطلب المعيشة وتلذّذات النّفوس وطلب المعاد، اوطلب المعاش وتلذّذات النّفوس والرّاحة وطلب المعاد، يعني ان كنت قويّاً فاجعل نصف اوقاتك للسّلوك الى الله، وان كنت اقوى فاجعل اكثر اوقاتك للسّلوك، وان كنت ضعيفاً فاجعل قليلاً من اوقاتك للسّلوك [وَرَتِّلِ الْقُرْاٰنَ تَرْتِيلًا] ترتيل القرآن بحسب لفظه ان تقرأه قراءةً متوسّطة بين السّرعة المفرطة والبطوء المفرّط واباناة حروفه وحفظ وقوفه، فانّ ترتيل الكلام ان تحسن تأليفه وترسّل فيه كما عن الصّادق (ع) انّه قال: قال امير المؤمنين (ع) في بيان الآية: بيّنه تبييناً ولاتهذّه هذّ الشّعر ولاتنثره نثر الرّمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولايكن هم احدكم آخر السّورة، وفي خبر آخر: هو حفظ الوقوف وبيان الحروف، وفي خبر: هو ان تمكث وتحسن به صوتك، اوالمعنى فصّل المعاني المجتمعة المندرجة في وجودك بعد القيام من رقدتك وغفلتك، واخرج ماكان فيك بالقوّة الى الفعليّة بالنّظر والمراقبة الّتي هي من لوازم سلوكك، وانظر الى خطرات نفسك انّها من اىّ الخطرات شيطانيّة هي ام رحمانيّة وانظر الى

تجلّيات ربّك وجذباته، ولعلّه للاشارة الى هذا الوجه من التّأويل قال امير المؤمنين (ع): ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولايكن همّ احدكم آخر السّورة [إِنَّا سَنُلْقِي] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: لم امرت بقيام اللّيل وترتيل القرآن الّذى هو تفصيل المعانى المجملة فى الوجود فى العالم الكبير او العالم الصّغير؟ـ فقال: لانّا سنلقى [عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا] لايتحمّله من كان ضعيفاً فى قوّته العمّالة والعلّامة، وقيام اللّيل يقوّى القوّة العمّالة ويعدّ القوّة العلّامة لادراك دقائق الامور وترتيل القرآن يعنى تفصيل المعانى المجملة فى العقول الكلّيّة والنّفوس الكلّيّة فى الكثرات الكونيّة، وتفصيلها فى الصّغير يقوّى القوّة العلّامة وينشط القوّة العمّالة، والمراد بالقول الثّقيل القرآن فانّه كان من ثقله اذا نزل يأخذ النّبيّ (ص) شبه الغشى، وكان فى بعض الاحيان يرى سرّة دابّته كأنّها تمسّ الارض، او آثار الولاية فانّها لثقلها لم يكن موسى (ع) يطيق الصّبر على مايرى من الخضر (ع)، او المراد نصب علىّ (ع) بالخلافة فانّها لثقلها لم يكن يظهره النّبيّ (ص) حتّى عوتبه فى ذلك ونزل عليه [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ]، او المراد مصائب اهل بيته بعده فانّها لثقلها كادت لايمكن ان تسمع، او المراد هو السّكينة الّتى لم تكن تنزل الّا ومعها جنود لم تروها ولم تكن تنزل حتّى يطهّر القلب من الاغيار، ولم يطهّر الّا باستنارة القوّة العلّامة ونشاط القوّة العمّالة، ولايكون ذلك الّا بقيام اللّيل وترتيل القرآن [إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً] جوابٌ لسؤال ناشٍ من مجموع ما تقدّم كأنّه قيل: لم امرت بقيام اللّيل وترتيل القرآن لاجل القاء القول الثّقيل؟ـ فقال: انّ ناشئة اللّيل اى النّفس المربّاة فى اللّيل او النّفس المتجاوزة حدّ البلوغ او الجماعة النّاشئة باللّيل، او النّاشئة مصدر بمعنى الفاعل اى الشّخص النّامى باللّيل اشدّ وطأً اى اخذاً او ضغطاً او قدماً والمقصود الثّبات والقوّة فى القوّة العمّالة [وَأَقْوَمُ قِيلًا] اى اعدل قولاً، ولمّا كان القول مسبّباً عمّا فى الضّمير من العلوم كما قال امير المؤمنين (ع): المرء مخبوء تحت لسانه، كان هذا اشارةً الى اعتدال القوّة العلّامة وقوّتها، ويجوز ان يكون المعنى كما اشير اليه فى الخبر انّ قيام الرّجل فى اللّيل عن فراشه هو اشدّ وطأً، ويكون نسبة اشدّ وطأً الى ناشئة اللّيل بمعنى القيام فى اللّيل مجازاً عقلياً [إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا] هذا ايضاً جوابٌ لسؤال مقدّر تقديره اذا امرتنا بقيام اللّيل فمتى ننام؟ـ واذا ننام فى النّهار فمتى نصلح معيشتنا؟ـ فقال: انّ لكم فى النّهار سبحاً طويلاً، والسّبح الفراغ والتّصرّف فى المعاش والنّوم والسّكون والتّقلّب فى الانتشار فى الارض والابعاد فى السّير، والكلّ مناسب ههنا؛ او المعنى لاتطلب فى ليل طبعك وظلمة نفسك سبحاً فى آثار الله فانّ لك بعد الخلاص من الطّبع والدّخول فى نهار الرّوح سبحاً طويلاً [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ] يعنى انّ المقصود من قيام اللّيل ذكر اسم الرّبّ [وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا] اى التبتّل بالانقطاع عن الخلق الى الله [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ] التّوصيف للاشعار بوجه الحكم [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] فاذا كان كذلك [فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ] فى الله اوفيك اوفى ابن عمّك [وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا] بان تكون فى الباطن منجانباً مبايناً متباعداً منهم وفى الظّاهر مخالطاً مداريا بهم [وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ] بالله او بكّ او بوصيّك، وعن الكاظم (ع) والمكذّبين بوصيّك، قيل: هذا تنزيل؟ـ قال: نعم [أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ] ولا تعاجلهم بالعقوبة من عندك او بطلب العقوبة من عندالله [قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا] تعليل [أَنْكَالًا] جمع النّكل بالكسر القيد الشّديد، او القيد من النّار، اوضرب من اللّجم [وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ] ينشب فى الحلق ولايسيغ [وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ] تضطرب اوتخسف كما قال القمّىّ [وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا] الكثيب التلّ من الرّمل، وهال عليه التّراب والتّراب مهيل

[إِنَّا أَرْسَلْنَا] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل بعد ما هدّدهم بقوله : فذرنى والمكذّبين : مافعلت بنا ؟ وما تفعل بعد بنا ؟ ـ فقال : انّا ارسلنا [إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا] يشهد [عَلَيْكُمْ] يوم القيامة بالردّ والقبول والاقرار والنكول [كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا] نكّر الرّسول لعدم تعلّق الغرض بتعيين الرّسول [فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا] ثقيلاً فاحذروا انتم عن مثل فعله حتّى لا أخذكم مثلهم [فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا] لطوله اولشدّة هوله ويوماً مفعول تتّقون وهو اليق لتوصيفه بما ينبغى ان يتّقى منه اوظرف لتتّقون والمفعول محذوف [السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ] اى فيه او بسببه اى بسبب شدّة البلاء والهول فيه [كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا إِنَّ هٰذِهِ] المذكورات من الوعد والوعيد [تَذْكِرَةٌ] للنّفوس المتيقّظة [فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ] فى الولاية [سَبِيلًا] هو قبول ولايته بالبيعة معه واتّباع اوامره ونواهيه او الى ربّه المطلق والسّبيل الى الرّبّ المطلق هو صاحب الولاية وقبول ولايته بالبيعة معه واتّباعه [إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ] اى الزّيادة على النّصف [وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] بحسب ساعاتهما واثلاثهما وارباعهما وانصافهما لا انتم [عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ] انتم اى لن تحصوا قدرهما اولن تحصوا كلاً من اللّيل والنّهار [فَتَابَ عَلَيْكُمْ] عن تكليفه لكم بالقيام فى نصف اللّيل او ازيد اوانقص من النّصف بقليل فرفع هذا الحكم عنكم ولذلك ورد انّها نسخت هذه الآية الآية الاولى [فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ] يعنى فى الصّلوة فى اللّيل بقرينة المقام ، وفى خبر عن الباقر(ع) : واعلموا انّه لم يأت نبيٌّ قطّ الاخلا بصلوة اللّيل ، ولاجاء نبيٌّ قطّ بصلوة اللّيل فى اوّل اللّيل [عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ] جواب سؤال ووجه آخر للترخيص [مِنْكُمْ مَرْضَى] لايقدرون على قيام اللّيل [وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ] فيكون القيام شاقّاً عليهم [يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ] الصّورىّ كالمسافرين للتّجارة او المعنوىّ كالمسافرين لطلب الدّين والعلم [وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ] لمّا كان بعض النّفوس مولعةً بالعبادة وقيام اللّيل والامر بترك العبادة خصوصاً ما كان منها موظّفاً عليها كان ثقيلاً عليها كرّر الامر بقراءة ما تيسّر من القرآن والصّلوة وكان الاوّل مترتّباً على عدم الاحصاء والثّانى على المرض والضّرب فى الارض ، وروى عن الرّضا(ع) انّه قال : ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السّرّ [وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى بيان الصّلوة والزّكوة ومراتبهما واقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة [وَأَقْرِضُوا اللَّهَ] من اصل مالكم او هو بيان لايتاء الزّكوة وترغيب فيه واشعارٌ بان من آتى الزّكوة آتاه الله عوضه فى الدّنيا او فى الآخرة اوفيهما [قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ] تعميم بعد تخصيص او بيان وتعميم للقرض [تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا] اى تجدوه بعينه خيراً منه حين آتيتموه وتجدوا اجره ايضاً عظيماً ، اوتجدوه بماهو اجره خيراً من نفسه واعظم [وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ] حين الصّلوة والزّكوة حتّى يستر عليكم دواعى نفوسكم فى ذلك ، اواستغفروه فى جميع احوالكم فانّه ما منكم احدٌ الا وله مساوٍ لا نليق بشأنه [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] .

سورة المدّثّر

مكّيّة، ستّ وخمسون آيةً.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[يا أيّها المدّثّر] تدثّر تلفّف بثيابه، روى عن الرّسول (ص) انّه قال: جاورت شهراً بحراء فلمّا قضيت جواري نزلت فاستبطنت[1] الوادي فنوديتُ، فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم اراحداً، ثمّ نوديت فرفعت رأسي فاذا هو على العرش في الهواء يعني جبرئيل فقلت: دثّروني دثّروني فصبّوا عليّ ماءً فأنزل الله عزّوجل: يا أيّها المدّثّر، وفي خبرٍ: فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت: دثّروني، فنزل جبرئيل يا أيّها المدّثّر [قُمْ] عن نومك او عن التحافك او عن الكثرات او عن طبعك [فَأَنْذِرْ] العباد عن الشّيطان وعن مساوي النّفس وعن رذائلها وعن سخط الله وعقوباته، ولمّا كان ينبغي ان يكون الرّسول (ص) واقعاً بين الوحدة والكثرة جامعاً لهما بحيث لا يستر جهة الوحدة ولا يتدنّس بعلائق الكثرة حين الاشتغال بالكثرة ولا يغفل عن الكثرة حين الاستغراق في الوحدة قال تعالى: قم عن الاشتغال بالكثرات وتوجّه الى جهة الوحدة وانذر بعد ذلك حتّى لا يذهب انذارك جهة الوحدة عنك [وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ] اى لكن ربّك فكبّر حتّى لا ترى شيئاً الّا ورأيت الله محيطاً به، وقدّم الرّبّ لشرافته ولارادة الحصر، والفاء زائدة للتّاكيد، او لتقدير امّا او توهّمه [وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ] كناية عن تطهير القلب من ادناس الكثرات فانّه كثيراً يكنّى بتلوّث الثّياب عن تلوّث القلب وتعلّقاته، وعن الصّادق (ع) في خبرٍ انّه قال: شمّر، وفي خبرٍ: ارفعها ولا تجرّها، وفي خبرٍ عنه: وثيابك فقصّر [وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ] الرّجز بالضّمّ والكسر وقرئ بهما القذر وعبادة الاوثان والعذاب والشّرك، والكلّ مناسب، وقيل: المعنى اهجر الاصنام، وقيل: اجتنب المعاصي، وقيل: اجتنب الفعل القبيح والخلق الذّميم، وقيل: اجتنب حبّ الدّنيا لأنّه رأس كلّ خطيئةٍ [وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ] اى لا تعط طلباً لاكثر ممّا اعطيت، اولا تمنن على العباد عادّاً لعطائك كثيراً، اولا تمنن بحسناتك على الله مستكثراً لها، اولا تمنن ما اعطاك من النّبوّة او القرآن او الدّين على النّاس مستكثراً به الاجر من العباد، وقيل: هو نهي عن الرّبا المحرّم [وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ] على مشاقّ التّكليف واثقال النّبوّة، او فاصبر على اذى القوم، او على محاربة العرب والعجم، او على الطّاعات والمصائب وعن المعاصي [فَإِذَا نُقِرَ] الفاء سببيّة يعني لانّه اذا نقر [فِي النَّاقُورِ] اى نفخ في الصّور في النّفخة الاولى او الثّانية او حين ظهور القائم (ع) [فَذَلِكَ] اليوم [يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ] على الكافرين متعلّق بعسير او بيسير، وهذا التّقييد يدلّ على سهولته ويسره على المؤمنين، وعن الصّادق (ع) في هذه الآية: انّ منّا اماماً مظفّراً مستتراً فاذا اراد الله اظهاره نكت في قلبه نكتةً فظهر فقام بأمر الله [ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا] الوحيد بمعنى المتوحّد وهو حال عن فاعل خلقت، اوعن من، اوعائده المحذوف، اوالمراد به الوليد بن المغيرة فانّه كان يسمّى وحيداً في قومه فيكون بدلاً من من، او لانّه كان لا يعرف له ابٌ، والوحيد من لا يعرف له ابٌ، وحينئذٍ يكون حالاً عن من [وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا] اى كثيراً او متّصلاً منافعه لا يقطع في فصلٍ، ولا يكون كسائر الضّياع وسائر الاموال، اوممدوداً ما بين مكّة الى الطّائف

(١) اى وصلت الى بطنها.

من الابل والخيل والنّعم والجوارى والعبيد والمستغلّات الّتى لاتنقطع غلّتها فانّه كان له اموال كذلك ، ومائة الف دينار وعشرة بنين او ثلاثة عشر بنين [وَبَنِينَ شُهُودًا] حاضرين معه بمكّة لايسافرون لطلب المعيشة لعدم حاجتهم الى السّفر لغنائهم [وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا] بسطت له فى العيش بحيث لايحتاج الى شيء الّا كان له ، او بسطت له فى الرّياسة والجاه بحيث لم يكن احد ينازعه فى ذلك وكان يلقّب ريحانة قريش ووحيداً [ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا] ردع له عن ذلك الطّمع اورد ع لمن ظنّ له ذلك [إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا] الآفاقيّة والانفسيّة وخصوصاً الآيات العظمى [عَنِيدًا] اى جاحداً راداً فانّ معنى عنده ردّه عارفاً بحقّه فهو عنيد وعاند [سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا] الارهاق ان يحمل الانسان على ما لايطيقه والصّعود بفتح الصّاد مصدر ضدّ الهبوط او العقبة الشّاقّة او جبل فى جهنّم والمعنى ساحمله على صعود لايمكنه تعريفه ولا يحتمله الانسان ، اوساحمله على الجبل المعروف فى جهنّم ، اوعلى عقبة عظيمة ، وقيل : هو جبل من صخرة ملساء فى النّار يكلّف ان يصعدها حتّى اذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ، ثمّ يكلّف ايضاً ان يصعدها ، فذلك دأبه ابداً يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها فى اربعين سنة [إِنَّهُ فَكَّرَ] فى القرآن وفيما اراد ان يقول فى ردّه وطعنه [وَقَدَّرَ] فى نفسه ما اراد ان يقول ، روى انّ النّبىّ (ص) لمّا انزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب قام الى المسجد والوليد بن مغيرة قريب منه يسمع قراءته ، فلمّا فطن النّبىّ (ص) لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتّى اتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال : والله لقد سمعت من محمّد (ص) آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجنّ وانّ له لحلاوة وانّ عليه لطلاوة [١] وانّ اعلاه لمثمر وانّ اسفله لمغدق [٢] وانّه ليعلو ومايعلى ، ثمّ انصرف الى منزله فقال قريش : صبأ [٣] والله الوليد والله لتصبأنّ قريش كلّهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابوجهل : انا اكفيكموه ، فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزيناً فقال : مالى اراك حزيناً يا ابن اخى ؟ ـ قال : هذه قريش يعيبونك على كبرسنّك ويزعمون انّك زيّنت كلام محمّد (ص) فقام مع ابى جهل حتّى أتى مجلس قومه فقال : اتزعمون انّ محمّداً (ص) مجنون ؟ ـ فهل رأيتموه يجنّ قطّ ؟ ـ فقالوا : اللّهمّ لا ، قال : اتزعمون انّه كاهن ؟ فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك ؟ ـ قالوا : اللّهمّ لا ، قال : اتزعمون انّه شاعر ؟ فهل رأيتموه انّه ينطق بشعر قطّ ؟ ـ قالوا : اللّهمّ لا ، قال : اتزعمون انّه كذّاب ؟ فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب ؟ ـ فقالوا : اللّهمّ لا ، وكان يسمّى الصّادق الامين قبل النّبوّة من صدقه ، فقالت قريش للوليد : فما هو ؟ ـ فتفكّر فى نفسه ثمّ نظر وعبس فقال : ماهو الّا ساحر امارأيتموه يفرّق بين الرّجل واهله وولده وموالية فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر ، فكان لايلقى بعد ذلك احد منهم النّبىّ (ص) الّا قال : ياساحر ، واشتدّ عليه ذلك فأنزل تعالى : يا أيّها المدّثّر (الى قوله) الّا قول البشر [فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ] تأكيد للاوّل والجملتان دعائيّتان [ثُمَّ نَظَرَ] عطف على فكّر وقدّر [ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ] تأكيد للاوّل اوالاوّل بمعنى كلح الوجه ، والثّانى بمعنى نظر بالكراهة [ثُمَّ أَدْبَرَ] عن الحقّ [وَاسْتَكْبَرَ] عن الانقياد [فَقَالَ إِنْ هَٰذَا] الّذى يقرءه محمّد (ص) [إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ] يروى او يتعلّم ويؤخذ ، او يختار من بين افنان السّحر [إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ] وليس كما يقول محمّد (ص) قول الله [سَأُصْلِيهِ سَقَرَ] جواب لسؤال مقدّر [وَمَا أَدْرَاكَ] يا محمّد (ص) اويا من شأنه السّماع والادراك [مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي] شيئاً لاتأخذه [وَلَا تَذَرُ] بعدما اخذته ، اولا تبقى شيئاً من المأخوذ بعدما أخذته ولا تذر شيئاً لم تأخذه ، اولا تبقى شيئاً من العذاب بل تعذّب المعذّب بجميع انواع العذاب ولا تذر احداً من المستحقّين للعذاب [لَوَّاحَةٌ]

(١) الحسن والقبول والبهجة (٢) الغدق = المطر الكبار القطر والمغدق مفعل منه = الماء الغدق الكثير (٣) صبأ كمنع وكرم = خرج من دين الى آخر .

اى مغيّرة غاية التّغيير اومسوّدة [لِلْبَشَرِ] روى عن الباقر(ع) انّ فى جهنّم جبلاً يقال له : صعود ، وانّ فى صعود لوادياً يقال له: سقر ، وانّ فى سقر لجبّاً يقال له هبهب كلّما كشف غطاء ذلك الجبّ ضجّ اهل النّار من حرّه وذلك منازل الجبّارين [عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ] ملكاً اوصنفاً من الملائكة لجميع الثّقلين اولكلّ واحد منهم، قيل فى وجه هذا العدد : انّ المنصرف عن الانسانيّة يحكم عليه المادّة والطّبيعة الجسمانيّة والطّبائع العنصريّة و الصّورة الجماديّة والنّفس النّباتيّة والنّفس الحيوانيّة والمدارك العشرة الحيوانيّة والقوى الثّلاثة الشّيطانيّة و البهيميّة و السّبعيّة ، وقيل فيه : هى الملكوت الارضيّة الّتى تلازم المادّة من روحانيّات الكواكب السّبعة والبروج الاثنى عشر الموكّلة بتدبير العالم السّفلىّ المؤثّرة فيه تقمعهم بسياط التّأثير وتردّهم الى مهاويها ، وقيل غير ذلك ، وكلّ ذلك من قبيل الاستحسانات والتّخمينات، فانّ علم امثال ذلك موكول الى الله والى من كان علمه علم الله ولاحظّ لغيرهم فيه ولذلك لم يرد من المعصومين(ع) فى بيان ذلك شيء، قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال ابوجهل لقريش : ثكلتكم امّهاتكم اتسمعون ابن ابى كبشة يخبركم انّ خزنة النّار تسعة عشر وانتم الدّهم[1] الشّجعان افيعجز كلّ عشرة منكم ان يبطشوا برجل من خزنة جهنّم؟ ! فقال رجل منهم : انا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين، فنزلت هذه الآية [وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً] يعنى لايقوم تمام اهل الدّنيا بواحد منهم [وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا] الفتنة بالكسر الاختبار والضّلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب و الاضلال والجنون والمحنة واختلاف النّاس فى الآراء، والكلّ مناسب ههنا لانّ خزنة النّار وان كانوا فى الآخرة لكن بمضمون وانّ جهنّم لمحيطة بالكافرين يكون من كلّ انموذج فى الدّنيا ويكون موكّلاً بانموذجه على الكافر فى الدّنيا كما انّه فى الآخرة بنفسه يكون موكّلاً عليه، وقيل: سبب افتتانهم بهذا العدد استهزاؤهم واستبعادهم ان يتولّى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثّقلين [لِيَسْتَيْقِنَ] قيل تعليل لمحذوف اى قلنا ذلك ليستيقن [الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] من اليهود و النّصارى بنبوّة محمّد (ص) لمّا رأوا الخبر موافقاً لما فى كتبهم [وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا بمحمّد(ص) [إِيمَانًا] لمّا اخبرهم اهل الكتاب بموافقته لما فى كتبهم [وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ] هذا ما فسّروه بحسب الظّاهر به ولكن نقول ايتاء الكتاب كناية عن قبول النّبوّة ايّة نبوّة كانت ولا اختصاص باليهود والنّصارى بل كلّ من قبل نبوّة محمّد(ص) بالبيعة على يده وقبول احكام نبوّته والانقياد تحت حكمه وقبول دعوته الظّاهرة كان ممّن اوتى الكتاب والايمان، وان كان يستعمل فى الاسلام وقبول الدّعوة الظّاهرة بالبيعة العامّة مجازاً او على سبيل الاشتراك، لكنّ المراد به ههنا الايمان الحقيقىّ الحاصل بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة والدّخول تحت احكام الولاية، والى هذين اشار تعالى بقوله: لمن كان له قلب او القى السّمع وهو شهيد فانّ الاوّل اشارة الى المؤمن المحقّق والثّانى الى المسلم المقلّد، وقد ذكرنا انّ كلّما يكون فى الآخرة يكون انموذجه فى الدّنيا فانّ الدّنيا بوجه مادّة الآخرة و بوجه صورة الجحيم اوانموذجها، فالمعنى عليها تسعة عشر صنفاً اوشخصاً من الملائكة ليكونوا سائقين للكفّار الى النّار وللمؤمنين الى الجنّة، ومن قبل النّبوّة لمّا لم يكن يدرك بالذّوق و الوجدان امور الآخرة لم يكن يستيقن بمحض تلك البيعة لامور الآخرة ، ولمّا كان هؤلاء الملائكة فى الدّنيا سائقين لهم الى الآخرة كانوا بذلك السّوق يدركون بالوجدان امور الآخرة فيستيقنونها، ولمّا كان المؤمنون موقنين فسوقهم يصير سبباً لازدياد ايقانهم، و يجوز ان يكون تعليلاً لقوله : وما جعلنا اصحاب النّار الّا ملائكة، اولقوله وما جعلنا عدّتهم الّا فتنة ، و يجوز ان يكون تعليلاً للكلّ على سبيل التّنازع

(١) الدّهم = العدد الكثير .

[وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] ممّن قبل الدّعوة الظّاهرة اى من فى قلبه نفاق [وَالْكَافِرُونَ] اى الّذين لم يقبلوا الاسلام [مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا] العدد او بهذا القول او بجعل عدّتهم فتنة او بجعل اصحاب النّار ملائكة [مَثَلًا] تميز عن هذا اوحال عنه اى حالكونه مستغرباً غرابة المثل اوحالكونه جارياً على الالسن جريان المثل، واللّام للعاقبة مثل قوله تعالى ليكون لهم عدوّاً وحزناً ، اوللغاية على ما بيّنا يعنى ماجعلنا اصحاب النّار الّا ملائكة ليكونوا فى الدّنيا سائقين لاهل النّار الى النّار وموصلين لاهل الجنّة الى الجنّة [كَذَلِكَ] الاضلال باظهار ما ليس فى وسعهم ادراكه [يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ] من الملائكة والجنّ وجميع الموجودات فانّ الكلّ من جنوده [إِلَّا هُوَ] فليس قلّة عددا صحاب النّار لقلّة جنوده بل لعدم الحاجة الى ازيد من ذلك [وَمَا هِيَ] اى المعهودة المطلقة الّتى هى ولاية علىّ بن ابى طالب (ع)، وقيل : ما السّقر اوعدّة الخزنة او السّورة ، وقد ورد عن الكاظم (ع) تفسيرها بالولاية [إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ] والتّذكرة الحقيقيّة هى الولاية وان كانت سقر وعدّة الخزنة والسّورة ايضاً تذكرة [كَلَّا] ردع لمن لايعظّم الولاية اولايعتنى بسقر اوالخزنة [وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ] قرئ اذ بسكون الذّال وادبر من الادبار وهذه هى القراءة الصّحيحة فانّ اللّيل الّذى هو عالم الكون وجوده على الادبار فهو مدبر ابداً بخلاف صبح الملكوت فانّه يسفر بعد بالنّسبة الى اهل عالم الملك، وقرئ اذا بالالف و دبر من الثّلاثىّ المجرّد [وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ] يعنى الولاية اوسقر اوخزنة جهنّم اوالسّورة احدى الآيات اوالنّقم والبلايا الكبر [نَذِيرًا لِلْبَشَرِ] حال اومفعول له اومفعول مطلق لمحذوف [لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ] بدل من قوله للبشر [أَنْ يَتَقَدَّمَ] الى الولاية [أَوْ يَتَأَخَّرَ] عن سقر، فى الخبر: من تقدّم الى ولايتنا اخّر عن سقر، ومن تاخّر عن ولايتنا تقدّم الى سقر [كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ] جواب لسؤال مقدّر كانّه قيل: كيف يكون الولاية احدى الآيات الكبر؟ فقال : لانّ كلّ نفس بماكسبت رهنية الّا من تمسّك بها والمعنى كلّ نفس بماكسبت من خير اوشرّ فانّه مفاد الاطلاق مرهونة فانّ كلّ ماعملت الانفس باناتيّاتها سواء كانت بحسب الصّورة خيراً اوشرّاً كانت وبالاً عليها وقيداً لها ، وكانت الانفس مرهونة مقيّدة بها الّا من تولّى علياً (ع) لانّ الولاية هى المبدّلة للسّيّئات بالحسنات ويجزى الله الّذين تولّوا علياً (ع) بازاء جملة اعمالهم باحسن ما كانوا يعملون ولذلك قال [إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ] فانّ اليمين امير المؤمنين (ع) واصحاب اليمين شيعته [فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ] يعنى يتساءلون بينهم اويسألون غيرهم عن حال المجرمين او يتساءلون هم والمجرمون عن حال المجرمين [مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ] وهذا الخطاب والسّؤال دليل على انّ اصحاب اليمين يسألون المجرمين عن حالهم [قَالُوا] فى الجواب [لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ] اى من المتولّين علياً (ع) فانّ الصّلوة الحقيقيّة لاتكون الّا بالولاية بل الولاية هى الصّلوة حقيقة ولذلك قال على (ع) : انا الصّلوة، اولم نكن من اتباع السّابقين فانّهم يسمّون الّذى يلى السّابق فى الحلبة[1] مصلّياً، اولم نكن من اتباع وصىّ محمّد (ص) ولم نصل عليهم، والى الكلّ اشير فى الخبر، اولم نك من المصلّين صلوة القالب المقرّرة فى الشّريعة ، واليه ايضاً اشير فى خبر عن علىّ (ع) [وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ] من الحقوق الواجبة او المستحبّة، اولم نكن نعطى حقوق آل محمّد (ص) من الخمس [وَكُنَّا نَخُوضُ] فى الآيات بالرّدّ والقدح والطّعن

(١) الحلبة كحلقة = خيل تجمع للسّباق من كلّ اوب ، كما يقول للقوم اذا جاؤا من كلّ اوب للنّصرة قداحلبوا .

والاستهزاء [مَعَ الْخَائِضِينَ] فی ذلک [وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينُ] بالموت وكشف الحجب [فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ] لقطعهم الفطرة الّتی هی الولایة التّکوینیّة الّتی هی سبب للولایة التّکلیفیّة ولذلک قیل: «مردود شیخی را اگر تمام مشایخ عالم جمع شوند وخواهند اصلاح نمایند نتوانند» لانّ المردود لایصیر مردوداً الّا بعد قطع الفطرة والولایة التّکوینیّة وهوالّذی یسمّی بالمرتدّ الفطری الّذی لایقبل توبته لاظاهراً ولاباطناً، وقدسبق بیان الارتداد والمرتدّ الملّیّ والفطریّ فی سورة آل عمران عند قوله تعالی: ومن یبتغ غیر الاسلام دیناً فلن یقبل منه [فَمَا لَهُمْ] یعنی اذا کان الولایة ذکری للبشر وکانت هی احدی الکبر فمالهم [عَنِ] هذه [التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ] ای عن الولایة [كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ] بالغة فی النّفار [فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ] من اسد، التّوصیف لزیادة المبالغة [بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً] ناطقة بصدق محمّد (ص) فی نبوّته اوفی ولایة علیّ (ع) وهو اضراب من الادنی الی الاعلی، یعنی بل مالهم لایکتفون بالاعراض ویدّعون ما لایلیق بشأنهم، وقیل: المعنی یریدون صحفاً من الله بالبراءة من العقوبة واسباغ النّعمة حتّی یؤمنوا، وقیل: یرید کلّ منهم ان یکون رسولاً یوحی الیه وینزّل علیه کتاب مثل القرآن، وقیل: المراد معنی قوله تعالی: لن نؤمن لرقیّک حتّی تنزّل علینا کتاباً نقرؤه [كَلَّا] ردع عن هذه الارادة اوعن ظنّ انّهم یریدون ذلک واقعاً [بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ] ای لیس اقتراحهم لطلب الدّین بل لا یخافون الآخرة فیعاندون ویریدون اظهار عجز الرّسول (ص) عن مقترحهم [كَلَّا] ردع عن ذلک الاعراض وتلک الارادة [إِنَّهُ] ای قرآن ولایة علیّ (ع) اوعلیّاً (ع) بنفسه [تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] یعنی انّ مشیّتکم وذکرکم وجمیع افعالکم مسبوقة بمشیّة الله التّکوینیّة سواء کانت مرضیّة لله اومبغوضة فانّ مشیّته الّتی هی عبارة عن رحمته الرّحمانیّة سابقة علی رضاه وغضبه وبمنزلة المادّة لهما [هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ] حقیق بان یتّقی منه [وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ] فانّ مغفرته غیر مشوبة بغرض وغایة بخلاف غیره لعدم خلوص مغفرته عن شوب غرض وغایة.

سورة القيامة

مكّيّة، وهی اربعون آیة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ] لفظة لا مزیدة للتّأکید اوجواب ونفی لاعتقادهم لعدم البعث، اونفی للقسم والمعنی لااقسم بیوم القیامة لانّکم لاتعتقدونه؛ ولااقسم بالنّفس اللّوّامة لعدم اعتقادکم لها.

اعلم، انّ النّفس ذات انواع واصناف کثیرة وکلّ فرد منها ذات مراتب ودرجات عدیدة، والنّفس الانسانیّة ذات مراتب، فمرتبة منها تسمّی بالامّارة وهی الّتی تکون محکومة وخادمة للشّیطنة والغضب والشّهوة ولا تکون الّا امّارة بالسّوء، ومرتبة منها تسمّی باللّوّامة وهی الّتی تلوم نفسها فی جمیع فعالها فی سیّئاتها لسوئها وفی خیراتها

لقصورها وتقصيرها و نسبتها الى نفسها ، ومرتبة منها تسمّى بالمطمئنّة لاطمينانها عن كدّ الطّلب لخروجها من قوّتها الى الفعليّات [أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ] هذه قرينة جواب القسم المحذوف [أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ] قيل: نزلت فى عدىّ بن ربيعة سأل رسول الله (ص) عن امر القيامة فأخبره به فقال: لوعاينت ذلك اليوم لم اصدّقك أوَ يجمع الله هذه العظام ؟ [بَلى] نجمعها [قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ] التى فيها دقائق الصّنع وصغار المفاصل والاوتار، وقيل: المعنى على ان نسوّى بنانه فنجعلها كالخفّ والحافر ولكن هذا المعنى غير مناسب ههنا [بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ] يعنى ليس انكاره البعث لالتفاته الى الآخرة وانجرار دليله الى الانكار بل لاقامته على الفجور وعدم نزوعه عنه وعدم التفاته الى البعث و الآخرة [لِيَفْجُرَ أَمامَهُ] اى فى مستقبل امره [يَسْئَلُ أَيّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ] استهزاء وهو لا يدرى انّه فى الذّهاب الى القيامة وانّ القيامة لاتكون فى الزّمان بل هى خارجة عن حدّ الزّمان [فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ] كناية عن شخوص البصر وعدم القدرة على تحريك الجفن ، وهذه كناية شائعة عن ذلك فى العرب والعجم [وَخَسَفَ الْقَمَرُ] ذهب ضوؤه [وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] وهذه امارات الموت وامارات القيامة الصّغرى وامارات ظهور القائم (ع) [يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ] يعنى لامفرّ [كَلّا] ردع عن تمنّى المفرّ [لا وَزَرَ] لاملجأ ولا معتصم [إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ] لااستقرار لاحد الى احد الّا الى ربّك المضاف وهو الرّبّ فى الولاية وهو علىّ (ع) [يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ] بما عمل وماترك من خير وشرّ ، او بما عمل فى حياته وما سنّ من سنّة يعمل بها بعد مماته ، او بما قدّم من ماله فى حياته لنفسه وماترك لورثته [بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ] البصيرة للقلب كالبصر للجسد ، و تستعمل بمعنى الحجّة وتكون مؤنّث البصير، فاذا كانت مؤنّث البصير يكون التّقدير عين بصيرة ، اوالمراد انّ الانسان بجوارحه بصير على نفسه فانّث الخبر لاقامة الانسان مقام الجوارح، اوالتّاء ليست للتّأنيث بل للمبالغة [وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ] ولو اعتذر الى النّاس بكلّ ما يعتذر به فانّ القاء الاعذار وان كان يخفى الشّرّ على الاغيار لكنّه لايستره على نفسه يعنى يعلم ماصنع وان اعتذر، عن الصّادق (ع): مايصنع احدكم ان يُظهر حسناً و يستر سيّئاً اليس اذا رجع الى نفسه يعلم انّه ليس كذلك والله عزّ وجلّ يقول: بل الانسان على نفسه بصيرة انّ السّريرة اذا صلحت قويت العلانية، وفى خبر من اسرّ سريرة ألبسه الله رداءها ، ان خيراً فخير وان شرّاً فشرّ [لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ] الخطاب لمحمّد (ص) والمعنى لاتحرّك بالقرآن لسانك قبل ان يتمّ وحيه لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ، روى انّه كان النّبىّ (ص) اذ انزل عليه القرآن عجّل بتحريك لسانه لحبّه اياه وحرصه على اخذه مخافة ان ينساه، اوالمعنى لاتحرّك بما اردت اظهاره من البراءة من معاوية كما سيأتى، وقيل: الخطاب عامّ والمقصود تقريع المسيئين يوم القيامة بهذا الخطاب فانّه اذا اوبى العباد يوم القيامة كُتب اعمالهم و ينظر الانسان الّذى هو على نفسه بصيرة و يرى سيّئاته ضجر فيقال له توبيخاً: لاتعجل بقراءة كتابك [إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ] اى تأليفه وتنظيمه [فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] روى انّه كان النّبىّ (ص) بعد هذا اذا نزل عليه جبرئيل اطرق فاذا ذهب قرأ [ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ] اى اظهار حقائقه عليك لتتحقّق بها [كَلّا] قيل: ردع عن القاء المعاذير وما بينهما اعتراض ، وكونه ردعاً عن التّعجيل والتّحريك اولى [بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ] يعنى ليس القاء المعاذير لاصلاح النّفوس اولجهل نقائص النّفس بل لحبّ الدّنيا واصلاحها [وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ] جواب سؤال مقدّر عن حال الآخرة

[إِلٰى رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ] اى الى ربّها المضاف لظهور الولاية وصاحبها فى ذلك اليوم، اوالى ربّها المطلق لظهور آثاره اى الى آثاره ناظرة، اومنتظرة الى ثواب ربّها، روى عن امير المؤمنين (ع) فى حديث: ينتهى اولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب الى نهر يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون منه فتبيضّ وجوههم اشراقاً فيذهب كلّ قذىً ووَعَثٍ (١) ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة؛ فمن هذا المقام ينظرون الى ربّهم كيف يثيبهم؟- قال: فذلك قوله تعالى: الى ربّها ناظرة وانّما يعنى بالنّظر اليه النّظر الى ثوابه تبارك وتعالى، وفى الخبر والنّاظرة فى بعض اللّغة هى المنتظرة الم تسمع الى قوله: فناظرة بم يرجع المرسلون اى منتظرة و[وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ] عابسة اوشديدة العبوس [تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ] الفاقرة الدّاهية ولعلّها كانت فى الاصل بمعنى الكاسرة لفقرات الظّهر ثمّ غلب على الدّاهية لكسرها فقرات الظّهر المعنوىّ [كَلّٰا] ردع عن اختيار الدّنيا اوردع عن ظنّ النّجاة بصاحبى تلك الوجوه [إِذٰا بَلَغَتِ] النّفس [التَّرٰاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رٰاقٍ] رافع لكى عن هذه المهالك؟ قيل: ذلك على سبيل التّحسّر، او يقول الملائكة: من يرفعه بروحه، ملائكة الرّحمة اوملائكة العذاب؟ اومن يشفيه بأسماء الله تعالى من الرّقية وهو طلب الشّفاء بأسماء الله تعالى [وَظَنَّ] اى علم لكن لمّا كان علوم النّفس فى حكم الظّنون لمغايرتها لمعلوماتها وجواز انفكاك المعلومات عنها عبّر عنها بالظّنون كما ذكرنا سابقاً مكرّراً [أَنَّهُ الْفِرٰاقُ] من الدّنيا [وَالْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ] كناية عن انتزاع الرّوح فانّه يلتفّ فى كثير السّاقان حينئذ، ولمّا كان آخر الدّنيا بمنزلة السّاق لها واوّل الآخرة ايضاً بمنزلة السّاق لها جاز ان يقال: التفّت الدّنيا بالآخرة، ولمّا كانوا يكنّون عن شدّة الامر بالسّاق جاز ان يقال: التفّت شدّة هول الدّنيا بشدّة هول الآخرة [إِلٰى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ] هذه الجملة جواب اذا بتقدير الفاء، او الجواب محذوف بقرينة المقام [فَلٰا صَدَّقَ] يجوز ان يكون هذه الجملة جواباً ويكون المعنى اذا بلغت التّراقى لايكون له راحة لانّه لاصدّق [وَلٰا صَلّٰى] اى لاصدّق الانبياء والاولياء (ع) ولاصلّى [وَلٰكِنْ كَذَّبَ] الانبياء والاولياء (ع) [وَتَوَلّٰى] عن طاعة الله وطاعة خلفائه [ثُمَّ ذَهَبَ إِلٰى أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى] يتبختر سواء كان اصله التّمطّى بالياء او التّمطّط بالطّاء [أَوْلٰى لَكَ فَأَوْلٰى] اولى فعل ماض اصله اولاك الله ماتكرهه، اواولاك الله البعد من الخير اوالهلاك، بمعنى ولاك الله فحذف الفاعل والمفعول الثّانى وادخل اللّام الزّائدة على المفعول الاوّل للتّأكيد، او بمعنى قرّب الله منك الهلاك او قرب منك الهلاك، او بمعنى ارجعك الله الى الهلاك من، آل يؤل مقلوباً، او بمعنى اهلكك الله من الويل اوهو افعل التّفضيل بمعنى احرى اى احرى لكى النّار اوالهلاك اواللّعن او بمعنى اقرب فحذف المبتدء اوهو افعل من الويل بعد القلب بمعنى ويل لكى اوشدّة الويل لكى، اوهو فعلى من آل يؤل بمعنى مرجعك النّار وعلى اىّ تقدير هو كلمة تهديد صار كالامثال لا يغيّر ولايذكر المحذوف المقدّر، قيل: اخذ رسول الله (ص) بيد ابى جهل ثمّ قال له ذلك فقال: باىّ شيء تهدّدنى؟ لاتستطيع انت ولا ربّك ان تفعلا بى شيئاً وانّى لاعزّ اهل هذا الوادى فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله (ص)، وقال القمّىّ: انّ رسول الله (ص) دعا الى بيعة علىّ (ع) يوم غدير خمّ فلمّا بلّغ واخبرهم فى علىّ (ع) ما اراد ان يخبرهم رجعوا النّاس فاتّكى معاوية على مغيرة بن شعبة وابى موسى الاشعرى ثمّ اقبل يتمطّى نحو اهله ويقول: ما نقرّ لعلىّ (ع) بالولاية ابداً ولا نصدّق محمّداً (ص) مقالته فأنزل الله عزّوجلّ: فلاصدّق ولاصلّى (الآيات)

(١) الوَعَث المشقّة، و وعثاء السفر مشقّته، والوعث، المكان السّهل الذى تغيث فيه الاقدام و يشقّ على من يمشى فيه، واوعث القوم اى وقفوا فى الوعث.

[ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ] التّكرير لمحض التّأكيد اوالاوّل وتأكيده للدّنيا ، والثّانى وتأكيده للآخرة [أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً] مهملاً [أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ] استفهام تقريرىّ فى مقام التّعليل لانكار هذا الحسبان [ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّىٰ] اى فسوّاه ذكراً بالغاً وانثى بالغةً ، اوفسوّاه بحسب اعضائه بمعنى فكسونا العظام لحماً [فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثىٰ] يعنى انّ الله جعل لهذا البنيان ولمادّة الانسان تبدّلات من اخسّ الاحوال الى اشرفها ، فاذا صار انساناً بالغاً ذكراً اوانثى لايهمله بل اذا استكمل فى جهة روحانيّته بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ صار اشدّ اهتماماً به من حاله الخسيسة الّتى كان فيها نطفةً قذرةً اوعلقةً اومضغةً اوجنيناً [أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ] و الحال انّ الموت هو سبب حياته الحقيقيّة ، عن الرّضا(ع) : انّه اذا قرأ هذه السّورة قال عندفراغها: سبحانك اللّهمّ بلى .

سُورَةُ الدَّهْرِ

وتسمّى سورة الانسان وسورة الابرار وسورة هل أتى ، مكّيّة كلّها،وقيل : مدنيّة كلّها،وقيل : مدنيّة الّاقوله : ولاتطع منهم آثمًا اوكفورًا ، وقيل : انّ قوله : انّا نحن نزّلنا القرآن تنزيلًا (الى آخر السّورة)مكّىٌّ والباقى مدنىّ احدى وثلاثون آيةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ] استفهام تقريرىّ والمعنى قد أتى ولذا فسّر به [لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا] فى الخلق يعنى كان مقدّراً مقدوراً ولم يكن مكوّناً مخلوقاً [إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فكيف خلق الانسان؟ـ فقال: انّاخلقناه [مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ] مشج من باب نصر خلط وشيءٌ مشيج كقتيل وسبَب وكتيف مخلوط ، والجمع امشاج ، كون النّطفة امشاجاً امّا لاختلاط الاخلاط اوالعناصر اواستعدادات الاعضاء والقوى فيها ، اولاختلاط المائين ماءالرّجل وماءالمرأة [نَبْتَلِيهِ] نستخلصه من الفضول وممّا لايليق به ونعطيه ونتفضّل عليه بما يليق بشأنه [فَجَعَلْناهُ سَمِيعًا بَصِيرًا] يعنى على اشرف احوال الحيوان [إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مافعلت به بعدذلك؟ وما تفعل به؟ـ فقال: انّاهديناه السّبيل بحسب فطرته فانّ الكلّ بحسب الفطرة يعرف الخير والشّرّ الانسانيّين وبحسب التّكليف بتوسّط الانبياء والاولياء(ع) [إِمّا شاكِرًا] اى عاملاً بما عرفناه [وَإِمّا كَفُورًا] تاركاً لماعرفناه [إِنّا أَعْتَدْنا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الكفور [لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ] بها يقادون عنفاً [وَأَغْلالًا] بها يقيّدون [وَسَعِيرًا] بها يحترقون [إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الشّاكرين [مِنْ كَأْسٍ] من خمرٍ اومن كأسٍ فيها خمر [كانَ مِزاجُها كافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِها] اى منها [عِبادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُونَها] يجرونهاباىّ نحوٍ والى اىّ مكانٍ شاؤا ، اويخرجون

ماؤها من ايّ مكان شاؤا [تَفْجِيراً] لايعرف لعظمته.

اعلم ، انّ للانسان حالات ومراتب و درجات فانّه في اولى مراتبه جمادٌ في تطوّراته، وفي ثانية مراتبه نبات في تفنّناته ، وفي ثالثة مراتبه حيوانٌ في تبدّلاته و تقلّباته ، و في رابعة مراتبه انسانٌ في كثرة نشآته ، و لتلك المراتب ميولٌ واقتضاءات وشهوات وغضبات ومحبّات واشتياقات وعزمات وارادات وحركات وسكنات ، فاذا بلغ الانسان مبلغ الرّجال والنّساء فامّا ان تكون حركاته وسكناته بحكم ميوله الجماديّة اواقتضاءاته النّباتيّة اوشهواته وغضباته الحيوانيّة ، او ادراكاته وحيله الشّيطانيّة ، وامّا ان تكون بحكم عقله الانسانيّ فان كانت من القسم الاوّل كانت جملة حركاته وسكناته وعزماته وارادته من حيث انجرارها الى العمل السّيّء والاسوء سلاسل تجرّه في الدّنيا الى اسفل النّفس الّتي هي صورة جحيم الآخرة والى العمل القبيح الّذي هو من آثار لهبات الجحيم ، وتلك السّلاسل في الدّنيا مستورة عن الانظار الحسّيّة وان كانت مشهودة بالانظار الملكوتيّة لاهلها، لكن في الآخرة تصير مشهودة ظاهرة بناءً على تجسّم الاعمال وموجبة لسلاسل اخرى اخرويّة بناءً على جزاء الاعمال في الآخرة بالجزاء المناسب لها ، وكانت كلّها من حيث اكتساب النّفس منها سوأة وثقلاً اغلالاً لها مستورة عن الانظار الدّنيويّة مشهودة للانظار الاخرويّة ، وان كانت من القسم الاخير صارت سبباً لاطلاقه من الاغلال وخلاصه من السّلاسل وسبباً لخروجه من هاوية النّفس وعروجه على مراقي الانسانيّة الى اعلى عليّين و قرب ربّه ربّ العالمين و بعبارة اخرى كلّما يفعله الانسان بعد بلوغه امّا ان يكون بامر آمرٍ آلهيّ من غير شراكة لنفسه وامرها فيه او يكون بشراكة لنفسه فيه وامّا ان يكون بامر نفسه من غير شراكة لربّه وامر ربّه فيه ، فان كان من القسم الاوّل صار سبباً لاطلاقه ونجاته و يكون ممّا يتقرّب به قرب الفرائض ، وان كان من القسم الثّاني فامّا ان يكون شراكة النّفس في الفعل لامر الله من حيث توجّهها الى الله و اعانتها لامتثال امر الله و قربها من الله ، اومن حيث انصرافها من الله وتوجّهها الى حظوظها ومآربها ، والاوّل كالاوّل في صيرورته سبباً لاطلاق النّفس ونجاتها و يكون ممّا يتقرّب به قرب النّوافل، والثّاني يكون ممّا يكون العامل فيه مشركاً في العبادة و يكون مردوداً اليه وممّا يتركه الله تعالى لشريكه لكونه اغنى الشّركاء و يترك لشريكه كلّ عملٍ يعمل بشراكة غيره ، و يكون سلسلةً وغلّاً لنفسه، وان كان من القسم الثّالث لايكون الّا غلّاً وسلسلةً واليها اشار تعالى شأنه بقوله : كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ الّا اصحاب اليمين فانّ اصحاب اليمين اى الّذين قبلوا ولاية عليّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة هم الّذين توجّهوا الى الله وابتغوا مرضاته ولقائه، فان كانوا في حال الحضور وكان وليّ امرهم ظاهراً عليهم وفاعلاً فعلهم بآلات اعضائهم من دون مدخليّة لانفسهم في فعلهم كان فعلهم من القسم الاوّل، وان لم يكن لهم حالة الحضور لكن كان حبّهم لربّهم ولوليّ امرهم بحيث لم يبق لهم التفاتٌ الى انفسهم وحظوظها كان فعلهم ايضاً من القسم الاوّل، وان لم يبلغ حبّهم الى مرتبة لم يبق لهم التفات الى انفسهم وحظوظها بل كانت انفسهم ايضاً باعثة على اعمالهم ولكن كانت حظوظ انفسهم في امتثال امر الله وابتغاء مرضاته كان من القسم الثّاني الملحق بالاوّل، وان كانوا في افعالهم غافلين من ربّهم وامره مبتغين لحظوظ انفسهم حظوظها السّفليّة لم يكونوا حينئذٍ من اصحاب اليمين في تلك الافعال فانّ قيد الحيثيّة معتبرة في امثال المقام ، وكانوا مرهونين باعمالهم مثل سائر النّاس ولم يكونوا ينتفعون ببيعتهم في تلك الاعمال لكن اذا لم يقطعوا حبل الولاية ولم يفسدوا بذر الايمان انتفعوا ببيعتهم عند الموت و بعده ، و قد اشار المولوىّ قدّس سرّه الى السّلاسل والاغلال المستورة بقوله :

خلق ديوانند شهوت سلسله — ميكشد شان سوى دكّان و غله
هست اين زنجير از خوف و وله — تو مبين اين خلق را بى سلسله
ميكشاندشان بسوى نيك و بد — گفت حق فى جيدها حبل المسد
قد جعلنا الحبل فى اعناقهم — و اتخذنا الحبل من اخلاقهم

و اعلم ، ايضاً انّ النّشاربين للخمر الخبيثة المحرّمة لهم حالاتٌ و بحسب اختلافهم فى الحالات يختلف شربهم للخمر الصّوريّة فانّه قد يغلب الحرارة على مزاجهم ، وقد يغلب البرودة ، وقد يعتدل امزجتهم ، و بحسب اختلاف تلك الاحوال قد يمزجون بشرابهم الكافور وقد يمزجون الزّنجبيل وقد يشربونها خالصاً وقد يشربون شراباً خالصاً ليذهب باذى الخمر و كسالة سكره ، و يسمّى بالطّهور والغسّال ، وللسّالكين الى الله ايضاً انواع من الشّراب المعنوىّ الرّوحانىّ فانّه قد يغلب عليهم برد السّلوك فيسقيهم ربّهم شراباً زنجبيلياً يسخّنهم و يزيد فى حرارة شوقهم وطلبهم ، وقد يغلب عليهم حرارة الشّوق فيسقيهم ربّهم شراباً كافوريّاً ليعتدل سخونة اشتياقهم ببرد كافور السّلوك ، و قد يسقيهم شراباً خالصاً غير ممزوج اذا كانوا فى السّلوك والجذب معتدلين ، وقد يسقيهم شراباً طهوراً يغسّلهم من نسبة الاموال والافعال والصّفات الى انفسهم بل من انانيّاتهم وهذه الاحوال تطرء عليهم فى الآخرة وفى الجنّات [يُوفُونَ بِالنَّذْرِ] النّذر ما اوجبه الانسان على نفسه بشرطٍ او بغير شرطٍ ، والمراد به العهد الّذى كان فى ضمن البيعة العامّة او الخاصّة والوفاء بهذا النّذر يستلزم الوفاء بجميع العهود والشّروط [وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا] اى متفرّقاً غاية التّفرّق وفى الخبر كلوحاً عابساً ، وقيل : عظيماً [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا] بل اطعمناكم ابتغاءً لمرضاة الله [إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا] كريهاً يعبس فيه الوجوه [قَمْطَرِيرًا] شديد العبوس قد روى كثيراً من العامّة والخاصّة انّ الآيات الى قوله : و كان سعيكم مشكوراً نزلت فى علىٍّ (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وجارية لهم تسمّى فضّة ، والاخبار الواردة مختلفة بحسب الالفاظ مجمل مضمون اكثرها واشهرها انّه مرض الحسن (ع) والحسين (ع) فنذر هو وفاطمة (ع) وفضّة صوم ثلاثة ايّام ان شفاهما الله فبرئا واستقرض علىّ (ع) ثلاثة اصوع من الشّعير من يهودىٍّ اوآجر نفسه يهودياً ليغزل له صوفاً واخذ ثلاثة اصوع من الشّعير فصاموا وطحنت فاطمة (ع) صاعاً منها واختبزته وصلّى علىّ (ع) المغرب وقرّبته اليهم فاتاهم مسكينٌ يدعو لهم و سألهم ، فأعطوه ولم يذوقوا الّا الماء ، فلمّا كان اليوم الثّانى اختبزت صاعاً آخر منها وقرّبته وقت الافطار اليهم ، فاذا يتيمٌ بالباب يستطعم ، فأعطوه ولم يذوقوا الّا الماء ، فلمّا كان اليوم الثّالث جاء اسير يستطعم ، فاعطوه ولم يذوقوا الّا الماء ، فلمّا كان اليوم الرّابع وقد قضوا نذورهم اتى علىّ (ع) ومعه الحسن (ع) والحسين (ع) الى النّبىّ (ص) و بهما ضعف فبكى رسول الله (ص) و نزل جبرئيل بسورة هل أتى ، وفى بعض الاخبار قرءاهم النّبىّ (ص) جياعاً فنزل جبرئيل ومعه صحفةٌ من الذّهب مرصّعة بالدّرّ والياقوت مملوّة من الثّريد وعُراق[1] يفوح منها رائحة المسك والكافور فجلسوا واكلوا حتّى شبعوا ولم ينقص منها لقمة واحدة ، وخرج الحسن (ع) والحسين (ع) ومع الحسين قطعة عراق فنادته يهوديّة : يا اهل البيت الجوع من أين لكم هذه؟ اطعمتنيها ، فمدّ يده الحسين (ع) ليطعمها فهبط جبرئيل و اخذها من يده و رفع الصحفة الى السّماء ، فقال (ص) : لولا ما اراد الحسين (ع) من اطعام الجارية تلك القطعة لتركت تلك الصحفة فى اهل بيتى يأكلون منها الى يوم القيامة [فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً] فى الوجوه [وَسُرُورًا] فى القلوب [وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ] الاريكة السّرير فى حجلة وكلّ ما يتّكأ عليه من سريرٍ وغيره ، اوسريرٍ منجّد فى قبّة اوبيت [لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا] يعنى لا يرون حرّاً ولا برداً بل يكونون فى هواء معتدل [وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا] اى قريبة منهم افياؤها اودائمةٌ عليهم افياؤها ، ومعنى دنوّ الظّلال دنوّ المظلّة منهم ، اوالظّلال ههنا جمع الظّلّة بالضّمّ

(١) العَرق العظم الّذى اخذ عنه اللحم ، والجمع عُراق بالضّمّ .

بمعنى المظلّة [وَذُلِّلَتْ] اى سهلت [قُطُوفُهَا] للجنى [تَذْلِيلًا] فانّ ثمارها كأنّها باختيار الجانى يجنيها متى شاء وكيف شاء وعلى اىّ حال شاء [وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ] جمع الكوب وهو كوز لاعروة له ولاخرطوم [كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ] قرئ فيهما بالتّنوين للمناسبة ، وقرئ فى الاوّل فقط بالتّنوين [مِنْ فِضَّةٍ] يعنى كانت الاكواب مثل القوارير فى الصّفاء والتّشفيف ، اوكانت القوارير مأخوذة من الفضّة لامن سائر الاحجار مثل قوارير الدّنيا [قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا] صفة للاكواب اوللآنية والاكواب والمعنى اكواب كان المؤمنون يقدّرون قدرها فى انفسهم ، اوكانوا يتمنّونها ، اوكان الغلمان المديرون يقدّرونها بقدر ميل المؤمنين ، وقرئ قدّروها على البناء للمفعول [وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا] الكأس تطلق على الخمر ولذلك تؤنّث ، ولمّا كان السّالك الباقى عليه من نفسه بقايا لابدّ له من حرارة الطّلب واشتياق السّير فى عالم الصّفات الّتى لانهاية لها كان قد يسقى من الشّراب الزّنجبيلىّ الّذى به يشتدّ حرارة طلبه والتذاذ سيره ووجده [عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا] بدل من كأساً بدل الاشتمال ، والسّلسبيل الشّراب السّهل الدّخول فى الحلق ، اللّذيذ فى المذاق يقال : شرابٌ سلسلٌ وسلسالٌ وسلسبيلٌ كذا فى المجمع [وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ] جمع الوليد بمعنى الغلام [مُخَلَّدُونَ] دائمون فى الجنّة ، اومخلّدون على حال الغلمان [إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا] فى الصّفاء والحسن والتّلألؤ [مَنْثُورًا] متفرّقاً غير منظوم فى الكثرة اوفى الخدمة [وَإِذَا رَأَيْتَ] شيئاً [ثَمَّ] فى الجنّة حذف المفعول للاشارة الى انّ كلّما كان مرئيّاً هناك كان مشتملاً على جميع ما يكون فى المملكة الكبيرة [رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا] واسعاً جدّاً فانّ ادناهم منزلة ينظر فى ملكه من مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه ، وقيل : هو القدرة على ما يتمنّى ونفاذ الامر ، وقيل : هو استيذان الملائكة ورسل الله (ع) على المؤمنين [عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ] اى مارقّ من الحرير وما غلظ [وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَيهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا] يطهّرهم من كلّ ما كان منسوباً اليهم من الاموال والافعال والاوصاف والذّوات حتّى لايبقى فيهم سوى محبوبهم فيصير لذّتهم خالصة غير مشوبة وغير محجوبة ، فى خبر : يطهّرهم من الحسد ويسقط عن ابشارهم الشّعر ، وفى خبر : يطهّرهم من كلّ شيء سوى الله [إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً] خطاب من الله لعباده فى الدّنيا اومنه اومن الملائكة لعباده فى الآخرة [وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا] يعنى انّ قرآن ولاية علىّ (ع) ليس الّا من عندنا فما لك تخشى عن النّاس وتخفيه عنهم وتخاف عن ردّهم اوارتدادهم اوصرف علىّ (ع) عن حقّه [فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ] ولاتحزن على ما يقولون فى حقّ علىّ (ع) ولاتغيّر ما نزّلناه عليك [وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا] عاصياً لك فى علىّ (ع) [أَوْ كَفُورًا] ساتراً لولايته اوساتراً لنبوّتك فبينهما عموم من وجه [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ] اسم الرّبّ هو اللّطيفة الانسانيّة الّتى هى الولاية التّكوينيّة وتتقوّى بالولاية التّكليفيّة ثمّ صاحب الولاية والرّسالة ثمّ كلّ من قبل الولاية ثمّ كلّ وجود عينىّ امكانىّ ثمّ الالفاظ والحروف الموضوعة ثمّ النّقوش المكتوبة ، وذكر الكلّ من حيث كونها اسماء الرّبّ مأمور به ونافع للانسان ومورث لنجاته من المهاوى والنّيران [بُكْرَةً وَأَصِيلًا] دائماً اوفى هذين الوقتين مخصوصاً لشرافتهما [وَمِنَ اللَّيْلِ] الّذى هو مظهر عالم الطّبع ومظهر ظلمة النّفس وانانيّاتها [فَاسْجُدْ لَهُ] بكسر

انانيّة النّفس [وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا] اى بعضاً طويلاً من اللّيل، اوليل الطّبع الّذى طوله بقدر العمر، عن الرّضا (ع): انّ هذا التّسبيح هوصلوة اللّيل وقدفسّرقوله: بكرةً واصيلًا، بصلوة الغداة والظّهرين وقوله ومن اللّيل فاسجدله، بالعشائين، وقوله: وسبّحه ليلاطويلاً، بالتّهجّد فى طائفة طويلة من اللّيل [إِنَّ هٰؤُلَاءِ] المشركين او المنافقين الممتنعين من ولاية علىّ (ع) [يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ] ولذلك لايأتمرون بأمرالله ولابأمرنبيّه (ص) ولاينقادون لنبيّه (ص) ولا وصيّه [وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] يعنى امامهم لكنّه تعالى عبّر بوراثهم للاشعار بانّهم منكوسون مقبلون على الدّنيا الّتى هى مدبرة عنهم ومدبرون عن الآخرة الّتى هى مقبلة عليهم، والمراد بثقله ثقل حسابه وثقل شدائده وثقل حسابه [نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ] اى خلقهم اومفاصلهم بالاعصاب والاوتار اوالياف المعدة والمثانة حتّى صارتا باختيار صاحبهما [وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ] باذهابهم وجعل اولادهم اخلافهم، أتى باذا لتحقّق وقوعه [تَبْدِيلًا إِنَّ هٰذِهِ] اى ولاية علىّ (ع)، اوقرآن ولايته، اوهذه السّورة الّتى فيهاذكر الولاية [تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ] لمّا اوهم قوله تعالى فمن شاء استقلالهم بالمشيّة رفع ذلك فقال وماتشاؤن [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ].

اعلم، انّه لايكون شيء من المكوّنات ومن افعال العباد واخلاقهم واراداتهم ومشيّاتهم الّا بمباد سبعة، بمشيّة من الله، وارادة منه، وقدر منه سبحانه وقضاء واذن واجل وكتاب وانّ المشيّة هى اضافته الاشراقيّة الّتى هى فعله وكلمته، وانّ كلّ شيء من المبدعات والمنشئات والمخترعات والمكوّنات قوام وجوده مشيّة الله، وانّ مشيّة الله غير محبّته ورضاه، وانّ الرّضا والسّخط بمنزلة صورة للمشيّة، والمشيّة كالمادّة وانّ مشيّة العباد هى مشيّة الله بضميمة خصوصيّة الاضافة الى العباد فمعنى ماتشاؤن الّا ان يشاءالله الّا فى حال ان يشاءالله، او بسبب ان يشاءالله، اولان يشاء الله، واما جعل ان يشاءالله مفعولاً لتشاؤن فبعيد بحسب الظّاهر وان كان له معنى صحيح بحسب دقيق النّظر، لانّ كلّ ما يشاؤه العباد فهومتقوّم بمشيّة الله بل هوعين مشيّة الله الّتى صارت بحسب الاضافة محدودة بحدود الممكنات، وقد مضى بيانٌ وافٍ لكون مشيّة الله وارادته عين مشيّة العباد واراداتهم من غير لزوم جبر وتسخير عند قوله تعالى: ولكنّ الله يفعل مايريد، من سورة البقرة [إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا] فبعلمه بدقائق الصّنع ومصالح المصنوع جعل مشيّته عين مشيّة العباد [حَكِيمًا] بحيث لطف فى هذا الصّنع لطفاً لايدركه احدٌ بل يتوهّمون ضدّه ويقولون: انّ الله فوّض امورالعباد وافعالهم اليهم [يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ] اى من يحبّ ويرضاه [وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا].

سورة المرسلات

مكّيّة، خمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا] قد فسّرت بالملائكة المرسلة المتتابعة لتعذيب اهل الدّنيا وجحيم النّفس اوالملائكة

المرسلة للمعروف والاحسان الى العباد بتعذيب اهل الشرّ والفساد [فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفًا] من قبيل عطف الصّفات المتعدّدة لذات واحدة ، و تخلّل الفاء للاشعار بانّ هذه الصّفة اى شدّة الهبوب و المرور فى مقام التّعذيب ابلغ من الارسال ، وفسّرتا بالرّياح المرسلة لتعذيب اهل الدّنيا بافساد زراعاتهم واهلاك مواشيهم [وَ النّٰاشِرٰاتِ نَشْرًا] فسّرت بملائكة الرّحمة الّذين ينشرون العلوم فى قلوب الانبياء وسائر العباد، والّذين يأتون بالسّحاب ، وفسّرت برياح الرّحمة الّتى تنشر السّحاب، وفسّرت بالامطار الّتى تنشر النّبات من الارض وفسّرت بنفوس الانبياء (ع) الّذين ينشرون العلوم والاحكام فى العباد [فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقًا] فسّر هذه بموافقة سابقتها [فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْرًا] اى الملائكة والرّياح اوالسّحب اوالامطار اوالانبياء (ع) فانّ كلّا منها يذكّر الانسان قدرة الله وحكمته فى صنعه ، و يستفاد من بيان الفقرات وجه اختلاف العطف بالفاء و الواو [عُذْرًا أَوْ نُذْرًا] اى بلقين الذّكر عذراً اى سبباً لنجاتهم ، او نذراً اى تخويفاً فيكونان بمعنى ارجاء ونخويفاً وهما بدلان من ذكراً ، اومفعولان له ، اوحالان وقد فسّرت الفقرات بالواردات الآلهيّة فى العالم الصّغير الانسانىّ من الالهامات والقبضات و البسطات و المنامات المنذرات و المبشّرات و البلايا الواردات، وجبرانها بالالطاف الالهيّات والخطرات والخيالات والسّطوات والرّأفات والملائكة المرسلات بالنّبوّات والرّسالات [إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ] جوابٌ للقسم والمراد بما يوعدون البعث و الحساب ، او الثّواب و العقاب [فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ] اى محقت اومحى نورها، وجواب اذا محذوف بقرينة السّابق اى كان ما توعدون ، او بقرينة اللّاحق اى اهلكناهم ، اوالجواب قوله لاىّ يوم اجّلت بتقدير القول [وَإِذَا السَّمٰاءُ فُرِجَتْ] صدعت [وَإِذَا الْجِبٰالُ نُسِفَتْ] نسف البناء قلعها ونسف الجبال دكّها [وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ] وقرئ وقتت على الاصل اى عيّنت يعنى وقت حضورها للشّهادة او للبشارة والتّخويف او بلغ وقت ظهورها حين ظهور القائم اوالقيامة [لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ] استفهامٌ للتّعجيب والتّفخيم وجوابٌ لاذا بتقدير القول ، اوحال عن الرّسل (ع) بتقدير القول ، اواستيناف بتقدير استفهام كأنّه تعالى : قال اندرى لاىّ يوم اجّلت؟ [لِيَوْمِ الْفَصْلِ] اجّلت جواب من الله تعالى [وَمٰا أَدْرٰاكَ مٰا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] جوابٌ للاستفهام بتقدير القول اوجوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول اى يقال فيه : ويلٌ يومئذ للمكذّبين ، اوجوابٌ لسؤال مقدّر بدون تقدير القول كأنّه قيل: ما حال النّاس فيه ؟ـ فقال : ويلٌ يومئذ للمكذّبين [أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ] جوابُ سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما تفعل بهم فى الدّنيا ؟ـ فقال: نفعل بهم ما فعلنا بالاوّلين الم نهلك الاوّلين كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم [ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ] من المجرمين قرئ برفع نتبعهم عطفاً على الم نهلك ، وقرئ بالجزم عطفاً على نهلك و المعنى الم نهلك الاوّلين من قوم نوح وعاد وثمود ، ثمّ لم نتبعهم الآخرين من قوم لوط وشعيب وفرعون [كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ] من قومك يا محمّد (ص) [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لمّا كان التّكرير و التّأكيد و التّهديد و التّغليظ مطلوباً فى مقام السّخط كرّر هذه الكلمة [أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ] تعدادٌ للنّعم الّتى تدلّ على كمال الاهتمام بهم وعدم اهمالهم من غير ثواب وعقاب [مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ] قذر [فَجَعَلْنٰاهُ فِى قَرٰارٍ مَكِينٍ إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَّرْنٰا] فسوّيناكم [فَنِعْمَ الْقٰادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتًا] كفته يكفته صرفه عن وجهه ، وكفت الشّيء

ضمّه وقبضه ، والكفات الموضع الّذى يكفت فيه الشّيء اى يضمّ اوهومصدر ، اوجمع لكافت ، اوجمع كفت بمعنى الوعاء وهومفعول ثان لنجعل ، اوحال ، اوالمفعول الثّانى قوله تعالى [أَحْيٰاءً وَأَمْوٰاتًا] وعلى الاوّل فاحياءً واموا تاً حالان من ذى حال محذوف اى للنّاس ، اوحالان من الارض وكون الارض احياءً واموا تاً باعتبار صلاحها للنّبات والزّراعات وعدم صلاحها لها ، اوباعتبار وقت انباتها للنّبات ووقت عدم انباتها كالخريف والشّتاء ، اومفعولان لكفاتاً ، وتنكيرهما حينئذ للتّفخيم ، اولانّ احياء الانس واموا تهم بعض الاحياء والاموات [وَجَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ] جبالاً ثوابت طوالاً [وَأَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتًا] هذان الفعلان معطوفان على مجموع الم نجعل الارض فانّه فى معنى جعلنا الارض البتّة كفاتاً [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اِنْطَلِقُوا] حالٌ اوجوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول اى يقال لهم : انطلقوا [اِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] من العذاب [اِنْطَلِقُوا] قرئ هذا امراً ، وقرئ على الاخبار جواباً لسؤال مقدّر [اِلىٰ ظِلٍّ] اى ظلّ دخان جهنّم بقرينة مايأتى [ذِى ثَلٰثِ شُعَبٍ] .

اعلم ، انّ النّفس الانسانيّة الامّارة مظهر لجهنّم ، وكلّما لها من الاوصاف الرّذيلة شعبة وشعلة من لهبها ، وهى سبب لدخولها ، وانّ اصل جميع الرّذائل هى القوى الثّلاث البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة ، وانّها لهبات من الجحيم وادخنة منها تحترق الانسانيّة بها ، ومادام الانسان فى الدّنيا وكان اسيراً للنّفس الامّارة لايستشعر بحرقته فاذا مات تمثّل له ماكان مخفيّاً عنه فى الدّنيا فيظهر عليه اللّهبات الثّلاث وادخنتها وظلال ادخنتها فيقال له : انطلق الى هذا الظّلّ ، استهزاءً ، فينطلق الى ظلّها لانّه كان فى الدّنيا مسخّراً لها ويكون ذلك الظّلّ غير ذى برودة ولذلك قال [لَا ظَلِيلٍ] لانّه ظلّ الدّخان فيكون حارّاً لا بارداً وهذا ردّ لما اوهم لفظ الظّلّ [وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ] اى من حرّ اللّهب كسائر الظّلال المغنية من حرّ الشّمس [اِنَّهٰا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ] قرئ بسكون الصّاد بمعنى المنزل الرّفيع ، وقرئ بالتّحريك بمعنى اصول النّخل والشّجر وبقاياه واعناق النّاس والابل ، والكلّ مناسبٌ ، فانّ القوى الثّلاث فى الدّنيا ترمى بخطرات وآمال واانانيّات ؛ وفى الآخرة تتمثّل تلك بشررٍ عظامٍ [كَأَنَّهُ] اى كانّ القصر او الشّرر فانّه جنس للشّررة [جِمٰالَةٌ صُفْرٌ] جمع الجمل ، وقرئ جمالات بكسر الجيم وضمّها جمع الجمالة بكسر الجيم وضمّها جمع الجمل فانّ الجمالة والجمالات مثلّثتى الجيم جمع للجمل [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذٰا يَوْمُ لٰا يَنْطِقُونَ] اعلم انّ ايّام الآخرة كثيرة ففى بعضها ينطق النّاس ويسألون وينضرّعون ، وفى بعضها لاينطقون فلاينافى ذلك سائر الآيات والاخبار الدّالّة على نطقهم واستنطاقهم [وَلٰا يُؤْذَنُ لَهُمْ] فى النّطق اوفى الاعتذار [فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذٰا يَوْمُ الْفَصْلِ] بين المحقّ والمبطل ، اوالمؤمن والكافر ، اواهل الجنّة واهل النّار ، اويوم القضاء والحكم [جَمَعْنٰاكُمْ] فيه [وَالْأَوَّلِينَ] حال اواستيناف [فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ] كما كنتم تكيدوننى فى الدّنيا بالكيد مع خلفائى وهذا على التّعجيز والتّهكّم [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلٰالٍ وَعُيُونٍ] جوابُ سؤال مقدّر كانّه قيل : هذا حال المكذّبين فما حال المتّقين عن تكذيب الرّسل اوالحشر ؟ [وَفٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا] استيناف بتقدير القول [هَنِيئًا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لمّا كان السّورة لتهديد المكذّبين كرّرهنا هذه الكلمة وثنّى ذكر المكذّبين واضرب عن المتّقين مع انّه كان المناسب ان يقول : طوبى يومئذٍ للمتّقين [كُلُوا] استيناف اوحال

بتقدير القول [وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا] يعنى فى الدّنيا [إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ] تعليلٌ للتّهديد المستفاد من قوله تعالى: كلوا و تمتّعوا [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ] عطف على مجرمون، او حال و التفات من الخطاب [ارْكَعُوا] اى صلّوا كما قيل: انّها نزلت فى ثقيف حين امرهم رسول الله (ص) بالصّلوة فقالوا: لا تنحنى فانّ ذلك سُبّة[1] علينا، اوتواضعوا وانقادوا [لَا يَرْكَعُونَ] او المعنى اذا قيل لهم اسجدوا فى القيامة لا يقدرون على السّجود كما قال تعالى: و يدعون الى السّجود فلا يستطيعون [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ] اى بأىّ حديث بعد القرآن او بعد ما حدّثتك به من امر الآخرة والمحشر و الحساب و الثّواب و العقاب · او بعد حديث الولاية، او بعد هذا اليوم يؤمنون ؟!

[الجزء الثّلاثون]

سُورَةُ النَّبَإِ

و يسمّى سورة عمّ وسورة المعصرات وسوالتّساؤل مكّيّة كلّها، احدى واربعون آيةً.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ] استفهام لتفخيم المسؤل عنه كانوا يتساءلون بينهم عن المبدء و صفاته و عن القيامة وعلاماته، وعن البعث و ثوابه و عقابه، اوكانوا يتساءلون عن الولاية بعد ما اشار الرّسول (ص) اليها فانّها النّبأ العظيم الّذى يقع الاختلاف فيه: وانّها النّبأ الّذى ينبغى ان يهدّد النّاس فى تركها لانّها الفارقة بين اهل الجنّة والنّار فانّ القابل لها اذا وصل بها الى الآخرة يدخل الجنّة من غير ريب، والخارج منها اذاخرج بالخروج منها الى الآخرة يدخل النّار، فانّه لو عبدالله عبدٌ سبعين خريفاً تحت الميزاب قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية علىّ بن ابى طالب (ع) لأكبّه الله على منخريه فى النّار وانّ الله لا يستحيى ان يعذّب امّةً دانت بامامة امام جائر، وان كانت الامّة فى اعمالها بررة، وانّ الله ليستحيى ان يعذّب امّةً دانت بامامة امام عادل وان كانت الامّة فى اعمالها فجرة، وسئل الباقر (ع) عن تفسير عمّ يتساءلون فقال: هى فى امير المؤمنين (ع)، و بهذا المضمون اخبار كثيرة منهم (ع) [عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ] بدل عن عمّ بتقدير حرف الاستفهام، او متعلّق بمحذوف وجواب من الله او متعلّق بيتساءلون و عمّ متعلّق بمحذوف يفسّره المذكور [الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا] عن الاختلاف، فانّه امر لا ينبغى ان يختلف فيه، اوعن الانكار المستفاد من الاختلاف، فانّ الاختلاف لا يكون الّا بالاقرار والانكار [سَيَعْلَمُونَ] حين رفع الحجب عن الابصار عند الموت او القيامة الكبرى [ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ] تأكيدٌ للاوّل، وتخلّل ثمّ للمبالغة فى التّأكيد [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: الم يجعل الله دليلاً لعباده على الولاية ؟ او على الحشر و الحساب والثّواب والعقاب ؟ـ اوقال: الم يجعل لهم ولياً ؟ اوالم يكن لهم حشر وحساب ؟ـ فقال: كيف لم نجعل لهم دليلاً على

(١) اى عارٌ

ذلك، او كيف اهملناهم ولم نجعل لهم رئيساً واماماً بعد الرّسول (ص)؟! او كيف نهملهم ولا نبعثهم والحال انّا ما اهملناهم حين لم يكونوا شيئاً مذكور اوجعلنا لهم جميع اسباب وجودهم و اسباب بقائهم [وَالْجِبالَ أَوْتاداً وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً] ذكراً وانثى حتّى يستأنس بعضكم ببعض وليسكن و يمكن التّناسل ، او جعلناكم اصنافاً لتعارفوا ، وليرفع بعضكم حاجة بعض [وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً] اى راحة اوقطعاً عن الاعمال والمتاعب [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً] اى ساتراً يستر كلّ عورة [وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً] وقت تمتّعكم او سبب ابتغاء معاشكم [وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً] لايقبل الانثلام و ببنائها وجعل الكواكب فيها يكون بقاؤكم وتعيّشكم [وَجَعَلْنا] اى خلقنا [سِراجاً وَهَّاجاً] لايمكن وجودكم ولابقاؤكم بدونه [وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ] اى السّحائب التى صارت معصورة اى متراكمة بالبرد والرّيح اوالرّيح التى تكون معصرة للسّحاب ، او الرّياح التى تكون ذوات الاعاصير الى الاغبرة فانّ الرّياح تكون اسباب نزول المطر، وقد قرئ انزلنا بالمعصرات و هو يؤيّد المعنى الاخير [ماءً ثَجّاجاً] سيّالاً الى مواضع زراعاتكم و روضاتكم و به يكون حياتكم [لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً] لارزاقكم و ارزاق دوابّكم [وَ نَباتاً] كذلك [وَجَنّاتٍ أَلْفافاً] الالفاف الاشجار الملتفّة واحدها لفّ بالكسر والفتح او بالضّم وهو جمع لفّاء فيكون الالفاف حينئذ جمع جمع [إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: اذا لم تهملهم بلاحساب وثواب وعقاب فهل لهم موعد لذلك؟ـ او اذا لم تهملهم بلاولىّ و رئيس فهل لظهور ذلك الولىّ موعد؟ـ فقال: انّ يوم الفصل كان موعداً لهم ، والمراد بيوم الفصل يوم خروج الرّوح عن البدن، او يوم فصل المحقّ عن المبطل والنّاجى من الهالك [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ] النّفخة الاولى اوالنّفخة الثّانية [فَتَأْتُونَ أَفْواجاً وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً] أتى بالماضى امّا لتحقّق وقوعه او للاشعار بانّ السّماء كانت من اوّل خلقته منفتحة منشقّة بتراءى بحسب الانظار الظّاهرة انّها غير منفرجة فانّ كلّ ممكن زوج تركيبى منشقّ الى مهيّة ووجود ووجوب وامكان ، ومعنى كونها ابواباً انّها ابواب للملكوت كما انّ سماوات عالم الارواح ابواب للغيب و فعله الّذى هو عالم المشيّة [وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً] يعنى انّ الجبال تحسبها ثابتة وهى تمرّ مرّ السّحاب باقتضاء التّجدّد الجوهرىّ ، وكونها سراباً من جهة انّها تتراءى جبالاً عظيمة ثابتة جامدة وليست كذلك، وهكذا حال جبال الانيّات للاشياء فانّها ترى اشياء مستقلّة فى الوجود لها نفسيّات وليست كذلك، وقد فسّر الافواج فى خبر عن النّبىّ (ص) باصناف من المعاقبين من اصناف المسيئين [إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً] رصده رقبه والمرصاد الطّريق اوالمكان يرصد فيه العدوّ كأنّ الخزنة يرصدون فى جهنّم اعداء اولياء الله والجملة جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما يفعل بهم بعد اتيانهم افواجاً؟ـ [لِلطّاغِينَ مَآباً] طغى كرضى طغياً وطغياناً بالضّمّ و الكسر فيهما جاوز القدر وارتفع و غلا فى الكفر و اسرف فى المعاصى والظّلم ،وطغا يطغو طغواً وطغواناً بضمّهما [لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً] جمع الحقب بالضّمّ والضّمّتين وهى ثمانون سنة اواكثر ، والدّهر والسّنة اوالسّنون ، وقيل: المراد باللّبث احقاباً انّه كلّما مضى حقب جاء بعده حقب آخر ، وقد فسّر الحقب بثمانين سنة من سنى الآخرة، وقيل: انّ الاحقاب ثلاثة واربعون حقباً كلّ حقب سبعون خريفاً، كلّ خريف سبعمائة سنة ،كلّ سنة ثلثمائة وستّون يوماً ،كلّ يوم الف سنة ، وقيل المعنى لابثين فيها احقاباً موصوفة بانّهم لايذوقون فيها برداً ولا شراباً ، ثمّ يلبثون فيها يذوقون غير الحميم والغسّاق من انواع العذاب فهذا توقيت لانواع

العذاب لا لمكثهم فى النّار [لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا] يعنى برداً ينفعهم من حرّ النّار ولا شراباً ينفعهم من عطشهم ، اوالمزاد بالبرد النّوم كما قيل [إِلَّا حَمِيمًا] اى الماء الحارّ الشّديد الحرارة [وَغَسَّاقًا] الغسّاق صديد اهل النّار ، اوماء يخرج من صديد اهل النّار [جَزَاءً وِفَاقًا] مفعول له او وصف لحميماً وغسّاقاً ، او مفعول مطلق لمحذوف اى يجازون جزاء ، او يجزيهم الله جزاء موافقاً لاعمالهم [إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا] اى لا يعتقدون حشراً وحساباً، اولا يخافون حساباً كما قيل [وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] من حيث انّها آيات و اعظمها علىّ (ع) [كِذَّابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ] ومن الاشياء الّتى احصيناه اعمالهم الّتى عملوها [كِتَابًا] اى فى كتاب او حالكونه مكتوباً عندنا [فَذُوقُوا] بتقدير القول [فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هذا حال المكذّبين بالنّبأ العظيم فما حال المصدّقين بالولاية ؟- والمفاز الفوز والنّجاة ، اومحلّ الفوز ، ويستعمل فى الهلاك والمهلك [حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا] بساتين واثمارها لكن خصّص الاعناب بالذّكر لامتيازها من بين الاثمار [وَكَوَاعِبَ] اى جوارى ثديهنّ كاعبات [أَتْرَابًا] مستويات فى السّن يعنى كلّهن فى اوّل البلوغ [وَكَأْسًا دِهَاقًا] ممتلئة اومتتابعة [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا] قرئ بتشديد الذّال بمعنى التّكذيب وبتخفيف الذّال بمعنى المكاذبة [جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ] لتشريفهم اصناف الجزاء ههنا الى الرّبّ [عَطَاءً حِسَابًا] كافياً اوعلى قدر اعمالهم [رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ] قرئ رَبّ السّماوات، والرّحمن بالجرّ والرّفع [لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا] منه حال من خطاباً او ظرف لغو متعلّق بلا يملكون اى لا يملكون مخاطبته اولا يملكون من اذنه مخاطبةً ولا يقدرون ولا يؤذنون فيها [يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ] ظرف لواحد من الافعال السّابقة اولقوله : لا يتكلّمون ، والرّوح ههنا عبارة عن ربّ النّوع الانسانىّ الّذى هواعظم من جميع الملائكة ومقامه فوق مقام جميع الملائكة بل فوق عالم الامكان لم يكن مع احدٍ من الانبياء (ع) ؛ وكان مع محمّد (ص) وبعده مع اوصيائه (ع) ويعبّر عنه بروح القدس [وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا] فى صفّ اوحالكونهم مصطفّين [لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ] فى الدّنيا [صَوَابًا] اوقال عندالله صواباً [ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا] اى من شاء اتّخذ الى ربّه المضاف الى علىّ (ع) مآباً ، اومن شاء اتّخذ الى ربّه المطلق مآباً ، والمآب حينئذٍ هوالولاية واتّباع علىّ (ع) [إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ان كان ذلك اليوم الحقّ فما فعلت بهم لاجل ذلك اليوم ؟- فقال: انّا انذرناكم [عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ] بدل من عذاباً نحو بدل الاشتمال اوحال من عذاباً [مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ] من خير اوشرّ وهو يوم الموت اويوم القيامة الكبرى [وَيَقُولُ الْكَافِرُ] بالولاية [يَا لَيْتَنِي] اى ياقوم ليتنى [كُنْتُ تُرَابًا] فى الدّنيا فلم يكن لى حشر ونشر وحساب وعقاب، اوليتنى كنت تراباً فى هذا اليوم فلم يكن لى حسابٌ ، اوليتنى كنت تراباً قابلاً لخلق الاشياء الاُخر منّى فانّ الكافر بسبب الفعليّات السّيّئة الحاصلة فيه لا يكون قابلاً لفعليّات اُخر منه فيتمنّى ان يكون تراباً مستعدّاً لان يخلق فيه صور اخرى ، وقيل بعد مايحشر الخلائق فى صعيد واحد ويقتصّ من الظّالم للمظلوم حتّى للجمّاء من القرناء يقول الرّبّ لغير الثّقلين : انّا خلقناكم وسخّرناكم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم ايّام حياتكم فارجعوا الى الّذى كنتم كونوا تراباً ، فاذاً التفت الكافر الى ماصار

تراباً يقول: ياليتنى كنت على صورة شيء منها وكنت اليوم تراباً، وقيل: المراد بالكافر ابليس اذا رأى كرامة آدم وولده وقد عابه على كونه من طين يتمنّى ان يكون اصله تراباً، اوالمراد بالكافر الكافر بالولاية فانّه يتمنّى ان يكون من شيعة علىّ (ع) فانّه روى عن ابن عبّاس انّه سئل: لم كنّى رسول الله (ص) علياً (ع) ابا تراب؟ قال: لانّه صاحب الارض وحجّة الله على اهلها بعده وله بقاؤها واليه سكونها قال: ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول: انّه اذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما اعدّ الله تبارك وتعالى لشيعة علىّ (ع) من الثّواب والزّلفى والكرامة قال: ياليتنى كنت تراباً اى من شيعة علىّ (ع) وذلك قول الله عزّوجلّ: ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً.

سورة النّازعات

ستّ واربعون آية، مكّيّ كلّها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالنّٰازِعٰاتِ غَرْقًا] اقسم تعالى شأنه بالنّفوس المشتاقة الى اوطانها الحقيقيّة من نزع نزوعاً اشتاق، او بالنّفوس المرتدعة عن النّفس وعلائقها من قولهم: نزع من الامر انتهى، الّتى تغرق فى الاهتمام بالسّير الى الله، او فى بحار حبّه، اوفى بحار صفاته، اوفى بحر الاحديّة [وَالنّٰاشِطٰاتِ نَشْطًا] اى النّفوس النّاشطات الطّيّبات فى السّير الى الله، اوالنّاشطات فى الخروج من دار النّفس، اوالخارجات من دار النّفس الى دار القلب، اوالمراد بالنّازعات ملائكة العذاب تنزع ارواح الكفّار، وبالنّاشطات ملائكة الرّحمة تخرج ارواح المؤمنين برفق، اوالمراد بالنّازعات النّجوم تنزع من مطالعها وتغرق فى مغاربها، والنّاشطات النّجوم الّتى تخرج من برج الى برج، اوالمراد بالنّازعات القسىّ تنزع بالسّهم، والمراد بالنّاشطات الخيل السّمينة فى الجهاد، اوالمراد بالنّازعات النّفوس المشتاقة الى الله، وبالنّاشطات النّفوس المسرعة فى الخروج عند الموت [وَالسّٰابِحٰاتِ سَبْحًا] النّفوس السّابحة فى بحار اوصافه تعالى، اوالجارية المسرعة الى الله، او الملائكة الّذين يسرعون فى امر الله من غير تأمّل وتوان كالسّابح فى الماء، او الملائكة الّذين يسبحون ارواح المؤمنين يسلّونها سلّاً رفيقاً ثمّ يدعونها حتّى تستريح كالسّابح بالشّيء فى الماء، اوالملائكة الّذين ينزلون من السّماء الى الارض باسراع كما يقال للفرس الجواد سابح، اوالنّجوم الّتى تسبح فى فلكها، او خيل الغزاة تسبح فى عدْوها [فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقًا] الملائكة الّذين سبقوا ابن آدم بالخير، اوسبقوا الشّيطان فى حفظ ابن آدم منه، اوسبقوا الشّيطان بالوحى الى الانبياء (ع)، اوالّذين سبقوا بأرواح المؤمنين الى الجنّة، اوالنّفوس البشريّة الّتى تسبق سائر النّفوس فى الذّهاب الى الله اوالقرب منه، اوالّتى تسبق الملائكة فى المرتبة، اوالّتى تسبق ملك الموت فى الخروج الى الله شوقاً اليه، اوالنّجوم الّتى يسبق بعضها بعضاً فى السّير، اوخيل الغزاة يسبق بعضها بعضاً [فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْرًا] اى الملائكة المدبّرة امر اهل الارض، او الرّؤساء من الغزاة يدبّرون امر الجنود والجهاد، اوالنّفوس الكاملة الرّاجعة من السّير الى الله فى السّير الى العباد لتكميلهم، او النّفوس السّالكة المدبّرة امر السّير الى الله دون المجذوبة اليه من غير سلوك، اوالنّجوم المدبّرة امر العالم، وعطف الاخيرين بالفاء للاشعار بشرافة الصّفتين اوالصّنفين، وجواب القسم محذوف بقرينة الاتى كأنّه قال: لتبعثنّ [يَوْمَ تَرْجُفُ الرّٰاجِفَةُ] ظرف للمدبّرات

امراً ، اولمحذوف هوجواب القسم اى لتبعثنّ يوم ترجف الرّاجفة ، اولقوله تعالى : تتبعها الرّادفة ، اولقوله تعالى : واجفة ، ويكون يومئذ تأكيداً له اولاذكر اوذكّر مقدّراً ورجف بمعنى حرّك وتحرّك واضطرب شديداً ، ورجفت الارض زلزلت ، والمراد بالرّاجفة النّفخة الاولى [تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ] اى النّفخة الثّانية والجملة استيناف جوابٌ لسؤال مقدّر سواء جعل يوم ترجف الرّاجفة متعلّقاً به ، اولم يجعل اوحال [قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ] مضطربة [أَبْصَارُهَا] اى ابصارالقلوب [خَاشِعَةٌ] وفى اضافة الابصار الى القلوب اشعار بانّ ابصار الابدان تصير فى ذلك اليوم متعطّلة [يَقُولُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما يقولون فى حقّ هذا اليوم ؟ ـ فقال : ينكرونها ويقولون [أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ] اى فى اوّل حالنا يعنى فى الحياة الثّانية المشابهة للحياة الاولى ، والحافرة الخلقة الاولى ، والعود فى الشّيء حتّى يردّ آخره على اوّله [ءَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً] بالية متفتّتة [قَالُوا تِلْكَ] الكرّة [إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ] يعنى خاسر اهلها يعنى قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء ، اوعلى سبيل الفرض والتّشكّك [فَإِنَّمَا هِيَ] اى الكرّة اوالرّجعة [زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ] اى صيحة واحدة لانّ الزّاجر للشّيء فى الاغلب يكون زجرة بصياحة وللاشارة الى سهولتها عليه تعالى وسرعة خروجهم من القبور بالصّيحة اطلق الصّيحة الى الرّجعة ووصفها بالواحدة [فَإِذَا هُمْ] من القبور [بِالسَّاهِرَةِ] اى على وجه الارض ، وقيل : السّاهرة موضع بالشّام [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قال : ما افعل بهؤلاء المنكرين المكذّبين ؟ـ وما تفعل انت بهم ؟ ـ فقال : افعل بهم ما فعل موسى (ع) بفرعون وقومه ، ونفعل بهم مافعلنا بفرعون وقومه ، فلاتكن فى ضيق ممّا يمكرون فانّ لك عليهم سلطاناً كما لموسى (ع) على قوم فرعون [إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ] حال بتقدير القول او مستأنف جوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول [إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ] ميل [إِلَى أَنْ تَزَكَّى] اى تتطهّر ممّا انت فيه من الشّرك والذّنوب اوتتنعّم ، اوتنمو فيما انت فيه من العزّ والسّلطنة ، وهذا تعليم لموسى (ع) كيف يتكلّم له بالقول اللّيّن [وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى] فحصل لك مقام الخشية الّتى هى للعالم بالله [فَأَرَاهُ] اى فأتاه ودعاه بالملاينة معه فأربه [الْآيَةَ الْكُبْرَى] الّتى هى الثّعبان او اليد البيضاء [فَكَذَّبَ وَعَصَى] فى حضوره [ثُمَّ أَدْبَرَ] عنه طلباً لمايكسر به آيته ظنّاً منه انّ آيته سحر [يَسْعَى] يجهد فى طلب مايكسر به حجّته ، اويسعى فى الافساد فى الارض [فَحَشَرَ] قومه وجنوده واهل مملكته [فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى] عطف على نادى عطف التّفصيل على الاجمال وكان مقصوده من هذا التّمويه على العوامّ وانكاران يكون فوقه ربّ سواه ، وقيل : كان مقصوده انّ الاصنام اربابٌ لكم وانا ربّكم وربّ الاصنام [فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى] نكال مفعول مطلق من غير لفظ الفعل ، اومنصوب بنزع الخافض اى اخذه الله بنقمة لائقة لكلمته الآخرة الّتى هى قوله : انا ربّكم الاعلى ، والاولى الّتى هى قوله : ماعلمت لكم من آله غيرى فانّ الكبرياء والانانيّة كانت رداءه تعالى فمن نازعه فى ردائه اخذه اخذاً شديداً ، وكان بين الكلمتين كما عن ابى جعفر (ع) اربعون سنة [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً] واتّعاظاً [لِمَنْ يَخْشَى] الله تعالى بالغيب وكان فى مقام العلم وقد خرج من مقام الظّنّ الّذى كان لاصحاب النّفوس ولم يصل الى مقام الشّهود [ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا] عظماً واتقاناً وادامة [أَمِ السَّمَاءُ] يعنى انّ

خلقكم ابتداءً اضعف من خلق السّماء وقد خلقكم وخلق السّماء فكيف يكون عاجزاً عن خلقكم ثانياً [بَنٰاهٰا] جواب لسؤال مقدّر اوحال [رَفَعَ سَمْكَهٰا] اى جهتها المرتفعة [فَسَوّٰيهٰا] اى اتمّها بجميع ما فيها و جميع ما فيه مصالح العباد [وَاَغْطَشَ لَيْلَهٰا] اى جعل ليلها مظلماً [وَاَخْرَجَ] من اللّيل او اظهر [ضُحٰيهٰا] و نسبة اللّيل والضّحى الى السّماء لكونها مبدأهما وهذه الجمل تفصيل لسوّيها فانّ تتميمها يكون بماذكر بعدها [وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰيهٰا] اى بعد بناء السّماء و رفع سمكها واظلام ليلها واخراج ضحيها، ودحوالارض عبارة عن بسطها.

اعلم، انّه لاتقدّم لسماء العالم الكبير على ارضها، وما ورد فى الآيات والاخبار مشعراً بتقدّم خلق الارض على السّماء اوتقدّم السّماء على الارض فمؤوّل لانّه ليس بين الارض والسّماء علّيّة لعدم جواز العلّيّة بين الاجسام كما قرّر فى محلّه و لذلك قيل: المراد بقوله تعالى بعد ذلك مع ذلك اى الارض مع بناء السّماء دحاها فليكن المراد بدحوالارض بسطها بتوليد مواليدها: فانّ مرتبة المواليد فى الخلقة بعد مرتبة العناصر والسّماوات، اوليكن بعد بمعنى مع كماقيل، اوليكن المقصود من الارض والسّماء مافى العالم الصّغير فانّ سماءه بوجه مقدّمة على ارضه و بوجه مؤخّرة [اَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَمَرْعٰيهٰا وَالْجِبٰالَ اَرْسٰيهٰا] اى اثبتها فى اوساط الارض لتوليد المعادن فيها وانبات النّبات والاشجار الّتى لاتنبت الّا فيها وسهولة اجراء المياه من تحتها والعيون على سفحها [مَتٰاعًا لَكُمْ وَلِاَنْعٰامِكُمْ] اى حالكونها اشياء تتمتّعون بها فى معاشكم اولتمتّعكم وتمتّع انعامكم فقوله متاعاً حال اومنصوب بنزع الخافض وليس مفعولاً له لعدم اتّحادمرفوعه مع مرفوع عامله، اوهومفعول مطلق لفعل محذوف [فَاِذٰا جٰاءَتِ الطّٰامَّةُ الْكُبْرٰى] يعنى اذاكان خلق السّماء اشدّ من خلقكم ابتداء، وخلقكم ثانياً اسهل من خلقكم ابتداءً فلا مانع من خلقكم ثانياً و قد اخبركم به فهومحقّق لامحاله فاذا جاءت القيامة، سمّيت بالطّامّة لانّ الطّامة الدّاهية الّتى تغلب ماسواها والقيامة داهية تغلب جميع الدّواهى [يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ] اى ما عمله فانّ يوم القيامة يوم التّذكر و دار الآخرة دارالتّذكر فيتذكّر الانسان فيها جميع ماعمله بمعنى انّه يرى آثاره على نفسه و يشاهدها و يشاهد جزاءها [وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ] اى لمن يراها اى لمن كان من شأنه رؤيتها فانّ منهم من لايراها اصلاً و ليس من شأنه رؤيتها [فَاَمّٰا مَنْ طَغىٰ] طغى يطغو من باب نصر وطغى يطغى من باب منع خرج من الطّاعة [وَاٰثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا] على الحياة الآخرة [فَاِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ] اى مأواه [وَاَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ] عن مقامه عند ربّه او قيام ربّه للحساب، اومحلّ قيام ربّه للحساب، اوتمكّن ربّه وقدرته عندالحساب [وَنَهَى النَّفْسَ] اى نفسه [عَنِ الْهَوىٰ] اى هواها [فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّٰاعَةِ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل بعد ما سجّل عليهم قيام السّاعة: ما يقولون فيها؟ ـ فقال: يسألونك عن وقتها، او استفهام بتقدير حرف الاستفهام [اَيّٰانَ مُرْسٰيهٰا] اى متى يكون ثباتها [فِيمَ اَنْتَ مِنْ ذِكْرٰيهٰا] تفخيم لامرها ونفى لعلمه (ص) بها تأكيداً فى اخفائها [اِلىٰ رَبِّكَ مُنْتَهٰيهٰا] يعنى انّ السّاعة منتهاها الرّبّ فان كنت تقدرعلى معرفة الرّبّ تقدرعلى معرفتها، او المعنى الى ربّك المضاف و ظهوره منتهى وقت السّاعة يعنى انّ السّاعة اي وقت القيام عندالله من اوّل الموت الى ظهور ربّك عليك، وحين ظهورالرّبّ يكون تمام القيام عندالله سواء كان الموت اختياريّاً اواضطراريّاً و لذلك فسّرت

السّاعة تارةً بظهور القائم (ع) وتارةً بالقيامة وتارةً بالرّجعة وتارةً بالموت، فانّ الكلّ بعد طيّ البرازخ اختياراً او اضطراراً ينتهي الى عليّ (ع) فانّ آيات الخلق اليه وحسابهم عليه و رجوعهم اليه (ع) وهو قيامتهم وهو رجعتهم سواء جعل المراد بالرّجعة الرّجعة الى الصّحو بعد المحو، او الى القوى والجنود بعد الفناء عنها، او الرّجعة الى الآخرة وهو ظاهر، او الرّجعة الى الدّنيا فانّه بعد رجوعهم الى امامهم كان اوّل رجعتهم الى الدّنيا والى المراتب الدّانية الّتي كانوا مدبرين معرضين عنها، و بعد ما نفى علمه بالسّاعة حصر شأنه في الانذار تأكيداً لنفي علمه بالسّاعة فقال [إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا] يعني محصور شأنك في انذار من كان عالماً بها و باهوالها لا ينفع انذارك لغيرهم ولا شأن لك سوى ذلك الانذار [كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا] وهذا جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما كان حالهم في السّاعة؟ فقال: كانوا حين يرونها كأنّهم لم يلبثوا في السّاعة الّا آخر النّهار او اوّله حتّى اخرجوا الى النّار، او كأنّهم لم يلبثوا في الدّنيا لصغر الدّنيا في اعينهم او لشدّة اهوالهم الّا ساعة من النّهار.

سورة عبس

مكّيّة كلّها، ثنتان واربعون او احدى واربعون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[عَبَسَ وَتَوَلَّى] قيل: نزلت الآية في عبدالله بن امّ مكتوم كان اعمى وذلك انّه جاء الى رسول الله (ص) وعنده جمع من صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام وفي رواية كان عنده عتبة بن ربيعة وابوجهل والعبّاس و أبيّ وامّيّة ابنا خلف يدعوهم الى الله و يرجوا سلامهم فقال: يارسول الله (ص) اقرأني وعلّمني ممّا علّمك الله فجعل يناديه و يكرّر النّداء ولا يدري انّه مشتغل بغيره، فظهرت الكراهة في وجه رسول الله (ص) و يقول في نفسه: يقول هؤلاء الصّناديد انّما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه و أقبل على القوم وكان رسول الله (ص) بعد ذلك يكرمه و يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي، و روى عن الصّادق (ع): انّ المراد كان رجلاً من بني اميّة كان عند النّبيّ (ص) فجاء ابن امّ مكتوم فلمّا رآه تقذّر[1] منه وجمع نفسه واعرض عنه فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه، وعن القمّيّ انّها في عثمان وابن امّ مكتوم وكان مؤذّناً لرسول الله (ص) وجاء الى رسول الله (ص) فقدّمه رسول الله (ص) على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه [أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى] يتطهّر او يصلح في اعماله كمال الصّلاح او ينمو في دينه و ايمانه [أَوْ يَذَّكَّرُ] اى يتذكّر ان لم يكن يتزكّى [فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى] حتّى يسلم بعد او ينتفع بها حين موته [أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى] في ماله او استغنى عن الاسلام [فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى] تتعرّض [وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى] ولا بأس عليك في ان لا يتطهّر ذلك الغنيّ او اىّ شيء يرد عليك في ان لا يتزكّى، او ليس عدم تزكيته و بالاً عليك، وقال القمّيّ: المعنى لا تبالي ازكيّاً كان او غير زكيّ اذا كان غنيّاً [وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى] في طلب الدّين وازدياد ايمانه [وَهُوَ يَخْشَى] ربّه بالغيب [فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى] وقد استبعد بعض العلماء كون الآيات في رسول الله (ص) لبعد مقامه عن العبوس والتّولّي عن الاعمى، وعلوّ رتبته عن ان يصير معاتباً بمثل هذا العتاب، اقول: لو كانت الآيات فيه (ص) والعتاب له لم يكن فيه نقص لشأنه ولم يكن منافياً لما قاله تعالى في حقّه من قوله: انّك لعلى خلق عظيم فانّ اقباله (ص)

(١) اى تنفّر.

وادباره وعبوسه واستبشاره كان لله فانّ عبوسه ان كان لمنع الاعمى عن نشر دين الله واستماع كلماته لاعداء الله واعداء دينه وتقريبهم الى دينه لم يكن فيه نقص فيه وفي خلقه ، وامّا امثال العتاب له (ص) فانّها تدلّ على تفخيمه والاعتداد به فانّ كلّها كانت بايّاك اعني واسمعي ياجارة فالخطاب والعتاب يكون لغيره لا له ، وكذا زريه[1] تعالى له (ص) بالعبوس والتولّي يكون متوجّهاً الى غيره في الحقيقة [كَلَّا] ردع له عن مثله [إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ] اى القرآن ، وتأنيث الضمير لمطابقة المسند اوالرّسالة تذكرةٌ فليس لكئ ان تكون حريصاً على قبولهم اوولاية علىّ (ع) تذكرة [فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ] اى القرآن اوشأن الرّسالة اوالولاية [فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ] حال اوخبر بعد خبره ، ويجوز ان يكون ظرفاً لغواً متعلّقاً بقوله تعالى ذكره ، والمراد بالصّحف المكرّمة الالواح العالية ، اوالاقلام العالية ، الّتي هي العقول الطوليّة اوالعرضيّة اوصحف قلوب الانبياء (ع) ونفوسهم [مَرْفُوعَةٍ] عن نيل الايدي النّاقصة [مَطَهَّرَةٍ] عن نقائص المادّة وسؤاتها [بِأَيْدِي سَفَرَةٍ] جمع السّافر بمعنى الكاتب ، اوالمراد الملائكة الّذين كانوا سفراء بينه وبين انبيائه (ع) [كِرَامٍ بَرَرَةٍ] بارّين الى الانبياء (ع) ، اوالى الخلائق ، اومحسنين في انفسهم مطيعين لامر ربّهم [قُتِلَ الْإِنْسَانُ] دعاء على الانسان المطلق بسبب شأنه الّذي اودعه الله فيه من كفران النّعمة ، اوالكفر بالله ، اوالرّسول (ص) اوالولاية ، وجوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما حال الانسان مع ما جعلته تذكرة من القرآن اوشأن الرّسالة اوالولاية ؟ ـ فقال : قتل الانسان [مَا أَكْفَرَهُ] يعنى حاله شدّة الكفران اوالكفر ، والصّيغة للتّعجّب اومركّبة من لفظة ما الاستفهاميّة والفعل الماضي من باب الافعال ، ويجوز ان يكون المقصود من قوله ما اكفره ما اكفره بعلىّ (ع) [مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل : هل له ما يدلّه على الآلهة اوالرّسالة اوالولاية اوالبعث ؟ ـ فقال : من اىّ شيء خلقه حتّى يعلم انّ ذلك حقّ فالاستفهام للتّقرير [مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ] يعنى خلقه من نطفة ضعيفة الوجود لاتحفظ صورته بنفسه آنين قذرة منتنة ادلّ دليل على المبدء والرّسالة والولاية والبعث [فَقَدَّرَهُ] بحسب اعضائه واجزائه ومقدار طوله وعرضه قدراً يليق بشأنه ويتمشّى منه الافعال المترقّبة منه بسهولة [ثُمَّ السَّبِيلَ] اى سبيل الخروج من بطن امّه ، اوسبيل السّلوك لطلب معيشة ، اوسبيل السّلوك الى الله وطلب معاده ، اوسبيل السّلوك من الدّنيا الى الآخرة بالموت الاضطرارىّ [يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ] عن صورة وفعليّة ينبغى ان تطرح [فَأَقْبَرَهُ] في صورة اخرى الى ان اماته عن جميع الصّور بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ فأقبره في القبر التّرابىّ وفي الصّور البرزخيّة والمثاليّة [ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ] من قبره [كَلَّا] ردع للانسان عن ترقّب رؤية ما ذكره من النّشر [لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ] اى لمّا يقض ذلك الانسان ما امره الله من اخلاص العبادة واتمام العبوديّة حتّى يشاهد ما يتمنّى شهوده من النّشر والحساب والعقاب ، اولمّا يقض الانسان ما امره الله تعالى به من الاوامر الشّرعيّة القالبيّة حتّى يشاهد آثار الالهة اوالرّسالة اوالولاية ، اويشاهد نشر العباد وحسابهم من طريق باطنه ، اولمّا يقض الله ما امره وقدّره من حشر الخلائق ونشرهم وحسابهم وثوابهم وعقابهم حتّى يشاهدوا ما نقول من نشر الخلائق [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ] الى الاسباب والمسبّبات ويشاهد كيفيّة ترقّيها وترتّبها ووصولها الى غاياتها ومسبّباتها حتّى يعلم بعلم اليقين انّ لها آلهاً وانّ له رسولاً واماماً ، وانّ الانسان ينتهى في تقلّباته الى ان خرج من قشره وقالبه ، ووصل الى لبّه وقلبه ، والى حسابه وربّه فلينظر من جملة الاسباب والمسبّبات [إِلَى طَعَامِهِ] الصّورىّ والمعنوىّ [أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ] من السّحب [صَبًّا] عجيباً يكون بقدر الحاجة وليس كثيراً بحيث يستضرّون به ولا في غير وقت الحاجة [ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا] بانبات النّبات والاشجار [فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا]

(١) نسبة الله تعالى عيب العبوس والتّولّى اليه (ص) .

نباتاً ذاحبّ [وَعِنَبًا] خصّه من بين الفواكه لكثرة منافعه [وَقَضْبًا] القضب جمع القضبة وهى ما اكل من النّبات المقتضب غضّاً [وَزَيْتُونًا] شجرالزّيتون [وَنَخْلًا] تخصيصهما من بين الاشجار بالذّكر لكثرة منافعهما كالعنب [وَحَدَائِقَ غُلْبًا] جمع الغلباء الحديقة المتكاثفة [وَفَاكِهَةً] وسائر انواع الفواكه [وَأَبًّا] الكلأ والمرعى وما انبتت الارض [مَتَاعًا] هو بمعنى التّمتيع او بمعنى التّمتّع مفعول له اومنصوب بنزع الخافض اومفعول مطلق لمحذوف هو حال ، اوبمعنى ما يتمتّع به فيكون حينئذٍ حالاً [لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ] فكيف نهملكم بعد ما بلّغناكم من ادنى مراتب وجودكم وهومقام كونكم نطفةً قذرةً الى اعلى مقاماتكم وهومقام روحانيّتكم ومشاركتكم للملائكة بل تبعثكم الى عالم اعلى من عالمكم [فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ] الصّخّ الضّرب بشيءٍ صلب على مصمت، والصّاخّة صيحة تصمّ الاسماع لشدّتها والقيامة والدّاهية ، والكلّ مناسب ههنا [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ] يوم الموت اويوم القيامة الكبرى [وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ] تأكيد ليوم يفرّ المرء من اخيه وهو متعلّق بيغنيه اويوم يفرّ المرء من اخيه ظرف لجاءت اولمحذوف اى اذكر ويومئذ متعلّق بيغنيه [شَأْنٌ يُغْنِيهِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ] مشرقة [ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ] لما رأته ممّا اعدّالله لها [وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ] الغبرة محرّكة الغبار [تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ] تغشيها كدرة وسواد من هول القيامة والقتر والقترة محرّكتين والقترة بالفتح والسّكون الغبار اوالتّلطخ بالغبار، وقيل: الغبرة ماانحطّ من السّماء الى الارض، والقترة ماارتفعت من الارض الى السّماء ، وهذا مناسب لتأدية اللّفظين بقوله: عليها غبرة ترهقها قترة [أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ] فى علومهم [الْفَجَرَةُ] فى اعمالهم فهم النّاقصون فى قوّتيهم العلّامة والعمّالة .

سورة التكوير

مكّيّة كلّها، تسع وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] التّكوير التّلفيف على التّدوير والصّرع ، كوّره صرعه ، وكوّر المتاع جمعه وشدّه ، والتّكوّر التّقطّر والتّشمّر والسّقوط ، والكلّ مناسب ههنا ، والمراد بوقت تكوير الشّمس وقت الموت وظهور آثار الآخرة ، اووقت القيامة الكبرى [وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ] بذهاب ضوئها [وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ] باندكاكها وانتثارها اوبسيرها فى الاصقاع فانّك ترى الجبال تحسبها جامدةً وهى تمرّ مرّ السّحاب بتجدّدها فى جوهرها، وهكذا حال جبال الانيّات [وَإِذَا الْعِشَارُ] جمع العشراء وهى النّاقة الّتى اتت عليها من حملها عشرة اشهر، وتسمّى بهذا الاسم بعد وضعها وهى انفس مال عندالعرب [عُطِّلَتْ] واهملت بلا راعٍ [وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ] اى وحوش العالم الصّغير عند الموت ووحوش العالم الكبير فى القيامة [وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ] سجّر التّنّور احماه ، والنّهر ملأه والماء فى حلقه صبّه ، والمسجور البحر ، وتسجير الماء تفجيره ، فقيل : المعنى اذا البحار ارسل مالحها

على عذبها ، وعذبها على مالحها حتى امتلأت، وقيل: فجّر بعضٌ في بعضٍ فصارت البحور بحراً واحداً ، وقيل: اوقدت فصارت المياه نيراناً ، وقيل: يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة ، وقيل: ملأت من القيح والصديد الذى يسيل من ابدان اهل النار في النار [وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ] كلّ مع سنخه من الاناسيّ والشياطين ، او مع الملك والحور العين والجنّة والشياطين ، اوكلّ مع بدنه المناسب له ، اوكلّ مع جزاء عمله في الآخرة [وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ] الموؤدة الجارية المدفونة حيّاً ، كانوا يدفنون البنات حيّاً خوفاً من لحوق العار ، كانوا يقولون: انّها يُسبين فيتزوّجن في غير اهلهنّ ، اوخوفاً من العيلة، وقيل: كانت المرأة اذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها ، فان ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة [بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] والمقصود انّه يسئل عن الموؤدة نفسها او يسئل القاتلون عن حالها [وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ] اى صحف الاعمال نشرت للحساب والجزاء [وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ] ازيلت عن موضعها [وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ] اوقدت حتّى ازدادت شدّة على شدّة [وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ] قربت من اهلها للدّخول فيها او قربت ليشاهدها المؤمنون فيزداد سرورهم [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ] النفس في معنى الجنس الحاصل في عموم الافراد مثل قولهم تمرةٌ خير من جرادةٍ ، وما استفهاميّة معلّق عنها الفعل اوموصولة ، اوالمراد بنفسٍ فرد عظيم في النكارة لايمكن ان يعرّف وهو نفس الثاني [فَلَا أُقْسِمُ] لا زائدة اوجوابيّة او نافية ، والمعنى لااقسم لعدم الحاجة الى القسم لوضوح المقسم عليه [بِالْخُنَّسِ] الخنّس الكواكب كلّها اوالسيّارة ، اوالنجوم الخمسة السيّارة غير النيّرين ، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها تحت الافق اوتحت ضوء الشمس [الْجَوَارِ] السيّارات كجريان السفن في البحار [الْكُنَّسِ] اى المتواريات في البروج ، وقيل: خنوسها اختفاءها بالنهار تحت ضوء الشمس، وكنوسها انّها تغيب في الافق وقت غروبها [وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ] اى اذا ادبر اواقبل، فانّ العسعسة من الاضداد تستعمل في الادبار والاقبال [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ] شبّه امتداد الشفق بتنفّس الانسان [إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] اى القرآن ليس من عند نفس محمّد (ص) بل هو قول جبرئيل او قرآن ولاية علىّ (ع)، او نصبه بالخلافة والولاية قول جبرئيل الذى هو رسول من الله الى الانبياء (ع) وله الكرامة عند الله [ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ] في الملائكة او في جملة المخلوقات لانّه في العالم الكبير بمنزلة النفس الانسانيّة في العالم الصغير [ثَمَّ أَمِينٍ] على وحى الله ومدائن علمه ، وروى عن الصادق (ع) في قوله ذى قوّةٍ عند ذى العرش مكينٍ انّه قال يعنى جبرئيل قيل: قوله مطاعٍ ثمّ امينٍ قال يعنى رسول الله (ص) هو المطاع عند ربّه الامين يوم القيامة [وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ] عن الصادق (ع) يعنى النبيّ (ص) في نصبه امير المؤمنين (ع) علماً للناس [وَلَقَدْ رَآهُ] اى رأى القرآن او قرآن ولاية علىٍّ (ع) اوجبرئيل اوعليّاً (ع) [بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ] وهو افق عالم الغيب [وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ] اى بخيلٍ حتّى يكتمه ولا يظهره عليكم، وقرئ بالظاء المؤلّف بمعنى المتّهم من الظنّة بالكسر بمعنى التهمة ، وروى عن الصادق (ع) انّه قال : وما هو تبارك وتعالى على نبيّه (ص) بغيبه بضنينٍ عليه [وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ] عن علىٍّ (ع) [إِنْ هُوَ] اى القرآن اوعلىّ (ع) [إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ] وعن الصادق (ع) انّه قال: أين تذهبون في علىٍّ ان هو الا ذكرٌ للعالمين لمن اخذ الله ميثاقه على ولايته [لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ]

بدل من قوله للعالمين بدل البعض من الكلّ [أَنْ يَسْتَقِيمَ] فى طاعة علىّ (ع) والائمّة من بعده كما عن الصّادق (ع)، او يستقيم فى افعاله واقواله واحواله واخلاقه اى يتمكّن على الصّدق فيها [وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] روى عن الكاظم (ع) انّ الله جعل قلوب الائمّة موردا لارادته فاذا اراد الله شيئا شاؤه وهو قوله تعالى : وما تشاؤن الّا ان يشاء الله ربّ العالمين وقد مضى بيان هذه العبارة فى سورة الدّهر بطريق الاجمال .

سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

مكّيّة كلّها، تسع عشر آيةً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ] انشقّت مثل قوله تعالى: يوم تشقّق السّماء بالغمام [وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ] تفرّقت بالتّساقط عن محلّها [وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ] انفجر الماء وتفجّر سال ، وفجره من الثّلاثىّ المجرّد وفجّره من التّفعيل اساله ، والمراد سيلان البحار بعضها فى بعضها ، او سيلان مائها بحيث لم يبق فيها ماء [وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ] بعثر نظر وفتّش ، وبعثر الشّيء فرّقه وقلّب بعضه على بعض واستخرجه وكشفه وأثار ما فيه ، وبعثر الحوض هدمه وجعل اسفله اعلاه ، والمراد وقت الموت اووقت البعث [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ] قد سبق هذه العبارة فى اوّل سورة التّكوير وقد سبق معنى التّقديم والتّأخير فى سورة القيامة عند قوله تعالى : ينبّؤا الانسان يومئذ بما قدّم وأخّر [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ] التّوصيف بالكرم تهكّم به حيث يقول المغترّون به تعالى: انّ الله كريم فيقول تبارك وتعالى : انّ الله كريم لكنّك ما عملت ما استحققت به كرمه، اوالمنظور تلقينه حجّة غروره كأنّه قال: ماغرّك بربّك غير كرمه والمقصود انّك مافعلت فعلا لائقا لكرمه حتّى يعمّك كرمه [الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ] بخلق جميع ما تحتاج اليه فى معاشك ومعادك [فَعَدَلَكَ] جعلك معتدلا فى بدنك ونفسك لم يجعل قامتك طويلة بحيث لايمكنك تحصيل مأكولها ومشروبها وملبوسها ومسكونها ، ولاقصيرة بحيث لايتمشّى منها بعض الافعال المترقّبة منها ، وجعل اعضاءك متوافقة كلّا مع الآخر والكلّ مع البدن والنّفس [فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ] اىّ شرطيّة وما زائدة لتأكيد الابهام ، وشاء فعل الشّرط وركّبك جزاء الشّرط ، اواىّ شرطيّة وما شرطيّة بدل منها اوفى اىّ صورة استفهام تفخيمىّ وماشاء ركّبك جملة شرطيّة ، اواىّ استفهاميّة للتّفخيم وما زائدة لتأكيد الابهام والتّفخيم ، وشاء صفة صورة بتقدير العائد وركّبك مستأنفة متعلّقة للظّرف والمراد بالصّورة المركوبة الصّورة البدنيّة من الحسن والقبيح، والطّويل والقصير ، والذّكر والانثى، والابيض والاسود، اوالصّورة النّفسيّة والاخلاق الباطنيّة ، اوالصّورة الّتى هى الفعليّة الاخيرة من الفعليّات العلويّة الملكوتيّة اوالسّفليّة الملكوتيّة [كَلَّا] ردع عن الاغترار بالكرم [بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ] اضراب عن الاغترار بكرمه وبيان لاغترارهم بأمانيّهم وتكذيبهم بالدّين اى الجزاء اوولاية علىّ (ع) اوشريعة محمّد (ص) [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ] حال

عن الدين وقيد للدين المكذب به فيكون هو ايضاً مكذباً به اوحال عن الفاعل وقيد للتكذيب [كِرَامًا كَاتِبِينَ] [يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ] توصيف للحافظين تفخيماً لامر الجزاء والحساب والعقاب فاذا كانوا يعلمون ما تفعلون فلا تجترؤا على معصية الله [إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: اذا كان علينا حافظون فما حالنا في الآخرة؟ فقال: ان الابرار لفي نعيم [وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا] يقاسون حرها [يَوْمَ الدِّينِ] اى يوم الجزاء [وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ] يعنى انهم حاضرون فيها في هذه الدنيا وان كانت هي غائبة عنهم فيها، اوالمعنى ماهم في الآخرة عن الجحيم بغائبين حتى يفوتونها، اوالمعنى ماهم عنها في الآخرة غائبون زماناً ما بل يكونون ابداً فيها [وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ] تفخيم لشأن ذلك اليوم وانه لايمكنك معرفته [ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ] تأكيد لذلك التفخيم [يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا] قرئ برفع يوم لاتملك على انه بدل من يوم الدين او خبر لمحذوف اومبتدء لمحذوف [وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ] لاامر لاحد لا في نفس الامر ولا بحسب الظن والتخمين كما في الدنيا، او المعنى يظهر ان الامر يومئذ لله.

سورة التطفيف

مكيّة كلّها، وقيل: مدنيّة كلّها، وقيل: مدنيّة الّا ثماني آياتٍ وهي: انّ الّذين اجرموا (الى آخر السّورة) وهي ستّ وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ] الطفيف القليل والناقص من الشيء، والمطفف كما فسرته الآية هو الذي يعطي اقل من الوزن او الكيل الذي وقع البيع عليه ويأخذ بأكثر مما وقع البيع عليه، فانه ايضاً تقليل في الثمن فالتطفيف لايكون الا في المعاملات، والمعاملات تكون بين الشخص وبين الله، او بينه وبين من فوقه في الدين مثل امامه واخوانه الذين سبقوه بالايمان، او تكون بين الشخص ومن تحت يده من اهله واولاده وخادمه وخادمته، او بينه وبين من كان مساوياً له في الدين اوفي الدنيا كسائر المؤمنين من عشائره وغيرهم، او بينه وبين من كان ادون منه كسائر فرق المسلمين، وجميع انواع الكفار، وايضاً تكون المعاملات اما في الاموال والاعراض الدنيوية او في الافعال والآداب البدنية، او في الاحوال والاغراض والاخلاق النفسية، او في العلوم والعقائد القلبية ولكل من العباد وسائر افراد الحيوان حق عليك لابد ان تؤديه وافياً ولك على كل حق لابد ان يؤدوه وافياً، فان كنت لاتوفي الحق الذي عليك كنت مطففاً، وان كنت تطلب منهم اكثر من حقك الذي عليهم كنت مطففاً فانظر الى حالك مع ربك ومع خلقه حتى لاتكون مطففاً، **هيهات هيهات!** كيف نخرج من التطفيف ونطلب من الله مالانقدر على اداء شكر عشر من اعشار ما اعطانا! ونطلب عن الخلق الثناء على مالانفعل ونغضب ان ذمونا على ما لنا من المعايب والنقائص! فمالم نخرج من الانانيات ولم نصر عبداً لله فانياً فيه لم نخرج من التطفيف فلنطلب العفو من الله والمغفرة منه لتطفيفاتنا [الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ] بان اكتالوا اجناس الناس لانفسهم [يَسْتَوْفُونَ] لم يقل اووزنوا لان المطفف في الكيل مطفف

فى الميزان ، ولانّ اكثر المعاملات كانت بالمكيال مثل هذا الزّمان فى بعض البلدان [وَإِذَا كَالُوهُمْ] اى كالوا لهم من اجناسهم ، واما جعل الضّمير تأكيداً للمرفوع فبعيد لفظاً ومعنىً لعدم اثبات الالف فى الخطّ وعدم كون المقصود كالوا بانفسهم ولكون المقصود كالوا اجناسهم للنّاس بقرينة المقابلة [أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ] فى الاتيان بالاكتيال والكيل فى القرينتين اشعار بتعمّلهم فى الكيل حين الاكتيال على النّاس والمسامحة فى الكيل حين الكيل للنّاس، قيل: لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة كانوا من اخبث النّاس فى الكيل والوزن فانزل الله عزّوجلّ: ويل للمطفّفين، فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، وقيل : الصّلوة مكيال فمن وفى لله وفى الله له ، ومن طفّف فقد سمعتم ما قال الله فى المطفّفين [أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ] استفهام للتّعجيب [يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَلَّا] ردع عن عدم ظنّ البعث [إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ] قدّم بيان احوال الفجّار لفى سجّين لانّ الكلام فيهم ولان يختم الآية بالابرار واحوالهم ، والسّجين الدّائم والشّديد وهو مبالغة فى السّجن فانّه عبارة عن الملكوت السّفلى الّتى هى دار الجنّة والشّياطين وفيها الجحيم ونيرانها وعقاربها وحيّاتها ، وهى والملكوت العليا مكتنفتان بالانسان ، فان كان اعماله من حيث انقياده تحت حكم العالم وتقليده له كان كلّما عمل منها حصل له منها صورة فى نفسه من حيث جهتها العليا وكان يكتب الكتبة اعماله فى الكتب الّتى هى من العالم العلوىّ ويعبّر عنه بالعلّيّين مبالغة فى العلوّ، وان لم يكن بتقليد العالم كان كلّما عمل من الاعمال حصل له منها صورة فى نفسه من حيث جهتها السّفلى وكان يكتب الكتبة اعماله فى الكتب الّتى هى من العالم السّفلى ويعبّر عنه بالسّجّين مبالغة فى السّجن فانّه اضيق سجن للنّفوس الانسانيّة ، ولمّا كان كلّ عالم كتاباً من الحقّ تعالى مرقوماً بصوره ونقوسه على صفحات موادّ ذلك العالم فسّر السّجّين بقوله كتاب [وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ] تفخيم وتهويل لشأن ذلك العالم [كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] من ذلك السّجن السّجّين [الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ] متجاوز عن الحقّ الّذى هو طريق القلب وهو طريق الولاية [أَثِيمٍ] بالغ فى الاثم فانّ يوم الدّين ان كان الانسان ناظراً الى وجوده واطوار وجوده كان مشهوداً له لم يكن له حاجة الى الآخرة واما المتجاوز عن طريق القلب التّابع لاهوية نفسه فهو اعمى من مشهوداته الّتى لاحاجة له الى تعمّل فى النّظر اليها، فكيف بما كان محتاجاً الى التّعمّل فى النّظر اليه! [إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا] التّدوينيّة فى بيان الاحكام الشّرعيّة ، اوفى المواعظ والنّصائح ، اوفى بيان آياتنا التّكوينيّة الحاصلة فى الآفاق اوالانفس وخصوصاً الآيات العظمى الّذين هم الانبياء والاوصياء (ع) ، اوفى بيان آيتنا العظمى الّذى هوعلىّ (ع) وولايته [قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا] ردع له عن هذا القول [بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ] اى ليس آياتنا من الاساطير بل ران، والرّين الطّبع والدّنس، وران ذنبه على قلبه غلب [مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] فانّ ما كانوا يكسبون لم يكن الّا فعليّة جهة النّفس السّفلى وهى ختم لجهتها العليا وكدرة لها وسدّ لروزنتها الى الملكوت العليا ، وروى عن الباقر (ع) : ما من عبد مؤمن الّا وفى قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنباً خرج فى تلك النّكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السّواد وان تمادى فى الذّنوب زاد ذلك السّواد حتّى يغطّى البياض، فاذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله عزّوجلّ: بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون [كَلَّا] ردع لهم عن توقّع الخير وشهود جماله تعالى فى الآخرة [إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] عن الكاظم (ع) قال يعنى امير المؤمنين (ع) قيل: تنزيل؟- قال: نعم، وعلى

هذاالمعنى انّهم عن عليّ (ع) لمحجوبون ثمّ يقال: هذاعليّ (ع) الّذى كنتم به تكذّبون [كَلَّا إِنَّ كِتٰبَ الْأَبْرٰارِ لَفِي عِلِّيِّينَ] قد مضى بيانه عندقوله كتاب الفجّارلفى سجّين [وَمٰا أَدْرٰيكَ مٰا عِلِّيُّونَ كِتٰابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ] من الملائكة فانّ عالم المثال العلوىّ مشهود لجميع الملائكة المقرّبين ، اومن الانبياء والمرسلين (ع) والاولياءالمقرّبين فانّهم بانظارهم الملكوتيّة يشهدون اعمال الخلائق وصحائف اعمالهم [إِنَّ الْأَبْرٰارَ لَفِي نَعِيمٍ] جوابٌ لسؤال مقدّر [عَلَى الْأَرٰائِكِ] جمع الاريكة السّرير فى حجلة وكلّ ما يتّكأ عليه من سرير ومنصّة وفراش اوسرير منجدّ مزيّن فى قبّه اوبيت [يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ] الرّحيق الخمر اواطيبها اوافضلها اوالخالص اوالصّافى ، وضرب من الطّيب [مَخْتُومٍ] مطبوع بحيث لايمسّه يد غير يد ساقيه [خِتٰامُهُ] اى الطّين الّذى يختم به [مِسْكٌ وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ] اى فليرغب الرّاغبون اوفليتنازع المتنازعون لافى مثل مهويّات الانفس الفانيات الزّائلات المستعقبات للحسرة والنّدامة [وَمِزٰاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ] علم لعين فى الجنّة من ارفع عيون الجنّة ، اوشرابها من اعلى اقسام شراب الجنّة ، اوتأتى اهل الجنّة من فوقهم ولذلك سمّيت بتسنيم [عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا] اى منها [الْمُقَرَّبُونَ] خالصة يعنى انّ المقرّبين يشربون منها خالصة غير ممزوجة وامّا غيرالمقرّبين فيشربون منها ممزوجةً ، اوهوكناية عن كون الابرار كلّهم مقرّبين [إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كٰانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ] جوابٌ لسؤال مقدّر [وَإِذٰا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغٰامَزُونَ] اى يشير بعضهم الى بعض بالاعين والحواجب استهزاءً ، ورد من طريق العامّة والخاصّة : انّ الآية نزلت فى عليّ (ع) ومنافقى قريش [وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ] الفكه المتلذّذ باغتياب النّاس واعراضهم وبالسّخريّة منهم [وَإِذٰا رَأَوْهُمْ قٰالُوا إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَضٰالُّونَ] حيث رأوهم غير متنعّمين فى الدّنيا ثابتين على ماهم عليه من ولاية عليّ (ع) مع كمال الضّيق ورثاثة الحال [وَمٰا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حٰافِظِينَ] لاعمالهم اوحافظين لهم عن الضّلال حتّى ينكروا عليهم ما رأوه منهم مخالفاً لما هم عليه [فَالْيَوْمَ] اى يوم القيامة سواء جعل اللّام للعهد الحضورىّ فانّ يوم القيامة مشهودٌ لله وللرّسول المخاطب (ص) ، اوللعهد الذّهنىّ اوللعهد الذّكرىّ فانّه مذكور بالالتزام عند قوله : انّ الابرارلفى نعيم [الَّذِينَ آمَنُوا] يعنى عليّاً (ع) واتباعه على ما سبق من تفسير الآيات [مِنَ الْكُفّٰارِ يَضْحَكُونَ] قيل انّه يفتح للكفّار بابٌ الى الجنّة ويقال لهم : اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم ، يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون ، وقيل : يضحكون لمّا رأوا الكفّار فى العذاب وانفسهم فى النّعيم ، ويجوز ان يقال : انّ المؤمنين فى الجنّة مسرورون من قبل الكافرين ، لانّهم كانوا فى الدّنيا يصبرون على اذاهم واستهزائهم فصار ذلك سبباً لتنعّمهم فى الجنّة وسرورهم فيها لا انّهم ينظرون اليهم ويتعجّبون من عذابهم ويضحكون منه لانّ ذلك يستلزم الحقد وتشفّى النّفس ، والمؤمنون مطهّرون منهما فى الجنّة [عَلَى الْأَرٰائِكِ يَنْظُرُونَ] تكرار لسابقه وهو ممدوحٌ فى مقام المدح [هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّٰارُ مٰا كٰانُوا يَفْعَلُونَ] يعنى هل جوزىَ الكفّار عين ما كانوا يفعلون ، على تجسّم الاعمال ، اوجزاء ما كانوا يفعلون ، والجملة حاليّة اومستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول اى على الارائك ينظرون حالكونهم يقال لهم : هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون ، اومستأنفة منقطعة عن سابقها من دون كونها جواباً لسؤال

مقدّر بل تكون ابتداء خطاب مع محمّد (ص) كأنّه قال بعد ما ذكر جزاءهم: هل يثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون ؟ والاتيان بالماضي لتحقّق وقوعه، اولانّ محمّداً (ص) كان مجازاة اهل النّار في النّار واهل الجنّة في الجنّة مشهودةً له واقعة بالنّسبة اليه ، ويجوز ان تكون متعلّقة بينظرون معلّقاً عنها العامل، يعني على الارائك ينظرون الى الكفّار هل جوّزوا ما كانوا يفعلون ام لا ؟

سورة الانشقاق

مكّيّة كلّها، ثلاث وعشرون آيةً .

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ] اعلم انّ الانسان حين الموت ينشقّ سماء روحه الحيوانيّة بخروج الرّوح الانسانيّة منها وتنتثر كواكب قواه وتنكدر وتتناثر وتندكّ جبال اعضائه وجبال انيّاته ، وتنبسط ارض بدنه واعضائه، وتخرج جميع القوى الانسانيّة والحيوانيّة الّتي هي اثقالها وتتخلّى منها ، ولمّا كان العالم الصّغير انموذجاً من الكبير كان كلّما وقع فيه وقع في الكبير ايضاً فيظهر انشقاق سماء العالم الكبير وانكدار كواكبها وانتثارها واندكاك الجبال وغير ذلك [وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا] اى سمعت وانقادت [وَحُقَّتْ] بالاستماع والانقياد لانّها مفطورة على ذلك حقّ لكّ ان تفعل كذا وحقيقٌ ان تفعل كذا، مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول بمعنىً فانّه لازم ومتعدٍّ اى حقّت بان تنقاد [وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ] اى بسطت بخروج ما به جمعها وقبضها من الرّوح الانسانيّة وباندكاك جبال العالم الكبير وتسطيح آكامها وتلالها ووهادها [وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا] من القوى الموجودة المشهودة والمكمونة في الكبير والصّغير [وَتَخَلَّتْ] من جميعها فانّ المتّصل بالملكوت يرى الملك خالياً من جميع ما براه المحجوب في الارض الصّغيرة والكبيرة [وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا] في ذلك [وَحُقَّتْ] وجواب اذا محذوف اى يلقى الانسان ربّه اوعمله [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ] أتى بالنّداء ههنا تنبيهاً للانسان عن غفلته فانّ الكدح محسوس له ومشهود ان لم يكن غافلاً والجملة مع النّداء جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل ينتهي بالانسان الى ما ذكر؟ فقال: انت غافل عن نفسك وحركاتها فتنبّه حتّى تعلم [إِنَّكَ كَادِحٌ] اى ساعٍ بالجهد والجدّ [إِلَى رَبِّكَ] او انّك كادحٌ بالجدّ الى انشقاق السّماء وتخلّي الارض ذاهبٌ الى ربّك مجاوزاً عن ذلك [كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ] تفصيل لكيفيّة ملاقاته [كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ] بان يكون فعليّته فعليّة الهيّة ويكون نفسه وقواها وبدنه ومافيه بتصرّف فعليّته الالهيّة فانّه يعبّر عن فعليّته الالهيّة الاخيرة باليمنى [فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا] لفظة سوف للتّأكيد او للتّسويف فانّ مقام المحاسبة بعد مقام ايتاء الكتاب فانّ اوّل ايتاء الكتاب يكون في الدّنيا ثمّ عند الموت ثمّ في البرازخ ثمّ في الاعراف والقيامة [وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ] اى الى من ينبغي ان يكون اهلاً له [مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ] بيده الّتي هي فعليّته الشّيطانيّة او الحيوانيّة السّبعيّة اوالبهيميّة فانّه قد يعبّر عن تلك الفعليّة بخلف الانسان وورائه لانّها خلف الانسانيّة فانّ الانسانيّة هي اللّطيفة المقبلة على الله المدبرة عن الشّيطنة والحيوانيّة وقد يعبّر عنها بالشّمال كما يعبّر عن فعليّته الالهيّة باليمين

[فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا] بقوله: یاثبوراه، یاهلاکاه ائت فانّه قد حضر وقتک [وَيَصْلَىٰ] ای یدخل [سَعِيرًا] یتقاسی حرّها [إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا] فی الدّنیا من غیر غمّ لآخرته ومن غیر حزن علی العمل لاجلها [إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ] هذه وسابقتها جوابٌ لسؤال مقدّر فی مقام التّعلیل یعنی کان مسروراً لانّه کان یظنّ انّ لایرجع الی الله اوالی الآخرة [بَلَىٰ] ردّ له عن اعتقاد عدم الرّجوع ای بلی یرجع [إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا] جوابٌ لسؤال مقدّر فی مقام التّعلیل او فی مقام بیان حالهم، او بیانٌ وتفصیلٌ للاجمال المستفاد من بلی [فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ] قد مضی بیانٌ للا اقسم، والشّفق الحمرة فی الافق من الغروب الی العشاء الآخرة، اوالمراد به النّور یّة الباقیة من النّفس لانسانیّة بعد غروبها فی البدن، اوفی المرتبة الحیوانیّة [وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ] ای ما جمع فانّ النّهار کان سبباً للنّشور واللّیل للجمع والسّکون، وکذلک لیل بدن الانسان یجمع المتضادّات ویؤلّف المتخالفات [وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ] انتظم وتکامل فی نوره، وهکذا قمر القلب اذا تکامل [لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ] ای مرتبةٌ مجاوزةٌ عن مرتبة ای بعد مرتبة من مراتب الآخرة یعنی انتم فی رکوب المراتب الاخرویّة فی الدّنیا ولکنّکم غافلون منه، اوحالاً بعد حال لورود الاحوال المختلفة علیکم، اولترکبنّ سنن من کان قبلکم مطابقین لهم بعد جمع آخر مطابقین لهم، او بعد حال اخری مطابقة لحالهم کما فی کثیر من الاخبار، وفی بعضها: لتسلکنّ سبیل من کان قبلکم من الامم فی الغدر فی الاوصیاء بعد الانبیاء (ع) وفی بعضها، اولم ترکب هذه الامّة بعد نبیّها (ص) طبقاً عن طبق فی امر المنافقین، والطّبق محرّکة غطاء کلّ شیء ومن کلّ شیء ما ساواه، ومن النّاس والجراد الکثیر او الجماعة منهم، وبمعنی الحال، [فَمَا لَهُمْ] ای ایّ نفع لهم؟ او ایّ مانع لهم؟ او ایّ حال لهم؟ ألهم الجنون؟ اوالعقل؟ [لَا يُؤْمِنُونَ] جملة حالیّة او مستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر فی مقام التّعلیل، او فی مقام بیان حالهم، اولفظة ما نافیة والمعنی فلیس لهم شیءٌ من المنافع، اولیس لهم مانع، وجملة لا یؤمنون مثل السّابق والمراد بعدم الایمان عدم الایمان بالله او بالرّسالة او بالولایة [وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ] لایخضعون لله، روی انّ النّبیّ (ص) قرأ ذات یوم واسجد واقترب، فسجد هو ومن معه من المؤمنین، وقریش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ] ای بما یضمرون فی قلوبهم او بما یجمعون فی نفوسهم من نتائج اعمالهم [فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] استثناءٌ منقطع اومتّصل والمعنی الّا الّذین آمنوا بعد منهم فیکون الماضی بعد الموصول بمعنی المضارع [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] ای غیر مقطوع اوغیر ممنون به علیهم.

سورة البروج

مکّیّة، اثنتان وعشرون آیة.

بسم الله الرحمن الرحیم

[وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ] الاثنی عشر، او المراد سماء روح الانسان الّتی هی ذات مراتب ودرجات

[وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ] الّذى هوالقيامة الكبرى للرّوح الانسانيّة الّتى لاتكون الّا بالفناء التّام [وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ] نكّرهما للاشعار بانّ الشّاهد لمقام الاحديّة لايمكن معرفته، والمشهود الّذى هومقام الاحديّة ايضاً لايعرف وقدفسّر الشّاهد بيوم الجمعة والمشهود بيوم عرفة، او بيوم القيامة، وفسّر الشّاهد بمحمّد (ص) والمشهود بيوم القيامة وفسّرا بالنّبيّ (ص) واميرالمؤمنين (ع)، وبالملك ويوم القيامة، وبنبيّ كلّ زمان وامّته، وبمحمّد (ص) وجميع الخلق، وبهذه الامّة وسائرالامم، وباعضاء بنى آدم وانفسهم، وبالحجرالاسود والحجّاج، وبالايّام وبنى آدم، وبالانبياء ومحمّد (ص)، وبالله ولا اله الّا الله، وبالخلق والحقّ [قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ] جواب للقسم اوجملة دعائيّة معترضة بين القسم وجوابه اوخبريّة معترضة واخبارعن حال الكفّار الّذين احرقوا المؤمنين اواخبارعن حال المؤمنين الّذين اُحرقوا فى الاخدود.

ذكرحكاية اصحاب الاخدود

وذكرحكاية اصحاب الاخدود فى روايات الخاصّة والعامّة باختلاف؛ فانّه روى عن رسول الله (ص) انّه كان ملك وكان له ساحر فلمّا مرض السّاحر قال: ادفع الىّ غلاماً اعلّمه السّحر، فدفع اليه غلاماً وكان بينه وبين السّاحر راهب فمرّ الغلام بالرّاهب فافتتن به فبنيما هوكذلك قدحبس النّاس حيّة، فقال: اليوم اعلم امرالسّاحر والرّاهب فأخذ حجراً فقال: اللّهمّ ان كان امرالرّاهب احبّ اليك فاقتل هذه الحيّة فقتلها ومضى النّاس فأخبر بذلك الرّاهب، فقال: يابنىّ انّك ستبتلى فلاتدلّ علىّ، وجعل يداوى النّاس ويبرء الاكمه والابرص فعمى جليس الملك فاتاه وحمل اليه مالاً كثيراً فقال: اشفنى ولك ماههنا، فقال: انّ الله يشفى فان امنت بالله دعوت الله فآمن فدعا الله فشفاه، فجلس الى الملك فقال: من شفاك؟ قال: ربّى، قال: انا؟ قال: لا، ربّى وربّك الله، فأخذه ولم يزل به حتّى دلّه على الغلام، فأخذه فلم يزل به حتّى دلّه على الرّاهب، فوضع المنشارعليه فنشره شقّين وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فأمر ان يصعدوا به الى جبل كذا فان رجع والّا يد هدهوه، ففعل به، فلمّا صعدوا به الجبل قال: اللّهمّ اكفنيهم، فكفاه الله واهلكهم، فرجع الى الملك وقال: كفانيهم الله، فقال: اذهبوا به فأغرقوه فى البحر، فكفاه الله تعالى واغرقهم، فجاء الى الملك وقال: كفانيهم الله، وقال: انّك لست بقاتلى حتّى تفعل بى ماآمرك، اجمع النّاس ثمّ اصلبنى على جذع ثمّ خذ سهماً من كنانتى ثمّ ضعه على كبد القوس، ثمّ قل: باسم ربّ الغلام فانّك ستقتلنى، ففعل به ما قال فوقع السّهم فى صدغه ومات، فقال النّاس: آمنّا بربّ الغلام، فقيل له: أرأيت ماكنت تخاف قد نزل بك: آمن النّاس بربّ الغلام فأمر بالاخدود فخدّت على افواه السّكك ثمّ اضرمها ناراً فقال: من رجع عن دينه فدعوه، ومن ابى فأقحموه فيها، وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا امّه اصبرى فانّك على الحقّ، فلمّا رأى النّاس ذلك اشتدّ ثبات المؤمنين وشوق سائرالنّاس الى دين الغلام. ونسب الى اميرالمؤمنين (ع) انّ ملكاً سكر فوقع على ابنته اوقال على اخته، فلمّا افاق قال لها: كيف المخرج ممّا وقعت فيه؟ قالت: تجمع اهل مملكتك وتخبرهم انّك ترى نكاح البنات وتأمرهم ان يحلّوه، فجمعهم فأخبرهم، فأبوا ان يتابعوه فخدّ لهم اخدوداً فى الارض واوقد فيه النّيران وعرضهم عليها، فمن أبى قذفه فى النّار ومن اجاب خلّى سبيله، ونسب الى اميرالمؤمنين (ع) انّ الله بعث رجلاً حبشياً نبياً فكذّبوه قومه فقاتلهم ففتلوا اصحابه واسروه ثمّ بنوا له حيّزاً ثمّ ملاؤه ناراً ثمّ جمعوا النّاس وقالوا: من كان على ديننا وامرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه فى النّار معه، فجعل اصحابه يتهافتون فى النّار فجاءت امرأة ومعها صبىّ ابن شهر فتكلّم الصّبىّ كماسبق، وروى عن علىّ (ع) ايضاً: انّ اصحاب الاخدود كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون فى هذا السّوق يعنى سوق الكوفة، وقيل انّ يوسف بن ذى نواس الحميرىّ سمع انّ بنجران اليمن جمعاً على دين عيسى (ع) فسار اليهم وحملهم على التّهوّد فأبوا فخدّ لهم فى الارض واوقد وعرضهم عليها، فمن رجع عن دين عيسى سلم ومن لم يرجع كان يلقى فى النّار، واذا امرأة جاءت مع ابن لها فتكلّم الصّبىّ

كما سبق ، واصحاب الاخدود على التأويل من دخل فى اخاديد الطبع وابتلى بنار شهوات النفس وغضباتها واهلك عن الفطرة الانسانية [اَلنّٰارِ] بدل من الاخدود بدل الاشتمال [ذٰاتِ الْوَقُودِ] التوصيف بذات الوقود اشارة الى كثرة الحطب وادامة ايقادها [إِذْهُمْ] اى الملك واصحابه [عَلَيْهٰا قُعُودٌ] قيل: كانوا على كراسى حول النار ويعذبون المؤمنين [وَهُمْ عَلىٰ مٰا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ] حاضرون على تعذيبهم [وَمٰا نَقَمُوا مِنْهُمْ] اى ما كافئوا منهم او ما انكروا او ما كرهوا [إِلّٰا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] وقد مضى نظير الآية فى سورة المائدة والتوبة [الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ] اى مملكة السماوات والارض او ملكهما الذى يكون فى الانظار مستقلاً بالوجود ومتأبياً عن المملوكية فكيف بملكوتهما [وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] فضلاً عن مالكيته وشهوده على كل شيء نحو شهود النفس على صورها الادراكية فيكون مالكيته ايضاً نحو مالكية النفس لصورها الذهنية [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنٰاتِ] بالايذاء من غير استحقاق او بالايذاء مطلقاً [ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذٰابُ جَهَنَّمَ] اعاذنا الله منه [وَلَهُمْ عَذٰابُ الْحَرِيقِ] الحريق اسم للاحتراق بمعنى ان لهم عذاباً مسبباً عن الاحتراق ، او عذاباً هو الاحتراق والمقصود ان لهم فى جهنم عذاب الحيات والعقارب والحميم والزقوم ، ولهم عذاب الاحتراق ، او المراد بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اصحاب الاخدود والمراد بعذاب الحريق احتراقهم بنار الاخدود ، فانه كما نقل بعد ما القوا المؤمنين فى النار كان المؤمنون يدخلون الجنة من غير احساس الم النار وانقلبت النار على الكفار فأحرقتهم [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] جواب لسؤال مقدر عن حال المؤمنين [لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنات فى آخر سورة آل عمران عند قوله فالذين هاجروا واخرجوا [ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ] يا محمد (ص) او من يتأتى منه الخطاب [لَشَدِيدٌ] الجملة فى مقام التعليل لعذاب الكافرين ونعيم المؤمنين ، والاتيان بالبطش والحكم عليه بالشدة اشعار بشدة العذاب فان البطش هو الاخذ بالعنف والسطوة [إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ] تعليل لشدة بطشه فان البطش ممن بيده اعادة الشيء وابداؤه يكون شديداً بالنسبة اليه [وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ] لا غفور الا هو ، ولا ودود الا هو ، فيكون مغفرته وداده بالنسبة الى مستحقهما فوق ما يتصور ، جمع بين القهر واللطف والوعيد والوعد كما هو ديدنه وديدن خلفائه [ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ] قرئ بالرفع وبالجر ، والعرش جميع ما سواه فله العظمة والمالكية لجميع ما سواه فله اعطاء ما يريد [فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ] من غير مانع وعجز وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله: ولكن الله يفعل ما يريد بيان تام لقوله: فعال لما يريد [هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ] استفهام للتقرير وجواب لسؤال مقدر كأنه قيل: هل على وعده ووعيده دليل مما مضى ؟ فقال: الدليل على ذلك حكايات الجنود الذين تجندوا على انبيائهم فيما سلف وقد سمعت حكاياتهم وما فعل بالكفار منهم وما اكرم به المؤمنين منهم [فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ] اطلق اسم الرئيس على الجماعة مجازاً او قدر جنود فرعون وثمود يعنى قد سمعت ذلك فانظر ماذا فعل بالكفار منهم وماذا فعل بالمؤمنين حتى تكون على يقين بوعيده ووعده [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ] يعنى ليسوا لم يسمعوا حكايات الجنود بل لا شأن لهم سوى شأن التكذيب ، ومن كان كذلك لو رأوا جميع ما فعل بالكفار الماضين والمؤمنين ما اقروا ولا صدقوا لعدم شأن لهم سوى التكذيب ، لانهم محجوبون عن دار العلم والتصديق ولذلك يكذبونك ويكذبون كتابك

[وَاللّٰهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ] اى من خلفهم فانّهم ناكسون رؤسهم ومدبرون عن الله ولمّا كان احاطة الله من ورائهم لم يكونوا يشاهدونه و يشاهدون احاطته، ولمّا استفيد من قوله بل الّذين كفروا فى تكذيب تكذيبهم لمحمّد (ص) و رسالته وكتابه قال: ليس تكذيبهم لكَ ولكتابكَ عن برهان وفى محلّه لانّ كتابكَ ليس بكاذب [بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ] مجموعٌ فى بساطته ووحدته [مَجِيدٌ] ذو مجد وشأن [فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ] عن ايدى المحجوبين، او عن التّغيّر والتّبدّل، اوعن مسيس الشّياطين، اوعن اختلاق المختلقين، و قرئ محفوظٌ بالرّفع والجرّ والمعنى واحدٌ والمراد باللّوح المحفوظ النّفوس الكلّيّة او العقول الكلّيّة فانّها بوجه كتب والواحٌ اوصدور الرّاسخين فى العلم من صدر محمّد (ص) واوصيائه (ع)، وهذا اللّوح هو امّ الكتاب ومنه نسخ جميع الكتب.

سورة الطّارق

سبع عشرة آية، مكّيّة.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ع ٩٨ [وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ] اقسم بالسّماء و بالكواكب او بكوكب الصّبح وعظّم شأن الكوكب فقال: [وَمَا اَدْرٰيكَ مَا الطَّارِقُ] واجاب بعد تفخيمه بالاستفهام التّعجيبىّ فقال [النَّجْمُ الثَّاقِبُ] اى المضيء اوالثّاقب للأفلاك بضوئه، روى عن الصّادق (ع) انّه قال لرجل من اهل اليمن: ما زحل عندكم فى النّجوم؟ فقال: اليمانىّ نجم نحس، فقال (ع): لاتقولنّ هذا فانّه نجم امير المؤمنين (ع) وهو نجم الاوصياء (ع) و هوالنّجم الثّاقب الّذى فى كتابه فقال له اليمانىّ: فمايعنى بالثّاقب؟ قال: لانّ مطلعه فى السّماء السّابعة وانّه ثقب بضوئه حتّى اضاء فى السّماء الدّنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النّجم الثّاقب [اِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ] قرئ لما بالتّخفيف فان مخفّفة من الثّقيلة واللّام فارقة وما مزيدة، وقرئ لمّا بالتّشديد فان نافية ولمّا استثنائيّة ويحتمل وجوه اخر ضعيفة ممّا مضى فى سورة هود فى بيان قوله تعالى: وان كلّا لمّا ليوفّينّهم ربّكَ اعمالهم فلينظر اى اذا كان على كلّ نفس حافظ من الله يحفظ عليه اعماله [فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ] اى فلينظر الى مادّته وانّها كانت اضعف موجود واخسّه حتّى يعلم انّ له خالقاً قادراً عليماً حكيماً، ويعلم انّ خالقه يقدر على اعادته فيعمل لحال اعادته [خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ] دفق الماء صبّه بقوّة فالدّافق بمعنى المدفوق، اوالمعنى ماء دافع بقوّة الرّطوبات البلّيّة البدنيّة بالتّبخير والتّعريق، وقيل: استعمل دفق الماء لازماً فيكون الدّافق بمعنى المنصبّ بقوّة [يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ] الصّلب بالضّمّ والصّلب بالتّحريك العظم الّذى من لدن الكاهل الى العُجب، والتّرائب عظام الصّدر اوما ولى التّرقوتين منه، اوما بين الثّديين والتّرقوتين، اواربع اضلاع من يمنة الصّدر واربع من يسرته، اواليدان والرّجلان والعينان، اوموضع القلادة.

اعلم، انّ التّحقيق كما عليه معظم الحكماء انّ النّطفة فضلة الهضم الرّابع وهى تفضل فى جميع البدن وتنزل الى البيضتين فهى تخرج من جميع اجزاء البدن لااختصاص لها بالصّلب والتّرائب، لكن لمّا كان الكليتان ادخل فى

اصلاح النّطفة فى الرّجل والثّديان فى المرأة قال يخرج من بين صلب الرّجل و بين ترائب المرأة، اوالمقصود انّ النّطفة تخرج من اجواف الرّجل والمرأة وهى محلّ كثافات البدن ، اوالمنظور انّ الصّلب والتّرائب فى الرّجل والمرأة ادخل فى اصلاح النّطفة فكأنّه تخرج النّطفة من بين صلب الرّجل ومن بين ترائبه ، و من بين صلب المرأة و من بين ترائبها [إِنَّهُ عَلٰى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: اذا كان خلقه من ماءٍ ضعيفٍ قذرٍ فهل يقدر على رجوعه؟- فقال: انّه على رجعه لقادر [يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ] اى تختبر كلّ سريرةٍ هل هى خالصة اومغشوشة ؟ والمراد بالسّرائر امّا الاعمال القالبيّة فانّها سرائر من حيث الخلوص والشّوب ، ومن حيث المبادى والغايات ، اوالفعليّات الحاصلة للنّفس منها ، اوالنّيّات ، اومكمونات النّفوس الّتى لا يعلمها صاحبوا النّفوس ، والظّرف متعلّق بقادر دون رجعه للفصل بينه و بينه بالاجنبىّ، اومتعلّق بمحذوفٍ بقرينة قوله [فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ] يعنى لم يكن له فى ذلك اليوم قوّة يدفع بها عن نفسه العذاب ، ولا ناصر ينصره من بأس الله [وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ] اى ذات الرّجوع الى وصفه الاوّل فانّها ليست فى وضع الّا وترجع اليه فى ثانى الحال، اوذات المطر، اوذات الشّمس والقمر والنّجوم فانّها فى الرّجع دائماً او ذات الخير الدّائم فانّها ترجع به على الاتّصال على اهل العالم [وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ] بالنّبات والاشجار [إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ] اى القرآن اوامر الرّسالة اوامر الولاية اوالرّسول (ص) اوعلىّ (ع) قولٌ فاصلٌ بين الحقّ والباطل، اوالمحقّ والمبطل، اوالقول بالبعث والجزاء قولٌ مقطوع به [وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ] اى هو جدّ وليس مزاحاً [إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا] عظيماً و الجملة جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل : فما يفعل هؤلاء بالنّسبة الى هذا القول ؟- [وَأَكِيدُ كَيْدًا] عظيماً فاذا كنت اكيد كيداً عظيماً بهم [فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر لتفضيحهم [أَمْهِلْهُمْ] تأكيد لمهّل ، والاتيان بمهّل وتأكيده بأمهل للاشعار بتعمّله (ص) فى امهالهم [رُوَيْدًا] مفعولٌ مطلقٌ نوعىّ من غير لفظ الفعل والمعنى امهلهم امهالاً يسيراً.

سورة الاعلى

مكّيّة، وقيل: مدنيّة ، تسع عشرة آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى] الا على صفة للاسم اولربّك ، والرّبّ تطلق على النّفس الانسانيّة الّتى تربّى البدن ، وعلى العقل الّذى يربّى النّفس والبدن ، وعلى ولىّ الامر الّذى يربّى النّاس بحسب الظّاهر اوالباطن، وهو الرّبّ فى الولاية ، وعلى ربّ الارباب وليس المراد باسم الرّبّ اسمه اللّفظىّ بل اسمه العينىّ واسماؤه العينيّة ذات مراتب من مراتب اللّطيفة الانسانيّة ومراتب الانبياء والاوصياء (ع)، ومن مراتب العقول والنّفوس وسائر الموجودات واعلى اسمائه الاسم الجامع الّذى يعبّر عنه بالمشيّة، واعلى اربابه المطلق هو ربّ الارباب، واعلى اربابه المضاف سائر مراتب اربابه ، وقد سبق مكرّراً انّ المراد بالتّسبيح سواء كان متعلّقاً بالله او بالرّبّ او باسم الرّبّ تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عن التّدنّس بالادناس الحيوانيّة والشّيطانيّة فانّها ربّ بوجهٍ ومظهر لله فكانت هى الله بوجه واسماً لله وللرّبّ بوجهٍ [الَّذِي خَلَقَ] صفة للرّبّ اولاسم الرّبّ فانّ اسماءه العينيّة وسائط خلقه وخالقون باذنه [فَسَوّٰى] فجعل

جميع اعضائه و اجزائه على ما ينبغى [وَالَّذِى قَدَّرَ] لكلّ شيء كمالاً خاصّاً و غاية مخصوصة [فَهَدٰى] اى هداه الى ذلك الكمال وتلك الغاية هداية تكوينيّة فى جميع الاشياء وهداية اختياريّة تكليفيّة فى الانسان و بنى الجانّ [وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعٰى] فى العالم الكبير والصّغير يعنى بعد ما هدى الاشياء الى كمالاتها وغاياتها هيّأ لها اسباب بلوغها الى ذلك باخراج المرعى اى الاشجار والنّباتات الّتى بها يتعيّش الانسان وسائر الحيوان واخراج جميع القوى والاهوية المكمونة فى الانسان [فَجَعَلَهُ غُثٰاءً] اى هشيماً كالغثاء الّذى تراه فوق السّيل، والغثاء كغراب القمش والزّبد والبالى من ورق الشّجر المخالط زبد السّيل [أَحْوٰى] اسود لانّ الكلأ يسودّ اذا يبس فى الاغلب ، و هذا تمثيل للحيوة الدّنيا واخراج القوى والمدارك والاهوية و يبسها بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ ولذلك قال تعالى خطاباً لمحمّد (ص) ولمن يتأتّى منه الخطاب بعد ذكر جفاف المرعى [سَنُقْرِئُكَ] يعنى بعد جفاف مرعى القوى والمدارك بالموت الاختيارى البتّة نقرئك اوعن قريب نقرئك آيات الاحكام القالبيّة والحكم القلبيّة [فَلاٰ تَنْسٰى] بعده لانّ الباعث للنّسيان الخروج من دار الذّكر، وسبب الخروج من دار الذّكر ليس الّا القوى والمدارك ومشتهياتها، واذا جعلناها يابسة حواء لم يكن باعث للخروج من دار الذّكر فلم يكن نسيان [إِلَّا مَا شٰاءَ اللّٰهُ] استثناء مفرّغ من قوله سنقرئك ، او من قوله فلا تنسى اى سنقرئك جميع مايمكن ان نقرئك الّا ماشاء الله اوفلا تنسى شيئاً منها الّا ماشاء الله فانّك بحسب بشريّتك ومرتبة منك واقع فى دار النّسيان فيقع منك نسيان ما بمشيّة الله [إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفٰى] جواب لسؤال مقدّر وتعليل لقوله : سبّح يعنى سبّح اسم ربّك بقولك المجهور و المخفىّ او بأعمالك الظّاهرة والباطنة لانّ الله يعلم الجهر والمخفىّ ، اوجواب لسؤال مقدّر ناش عن قوله فلا تنسى الّا ماشاء الله كأنّه قيل: هل يعلم الله تذكّر العباد ونسيانهم؟ـ فقال: انّه يعلم المذكور الّذى كان ظاهراً على الخيال والمنسىّ الّذى كان مخفيّاً عنه ، او يعلم مطلق الظّاهر والمخفى ومنهما المذكور والمنسىّ، اوجواب سؤال ناش من قوله : والّذى اخرج المرعى بناء على تعميم المرعى للقوى والمدارك والاهوية الانسانيّة كأنّه قيل: هل يعلم الله مخفيّات الانسان ومكموناته حتّى يخرجها ؟ـ فقال : انّه يعلم الظّاهر من اقواله وافعاله واحواله واخلاقه والمخفىّ منها ، ولكون هذا جواباً لسؤال مقدّر عدل عن التّكلّم الى الغيبة [وَنُيَسِّرُكَ] اى نليّنك ونسهّل حالتك [لِ] لجهة [لْيُسْرٰى] وهى جهة الكثرات فانّك كنت منزجراً عن الكثرات فاراً منها منقبضاً عنها ، و بعد اخراج مرعى وجودك وجعله غثاء تأنس بالكثرات نحو انسك بالله فانّك تراها مظاهر لله تعالى فيسهل عليك التّوجّه اليها والمحادثة معها ، وقيل فيه غير ذلك فاذا صرت ليّن الجانب بالنّسبة الى الكثرات [فَذَكِّرْ] الخلق بالله و باحكامه و بالمعاد وجنّته وناره لتكميلهم [إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرٰى] قيل: شرط للتّذكير يعنى ان لم تنفع فلا تذكّر، وهذا منافٍ لتعميم دعوته ، وقيل: المعنى ان نفعت الذّكرى و ان لم تنفع ، وقيل: ان بمعنى قد ، وقيل: قال تعالى ذلك بعد ما عمّهم بالتّذكير و لزمت الحجّة ، وقيل : استبعاد لنفعهم بالذّكرى [سَيَذَّكَّرُ] بالله وجنّته وناره [مَنْ يَخْشٰى] من كان فيه حالة العلم وحالة الخشية [وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى] اى اشقى الكفّار او اشقى العصاة فانّ للكفر والعصيان درجات، والاشقى منهم يبالغ فى اجتناب الذّكرى بخلاف غيره فانّه يسمع قليلا و يجتنب ولذلك قال [الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرٰى] فانّ غيره يصلى النّار الوسطى والصّغرى [ثُمَّ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا] فيستريح [وَلاٰ يَحْيٰى] حياة ينتفع بها فيتعيّش فيها [قَدْ أَفْلَحَ] جواب لسؤال

مقدّر [مَنْ تَزَكّٰى] اى تطهّر اونما ، اوادّى زكوة ماله [وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ] اى اجرى على لسانه اسم ربّه المضاف وهو ربّه فى الولاية و هوالرّسول اوخليفته [فَصَلّٰى] عليه اى قال اللّهم صلّ عليه ، او قال صلوات الله عليه ، او تذكّر اسم ربّه المطلق اسمه النّقشىّ القلبىّ ، اواسمه المثالىّ الخيالىّ ، اواسمه العينىّ ، فصلّى عليه اوصلّى الصّلوة الفريضة ، اوصلّى الصّلوة المطلقة ، اوتوجّه الى جهة الغيب واستكمل بذلك ، اوذكر اسم ربّه بالتّكبيرات الواردة قبل صلوة العيدين فصلّى صلوة العيدين ، اوذكر اسم ربّه فى التّكبيرة الافتتاحيّة فعقد صلوته بها ، اوذكر اسم ربّه بان جعل امامه نصب عينه فصلّى كماورد وقت تكبيرة الاحرام : تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينك [بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا] يعنى لكنّكم لاتفعلون ذلك بل تؤثرون الحيوة الدّنيا و تدعون الفلاح و الصّلوة [وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ] من الدّنيا يعنى على زعمكم انّ الدّنيا لها حسن او بحسب الواقع فانّ الدّنيا باعتبار انّها مزرعة الآخرة كان لهامحاسن عديدة [وَأَبْقىٰ إِنَّ هٰذٰا] اى فلاح من تزكّى و ذكر اسم ربّه فصلّى ، او كون الآخرة خيراً وأبقى [لَفِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ صُحُفِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسىٰ] عن ابى ذرّ رحمه الله انّه سأل رسول الله (ص) كم انزل الله من كتاب ؟ـ قال : مائة كتاب واربعة كتب ، فأنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى ابراهيم عشرين صحيفة ، فانزل التّوراة والانجيل والزّبور والفرقان ، قال : قلت : يارسول الله (ص) وما كان صحف ابراهيم (ع) ؟ـ قال : كانت امثالاً كلّها ، وكان فيها : ايّها الملك المبتلى المغرور انّى لم ابعثك لتجمع الدّنيا بعضها الى بعض ولكنّى بعثتك لتردّ عنّى دعوة المظلوم فانّى لا اردّها وان كانت من كافر ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً ان يكون له ثلاث ساعات ، ساعة يناجى ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّوجلّ اليه ، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال فانّ هذه السّاعة عون لتلك السّاعات ، واستجمام للقلوب وتوديع لها ، وعلى العاقل ان يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شانه ، حافظاً للسانه ، فانّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه الّا فيما يعنيه ، وعلى العاقل ان يكون طالباً لثلاث ، مرمّة لمعاش ، وتزوّد لمعاد ، وتلذّذ فى غير محرّم (الى ان قال) قلت : فهل فى ايدينا ممّا انزل الله عليك شيء ممّا كان فى صحف ابراهيم (ع) وموسى (ع) ؟ـ قال : يا اباذرّ اقرء : قد افلح من تزكّى الى آخر السّورة .

سورة الغاشية

ستّ وعشرون آية مكّيّة كلّها

بسم الله الرحمن الرحيم

[هَلْ أَتىٰكَ حَدِيثُ الْغٰاشِيَةِ] الاستفهام للتّقرير و الخطاب له (ص) والمقصود تذكير غيره و الغاشية الدّاهية الّتى تعمّ افراد النّاس ، اوتعمّ جميع اعضاء الانسان واجزائه ، والمراد بها شدائد القيامة اونفس يوم القيامة اوشدائد جهنّم [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ] ذليلة من العذاب [عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ] صفتان لوجوه ، او هما خبران بعد خبر والمراد بالوجوه وجوه الابدان اواشراف النّاس ، والمعنى وجوه كانت فى الدّنيا عاملة اعمالاً يحسبون انّها حسنات لها وكانت ناصبة فى اعمالها يومئذ خاشعة ذليلة لاينفعها عملها ونصبها فى عملها ، لانّهم كانوا اصحاب آراء واهواء ،

او المعنى وجوه يومئذ خاشعة عاملة فى جهنّم فانّهم يكلّفون ارتقاء جبل من حديد، اوالمعنى عاملة فى الدّنيا ناصبة فى الآخرة [تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً] فى غاية الحرارة بالنّسبة الى نار الدّنيا [تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ] بالغة فى الحرارة غايتها [لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ] والضّريع شيء فى جهنّم امرّ من الصّبر وانتن من الجيفة واحرّ من النّار، والضّريع فى اللّغة نوع من الشّوك يقال له الشّبرق وهو اخبث طعام وابشعه لا ترعاه دابّة، ونقل انّ الضّريع عرق اهل النّار وما يخرج من فروج الزّوانى، و عن النّبىّ (ص) عن جبرئيل: لو انّ قطرة من الضّريع قطرت فى شراب اهل الدّنيا لمات اهلها من نتنها، وقال القمّىّ: هم الّذين خالفوا دين الله وصلّوا وصاموا و نصبوا لامير المؤمنين (ع) عملوا ونصبوا فلا يقبل شيء منهم من افعالهم وتصلى وجوههم نارا حاميةً، وفى رواية: كلّ من خالفكم وان تعبّد واجتهد فمنسوب الى هذه الآية: عاملة ناصبة (الآية) وفى حديث فى بيان قوله تعالى: هل أتاك حديث الغاشية يغشاهم القائم (ع) بالسّيف خاصّة قال: لا تطيق الامتناع، عاملة قال: عملت بغير ما انزل الله، ناصبة قال: نصبت غير ولاة امر الله، تصلى نارا حاميةً قال: تصلى نار الحرب فى الدّنيا على عهد القائم (ع)، وفى الآخرة نار جهنّم، وفى رواية اخرى: الغاشية الّذين يغشون الامام لا يسمن ولا يغنى من جوع قال: لا ينفعهم الدّخول ولا يغنيهم القعود [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ] وهم اتباع امير المؤمنين (ع) [لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً] اللّغو واللّاغية السّقط ومالا يعتدّ به من كلام وغيره، وكلمة لاغية فاحشة [فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ] العين الجارية احسن وابهى، وماؤها اشهى من العين الواقفة، ولبس جريان عيون الجنّة فى الاخاديد بل هى بارادة مالكها كلّما اراد اجراها على اىّ مكان شاء [فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ] قيل: انّها مرتفعة ما لم يجئ اهلها، فاذا جاؤا تواضعت لهم حتّى يجلسوا عليها، فاذا جلسوا ارتفعت كما كانت [وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ] على حافّات العيون الجارية، والكوب قدمر انّه كوز لا عروة له ولا خرطوم [وَنَمَارِقُ] جمع النّمرق والنّمرقة مثلّثة النّون الوسادة الصّغيرة [مَصْفُوفَةٌ] متّصلة بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك [وَزَرَابِيُّ] جمع الزّربىّ بالكسر وقد يضمّ النّمارق والبسط اوكلّ ما بسط واتّكئ عليه [مَبْثُوثَةٌ] مبسوطة [أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ] لمّا وصف الله تعالى الجنّة وما فيها كان ينبغى ان يشتاق النّفوس اليها و يسأل عمّا دلّ عليها وعلى بقاء النّفوس فيها، فقال تعالى جواباً عن هذا السّؤال: ينبغى ان ينظروا الى الابل وعجائب خلقتها، فانّ الله تعالى خلقها عظيمة الجثّة بحيث تحمل احمالاً ثقيلة، تبرك للحمل، وتنهض بالحمل، تتحمّل الجوع والعطش حتّى تقوى على قطع المفاوز البعيدة، منقادة للاطفال مع عظم جثّتها، طويلة العنق حتّى يتأتّى لها ان ترعى النّبات قائمة من غير حاجة الى البروك ترعى كلّما تنبت من الارض حتّى يتأتّى لها البقاء فى كلّ صقع من الارض [وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ] وفى رفعتها توليد المواليد وتعيّشها و بقاؤها فانّ الكلّ منوط بتأثير الكواكب وتأثير اشعّتها، ولو لا تلك الرّفعة لما اثّرت تلك التّأثيرات [وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ] وفى نصبها تهيّة اسباب معاشكم من توليد المعادن فيها، وتسفيح سفحها، وتكوّن المياه تحتها وسهولة جريان العيون والقنوات منها [وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ] وفى تسطيحها سهولة توليد المواليد وسهولة تعيّشكم [فَذَكِّرْ] يعنى اذا كان حال الكفّار كذا وحال المؤمنين كذا والادلّة على ذلك كثيرة فذكّر المؤمنين ترغيباً فيما اعدّ الله لهم والكافرين تحذيراً ممّا يبتلون به بسوء اعمالهم [إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ] يعنى شأنك بحسب رسالتك التّذكير سمعوا ام لم يسمعوا [لَسْتَ عَلَيْهِمْ

بِمُصَيْطِرٍ] المسيطر بالسّين والصّاد الرّقيب والحافظ المتسلّط، وقرئ بهما [إِلَّا مَنْ تَوَلّٰى وَكَفَرَ] استثناء مفرّغ من قوله ذَكِّرْ او من قوله انّما انت مذكّر، او استثناء متّصل فى كلام تامّ من قوله : لست عليهم بمصيطر اى لست متسلّطاً عليهم الّا على من تولّى وكفر يعنى لست مسلّطاً عليهم لا بحسب ابدانهم فتقتلهم و تجبرهم على القبول ولا بحسب ارواحهم فتتصرّف فيهم بحسب مرتبة رسالتك وتغيّرهم عمّا هم عليه الّا من تولّى فانّك بحسب رسالتك مسلّط عليه بحسب بدنه، فتقتله وتجبره على قبول التّذكير، او استثناء منقطع كأنّه قال : لكن من تولّى وكفر [فَيُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذٰابَ الْأَكْبَرَ] اى عذاب القتل والاسر والنّهب على يدك فى الدّنيا ولا عذاب اكبر منه، او يعذّبه الله فى الآخرة العذاب الاكبر وهو العذاب فى النّار [إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ] جوابٌ لسؤال مقدّر عن حالهم فى الآخرة على المعنى الاوّل وفى مقام التّعليل على المعنى الثّانى [ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ] عن الباقر (ع) : اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاوّلين والآخرين لفصل الخطاب دُعىَ رسول الله (ص) ودُعىَ امير المؤمنين (ع) فيُكسى رسول الله (ص) حلّة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علىّ (ع) مثلها، ويكسى رسول الله (ص) حلّة وردية ويكسى علىّ (ع) مثلها، ثمّ يصعد ان عندها ثمّ يدعىٰ بنا فيدفع الينا حساب النّاس، فنحن والله ندخل اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار، وعن الكاظم (ع) : الينا اياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم و بين الله عزّ وجلّ حتمنا على الله فى تركه لنا فأجابنا الى ذلك، وما كان بينهم و بين النّاس استوهبناه منهم واجابوا الى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ، وعن الصّادق (ع) : اذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله ان يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ورزقنا الله ذلك.

سورة والفجر

مكّيّة كلّها، اثنتان وثلاثون او ثلاثون او تسع وعشرون آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَالْفَجْرِ] اقسم الله بالفجر وهو بياض الصّبح، او صلوة الصّبح مطلقاً، او فجر ذى الحجّة او صلوته، او فجر يوم النّحر او صلوته، او اراد بالفجر النّهار كلّه مطلقا، او نهار الايّام المذكورة [وَلَيٰالٍ عَشْرٍ] اى عشر ذى الحجّة، وقيل: هى العشر من آخر رمضان، وقيل : هى العشر الّتى اتمّ موسى (ع) بها ثلاثين [وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ] يعنى الزّوج والفرد من العدد والمعدود كلّها، وقيل: الزّوج الخلق لانّ كلّاً من الخلق زوج تركيبىّ، والوتر الله، وقيل: الشّفع والوتر الرّكعتان من صلوة اللّيل، والرّكعة الواحدة منها، وقيل : الشّفع يوم النّحر لانّه يشفع بيوم النّفر الاوّل، والوتر يوم عرفة لانّه ينفرد بالموقف، وقيل: الشّفع يوم التّروية، والوتر يوم عرفة، وقيل: الشّفع يوم النّفر الاوّل، والوتر يوم النّفر الثّانى، وقيل: الشّفع علىّ (ع) وفاطمة (ع)، والوتر محمّد (ص)، وقيل: الشّفع الرّوح الانسانيّة المنضمّة الى البدن، والوتر الرّوح المجرّدة عن البدن [وَاللَّيْلِ إِذٰا يَسْرِ] قرئ بحذف الياء وصلاً ووقفاً اجراءً للوصل مجرى الوقف وتوفيقاً للّفظ والمعنى، فانّ السّير فى الاغلب لا يتمّ فى اللّيل بل يمتدّ الى النّهار، وقرئ باثبات الياء على الاصل، وقرئ بالتّنوين المبدل من حرف المدّ، و نسبة السّير الى اللّيل مجاز عقلىّ والمعنى اذا يسرى فيه، او المراد القسم باللّيل اذا ادبر مثل واللّيل اذا ادبر، او المراد القسم باللّيل اذا اقبل علينا، ولذلك عدل عن اذ الى اذا، وعن الماضى

الى المستقبل، والمراد بالليل مطلق الليل اوليل المزدلفة فانّه يسير الحاجّ فى اوّله من عرفات الى المزدلفة و فى آخره واوّل نهاره من المزدلفة الى منى [هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ] استفهام تقريرىّ يعنى فى تلك الاقسام قسمٌ كاف لذى عقل حقير اولذى عقل عظيم يعنى انّ صاحب العقل يعلم انّ هذه الاشياء الّتى اقسم بها الله اشياء عظيمة شريفة فيها دلالاتٌ بوجوه عديدة على علمه وحكمته وقدرته وعنايته تعالى بخلقه وان كان غير ذى الحجر لايرى هذه الاقسام شيئاً [أَلَمْ تَرَ] هذا الخطاب لمحمّد (ص) اوعامٌ وهذا قرينة جواب القسم والتّقدير لنهلكنّ الّذين افسدوا فى الارض الم تر [كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ] عاد اسم لقوم هود سُمّوا باسم ابيهم فانّ عاداً كان عادين ، عاداً الاولى ، وعاداً الاخرى وقوله تعالى [إِرَمَ] كعنب اسم آخر لعاد، اوهواسم جدّ عاد، اوهواسم سام بن نوح، فانّ عاداً كان ابن عوص بن آدم بن سام بن نوح (ع)، وقوم هود كانوا اولاد عاد سُمّوا باسم جدّهم وابيهم، أوهواسم لقبيلة هود ، وقيل: هواسم لقبيلة من قوم هود كان الملك فيهم، وقيل: هو اسم بلد، وقيل: هودمشق، وقيل: هومدينة الاسكندريّة ، وقيل: هواسم لجنّة شدّاد ، وعلى اىّ تقدير فهو بدل من عاد امّا بدل الكلّ من الكلّ ، او بدل الاشتمال ، فانّه اذا كان اسماً للبلد فان اريد به اهله كان بدل الكلّ من الكلّ ، وان اريد به نفس البلد كان بدل الاشتمال [ذَاتِ الْعِمٰادِ] العماد بالكسر الشّجعان من العسكر والابنية الرّفيعة والعمود والاخبية ، واهل العماد اهل الاخبية ، وقيل : سمّاهم الله ذات العماد لانّهم كانوا اهل الاخبية وكانوا سيّارين لرعى مواشيهم ، وقيل: معناه ذات الطّول والشّدّة ، اوكانوا اهل القصور الرّفيعة ، اوكان فيه شجعان قويّة .

وصف ارم ذات العماد

قيل: خرج رجلٌ يقال له عبدالله بن قلابة فى طلب ابل له شردت، فبينا هوفى صحارى عدن اذهو قدوقع على مدينة عليها حصنٌ فلمّادنى منها ظنّ انّ فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابّته وعقلها وسلّ سيفه ودخل الحصن ، فاذا هو ببابين عظمين لم يرا عظم منهما مرصّعين بالياقوت الابيض والاحمر فدهش ، وفتح احد البابين فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها، فيها قصور فوقها غرف وفوق الغرف غرف مبنيّة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت، ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة مفروشة كلّها باللّئالى و بنادق من مسك وزعفران، فلمّا لم يرفيها احداً هاله ذلك ونظر فرأى اشجاراً فى ازقّتها مثمرة وتحت الاشجار انهار جارية من قنوات من فضّة، فظنّ الرّجل انّها هى الجنّة الموصوفة فى القرآن فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزّعفران ، ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها و ياقوتها وخرج ورجع الى اليمن واخبر النّاس فانتشر الخبر حتّى بلغ معاوية خبره، فأرسل اليه فقصّ عليه القصّة فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلمّا أتاه سأله عن ذلك فقال : اخبرك بتلك المدينة و بمن بناها ، بناها شدّاد بن عاد و المدينة ارم ذات العماد الّتى وصفها الله تعالى انّ عاداً الاولى اباقوم هود كان له ابنان شدّاد وشديد فهلك عادٌ وبقيا وقهرا البلاد، فهلك شديد و بقى شدّاد مالكاً لجميع ملوك الارض ، فدعته نفسه الى ان بنى مثل الجنّة الّتى وصفها الله لانبيائه (ع) فأمر ببناء تلك المدينة وامّر على صنعتها مائة قهرمان مع كلّ قهرمان الف من الاعوان، وكتب الى ملوك الدّنيا ان يجمعوا له ما فى بلادهم من الجواهر واقاموا فى بنائها مدّة طويلة ثمّ سار الملك اليها فى جنده ووزرائه فلمّا كان منها على مسيرة يوم بعث الله عليه وعلى من معه صيحةً من السّماء فأهلكتهم جميعاً ، وسيدخلها فى زمانك رجلٌ من المسلمين احمر اشقر قصيرٌ على حاجبه خالٌ وعلى عنقه خالٌ يخرج فى طلب ابل له وكان الرّجل عند معاوية فالتفت اليه وقال: هذا والله ذلك الرّجل [الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِي الْبِلٰادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جٰابُوا الصَّخْرَ] اى حفروا الصّخر وقطعوها لبناء البيوت [بِالْوٰادِ] اى وادى القرى [وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتٰادِ] قد مضى فى سورة ص بيان كونه ذا الاوتاد [الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلٰادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسٰادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذٰابٍ] السّوط الخلط وهوان تخلط

شيئين في اناتك ثمّ تضر بهما بيدك حتّى يختلطا ، والمقرعة والنّصيب والشّدّة والضّرب بالسّوط ، واستعمال الصّبّ للاشعار بكثرة العذاب وشدّته [إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ] المرصاد الطّريق والمكان الّذي يرصد ويترقّب فيه العدوّ والمعنى انّه تعالى في محلّ يرصد فيه جميع افعالهم واقوالهم واحوالهم فلايفوته شيء منها فيجازيهم عليها ، وعن الصّادق (ع) : المرصاد قنطرة على الصّراط لايجوزها عبدٌ بمظلمة عبدٍ [فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ] كأنّه قال : هذا حال الرّحمن فامّا الانسان اذا ما ابتلاه ربّه [فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ] بيانٌ لاكرامه [فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ] هذا خبر الانسان ولذلك ادخل الفاء الّتي تكون عقيب امّا عليه ، وقوله : اذا ما ابتليه على تقدير التّأخير يعني يفرح بالنّعمة ويحسب انّ النّعمة كرامة من الله له والحال انّها قد تكون استدراجاً ونقمةً [وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ] لانّه لايحسب النّعمة في غير النّعم الصّوريّة ويحسب انّ الكرامة والنّعمة والعزّة انّما هي في النّعم الصّوريّة [كَلَّا] ردع له عن هذا الحسبان وتعليق للتّوسعة والتّقتير على فعل الانسان يعني ليس التّوسعة والتّقتير على ماتزعمون [بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ] اي لاتحاثّون ، والحضّ والحثّ لازمان ومتعدّيان [عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا] التّراث من الارث بمعنى ما يورث ، ولمّا كان جميع الدّنيا ممّا اورث من السّابقين او يورث للّاحقين يصدق عليها التّراث ، فقيل : كانوا لايورّثون الايتام والنّساء وكانوا يأكلون انصبائهم ، وقيل : المعنى يأكلون الميراث ولايخرجون حقوقه الواجبة والمندوبة لكنّ الحقّ عدم التّخصيص بل المراد انّهم يأكلون ما يؤكل ، ويجمعون ما يجمع ، ويدّخرون ما يدّخر ، وينكحون ما ينكح ، ويركبون مايركب ، ويلبسون ما يلبس ، ويدركون ما يدرك ، ويتخيّلون مايتخيّل ، اكلاً جامعاً بين صحيحها وفاسدها ، حلالها وحرامها ، مأمورها ومنهيّها ، وجامعاً بين جهتي الهيّتها ونفسانيّتها ، ولمّا امّا اصله لمماً بالتّنوين ، اجرى الوصل على الوقف ، او اصله لمّا بالالف المقصورة امّا وهو مصدر للّم بمعنى جمع ، وحينئذ تكون مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، اوصفة لاكلاً ، اوهو بمعنى جميعاً وتأكيد للتّراث [وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا] الجمّ الكثير من كلّ شيء اوهو مصدر جمّ بمعنى كثر وهو امّا صفة لجمّاً اومفعول مطلق لفعل محذوف هو حال [كَلَّا] ردع لهم عن ذلك [إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا] الدّكّ الدّقّ والهدم وتسوية صعود الارض وهبوطها ، واندكّ المكان استوى ، وكنس التّراب وتسويته [وَجَاءَ رَبُّكَ] المضاف الّذي هو القائم في وجودك وقد سمّاه الصّوفيّة بالفكر والحضور والسّكينة وهو ملكوت وليّ الامر ، ولايظهر على السّالك الّا بعد موته الاختياريّ ، واذا ظهر ظهر جميع آثار القيامة في عالمه الصّغير وجميع ماورد من علائم ظهور القائم (ع) وآثاره في الاخبار وكان مؤيّداً بالملائكة ويظهر الملك على السّالك حين ظهوره وبعده ولذلك قال تعالى [وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] المراد بالملك الجنس ولذلك قال صفّاً صفّاً فانّ الواحد لايكون صفّاً صفّاً والمراد انّ الملائكة يجيؤن في صفوف عديدة بحسب مراتبهم في القرب والبعد [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] فانّ الظّاهر عليه وليّ امره ينفتح بصيرته الاخرويّة فيرى ما لايراه غيره فيرى جهنّم وانواع عقباتها وعقوباتها ، ويرى الجنان ايضاً وانواع نعيمها ، عن الرّسول (ص) انّه قال : انّ روح الامين اخبرني انّ الله لا آله الّا هو اذا برز الخلائق وجمع الاوّلين والآخرين اتي بجهنّم تقاد بالف زمام اخذ بكلّ زمام مائة الف يقودها من الغلاظ الشّداد ، لها حدّة وغضب وزفير وشهيق وانّها لتزفر الزّفرة ، فلولا انّ الله اخّرهم للحساب لاهلكت الجميع ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر ماخلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولانبيّاً الّا ينادي : ربّ نفسي ! نفسي ! . وانت يانبيّ الله تنادي

امّتي امّتي ! . ثمّ يوضع عليها الصّراط ادقّ من الشّعر واحدّ من حدّ السّيف عليه ثلاث قناطر، فامّا واحدة فعليها الامانة والرّحم، والثّانية فعليها الصّلوة ، والثّالثة فعليها ربّ العالمين لا آله غيره فيكلّفون الممرّ عليها فيحبسهم الرّحم والامانة، فان نجوا منها حبستهم الصّلوة ، فان نجوا منها كان المنتهى الى ربّ العالمين وهو قوله : انّ ربّك لبا لمر صاد، والنّاس على الصّراط ،متعلّق بيد ، وتزلّ قدمٌ ، ويستمسك بقدمٍ والملائكة حولها ينادون: ياحليم اعف واصفح وعد بفضلك وسلّم سلّم، والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فاذا نجا ناجٍ برحمة الله مرّ بها، فقال: الحمدلله و بنعمته تتمّ الصّالحات وتزكو الحسنات والحمدلله الّذي نجّاني منك بعد أياس عنه وفضله، انّ ربّنا لغفور شكور [يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ] هذه جواب اذا او هذه مستأنفة و جواب اذا محذوف اوجوابها قوله تعالى : يقول ياليتني قدّمت ، او قوله : فيومئذٍ لا يعذّب عذابه احدٌ والمقصود انّ الانسان في ذلك اليوم يتذكّر خيره وشرّه ، وانّ ايّ الاعمال كان نافعاً وايّها كان ضارّاً لكن لاينفعه ذلك التّذكّر و لذلك قال [وَأَنّٰى لَهُ الذِّكْرىٰ] اى الذّكرى النّافعة [يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيٰوتِي] اى ليتني قدّمت لانتفاعي في حيوتي في الآخرة، اوليتني قدّمت في حيوتي الدّنيا [فَيَوْمَئِذٍ لٰا يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ] قرئ يعذّب بالبناء للفاعل و بالبناء للمفعول وعلى القرائتين فضمير عذابه لله او للانسان و عذابه مفعول مطلق نوعيّ و هذه اوصاف الانسان الغافل الكافر [أَحَدٌ وَلٰا يُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ] حال او جوابٌ لسؤال مقدّر عن حال الانسان المؤمن ناشٍ عن ذكر الانسان الكافر واحكامه وكلا الوجهين بتقدير القول، ونفس الانسان ذات مراتب ودرجات عديدة وامّهات مراتبها بحسب تمكّن الشّيطان منه وتمكّنه في دار الرّحمن و توسّطه منهما ثلاث ؛ وتسمّى الاولى بالامّارة وهي الّتي تأمر بالسّوء اى بما تهواه سواء كان في صورة الخير اوالشّرّ ، ولاترتدع ولاتندم عليه، والثّانية باللّوّامة وهي الّتي تلوم نفسها في كلّ ما أتى خيراً كان اوشرّاً وتحزن على مافعل من حيث شرّيّته، اومن حيث نقصانه عن درجة الكمال ، اومن حيث نسبته الى نفسها ، والثّالثة بالمطمئنّة لاطمينانها الى ربّها وخروجها عن انانيّتها الّتي هي سبب اضطرابها [ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ] المضاف الّذي هو ولىّ امرك وهو على الاطلاق علىّ (ع) او الى ربّ الارباب بالرّجوع الى مظاهره ودار كرامته وضيافته [رٰاضِيَةً] بما فعل ربّك بك [مَرْضِيَّةً] عند ربّك وخلفائه [فَادْخُلِي فِي عِبٰادِي] لخروجك عن انانيّتك و دخولك في العبوديّة بالخروج من الانانيّة [وَادْخُلِي جَنَّتِي] المضاف الى نفسي المعدّة لاوليائي.

اعلم، انّه لايحصل الاطمينان للسّالك الى الله الّا بنزول السّكينة الّتي تسمّى في اصطلاح الصّوفيّة بالفكر والحضور، وهو ان يتمثّل ملكوت ولىّ الامر في صدر السّالك، وحصول صورة ولىّ الامر امّا يكون بنحو المباينة او بنحو الاتّصال او بنحو الاتّحاد او بنحو الوحدة ، ولايحصل الاطمينان التّامّ الّا في المرتبة الاخيرة وان كان يحصل اطمينان ما في المراتب الاُخر ايضاً ، وفيما روى عن الصّادق (ع) دلالة على ماذكر وهو انّه سئل هل يكره المؤمن على قبض روحه؟- قال : لاوالله انّه اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولىّ الله لاتجزع فوالّذي بعث محمّداً (ص) لانا أبرّ بك وأشفق من والدٍ رحيمٍ لو حضرك، افتح عينيك فانظر، قال : و يتمثّل له رسول الله (ص) واميرالمؤمنين (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) والائمّة (ع) من ذرّيّتهم فيقال له : هذا رسول الله (ص) واميرالمؤمنين (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) و الائمّة (ع) رفقاؤك فينظر فينادى روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة فيقول : يا ايّتها النّفس المطمئنّة اى الى آل محمّد (ص) واهل بيته ارجعي الى ربّك راضيةً بالولاية

مرضيّة بالثّواب فادخلي في عبادي يعني محمّداً (ص) واهل بيته وادخلي جنّتي فما من شيء احبّ اليه من استلال[1] روحه واللّحوق بالمنادي وفسّر الآية بالحسين بن عليّ (ع) ولذلك سمّيت السّورة بسورة الحسين بن عليّ (ع).

سورة البلد

مكّيّة، عشرون آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ] اى بلد مكّة وهو البلد الحرام وقد مضى بيان لا اقسم وانّ لا زائدة لتأكيد القسم او نافية، ونفي لمعتقدهم، اونافية ونفى للقسم [وَأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ] اى انت حلال هتكك ومالك ودمك، او انت حلال لك ما تفعله بهذا البلد وان كان في وقت وهو عام الفتح، اوحال ومقيم بهذا البلد، والتّقييد تعظيم له (ص) واشارة الى انّ فخامة المكان تكون بالمكين [وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ] اى آدم (ع) وماولد، او ابراهيم (ع) وما ولد، او عليّ (ع) وما ولد من الائمّة (ع) كما روى، والتّنكير للتّفخيم والاتيان بما في مقام من للتّعجيب، اوالمراد كلّ والد وما ولد بحسب الولادة الجسمانيّة فانّ التّوالد بالكيفيّة المخصوصة في النّزو، وقرار النّطفة في مقرّ مخصوص وخروج الجنين منه ونموّه وبلوغه مبلغ والده امر عجيب يقسم به، او المراد كلّ والد وما ولد بحسب الولادة الرّوحانيّة فانّ الولادة الرّوحانيّة اعجب من الولادة الجسمانيّة، او المراد والد الكلّ بالولادة الرّوحانيّة وهو محمّد (ص) وبعده عليّ (ع) [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ] اى في شدّة ومشقّة في الدّنيا او في الرّحم اومن اوّل خلقته او مستقيماً منتصباً بخلاف سائر الدّوابّ، وعن الصّادق (ع) انّه قيل له: انّا نرى الدّوابّ في بطون ايديها الرّقعتين مثل الكيّ فمن اىّ شيء ذلك؟ قال: موضع منخريه في بطن امّه وابن آدم منتصب في بطن امّه، وذلك قول الله عزّ وجلّ: لقد خلقنا الانسان في كبد، وما سوى ابن آدم فرأسه في دبره ويداه بين يديه [أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ] ضمير يحسب راجع الى الانسان والمراد به مطلق الانسان، او المراد به الانسان المخصوص يعني يحسب ان لن يقدر عليه احدٌ في قتله ابنة النّبيّ (ص)، وقيل: هو ابو الاسد بن كلدة كان قويّاً شديد الخلق [يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا] اللّبد كصرد وسكر واللّابد المال الكثير يعني يقول انفقت مالاً كثيراً في عداوة محمّد (ص) مفتخراً به، اواهلكت مالاً كثيراً في نصرته مغتمّاً به، اواهلكت مالاً كثيراً بامره في الكفّارات وغيرها اظهاراً للغرامة والنّدامة، وقيل: هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك انّه اذنب ذنباً فاستفتى رسول الله (ص) فأمره ان يكفّر فقال: لقد ذهب مالي في الكفّارات والنّفقات منذ دخلت في دين محمّد (ص)، وفي خبر يعني الّذي جهّز به النّبيّ (ص) في جيش[2] العسرة، وفي خبر هو عمرو بن عبدود حين عرض عليه عليّ بن ابي طالب (ع) الاسلام يوم الخندق قال: فاين ما انفقت فيكم مالاً لبداً وكان انفق مالاً في الصّدّ عن سبيل الله [أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ] اى انّه لم يره احد في اعماله وافعاله واقواله فيطالبه بذلك ويسأله عنه والمقصود انّه يظنّ ان لم يره الله تعالى في ذلك وبئس الظّنّ ذلك لا ينبغي ان يظنّ ذلك كيف لم يره احدٌ ولم تره وقد خلقناه وجعلنا فيه دقائق القوى والمدارك والاعضاء ومن جعل له هذه الامور الدّقيقة كيف لا يراه؟! [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ] مشتملتين على عشرة اجزاء بحيث جعلنا فيها نوراً يبصر به الاشياء [وَلِسَانًا] مركّباً

(١) خروج السّيف من الغلاف. (٢) والمراد بها غزوة تبوك.

من اللّحم والعصب والشّرائين والاوردة والاوتار والعظم مفهّماً به ما فی ضميره مدركاً به طعم الطّعوم [وَشَفَتَيْنِ] تكونان حافظتين للّسان وسائر ما فی الفم محسنتين للصّورة معينتين على التّكلّم [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] عطف على مجموع الم نجعل فانّه بمعنى جعلنا له عينين اوعلى مدخول النّفی ، والمراد بالنّجدين سبيل الخير والشّر كما فی الاخبار ، وقيل: المراد بهما الثّديان ، قيل لاميرالمؤمنين (ع): انّ اناساً يقولون فی قوله : وهديناه النّجدين: انّهما الثّديان، فقال: لا ، هماالخيروالشّر [فَلَااقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ] قحّمته فی الامرتقحيماً رميته فيه فجأة بلارويّة فانقحم واقتحم، وقحم فی الامر قحوماً رمی بنفسه فيه فجأة بلا رويّة ، واقتحم بالغ فيه والعقبة المرقى الصّعب من الجبال ، والمراد بها عقبات النّفس الّتی هی الرّذائل الّتی لامرقى اصعب منها فانّ العبورعنها وتخلية النّفس منها والتّرقّی منها الى الخصائل اصعب كلّ شیء ولذلك اتى بالاستفهام التّعجيبیّ لتفخيمها وفسّرها بالعبورعن الرّذائل والدّخول فی الخصائل بالاشارة الى امّهاتهافقال: [وَمَا أَدْرٰيكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ] .

شرح فی القوى الاربع للانسان

اعلم ، انّ الانسان لهقوىً اربع وكلّ من الاربع لهااعتدال وتوسّط بين الافراط والتّفريط فی الآثار، والتّوسّط والاعتدال منهاممدوح ومطلوب ، والافراط والتّفريط مذموموقبيح، والقوى الاربع هی العلّامة والعمّالة والشّهويّة والغضبيّة ، فالعلّامة كسلطان البلد يأمروينهی ويدبّر، والعمّالة كالوزير الّذی يمضی فی امر الملك ، والشّهويّة كالنّاظر الوكيل لخرج الجنود ، والغضبيّة كاميرالجنود ، واعتدال العلّامة بتمييز هابين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل والخير والشّر كما هی ، ويسمّی ذلك التّميز بالحكمة العلميّة ، ولمّا كان الحكمة العلميّة هی التّميز بين الذّوات والاقوال والافعال والاحوال والاخلاق والعلوم والوجدانات والخطرات والخيالات والمشاهدات والتفاتات القلب من حيث ارتباطها ورجوعها الى الآخرة ، وكان فی ازديادها ازدياد كمال النّفس وفی نقصانها نقصانه لم يكن لها طرفا افراط وتفريط ، بل كانت الجربزة الّتی عدوّها افراط القوّة العلّامة النّفسانيّة تفريطاً وقصوراً للنّفس عن البلوغ الى درجة الحكمة ، لانّ الجربزة هی التّصرّف بحسب العلم الوهميّ فی الامور الدّنيويّة زائداً على ماينبغی وليس ذلك الّا من نقصان ادراك الامور الاخرويّة ، فالجربزة والبلادة اللّتان عدّوهما طرفی افراط العلّامة وتفريطها معدود ان من قسم البلادة ولذلك فسّروا الاحمق والسّفيه بمن لايعرف الحقّ سواء كان بحسب الدّنيا سفيهاً اولم يكن ، مثل معاوية فانّه كان بحيث سمّاه اهل زمانه باعقل زمانه ، ولاجل عدم طرف الافراط المذموم للحكمة قالوا: الرّذائل بحسب الامّهات سبع ، والخصائل بحسب الامّهات اربع ، واعتدال العمّالة بان تكون تحت حكم العاقلة العلّامة وان تقدرعلى الاتيان بمايأمرها العاقلة ويسمّی بالعدل الّذی هووضع كلّ شیء فی محلّه ولايمكن ذلك الّا باستخدام الشّهويّة والغضبيّة، وطرفا افراطه وتفريطه يسمّيان بالظّلم والانظلام ، واعتدال القوّة الشّهويّة ان تكون مطيعةً للعمّالة المنقادة للعاقلة العلّامة ويسمّی اعتدالها بالعفّة ، وطرفا افراطها وتفريطهايسمّيان بالشّره والخمود ، واعتدال الغضبيّة يسمّی بالشّجاعة وطرفا افراطها وتفريطها يسمّيان بالتّهوّر والجبن ، وقد يقال : انّ القوى الاربع فی الانسان هی البهيميّة والسّبعيّة والشّيطنة الّتی هی العلّامة النّفسانيّة الوهميّة ، والعاقلة الّتی هی العلّامة العقلانيّة ويجعل العمّالة خادمة للقوى الاربع ويجعل العدل المتوسّط بين الظّلم والانظلام من شعب الشّجاعة ، ويجعل الحكمة الّتی هی التّوسّط بين البلادة والجربزة من مقتضيات العلّامة النّفسانيّة ، ويجعل مقتضی العلّامة العقلانيّة تعديل القوى الثّلاث وتعديل العمّالة بحيث لايخرج شیءٌ منها من حكم العاقلة ويسمّی بالعدالة وتلك العدالة ليس لها طرفا افراط وتفريط بل لها التّفريط فقط وتفريطها هوقصورالعاقلة عن تسخير القوى الثّلاث وهوظلم من القوى وانظلام للعاقلة وكأنّه اراد العلّامة النّفسانيّة من العمّالة من جعل العمّالة منشأً لبعض الخصال للتّلازم الواقع بينهما فقوله تعالى: فَكُّ رَقَبَةٍ ان كان المراد به فكّ

رقبة نفسه عن التقيّد بقيود النّفس كان المراد به اصل الخصال و روحها الّذى يعبّر عنه بالفناء عن نسبة الافعال والصّفات الى نفسه بل عن نسبة الذّات الى نفسه ولذلك قدّمه على الجميع ، و ان كان المراد به فكّ رقاب النّاس عن رقيّة انفسهم وعن النّار كان اشارة الى اشرف اقسام العدل ، و ان كان المراد به فكّ رقاب العبيد الصّورية عن الرّقبة كان اشارة الى اعلى اقسام السّخاوة الّتى هى اشرف انواع العفّة [أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ] اى ذى مجاعة اشارة الى السّخاوة على المعانى الثّلاثة الاوّل لقوله فكّ رقبة والى صنف آخر من السّخاوة على الاخير [يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ] ذا فقر من ترب تربا ومتربا ومتربة بمعنى افتقر [ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا] عطف على اطعام من قبيل عطف الفعل على الاسم الخالص بتأويل المصدر بتقدير ان ، وحينئذ يكون فكّ رقبة اشارة الى الفناء الّذى هو اصل جملة الخصال ، ويكون لفظة او للتّرديد بينه و بين الخصال الّتى تحصل بالبقاء بالله بعد الفناء فى الله ، ويكون الاطعام اشارة الى العفّة ، والكون من الّذين آمنوا ، اشارة الى افضل انواع الحكمة ، ويكون قوله تعالى [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] اشارة الى الشّجاعة فانّ حبس النّفس عن الجزع عند المصيبة ، وعن المعصية عند اقتضاء القوى النّفسانيّة ، وعلى الطّاعة من قوّة القلب الّتى هى الشّجاعة ، وقوله تعالى [وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ] اشارة الى العدالة فانّ العدل الّذى هو وضع كلّ شيء فى محلّه لا يتأتّى الّا بالمرحمة ، والتّواصى بها شعبة من العدالة ، اوقوله كان من الّذين آمنوا عطف على قوله تعالى اقتحم العقبة و العطف بثمّ للتّفاوت بين المرتبتين [أُولَئِكَ] هم [أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ] جواب لسؤال مقدّر وقدمضى انّ اصحاب اليمين شيعة امير المؤمنين (ع) [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ] اوصد اتّخذ حظيرة لابله ، و اوصد الكلب اغراه ، والباب اطبقه واغلقه .

سورة والشّمس

مكّيّة ، كلّها ستّ عشرة آية .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا] اقسم بالشّمس الصّورية ، او بالشّمس الحقيقيّة ، او بالرّوح الانسانيّة [وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا] اى خلفها فى الاضاءة ، او تبعها فى الطّلوع او تلاها عند غروبها بان طلع حين غروبها و هو فى اواسط الشّهر ، اواقسم بقمر النّفس الانسانيّة اذا تلى وتبع الرّوح فى العروج الى الله [وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا] اى جلّى الشّمس وابرزها بكمال الظّهور وهو اوقات اواسط النّهار ، اوالمراد بالشّمس الامام و بالنّهار الصّدر المنشرح بالاسلام اذا ابرز الامام و استشرق بنور الامام ، وهو وقت نزول السّكينة على السّالك بظهور الامام بملكوته عليه [وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا] اقسم بالليل و وقت احاطة ظلمته نور الشّمس فانّ بقاء المواليد وتوليدها لا يكون الّا بظهور الشّمس وغشيان اللّيل [وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا] اى والّذى بناها ، أتى بما ليكون موافقاً لاعتقاد جميع الفرق ، اولفظة ما مصدريّة

[وَالْأَرْضِ وَمَا طَحٰيهَا] طحى كسعى بسط وانبسط واضطجع ، وطحى يطحو بُعد وهلك، والقى انساناً على وجهه [وَنَفْسٍ] كان اللائق بسياق الكلام ان يقول والنّفس بلام الجنس لكنّه عدل عنه امّا لتفخيم النّفس بالنّسبة الى السّابق، اولارادة نفس مخصوصة مفخّمة بحيث لايمكن تعريفه وهى النّفس الكلّيّة اونفس النّبيّ (ص) اوالولىّ (ع) اونفس محمّد (ص) اوعلىّ (ع) ،اولارادة نوع مخصوص منها عظيم وهونوع نفس الانسان [وَمَا سَوّٰيهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوٰيهَا] يعنى القى فى خاطرها فعل فجورها او الهمها معرفة فجورها حتّى تجتنب ومعرفة تقويها حتّى ترتكب [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهَا] انميها واصلحها اوطهّرها [وَقَدْ خَابَ] خسر ، اوكفر ، اوافتقر ، اوجاع [مَنْ دَسّٰيهَا] دسا يد سو نقيض زكى و بمعنى استخفى ، ودسى مثل سعى من اليائىّ ضدّ زكا ايضاً ، و دسّاه من التّفعيل اغواه وافسده ، وقيل : قدخاب من دسّى نفسه فى اهل الخير اى اخفيها فيهم ولبس منهم [كَذَّبَتْ ثَمُودُ] جواب سؤال مقدّر و استشهاد على خيبة من دسّى نفسه [بِطَغْوٰيهَا] الباء للسّببيّة، والطّغوى بمعنى الطّغيان والعصيان ، وقيل: الباء صلة كذّبت والطّغوى اسم للعذاب النّازل بهم [إِذِ انْبَعَثَ] اى نهض لعقر النّاقة [أَشْقٰيهَا] اى اشقى ثمود واسمه قدار كهمام وكان اسم ابيه سالفاً قال رسول الله (ص) لعلىّ بن ابى طالب (ع) : من اشقى الاوّلين؟ـ قال: عاقر النّاقة ، قال: صدقت ، فمن اشقى الآخرين؟ـ قال: قلت: لااعلم يا رسول الله (ص) ، قال: الّذى يضربك على هذه ،واشار الى يافوخه[1] [فَقَالَ لَهُمْ] الاولى ان يكون الفاء للسّببيّة الخالصة [رَسُولُ اللّٰهِ] اى صالح (ع) [نَاقَةَ اللّٰهِ وَسُقْيٰهَا] منصوب من باب التّحذير اوالاغراء، اومنصوب بفعل محذوف من غير باب التّحذير والاغراء اى اتركوا ، و المراد بسقيها نوبة شربها او الماء الّذى كانت تشربها بالنّوبة [فَكَذَّبُوهُ] فى رسالته ، اوفى التّحذير والاغراء ، اوفى نزول العذاب [فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ] دمّه طلاه ، والبيت جصّصه ، والسّفينة قيّرها، والارض سوّاها ، وفلاناً عذّبه عذاباً تامّاً وشدخ رأسه وشجّه وضربه ، والقوم طحنهم فأهلكهم كدمدمهم ودمدم عليهم [فَسَوّٰيهَا] اى سوّى الدمدمة عليهم وعمّهم بها ، اوسوّى ثمود فى الدّمدمة بان عمّهم بها ، اوبان سوّى بعضهم ببعضهم بان جعل كبيرهم على مقدار صغيرهم [وَلَا يَخَافُ عُقْبٰيهَا] اى لايخاف الله عقبى الدّمدمة ، اوعقبى التّسوية لانّه لايردّ عليه شيء من فعله لانّه لايعارضه احدٌ ولاينتقم منه احدٌ اولايخاف العاقر عقبى فعلته ، اولايخاف صالحٌ عقبى العقوبات الّتى خوّفهم بها لكونه على ثقة من ربّه فى نجاته ، اولايخاف عقبى دعوته على القوم وتبعتها، لانّ دعوته على القوم كانت باذن من الله واستحقاق منهم.

سورة والليل

مكّيّة ، احدى وعشرون آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ حق [وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشٰى] بظلمته نور الشّمس والابصار ، و ببرودته المدارك والرّوح الحيوانيّة و النّفسانيّة حتّى تجتمعا فى الباطن ، اويغشى النّاس بالنّوم ، اواقسم بليل الطّبع او النّفس او البلايا ، اوليل القدر اذا يغشى اهله

(١) اليافوخ = الموضع الّذى يتحرّك من رأس الطّفل .

[وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى] وقت الضحى الى الآصال اونهار الروح اوالسرور اونهار عالم المثال اذا تجلى لاهله [وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى] لفظة ما مصدرية اوموصولة بمعنى من، والتأدية بما لتوافق اعتقاد الجميع والمراد بالذكر والانثى جنسهما، او آدم وحوّاء او علىّ (ع) وفاطمة (ع)، وقرئ وخلق الذكر والانثى بدون ما [إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى] اى متفرق، اعلم انّ السعى عبارة عن حركات الاعضاء، ولمّا كان الحركات الارادية لابدّ لها من مبدء ارادىّ والمبدأ الارادىّ لايكون الّا العلّة الغائيّة التى هى مبدأ فاعليّة الفاعل بحسب التصوّر وغاية الفعل بحسب الوجود، وكان الانسان ذا قوىً كثيرة بحسب شعب القوى الشهويّة والغضبيّة والشيطنة والعاقلة منفردةً اومركّبةً، ولكلّ قوّة مبادٍ وغاياتٌ عديدةٌ مثل شهوة النساء مثلاً فانّ المشتهى لهنّ قد يكون الداعى فى سعيه النظر فقط، وقد يكون مع ذلك اللمس، وقد يكون التقبيل والتعانق والتحادث، وقد يكون الالتحاف معهنّ، وقد يكون السفاد كان سعيه مع اختلافه بحسب الصورة مختلفاً فى المبدء والغاية [فَأَمّا مَنْ أَعْطى] من ماله لله، ومن جاهه وعرضه، ومن قوّة قواه وحركات اعضائه، ومن قوّته المتخيّلة والعاقلة [وَاتَّقى] من البخل ومن الاعطاء فى غير طلب رضا الله، وهذا اشارة الى الكمال العملىّ [وَصَدَّقَ] تقليداً بان استمع من صادقٍ وصدّق، اوتحقيقاً بان وجد انموذج ما استمع فى نفسه [بِالْحُسْنى] اى العاقبة اوالمثوبة اوالخصلة اوالفضيلة اوالكلمة الحسنى، وروى عن الصادق (ع) انّ المراد بها الولاية فانّه لاحسنى احسن منها، وقيل: المراد بها التسيير فى الله وهو ايضاً آخر مقامات الولاية وهذا اشارة الى الكمال العلمىّ [فَسَنُيَسِّرُهُ] بحسب العمل [لِلْيُسْرى] اى الخصلة اليسرى التى هى ايسر شيء على انسانيّة الانسان وهى الجدّ فى طلب مرضاة الله فانّه بعد ما كان الانسان مصدّقاً خصوصاً اذا كان تصديقه تحقيقيّاً كان الطاعة ايسر شيء والدّ شيء عنده فقوله تعالى: من أعطى، اشارة الى العمل التقليدىّ، وصدّق اشارة الى انتهاء العمل الى التحقيق، وقوله تعالى: فسنيسّره لليسرى اشارة الى العمل التحقيقىّ، اوالمراد باليسرى التسيير فى الله فانّه الخصلة اليسرى على الاطلاق فانّ التسيير فى الله لايكون الّا بعد الخروج عن انانيّات النفس والفناء الذاتىّ، وكلّ عملٍ يكون مع بقاء انانيّة للنفس يكون له عسرة ما على النفس، اوالمراد باليسرى ضدّ اليمنى، ويسرى النفس الانسانيّة هى الكثرات يعنى سنيسّره للاشتغال بالكثرات بحيث يكون فى نهاية اليسر عليه بعد ما كان عسيراً عليه [وَأَمّا مَنْ بَخِلَ] بحسب العمل التقليدىّ [وَاسْتَغْنى] عن موائد الآخرة بترك العمل لها وهذا اشارة الى النقصان العملىّ والعلمىّ [وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى] اشارة الى النقصان العلمىّ [فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى] اى الطريقة العسرى وهى طريق النفس الى الملكوت السفلى، ولا اعسر على الانسانيّة منها [وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدّى] اى سقط فى الهاوية من: تردّى فى البئر اذا سقط فيها، قال القمىّ: نزلت فى رجلٍ من الانصار كانت له نخلة فى دار رجلٍ وكان يدخل عليه بغير اذنٍ فشكا ذلك الى رسول الله (ص) وفى المجمع كان لرجلٍ نخلة فى دار رجلٍ فقير ذى عيال وكان الرّجل اذا جاء فدخل الدّار وصعد النخل ليأخذ منها التمر فربّما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرّجل من النخلة حتّى يأخذ التمر من ايديهم، وان وجدها فى فىّ احدهم ادخل اصبعه حتّى يأخذ التمرة من فيه، فشكا ذلك الى النبىّ (ص) واخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال النبىّ (ص) لصاحب النخلة، تعطينى نخلتك المائلة التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنّة؟ ـ فأبى، فقال (ص) بعنيها بحديقة فى الجنّة؟ فأبى، وانصرف، فمضى اليه ابوالدّحداح واشتراها منه بأربعين نخلة، واتى الى النبىّ (ص) فقال: يارسول الله (ص) خذها واجعل لى فى الجنّة الحديقة التى قلت لهذا، فلم يقبله، فقال رسول الله (ص) لك فى الجنّة حدائق وحدائق وحدائق، فأنزل الله الآيات، وعن الباقر (ع) فأمّا من أعطى ممّا آتاه الله واتّقى وصدّق بالحسنى اى بانّ الله يعطى

بالواحد عشرا الى مائة الف فازاد فسنيسّره لليسرى لا يريد شيئاً من الخير الّا يسّره، [وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى] قال: والله ما تردّى من جبل ولا من حائط ولا في بئر ولكن تردّى في نار جهنّم، وعنه (ع) فامّا من أعطى واتّقى وآثر بقوته، وصام حتّى وفى بنذره، وتصدّق بخاتمه وهو راكع، وآثر المقداد بالدّينار على نفسه، وصدّق بالحسنى وهى الجنّة والثّواب من الله فسنيسّره لذلك بان جعله اماماً في الخير وقدوةً وأباً للائمّة يسّره الله لليسرى [إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: اليس لله صنع في الاعطاء والبخل حتّى نسب تلك الافعال الى العباد بالاستقلال؟ فقال: ليس علينا الّا الهدى واراءة طريق الخير والشّر [وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى] مبدءً وغايةً وملكاً فنعطى منهما ما نشاء لمن نشاء [فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ] بالولاية [وَتَوَلَّى] عنها، او كذّب بالآخرة، او بالرّسالة [وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى] اى سيجعل منها على جانب او بُعد [الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى] استثناء منقطعٌ او استثناء متّصل من محذوف جوابٌ لسؤال مقدّر اى لا يؤتى ماله الّا ابتغاء وجه ربّه الاعلى [وَلَسَوْفَ يَرْضَى] ان كانت الآيات نزلت في رجل خاصّ فالمعنى عامّ والاصل في من أعطى واتّقى علىّ (ع)، وفي من بخل واستغنى هو عدوّه، وقيل: المراد بمن أعطى ابو بكر حيث اشترى بلالاً في جماعة من المشركين كانوا يؤذونه فأعتقه، والمراد بالاشقى ابوجهل وامية بن خلف.

سورة والضحى

احدى عشرة آية، مكّيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَالضُّحَى] وقت ارتفاع الشّمس او النّهار تماماً بقرينة قوله تعالى [وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى] او ضوء النّهار وقدّم الضّحى ههنا لانّ الخطاب ههنا لمحمّد (ص) والمقدّم في نظره ضحى عالم الارواح بخلاف السّورة السّابقة فانّ المخاطب فيها من كان سعيهم شتّى والغالب عليهم التّقيّد بعالم الطّبع الظّلمانىّ وسجى سجواً سكن اهله او ركد ظلامه [مَا وَدَّعَكَ] قرئ بالتّشديد وبالتّخفيف اى ما تركك [رَبُّكَ وَمَا قَلَى] اى ما ابغضك، عن الباقر (ع) انّ جبرئيل ابطأ على رسول الله (ص) وانّه كانت اوّل سورة نزلت: اقرء باسم ربّك الّذى خلق ثمّ ابطأ عليه فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلا يرسل اليك؟! فأنزل الله تبارك وتعالى: ما ودّعك ربّك وما قلى، وفي حديث: انّ الوحى قد احتبس عنه ايّاماً فقال المشركون: انّ محمّداً (ص) ودّعه ربّه، وقيل: انّ اليهود سألوا محمّداً (ص) عن ذى القرنين واصحاب الكهف فقال (ص): اخبركم غداً ولم يستثن فاحتبس الوحى واغتمّ لشماتة الاعداء، فنزلت تسليةً [وَلَلْآخِرَةُ] اى الدّار الآخرة [خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى] اى الدّنيا او الكرّة الآخرة من جبرئيل فى الوحى عليك خير لك من المرّة الاولى [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى] اى سوف يعطيك فى الدّنيا او فى الآخرة ما يحصل لك به مقام الرّضا او ما يحصل لك الرّضا به، وقد فسّر المعطى بالشّفاعة الكبرى ولذلك ورد انّ هذه

الآية ارجى آية في كتاب الله ، وعن الصادق (ع) رضا جدّي (ص) ان لا يبقى في النار موحّد [اَلَمْ يَجِدْكَ] استفهام انكاريٌّ واستشهاد على اعطاء ما يرضاه كأنّه قيل : ما الدّليل على صدق هذا الوعد ؟ ـ فقال : الدّليل عليه انّه وجدك [يَتِيمًا] عن الاب والامّ [فَـاٰوٰى] اى آواك اليه اووجدك يتيماً بلانظير فآوى النّاس اليك كما في الخبر [وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدٰى] عطف على الم يجدك فانّه في معنى و جدك يتيماً اى وجدك قاصراً عن مرتبة الكمال المطلق فهداك اليه ، او وجدك متحيّراً في امر معاشك فهداك الى تدبير معيشتك فانّه يقال للمتحيّر في مكسبه : انّه ضالّ ، اووجدك لاتعرف ماالكتاب ولاالايمان فهديك اليهما ، وقيل : المعنى وجدك ضالّاً في شعاب مكّة فهداك الى جدّك عبدالمطّلب لانّه روى انّه ضلّ في شعاب مكّة وهوصغير فرآه ابوجهل وردّه الى جدّه ، وقيل : انّ حليمة الّتي كانت ترضعه ارادت ان تردّه الى جدّه بعداتمام رضاعه وجاءت به الى جدّه فضلّ في الطّريق فطلبته جزعة فرأت شيخاً متّكأً على عصاه فسألها عن حالها فاخبرته بذلك فقال : لاتجزعي انا ادلّك عليه فجاء الى هبل فقال : هذه السّعديّة ضلّ عنها رضيعها وجئت اليك لتردّ محمّداً (ص) عليها فلمّا تفوّه باسم محمّد (ص) تساقطت الاصنام وسمع صوتاً انّ هلاكنا على يدى محمّد (ص) فخرج واسنانه تصطكّ فأخبرت عبدالمطّلب (ع) فطاف بالبيت فدعا فأشعر بمكانه فأقبل عبدالمطّلب في طلبه فاذاً هو تحت شجرة يلعب باوراقها ، وقيل : انّه خرج مع عمّه ابى طالب (ع) في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكبٌ ذات ليلة جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطّريق فجاء جبرئيل وردّه الى القافلة ، اوالمعنى وجدك ضالّاً عن قومك بمعنى انّ قومك كانوا لايعرفون مرتبتك فهدى قومك الى معرفتك [وَوَجَدَكَ عَائِلًا] اى فقيراً [فَأَغْنٰى] يعني وجدك محتاجاً في المال فأغناك بمال خديجة ، او بالقناعة اوفي العلم فأغناك بالوحي ، اووجدك ذاعيال فأغناك ، او وجدك تمون قومك بارزاقهم المعنويّة فأغناك بالوحي ، روى عن الرّضا (ع) انّه قال : فرداً لامثل لك في المخلوقين فآوى النّاس اليك ، و وجدك ضالّاً اى ضالّة في قوم لايعرفون فضلك فهداهم اليك ، ووجدك عائلاً تعول اقواماً بالعلم فأغناهم بك [فَاَمَّا الْيَتِيمَ] عن الاب الصّوريّ او عن الامام بان لايكون له امام او بان انقطع عن امامه بغيبته او بموته او بعدم الحضور الملكوتيّ عنده وان كان حاضراً عنده بالحضور الملكيّ ، او اليتيم عن العلم [فَلَا تَقْهَرْ] اى لاتقهره على ماله فتذهب بحقّه او لاتحتقره ، روى انّ رسول الله (ص) قال : من مسح على رأس يتيم كان له بكلّ شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة ، وفي خبر : لايلي احدكم يتيماً فيحسن ولايته و وضع يده على رأسه الّا كتب الله له بكلّ شعرة حسنة ، ومحا عنه بكلّ شعرة سيّئة ، ورفع له بكلّ شعرة درجة ، وفي خبر : انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة اذااتّقى الله عزّ وجلّ ، واشار بالسّبّابة والوسطى [وَاَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ] اى لاتزجر ، والمراد بالسّائل من يسأل من اعراض الدّنيا ، اومن يلتمس امراً من امور الآخرة ، روى عن رسول الله (ص) : اذا اتاك سائلٌ على فرس باسط كفّيه فقد وجب الحقّ ولو بشقّ تمرة [وَاَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ] النّعمة كمامرّ مراراً ليست الّا الولاية ، اوما كان لاهل الولاية من حيث انّهم اهل الولاية سواء كان من لوازم الحياة الدّنيا وطواريها ، اومن لوازم الحياة الآخرة وغاياتها ، وسواء كان بصورة النّعمة او بصورة البلاء ، والتّحديث اعمّ من ان يكون بالفعل او بالقول او بالكتابة او بالاشارة بل التّحديث بالفعال احبّ الى الله من التّحديث بالمقال ، فاذا انعم الله على عبد بنعمة من النّعم الصّوريّة الدّنيويّة او الاخرويّة المعنويّة احبّ ان يرى من المنعم عليه ان يظهرها بلسانه او بفعاله ، فلوكتمها من غير مرجّح الهيّ كان كافراً لانعم الله ، ولمّا كان الخطاب يعمّ الرّسول (ص) واتباعه كان الامر بالتّحديث مختلفاً بحسب اختلاف الاشخاص والاحوال ، فانّه اذاكان الخطاب لمحمّد (ص) كان الامر بتحديث الولاية والنّبوّة والرّسالة والقرآن واحكام الولاية

والنّبوّة والرّسالة ونزول الوحي والملك عليه والنّعم الصّوريّة جميعاً ، وان كان الخطاب لخلفائه كان الامر بتحديث جميع ذلك لكن في النّبوّة والرّسالة القرآن بنحو الخلافة لا الاصالة ، وان كان الخطاب للمؤمنين كان الامر بتحديث الولاية الّتي قبلوها بالبيعة الخاصّة والرّسالة الّتي قبلوها بالبيعة العامّة و بتحديث احكامهما و بتحديث النّعم الصّوريّة ، وان كان الخطاب للمسلمين كان الامر بتحديث الرّسالة الّتي قبلوها بالبيعة العامّة و بتحديث احكامها و بتحديث سائر النّعم ، وعن الصّادق (ع) انّه قال : اذا انعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سُمّي حبيب الله محدّثاً بنعمة الله ، و اذا انعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه سُمّي بغيض الله مكذّباً بنعمة الله ، وعن امير المؤمنين (ع) في حديث منعه لعاصم بن زياد عن لبس العباء وترك الملأ : لا بتذال نعم الله بالفعال احبّ اليه من ابتذاله لها بالمقال وقد قال الله تعالى : وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ والاخبار في اظهار العلم والدّين وسائر النّعم اذا لم يكن مانع من ذلك كثيرة.

سورة الم نشرح

ثمان آيات ، مكّيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] لمّا كان اوّل هذه السّورة على سياق السّورة السّابقة و تعداد النّعمة تعالى على محمّد (ص) ورد في بعض الاخبار انّه لا يقرأ في الفريضة احديهما بدون الاخرى ، وافتى بعض العلماء لذلك انّهما سورة واحدة ، وشرح كمنع كشف وقطع كشرّح من التّشريح وفتح وشرح الشّيء بمعنى جعله وسيعاً ، وشرح الصّدر توسعته بحيث لا يضيق عن ملائم ولا عن غير ملائم ، وشرح صدر محمّد (ص) كان عبارة عن عدم ضيقه عن الجمع بين الكثرات والوحدة ، ودعوة الخلق وعبادة الحقّ ، روى انّه سئل النّبيّ (ص) فقيل : يارسول الله (ص) اينشرح الصّدر؟ـ قال : نعم ، قال : يارسول الله (ص) وهل لذلك علامة يعرف بها ؟ـ قال : نعم ، التّجافي عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والاعداد للموت قبل نزول الموت [وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ] اى حملك الثّقيل الّذى صوّت ، اواثقل ، اوكسر ظهرك ، والمراد ثقل دعوة الخلق اومعاشرتهم ، اوثقل استماع الوحي و رؤية الملك فانّه (ص) في اوّل نزول الوحي صار محموماً وقال : دثّروني كماسبق ، اوثقل اظهار النّبوّة واظهار الصّلوة وغيرها ، اونقل اذى الكفّار والغموم الّتي تلحقه منهم ؛ اوثقل اصلاح المسلمين واقامتهم على الدّين [وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ] بعد ما كنت خامداً مختفياً في شعب عمّك مدّة مديدة ، فانّه رفع ذكره حتّى سمع به في حياته العرب والعجم وسمع به بعد وفاته جميع البلاد ، ورفع ذكره بحيث قرنه بذكره تعالى في الاذان الاعلاميّ وفي اذان الصّلوة واقامتها ، و رفع ذكره بحيث يذكره الخطّاب والوعّاظ في خطبهم ومواعظهم ومنابرهم ، و رفع ذكره بحيث كلّ من سمع به صلّى عليه ، و رفع ذكره بان شقّ اسمه من اسمه [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً] الفاء للسّببيّة والمعنى سهّلنا لك امورك بعد ما كان صعباً اليك بسبب انّا جعلنا ان يكون لكلّ عسر يسرين فهو تعليل لسابقه و وعد له (ص) بيسر آخر ، والمراد بالعسر الفقر اوتألّمه (ص) عن عدم ايمان قومه وعن ايذاء المشركين له (ص) وللمؤمنين ، اوضيق صدره عن المعاشرة مع الخلق ودعوتهم واقامة عوجهم [إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً] تكرير للاوّل وتأكيد له ولذلك لم يأت باداة الوصل ، والمكرّر اذا كان معرّفاً باللّام كان عين الاوّل اذا لم يكن قرينة ، واذا كان منكّراً كان غيره اذا لم يكن قرينة على خلافه ، ولذلك ورد في الاخبار انّه : لا يغلب

عسرٌ يسرين، فعن النّبيّ (ص) انّه خرج مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسرٌ يسرين فانّ مع العسر يسراً، انّ مع العسر يسراً [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ] نصب من باب علم بمعنى اعيى واتعب، وعيشٌ ناصبٌ ذوكدّ وجهد، ونصب من باب ضرب بمعنى رفع ووضع من الاضداد، ونصب له من باب ضرب بمعنى عاداه، والنّاصبيّ من كان معادياً لعليٍّ (ع) مبالغةٌ في النّاصب، اومنسوب الى من ابدع المعاداة له (ص) اوّلاً، والمعنى كلّما فرغت ممّا عليك من مرّمة معاشك ومن دعوة الخلق وجهادهم وممّا افترض الله عليك من امور دينك فاجهد واتعب في ابتغاء وجه الله ومرضاته، وقيل: اذا فرغت من عبادة فعقّبها باخرى ولا تخلّ وقتاً من اوقاتك فارغاً لم تشغله بعبادة، وعن الصّادقين (ع): فاذا فرغت من الصّلوة المكتوبة فانصب الى ربّك في الدّعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك، وعن الصّادق (ع): هو دعاء في دبر الصّلوة وانت جالس، وقيل: اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام اللّيل، وقيل: اذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربّك، وقيل: اذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة، او فانصب في جهاد نفسك، وقيل: اذا فرغت من العبادة فانصب لطلب الشّفاعة، وقيل: اذا صححت وفرغت من المرض فانصب في العبادة، وقيل: اذا فرغت ممّا يهمّك فانصب في الفرار من النّار، وعن الصّادق (ع): اذا فرغت من نبوّتك فانصب عليّاً (ع)، والى ربّك فارغب، وعنه انّه قال: يقول: فاذا فرغت فانصب علمك واعلن وصيّك فأعلمهم فضله علانيةً فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، الحديث، قال: وذلك حين اُعلم بموته ونُعيت اليه نفسه، وظاهر هذين الخبرين انّه (ع) قرئ: انصب بكسر الصّاد، ويمكن استفادة هذا المعنى من القراءة المشهورة لجواز ان يكون المعنى اذا فرغت من تبليغ الرّسالة وتبليغ جميع الاحكام، اومن حجّة الوداع فجدّ واتعب في خلافة عليٍّ (ع) فيكون بمعنى اعي، او بمعنى ارفع خليفتك واعلنه، او بمعنى ارفع خليفتك عليهم، قال الزّمخشريّ: ومن البدع ما روي عن بعض الرّافضة انّه قرئ فانصب بكسر الصّاد اى فانصب علياً (ع) للامامة، ولوصحّ هذا للرّافضيّ لصحّ للنّاصبيّ ان يقرأه هكذا ويجعله آمراً بالنّصب الّذي هو بغض عليٍّ (ع) اقول: ليس في القراءات المشهورة ولا في الشّاذّة قراءة انصب بكسر الصّاد، ولا دلالة فيما ذكرناه من الرّوايتين على القراءة المذكورة، وقوله تعالى بعد ذلك: والى ربّك فارغب، يدلّ على انّه امر بنصب الخليفة فانّ ظاهره يدلّ على نعي نفسه (ص)، والمناسب لنعي نفسه تعيين الوصيّ لنفسه ونصب خليفة للنّاس لئلا ينفصم نظامهم.

سورة والتّين

مكّيّة، وقيل: مدنيّة، ثمان آياتٍ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ] التّين فاكهة معروفة وهو غذاء وادام وفاكهة كثير الغذاء قليل الفضول لا نوى له ولا قشر نافع لكثيرٍ من الامراض واسم جبل بالشّام ومسجد بها، وجبل بقطقان، واسم دمشق، ومسجد، وطور تيناء بفتح التّاء والمدّ والقصر بمعنى طور سيناء، والزّيتون شجرة الزّيت اوثمرتها وهو ايضاً كثير المنافع يعصر منه دهنٌ يكون اداماً وجزءٌ لاكثر الادام في بلادهم، ومسجد دمشق، اوجبال الشّام، وبلد بالصّين، وقرية بالصّعيد، ويجوز لله تعالى القسم بكلّ منهما، ولكن لمّا كان قوله: وطور سينين، وهذا البلد الامين معطوفاً عليهما فالاوفق ان يكون المراد بهما احد الامكنة

بحسب الظّاهر ، و الاوفق بحسب التّأويل ان يكون المراد بالتّين جهة النّفس العمّالة الآلهيّة ، و بالزّيتون جهتها العلّامة فانّهما مسجدان فى العالم الصّغير [وَطُورِ سِينِينَ] سينين وسينا بالمدّ مكسورة السّين ومفتوحتها ، وسينى بفتح السّين و القصر يضاف اليها الطّور ، و قد مضى فى سورة المؤمنون بيانٌ لها [وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ] اى مكّة ، وكونها امناً لجعلها مأمناً بالمواضعة ومأمناً بمحض مشيّة الله حيث ابتلى بعض من اراد التّعرّض لها كأصحاب الفيل ، وطورسينين بحسب التّأويل فى العالم الصّغير اشارة الى الجهة العليا من النّفس التى يناجى الصّاعد عليها ربّه و يشاهد حضرته ، وهذا البلد الامين الى مقام القلب ونواحيه ، وعن الكاظم (ع) انّه قال : قال رسول الله (ص) انّ الله تبارك وتعالى اختار من البلد ان اربعةً فقال تعالى : والتّين والزّيتون و طورسينين وهذا البلد الامين فالتّين المدينة ، و الزّيتون بيت المقدس ، وطورسينين الكوفة ، وهذا البلد الامين مكّة ، وقال القمّىّ : التّين رسول الله (ص) ، والزّيتون امير المؤمنين (ع) ، و طورسينين الحسن (ع) والحسين (ع) ، و هذا البلد الامين الائمّة ، وعن الكاظم (ع) التّين والزّيتون الحسن (ع) والحسين (ع) ، وطورسيناء علىّ بن ابى طالب (ع) ، وهذا البلد الامين محمّد (ص) ، وهذه الاخبار اشارة الى بعض وجوه التّأويل [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] قوّمه جعله معتدلاً ، وقوّمه ازال عوجه ، وكون الانسان فى احسن تقويم بحسب الصّورة والمعنى مشهود ومحسوسٌ فانّه جُعل جميع اجزائه واعضائه مناسباً وموافقاً له ، وجعل جميع مراتبه العالية ايضاً مناسباً وموافقاً ، واذا لوحظ مع كلّ مولودٍ من النّبات و الحيوان كان احسن تعديلاً منه [ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ] نكّر السّافلين للاشارة الى انّهم من فظاعة حالهم ونكارة تسفّلهم لايمكن تعريفهم فانّهم يجعلهم اخسّ واسفل من النّسوان والاطفال والمجانين ، اوجعلناه من اهل اسفل دركات الجحيم ، وقد فسّر الانسان بمنافقى الامّة فى الاخبار فيكون الاستثناء منقطعاً ، وان كان المراد مطلق الانسان وهوالاوفق كان الاستثناء متّصلاً وكان المعنى لقد خلقنا هذا الجنس فى ضمن جميع الافراد فى احسن تقويم بحسب صورته و باطنه ، ثمّ رددناه اسفل سافلين بحسب صورته و بحسب باطنه حيث انزلناه الى اسفل دركات الجحيم [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] قد مضى مكرّراً بيان هذه العبارة يعنى لانردّهم اسفل سافلين [فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] يعنى بسبب انّ لهم اجراً غير مقطوعٍ اوغير ممنون به عليهم فانّ المؤمنين كمايكونون من اوّل الصّبا فى النّمو بحسب الصّورة يكونون فى النّموّ بحسب الباطن الى آخر العمر ليس ينقص زيادة العمر من ايمانهم شيئاً ، وكمايكونون بحسب الباطن فى النّموّ يكون اكثرهم بحسب الظّاهر فى ازدياد البهاء والنّضرة الى آخر العمر [فَمَا يُكَذِّبُكَ] كذّب بالامر من باب التّفعيل انكره ، وكذّبه حمله على الكذب وجعله كاذباً وعدّه كاذباً والمعنى اىّ شيءٍ يحملك او يجعلك او يعدّك كاذباً [بَعْدُ] اى بعد هذا الدّليل المشهود المحسوس على الحشر [بِالدِّينِ] بالحشر والجزاء ، او بسبب هذا الدّين الّذى انت عليه ، او بولاية علىٍّ (ع) او بعلىٍّ (ع) ، والخطاب خاصّ بمحمّد (ص) على التّعريض اوعامّ [أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ] اى احسن الحاكمين فى حكمه اواشدّ المتقنين فى اتقان صنعه يعنى انّك اذا نظرت الى صورة الانسان وسيرته ايقنت بانّه احسن حكماً واتقن صنعاً من كلّ صانعٍ ، ومن كان كذلك لايهمل صنعه الّذى عمل فيه دقائق الصّنع التى تحيّر فيها اولوا الالباب ولايبطله بلاغاية ، فانّ ادنى صانعٍ اذا كان عاقلاً لايبطل صنعه من غير فائدةٍ .

سورة العلق

مكيّة، عشرون آيةً، وقيل: تسع عشر آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[اِقْرَءْ بِاسْمِ رَبِّكَ] فی اکثر الاخبار من طرق العامّة والخاصّة انّ هذه السّورة اوّل سورة نزلت علیه (ص) وکانت هذه السّورة فی اوّل یوم نزل جبرئیل علی رسول الله (ص) واوّل ما نزل کان خمس آیات من اوّلها، وقیل: اوّل ما نزل سورة المدّثّر، وقیل: فاتحة الکتاب، و لفظة الباء فی باسم ربّك للسّببیّة او للاستعانة، والمعنی انّك کنت قبل ذلك تقرأ بنفسك، و بعد ما فنیت من نفسك و ابقیت بعد الفناء و ارجعت الی الخلق صرت مشاهداً للحقّ فی الخلق وفاعلاً وقائلاً وقاریاً بالحقّ لا بنفسك، فاقرء مکتوبات الله فی الواح الطّبائع والمثال ومقروّات ملائکته علیك و مسموعاتك من وسائط الحقّ تعالی بعد ما رجعت الی الخلق باسم ربّك لا بنفسك، و قیل: لفظة الباء زائدة، والمعنی اقرء اسم ربّك والمعنی انّك کنت تقرأ قبل الفناء اسماء الاشیاء، و بعد البقاء ینبغی ان تقرأ اسم ربّك لانّك لاتری بعد ذلك الّا اسماء الله لا اسماء الاشیاء [اَلَّذِی خَلَقَ] یعنی بعد الرّجوع لاتری الاشیاء الّا مخلوقین من حیث انّهم مخلوقون، و لمّا کان قوام المخلوق من حیث انّه مخلوق بالخالق بل لیس للمخلوق من تلك الحیثیّة شیئیّة وانانیّة الّا شیئیّة الخالق وانانیّته فلم یکن فی نظرك الّا اسم الله الخالق، ولمّا کان ظهور خالقیّته واتقان صنعه ودقائق حکمته وحسن صانعیّته بخلق الانسان والسّیر من مقام کماله فی خلقه او فی امره وخلقه الی اخسّ موادّه بطریق السّیر المعکوس قال تعالی [خَلَقَ الْاِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ] العلق محرّکة الدّم عامّة، اوالشّدید الحمرة، اوالغلیظ، اوالجامد منه، والطّین الّذی یعلق بالید، والکلّ مناسب [اِقْرَءْ] خلق الانسان بدل من خلق نحو بدل البعض من الکلّ، اونحو بدل الکلّ من الکلّ، اوتأکید له او مستأنف وتفسیر له، جوابٌ لسؤال مقدّر اومفعول لاقرء الثّانی وهو جوابٌ لسؤال مقدّر کأنّه قیل: ما اقرء؟ـ فقال: اقرء خلق الانسان من علق [وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ] الکریم السّخیّ الحیّی الّذی یعطی بلاعوض ولاغرض، ویتحمّل من غیر عجز، ولایظهر اساءة المسیء فی وجهه، والاکرم البالغ فی ذلك، وهو خبر ربّك او وصفه [اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ] ای علّم الانسان الخطّ بالقلم، او علّم جمیع ما دون الاقلام العالیة جمیع ما یحتاجون الیه تعلیماً وجودیّاً او تعلیماً شعوریّاً بتوسّط الاقلام العالیة، او اشعر الانسان بالقلم الطّبیعیّ حتّی حصّل انواع الخطوط بتوسّطه، اواشعر الانسان بالاقلام العالیة وانّها اوائل علله حتّی یطلب التّشبّه بها والوصول الیها [عَلَّمَ الْاِنْسٰانَ مٰا لَمْ یَعْلَمْ] بدل اوتأکید او مستأنف جوابٌ لسؤال مقدّر والمراد من التّعلیم بالقلم التّعلیم الوجودیّ وبتعلیم ما لم یعلم التّعلیم الشّعوریّ یعنی علّم الانسان بالتّعلیم الشّعوریّ ما لم یعلم بالتّعلیم الوجودیّ اوکلاهما عامّ [کَلّٰا] ردع وجوابٌ لسؤال مقدّر کأنّه قیل: ان کان الرّبّ الاکرم الّذی علّم الانسان ما لم یعلم فما له لم یعلم جمیع الاناسیّ من اوّل اعمارهم جمیع ما لم یعلموا حتّی یستغنوا من اوّل الامر بحسب العلم؟ـ فقال: کفّ عن هذا السّؤال وهذا التّمنّی [اِنَّ الْاِنْسٰانَ لَیَطْغٰی اَنْ رَءٰاهُ اسْتَغْنٰی اِنَّ اِلٰی رَبِّكَ الرُّجْعٰی] خطاب لمحمّد (ص) اوللانسان، وجوابٌ لسؤال مقدّر کأنّه (ص) قال: فما له بعد هذا الطّغیان؟ـ اوکأنّ الانسان قال: فما لنا بعد الطّغیان؟ـ قال:

انّ الى ربّك الرّجعى [أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى] نزلت فى ابى جهل فانّه قال: لو رأيت محمّداً (ص) يعفّر لوطئتُ عنقه، فقيل: هو يسجد، فجاءه ثمّ رجع على عقبه وكان يتّقى بيديه، فقيل له فى ذلك، فقال: انّ بينى وبينه خندقاً من النّار وهولاً واجنحة [أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ] المصلّى [عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى] اى وامر بالتّقوى لكنّه أتى بلفظة او للاشعار بانّ كلّاً من الوصفين يكفى فى سوء حال النّاهى عن الصّلوة، وجواب الشّرط محذوف [أَرَأَيْتَ] هذه وسابقتها تكرير وتأكيد للاولى فانّ المقام مقام الذّمّ والسّخط، والتّكرير مطلوب [إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى] متعلّق كذّب وتولّى يجوز ان يكون الله او الرّسول او الصّلوة [أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى] يعنى ان كان يعلم فهو ملوم مستحقّ للعذاب مرّتين، وان كان لا يعلم فهو ملوم ومستحقّ للعذاب مرّة واحدة [كَلَّا] ردع للانسان عن فعلته [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ] سفعه لطمه وضربه، وسفع الشّيء وسمه، وسفع السّموم وجهه لفحه لفحاً يسيراً، وسفع بناصيته قبض عليها فاجتذبها، ويجوز ان يكون السّفع ههنا من كلّ من هذه اى لنقبضنّ على ناصيته ونجرّنّه الى النّار، اولنسوّدنّ وجهه، والاختصاص بالنّاصية لانّه اشرف اجزاء الوجه وما به ظهوره اولاً، او لنعلمنّه[1] اولنذلّنّه، او لنضربنّه، وقد مضى فى سورة هود تحقيق الاخذ بناصية كلّ دابّة عند قوله تعالى: ما من دابّة الّا هو آخذٌ بناصيتها [نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ] نسبة الكذب والخطيئة الى النّاصية مجاز [فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ] اى اهل ناديه، قيل: انّ اباجهل قال: اتهدّدنى وانا اكثر اهل الوادى نادياً؟! فنزلت [سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ] جمع الزّبنية كشرذمة متمرّد الجنّ والانس والشّديد منهما، والشّرطىّ، اوالزّبانية جمع الزبنىّ بكسر الزّاء والنّون وتشديد الياء بمعنى الشّرطىّ، يعنى سندعوا الزّبانية لاخذه فليدع ناديه لدفع العذاب ومدافعتنا [كَلَّا] ردع لمحمّد (ص) عن انثلام عزيمته فى طاعة ربّه، اوالخطاب عامّ وكلّا ردعٌ لمن اراد اتّباع ابى جهل فى غوايته [لَا تُطِعْهُ] فى النّهى عن الصّلوة او فى تكذيبه لمحمّد (ص) [وَاسْجُدْ][2] ولا تكترث بنهيه اى صلّ واسجد فى صلوتك اوتذلّل لربّك [وَاقْتَرِبْ] بسجدتك الى ربّك فانّ اقرب ما يكون العبد الى ربّه وهو ساجد، والسّجود ههنا فرض، فعن ابى عبدالله (ع): العزائم الم تنزيل، وحم السّجدة، والنّجم اذا هوى، واقرء باسم ربّك، وما عداها فى جميع القرآن مسنون وليس بمفروض، وفرض السّجدة على الامّة ان كان الخطاب خاصّاً بمحمّد (ص) كان بتبعيّته وفرض السّجدة لقراءة امثال هذه الآية واستحبابه لما ذكرنا مكرّراً انّ القارى ينبغى ان يكون حين القراءة فانياً عن نسبة الافعال الى نفسه ويكون لسانه لسان الله لا لسان نفسه حتّى لا يكون فى زمرة من قال الله تعالى: يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فاذا صار لسان القارى لسان الله ينبغى ان يستمع الامر بالسّجدة من الله فيسجد لسماع الامر بالسّجدة امتثالاً لامر الله المسموع من لسانه الّذى صار لسان الله.

سورة القدر

مكّيّة، وقيل: مدنيّة، ستّ آيات

---

(١) من العلامة. (٢) سجدة واجبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ] اى القرآن ، ابهمه من دون ذكر له تفخيماً له بادّعاء انّه معيّن من غير تعيين كما انّ نسبة الانزال الى ضمير المتكلّم و تعيين الظّرف تفخيم له و قد انزل القرآن بصورته [فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] الّتى هى صدر محمّد (ص) ، وفى ليلة القدر الّتى هى النّقوش المداديّة والالفاظ الّذى يختفى المعانى تحتها.

اعلم، انّه يعبّر عن مراتب العالم باعتبار امد بقائها ، وعن مراتب الانسان باعتبار النّزول باللّيالى و باعتبار الصّعود بالايّام لانّ الصّاعد يخرج من ظلمات المراتب الدّانية الى انوار المراتب العالية ، و النّازل يدخل من انوار المراتب العالية فى ظلمات المراتب النّازلة كما انّه يعبّر عنها باعتبار سرعة مرور الواصلين اليها و بطوء مرورهم بالسّاعات و الايّام والشّهور و الاعوام ، و ايضاً يعبّر عنها باعتبار الاجمال فيها بالسّاعات و الايّام و باعتبار التّفصيل بالشّهور والاعوام، وانّ المراتب العالية كلّها ليال ذوو الاقدار وانّ عالم المثال يقدّر قدر الاشياء تماماً فيه و يقدّر ارزاقها وآجالها ومالها و ما عليها فيه ، وهو ذو قدر وخطر ، وهكذا الانسان الصّغير وليالى عالم الطّبع كلّها مظاهر لتلك اللّيالى العالية ، فانّها بمنزلة الارواح لليالى عالم الطّبع و بها تحصّلها و بقاؤها لكن لبعض منها خصوصيّة ، بتلك الخصوصيّة تكون تلك اللّيالى العالية اشدّ ظهوراً فى ذلك البعض ولذلك ورد بالاختلاف و بطريق الابهام والشّكّ: انّ ليلة القدر ليلة النّصف من شعبان، اوالتّاسع عشر اوالحادى والعشرون، اوالثّالث والعشرون ، اوالسّابع والعشرون، اواللّيلة الاخيرة من شهر رمضان وغير ذلك من اللّيالى ، وعالم الطّبع وكذلك عالم الشّياطين والجنّ بمراتبها ليس بليلة القدر، وهذان العالمان عالما بنى اميّة وليس فيهما ليلة القدر ، والاشهر المنسوبة الى بنى اميّة الّتى ليس فيها ليلة القدر كناية عن مراتب ذينك العالمين [وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ] الاتيان بالاستفهامين لتفخيم تلك اللّيلة ، ولمّا لم يمكن بيان حقيقة تلك اللّيلة قال تعالى [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ] ليس فيها ليلة القدر ، فى اخبار كثيرة عن طريق الخاصّة: انّ رسول الله (ص) رأى فى منامه انّ بنى اميّة يصعدون على منبره من بعده و يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى فأصبح كئيباً حزيناً فهبط عليه جبرئيل فقال : يارسول الله (ص) مالى اراك كئيباً حزيناً؟ـ قال: ياجبرئيل انّى رأيت بنى اميّة فى ليلتى هذه يصعدون منبرى من بعدى يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى ، فقال : والّذى بعثك بالحقّ نبيّاً انّى ما اطّلعت عليه فعرج الى السّماء فلم يلبث ان نزل عليه بآى من القرآن يونسه بها ، قال: افرأيت ان متّعناهم سنين ثمّ جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتّعون وانزل عليه: انّا انزلناه فى ليلة القدر و ما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرٌ من الف شهر ، جعل الله ليلة القدر لنبيّه (ص) خيراً من الف شهر ملك بنى اميّة ، روى انّه ذكر لرسول الله (ص) رجلٌ من بنى اسرائيل انّه حمل السّلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب من ذلك عجباً شديداً وتمنّى ان يكون ذلك فى امّته فقال : يا ربّ جعلت امّتى اقصر الامم اعماراً واقلّها اعمالاً فأعطاه الله ليلة القدر وقال: ليلة القدر خيرٌ من الف شهر الّذى حمل الاسرائيلىّ السّلاح فى سبيل الله لك ولامّتك من بعدك الى يوم القيامة فى كلّ رمضان [تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ] تنزّل نزل فى مهلة ومضى فى سورة بنى اسرائيل بيان الرّوح وانّه اعظم من جميع الملائكة وانّه ربّ النّوع الانسانىّ [فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ] بعلمه او اباحته [مِنْ كُلِّ أَمْرٍ] لاجل كلّ امر قدّر فى تلك اللّيلة وقرئ من كلّ امرء بهمزة فى آخره يعنى من اجل كلّ انسان من حيث خيره او شرّه ، وقيل: من كلّ امر متعلّق بقوله تعالى [سَلَامٌ هِيَ] و الظّاهر انّه متعلّق بتنزّل ومعنى سلامٌ هى [حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ] انّ تلك اللّيلة

سلامة من كلّ شرّ وآفة ، اوهي تحيّة على طريق المجاز كما ورد عن السّجّاد (ع) يقول : يسلّم عليك يامحمّد (ص) ملائكتي وروحي سلامي من اوّل مايهبطون الى مطلع الفجر ، وقال القمّيّ : تحيّة يحيّى بها الامام الى ان يطلع الفجر ، وفي خبر انّ علامة ليلة القدر ان يطيب ريحها ان كانت في برد دفئت ، وان كانت في حرّ بردت ، وفي رواية : لاحارّة ولا باردة تطلع الشّمس في صبيحتها ليس لها شعاع .

سورة البيّنة

مدنيّة ، وقيل : مكّيّة ، ثمان آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ] اى اليهود والنّصارى فانّهم كانوا معروفين بهذا الاسم [وَالْمُشْرِكِينَ] عبدة الاصنام اوعبدة الاصنام وغيرهم من اصناف المشركين ، وسمّى اهل الكتاب كافرين لانّهم ستروا الدّين والطّريق الى الله ، وستروا الحقّ بحسب صفاته وان كانوا اقرّوا بالتّوحيد [مُنْفَكِّينَ] اى لم يكونوا متفرّقين بان يكون بعضهم على الحقّ وبعضهم على الباطل بل كان جميعهم على الباطل مجتمعين فيه اومنفكّين عن دينهم اوعن الوعد باتّباع الحقّ اذاجاءهم محمّد (ص) اوعن الاقرار بمحمّد (ص) ورسالته اوعن الحجج والبراهين [حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ] المراد بالبيّنة الرّسول (ص) اورسالته اومعجزاته ، واستقبال تأتيهم بالنّسبة الى قوله لم يكن والّا فهو على المضىّ [رَسُولٌ مِنَ اللهِ] بدل من البيّنة بدل الكلّ او بدل الاشتمال اورسوله خبر مبتدء محذوف او مبتدء خبر محذوف او مبتدء خبره قوله تعالى [يَتْلُوا] عليهم [صُحُفًا مُطَهَّرَةً] والمراد بالصّحف الالواح العالية والاقلام الرّفيعة ، اوالصّدور المستنيرة والقلوب المضيئة ، اوالكتب الماضية السّماويّة من كتب الانبياء الماضين والكلّ مطهّر من التّغيير والتّبديل والمادّة ونقائصها وانقلاباتها ومن مسّ ايدى الاشرار ومن اتيان البطلان اليها [فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ] اى مكتوبات مستقيمة لاعوج فيها اصلاً ، اومقيمة تقيم كلّ من اتّصل بها ، اومعتدلة لاانحراف فيها ، اوكافية يكفى جميع امور من توسّل بها ، اوالمراد بالصّحف المطهّرة القرآن وفيها جميع العلوم القلبيّة والقالبيّة الكافية لمن تدبّرها وتوسّل بها [وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ] فيما ذكر سابقاً [إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ] يعنى لم يكونوا منفكّين عن دينهم اواجتماعهم اوتصديق محمّد (ص) وما تفرّقوا الّا بعد الرّسول (ص) بان صدّق بعضهم وكذّب بعضهم وبقى بعضهم على دينه وترك بعضهم دينه [وَما أُمِرُوا] اى والحال انّهم ما امروا بشيء [إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ] الحنيف الصّحيح الميل الى الاسلام الثّابت عليه وكلّ من حجّ اوكان على دين ابراهيم [وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ] قد مضى في اوّل البقرة بيان لاقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة يعنى انّ اهل الكتاب ما امروا على لسان انبيائهم (ع) وفي كتبهم الّا بتوحيد العبادة المستلزم لتوحيد الواجب والمبدء ، وباقامة الصّلوة الّتى هى عماد الدّين وجالب الخصائل ، وايتاء الزّكوة الّذى هو تطهير من كلّ رذيلة ، وما تأمرهم انت ايضاً الّا بذلك ، فمالهم اختلفوا في تصديقك وتكذيبك؟! [وَذلِكَ] اى توحيد العبادة وتوحيد المبدء واقامة الصّلوة

وايتاء الزكوة [دِينُ الْقَيِّمَةِ] اى دين الكتب القيّمة ، وقيل : القيّمة جمع القائم اى دين القوم القائمين بأمر الله [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالرّسول (ص) او بكتابه او بأمر الله تعالى فى رسوله (ص) او بالولاية و الجملة جواب لسؤال مقدّر عن حال المختلفين [مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ] عطف على الّذين كفروا اوعلى اهل الكتاب [فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] من اهل الكتاب والمشركين اومن اىّ فرقة كانوا [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] ومقام الرّضا آخر مقامات النّفس الانسانيّة كما انّ جنّة الرّضوان آخر الجنان [ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] قد مضى مكرّراً انّ الخشية حالة حاصلة من امتزاج الخوف والحبّ ولاتكون الّا بعد العلم بالمخشىّ منه الّذى كان له محبوبيّة ولذلك قال تعالى : انّما يخشى الله من عباده العلماء يعنى من لم يعلم بالله لم يخشه لعدم حصول المحبّة له .

سورة الزلزال

تسع آيات مدنيّة ، وقيل: مكّيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا] المعهود وهو زلزال القيامة الصّغرى اوالكبرى اوالزّلزال اللّائق بحالها وهو الزّلزال المحيط بها وهو الزّلزال العامّ الّذى ليس الّا فى القيامة ، فانّ ارض البدن عند الاحتضار يتزلزل تزلزلاً عظيماً [وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا] اثقال الارض عبارة عن القوى والارواح وعن القوى والاستعدادات المكمونة فى ارض العالم الكبير او فى الابدان فانّ ارض البدن عند الموت تخرج بالموت جميع مافيها من الفعليّات الموجودة والاستعدادات المكمونة و تظهر حينئذ جميع المكمونات فى العالم الكبير [وَقَالَ الْإِنْسَانُ] الواقع فى الزّلزال او النّاظر الى الزّلزال تعجّباً من ذلك الزّلزال [مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا] روى عن الباقر (ع) انّ امير المؤمنين (ع) قال: انا الانسان وايّاى تحدّث اخبارها ، وروى عن النّبىّ (ص) انّه قال: اتدرون ما اخبارها؟ قالوا: الله ورسوله اعلم، قال : اخبارها ان تشهد على كلّ عبد وامة بما عمله على ظهرها ، تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهذه اخبارها [بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا] ان تحدّث وحى الهام اووحياً بتوسّط الملك [يَوْمَئِذٍ] اى يوم القيامة الصّغرى [يَصْدُرُ النَّاسُ] اى القوى و المدارك الانسانيّة فى العالم الصّغير من مرافدها و محالّها اويوم القيامة الكبرى يصدر افراد النّاس من مراقدهم ومواقفهم [أَشْتَاتًا] متفرّقين فى صفوف عديدة بحسب مراتبهم ودرجاتهم فى السّعادة والشّقاوة [لِيُبَرَّوْا أَعْمَالَهُمْ] قرئ بفتح الياء وضمّها، وقد مضى مكرّراً انّ العامل يحصل من عمله فعليّة فى نفسه و يراه العامل بعد الموت بصورة مناسبة لذلك العمل وهذا العامل ، و يرى صورة اخرى موافقة لتلك الصّورة فى الآخرة فيرى أعماله بانفسها و بصورها اللّائقة بها المعبّر عن تلك الصّور بجزاء الاعمال [فَمَنْ يَعْمَلْ] من المؤمنين [مِثْقَالَ ذَرَّةٍ]

ای مقدارذرّة [خَيْرًا يَرَهُ] یعنی لا یعزب عن نظر المؤمنین شيء يسيرٌ من اعماله و یری اعماله بصورها و بجزائها، واما شرور المؤمن فاما ممحوّة اومغفورة اومبدلة، فلا یراها، اوالمعنی فمن یعمل من المؤمن والکافر مثقال ذرّة خیراً یره لکنّ المؤمن یراه فی میزان نفسه والکافر یراه فی میزان المؤمن، فیزداد تحسّره [وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] یعنی من یعمل من الکافر فانّ خیرات الکافر تحبط، وشرور المؤمن قد ذکر انّه لا یراها، اومن الکافر والمؤمن فانّ المؤمن یری شروره فی میزان الکافر.

سورة والعاديات

احدی عشرة آیة، مدنیّة، وقیل: مکّیّة

بسم الله الرحمن الرحیم

[وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا] اقسم بالخیل العادیات فی الجهاد، والضّبح صوت انفاس الخیل وهو مفعول مطلق للعادیات فانّها مستلزمة للضّبح، او لفعله المحذوف، او حال بمعنی ضابحات [فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا] وری الزّند خرجت ناره، واوریت الزّند اخرجت ناره، وقدح بالزّند رام اخراج ناره، عبّر عن خروج النّار من ملاقات حوافر الخیل والاحجار بالایراء والقدح [فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا] ای وقت صبح، واغار بمعنی عجّل فی المشی واغار علی القوم غارة واغارة، واغار الفرس اشتدّ عدوه فی الغارة [فَأَثَرْنَ بِهِ] ای بالصّبح او بالعدو [نَقْعًا] ای غباراً [فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] الکنود کافر النّعم، والکافر واللّوّام لربّه تعالی، والبخیل، والعاصی، و من یأکل وحده و یمنع رفده و یضرب عبده، والمراد بالانسان مطلق الانسان، فانّها کما روی نزلت فی غزاة علیّ (ع) لاهل الوادی الیابس کانوا اثنی عشر الفاً قد استعدّوا وتعاهدوا وتعاقدوا علی ان یقتلوا محمّداً (ص) وعلیّ بن ابی طالب (ع) فأرسل النّبیّ (ص) الیهم ابابکر فلمّا وصل الیهم ورأی عدّتهم وکثرتهم جبّن وجبّن اصحابه ورجع الی رسول الله (ص) فقال الرّسول (ص): خالفت قولی وعصیت الله وعصیتنی، ثمّ ارسل الیهم عمر، ففعل مثل ما فعل صاحبه، ثمّ ارسل الیهم علیّاً (ع) واخبر انّه سیفتح الله علی یدیه، فسار علیّ (ع) الیهم فی اربعة آلاف من المهاجرین والانصار وسار بهم غیر مسیر صاحبیه فانّهما کانا یسیر ان برفق وسار علیّ (ع) واتعب القوم حتّی وصل الی مکان یرونهم فلمّا سمع اهل الوادی الیابس بمقدم علیّ (ع) اخرجوا الیه منهم فأتی رجل شاکی السّلاح وخرج علیّ (ع) مع نفر من اصحابه فقالوا لهم: من انتم؟ ومن این اقبلتم؟ قال: انا علیّ بن ابی طالب جئنا الیکم لنعرض علیکم الاسلام فان تقبّلوا والّا قتلناکم، فقالوا: انّا قاتلوك و قاتلوا اصحابك، والموعود بیننا و بینك وقت الضّحوة من غد، فانصرفوا و انصرف علیّ (ع)، فلمّا جنّه اللّیل امر اصحابه ان یحسنوا الی دوابّهم فلمّا انشقّ عمود الصّبح صلّی بالنّاس بغلس ثمّ أغار علیهم بأصحابه، فلم یعلموا حتّی وطئتهم الخیل فما أدرك آخر اصحابه حتّی قتل مقاتلیهم، وسبی ذراریهم، واستباح اموالهم، وخرّب دیارهم، واقبل بالاساری والاموال معه، فصعد الرّسول (ص) المنبر قبل وصول علیّ (ع) واخبر النّاس بما فتح الله علی المسلمین واعلمهم انّه لم یفلت منهم الّا رجلان، ونزل، فخرج یستقبل علیّاً (ع) فی جمیع اهل المدینة حتّی لقیه علی ثلاثة امیال من المدینة، فلمّا رآه علیّ (ع) مقبلاً نزل عن دابّته ونزل النّبیّ (ص) حتّی التزمه وقبّل ما بین

عينيه ، وعن جعفر بن محمّد (ع): ما غنم المسلمون مثلها قطّ الّا ان يكون من خيبر فانّها مثل خيبر فانزل الله تبارك فى ذلك اليوم هذه السّورة [وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ] يعنى انّ الانسان يشهد و يعلم انّه كنود ، اوالله يشهد على انّه كنود [وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] اى بخيل اوقوىّ ، والمراد بالخير المال اوالحياة اوكلّ ما كان ملائماً للانسان [أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ] اى بعث [مَا فِي الْقُبُورِ] اى قبور التّراب من الاموات ، وقبور الابدان من القوى والفعليّات ، والقوى والاستعدادات المكمونات [وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ] من النّيّات والارادات والخيالات والاعتقادات [إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ] الجملة مفعول يعلم معلّق عنها العامل يعنى انّه ينبغى ان يعلم ذلك فيرتدع من خلاف قول رسوله (ص) وضمير بهم راجع الى الانسان لانّه امّا فى معنى الجنس ، اوراجع الى مافى القبور ، والتّعبير بما لانّ ما فى القبور مادام فى القبور فى حكم غير ذى الشّعور ، واذا بعث من القبور صار فى حكم ذى الشّعور.

سورة القارعة

مكّيّة ، احدى عشرة آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ] وضع الظّاهر موضع المضمر وتكرير الاستفهام ونفى دراية محمّد (ص) اودراية من له شأن الدّراية تعظيم وتهويل للقارعة والمراد بالقارعة امّا القيامة فانّها تقرع كلّ من كان له فى الدّنيا انانيّة بما فيها من الاهوال ، او المراد بها الدّاهية الّتى تكون فى القيامة [يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ] الّذى يتهافت على السّراج ولايكون لحركته وطيرانه نظام ، شبّه النّاس فى القيامة به لشدّة تحيّرهم وعدم انتظام حركاتهم مثل قوله تعالى: كأنّهم جرادٌ منتشرٌ و يوم منصوب بالقارعة ، او باعنى محذوفاً ، اويكون محذوفاً [وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ] العهن الصّوف اوالمصبوغ منه الواناً ، والمنفوش المنتشر والمعنى تكون الجبال كالصّوف المصبوغ المندوف [فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ] اى ذات رضا ، او الوصف بحال المتعلّق اى فى عيشة راضٍ صاحبها [وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ] الامّ ههنا بمعنى المسكن او الخادم ، او المعنى امّ رأسه ساقطة فى النّار ، لكنّ الاوّل اولى ليوافق ظاهره التّفسير الّذى فى قوله تعالى [وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ] شديد الحرارة.

سورة التكاثر

مدنيّة ، وقيل: مكّيّة ثمان آياتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

[أَلْهٰيكُمُ التَّكٰاثُرُ] اى التّفاخر والتّغالب بكثرة المال والاولاد ، او بكثرة العشائر والقبائل، اوالاهتمام فى تكثير الاموال والاولاد ، والى كلّ اشير فى الاخبار [حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ] يعنى ماقنعتم بالتّكاثر بالاحياء حتّى عددتم الاموات والحال انّ الاعتبار بالاموات كان اولى من الافتخار بهم ، اوالهاكم التّفاخر اوطلب الكثرة حتّى متّم ودخلتم المقابر ، والى كلّ اشير فى الاخبار [كَلّٰا] ردع عنه اى انتهوا عن ذلك [سَوْفَ تَعْلَمُونَ] انّ الاشتغال عن الآخرة بالتّكاثر سبب دخول الجحيم بل هو دخول فى الجحيم لكن لمّا كان مداركم خدرة وابصاركم فى غشاوة فى الدّنيا لم تحسّوا بألمها ولم تبصروا نارها وانواع عذابها ، اوالمعنى سوف تصيرون من اهل العلم واذا صرتم عالمين رأيتم الجحيم ولم يكن ينفعكم علمكم حينئذٍ [ثُمَّ كَلّٰا سَوْفَ تَعْلَمُونَ] تأكيد للاوّل وتخلّل ثمّ للمبالغة فى التّأكيد، اوالاوّل فى القيامة الصّغرى والثّانى فى القيامة الكبرى [كَلّٰا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ] فى الدّنيا [الْجَحِيمَ] كما انّكم فى الآخرة تصيرون عالمين فترون الجحيم وقد مضى مكرّراً انّ علوم النّفوس لكونها غير المعلومات وجواز انفكاك المعلومات عنها اذا كانت النّفوس مدبرة عن دار العلم سمّيت ظنوناً فى الكتاب والاخبار بخلاف ما اذا كانت مقبلة على دار العلم ، فانّ ظنونها تصير علوماً بل اشرف من العلوم حينئذٍ ، ومراتب اليقين ثلاث ؛ علم اليقين وهو ادراك الشّيء بصورته الحاصلة عند النّفس بشهود آثار ذلك الشّيء او وجدانها فى وجوده ، وعين اليقين وهو مشاهدة عين ذلك الشّيء ، وحقّ اليقين وهو التّحقّق بذلك الشّيء ، والمعنى لو تعلمون فى الدّنيا علم اليقين لادّى بكم الى رؤية الجحيم فى الدّنيا فانّ الظّنّ يؤدّى الى العلم ، والعلم الى الرّؤية ، والرّؤية الى المعاينة ، والمعاينة الى التّحقّق، ولقد مرّ تفصيل تامّ لمراتب الظّنّ والعلم واليقين ، والفرق بين العلم الاخروىّ والعلم الدّنيوىّ فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون [ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَيْنَ الْيَقِينِ] .

اعلم، انّ للرّؤية مراتب ؛ فاولى مراتبها المشاهدة بدرجاتها مثل ان يشاهد الشّيء عن بعد من غير تميز جميع معيّناته وجميع دقائق شخصه وصورته، وثانية مراتبها المعاينة بدرجاتها مثل ان يشاهد الشّيء بجميع مشخّصاته ودقائق وجوده ، وثالثة مراتبها التّحقّق بالمرئىّ بدرجاتها [ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ] الاتيان بثمّ للاشارة الى انّ هذا السّؤال بعد ما علموا انّهم اشتغلوا بما لافائدة لهم فيه ، او للتّرتيب فى الاخبار [يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ] قد ذكر فى اخبار كثيرة من جملة النّعيم المسؤل عنه ملائمات القوى الحيوانيّة والملاذّ الدّنيويّة كالطّعام واللّباس والرّطب والماء البارد ، وفى اخبار اخر انكار ان يكون النّعيم المسؤل ذلك وانّ السّؤال والامتنان بالنّعمة وصف الجاهل اللّئيم، وانّ الله نهى عن ذلك وانّ الله لايوصف بمالا يرضاه لعباده ، وانّ النّعيم المسؤل عنه محمّد (ص) وعلىّ (ع)، اوحبّنا اهل البيت، اوولايتنا اهل البيت ، والتّحقيق فى هذا المقام والتّوفيق بين الاخبار انّ النّعمة كمامرّ مراراً ليست الّا الولاية وكلّ ما اتّصل بالولاية سواء كان من ملائمات الحيوانيّة اومن موذيات القوى الحيوانيّة ، وبعبارة اخرى سواء عدّ من النّعم الدّنيويّة اومن النّقم الدّنيويّة كان نعمة ، وكلّ ما انقطع عن الولاية كان نقمة وان كان بصورة النّعمة ، وكلّ من اتّصل بالولاية كان ضيفاً لله وكان جميع نعمه الصّوريّة والمعنويّة مباحة له وكان مأموراً بالتّصرّف فيها بمنطوق قوله تعالى: يا ايّها الّذين آمنوا كلوا من طيّبات مارزقناكم ولايسأل الله تعالى عن شيء منها ولو سأل كان سؤاله مثل السّؤال

عن الضّيف وانّه كيف أكل؟ ولِمَ أكل؟ وعلى اىّ مقدارٍ أكل؟ ولِمَ لم يعمل لى على قدر ما أكل ؟ وكان قبيحاً عن البشر فكيف بخالق البشر ، ومن انقطع عن الولاية كان جميع نعمه الصّوريّة مغصوبة فى يده وللحاكم والمالك ان يسألا الغاصب عن تصرّفاته فى العين المغصوبة ، ولاقبح فى ذلك السّؤال ، ولمّا كان الخطاب للمحجوبين المنقطعين عن الولاية كان المراد بالنّعيم الولاية ثمّ جميع الملائمات الحيوانيّة والانسانيّة وكان السّؤال عن اداء شكرها وصرفها فى مصرفها اوغير مصرفها ، اوالمعنى اذا رفع حجاب الخيال والوهم عن بصائركم ووصلتم الى دار العلم وشاهدتم الجحيم وآلامها والجنّات ولذّاتها وعاينتم انّ النّعيم الصّورىّ صار سبباً لدخول الجحيم ، وايقنتم انّ النّعيم الصّورىّ كان نقمة فى الحقيقة ، وانّ النّعيم كان الولاية ولوازمها الّتى هى الجنّة ونعيمها تسألون اكان ماكنتم فيه من الملاذّ الحيوانيّة نعيماً ام ما عليه المؤمنون توبيخاً لكم ؟ اوالمعنى انّكم اذا وصلتم الى مقام المعاينة تسألون عن مقام حقّ اليقين ماهو؟ لانّكم بالمعاينة تجدون ذوق الحقيقة وجاز لكم السّؤال والجواب عنها ، وما روى عن الرّسول (ص) يؤيّد ما وفّقنا به بين الاخبار فانّه قال : كلّ نعيمٍ مسؤل عنه صاحبه الّا ماكان فى غزو اوحجّ ، فانّ السّالك القابل للولاية فى غزوٍ وحجّ شعر به ام لا ، وكذلك ما روى عن الصّادق (ع) انّه قال : من ذكر اسم الله على الطّعام لم يسأل عن نعيم ذلك فانّ الذّاكر لاسم الله ليس الّا من قبل الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ غيره بمضمون : من لم يكن له شيخ تمكّن الشّيطان من عنقه ، قد تمكّن الشّيطان منه ، ويكون كلّ افعاله واقواله واحواله بتصرّف الشّيطان فاذا قال ، بسم الله : يتصرّف الشّيطان فيه ويخلّى اللّفظ من معناه ويجعل نفسه فى الله فيصير بسم الله فى الحقيقة بسم الشّيطان كما مرّ تحقيقه فى اوّل فاتحة الكتاب ، ويؤيّد ذلك التّوفيق السّورة الآتية فانّ السّؤال عن النّعمة الّتى انعم الله بها على عباده خسرانٌ بوجهٍ .

سورة والعصر

مكّيّة ، ثلاث آياتٍ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[وَالْعَصْرِ] المراد بالعصر وقت صلوة العصر ، اقسم به كما اقسم بالضّحى ، اوالمراد به الدّهر مطلقا ، او عصر النّبىّ (ص) على ان يكون اللّام لتعريف العهد ، اوصلوة العصر ، اوالملكوت فانّها بعدها يختفى شمس الحقيقة فى عالم الطّبع وانّها بمثالها الصّاعد معصورة عالم الطّبع كما انّها بمثالها الهابط معصورة الجبروت ، اوالمراد بالعصر مطلق عالم الطّبع لكونه عصير الملكوت [إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ] خسر كفرح وضرب ضلّ ، والخسر بالضّمّ وبالضّمّتين مصدره ، وخسر وضع فى تجارته عن رأس ماله ، والانسان ما لم يؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة لم يكن على الطّريق فانّ الطّريق علىّ (ع) وولايته ، ولم ينفتح باب قلبه وما لم ينفتح باب قلبه بالولاية التّكليفيّة الّتى هى حبل من النّاس كان كلّما فعل حصل له فعليّة فى جهة نفسه الجهة السّفليّة وكلّما حصل للنّفس من جهتها السّفليّة فعليّة اختفى تحت تلك الفعليّة انسانيّته الّتى هى الولاية التّكوينيّة الّتى هى الحبل من الله وبضاعته انسانيّته واختفاؤها خسران بضاعته ولا يخلوا الانسان آناً ما من فعل وفعليّة ، فجميع افراد الانسان فى خسرٍ على الاستمرار [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] بالبيعة الخاصّة اوالّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات بالوفاء بشروط البيعة [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ] التّواصى اعمّ من ان يكون بالقال او بالحال او بالفعال او بالدّعاء والالتماس

من الله في الحضور او بظهر الغيب ، فانّه قدمرّ في سورة البقرة عند قوله تعالى : اولئك يدعون الى النّار والله يدعو الى الجنّة بيان انّ المؤمن بوجوده يدعو الى الجنّة وان لم يكن له دعوة قالاً ، والمراد بالحقّ الولاية فانّها حقة بحقيقة الحقّيّة ، وان كان المراد به الحقّ المطلق كان المراد منه ايضاً الولاية لانّ ظهور الحقّ المطلق لايكون الّا بالحقّ المضاف الّذى هوالولاية ويراد كلّ امر ثابت وكلّ امر غير باطل بارادة الولاية فانّ الكلّ من شعب الولاية [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] على الحقّ او بالصّبر مطلقا فانّ جميع انواع الصّبر الّتى امّهاتها ثلاث ؛ الصّبر على المصائب ، والصّبر عن المعاصى ، والصّبر على الطّاعات ، راجعة الى الصّبر على الحقّ فانّ المنظور من الصّبر على المصائب ان لا يجزع عند المصيبة لانّ الجزع لايكون الّا بالغفلة عن الولاية ، والمنظور من الصّبر عن المعاصى عدم خروج النّفس عن انقياد العقل فى ادامة الحقّ ، والخروج عن الانقياد لايكون الّا بالغفلة عن الولاية ، والصّبر على الطّاعة ليس الّا الصّبر على الولاية الّتى هى روح كلّ طاعة ، ولاشكّ انّ المؤمنين اذا التقيا حصّل لكلّ بملاقاة الآخر صبر وزيادة توجّه واشتداد ترقّب لوجهته الولويّة ، وليجد المؤمن ذلك من وجوده .

سورة الهمزة

مكّيّة ، تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ] الهمز الغمز ، والضّغط والنّخس والدّفع والضّرب والعضّ والكسر ، والكلّ من باب نصر وضرب ، واللّمز العيب والاشارة بالعين ونحوها ، والضّرب والدّفع والفعل من البابين ، قيل : المراد بالهمزة الطّعّان ، وباللّمزة المغتاب ، وقيل : العكس ، وقيل : الهمزة الّذى يطعن فى وجهك واللّمزة الّذى يطعن فى غيابك ، والصّيغتان تستعملان فيما صار عادة وسجيّة ، والرّذيلتان حاصلتان فى تركيب الشّيطنة والسّبعيّة والبهيميّة فانّ صاحبهما بشيطنته يتكبّر على النّاس ويحقّرهم وبغضبه يدفع فضل من يتفضّل عليه ، وبشهوته يريد ان يكون ممدوحاً فى النّاس ، ذا فضيلة عندهم محبوباً لهم ، واذا اجتمع هذه الخصال يغتاب ويغمز ويطعن فى النّاس لرؤية نفسه واستكباره على الخلق وتحقيرهم ، وارادة كونه محبوباً فيهم بظهور النّقص فيهم وعدم ظهوره فيه ، فهما اخسّ الرّذائل [الَّذِي جَمَعَ مَالًا] بحرصه الّذى هو نتيجة قوّته الشّهويّة [وَعَدَّدَهُ] اى عدّه مرّة بعد اخرى لحبّه اياّه واعدّه لنوائبه ، والاعداد للنّوائب نتيجة القوى الثّلاث ؛ فانّه بشيطنته يريد الاستكبار على الخلق ويدبّر لذلك ويهيّئ اسبابه ، وبشهوته يحبّ المال ويدّخره ، وبغضبه يريد دفع ما يرد عليه بما ليس ملائماً له ويدفع من اراد ان يدفعه عمّا هو عليه فيهيّئ لذلك اسبابه [يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ] هو على الاخبار ، او على الاستخبار بتقدير الاستفهام [كَلَّا] ردعٌ له عن هذا الحسبان ، ليموتن و [لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ] الحطم الكسر اوخاصّ باليابس ، والحطمة كالهمزة النّار الشّديدة واسم لجهنّم او باب لها [وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ] يعنى انّها ليست مثل نيران الدّنيا لاتتجاوز عن الاجسام بل هى تتجاوز عن الاجسام وتصل الى القلب بل الى عليا مرتبة القلب الّتى تلى الرّوح وهى الفؤاد ، وانموذج ذلك فى الدّنيا انّ الموصوف بالرّذيلتين المقهور تحت حكم القوى الثّلاث تحترق نفسه الانسانيّة

وقلبه وتنحطم بحيث كأنّه لم يكن له انسانيّة وقلب واذا نظرت حقّ النّظر رأيته لم يكن فيه شيءٌ من صفات الانسان [إِنَّها] اى الحطمة اوالنّار [عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ] اى مطبقة اى يطبق ابوابها عليهم، اوينطبق النّار عليهم بحيث لاتدع منهم شيئاً [فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ] العمد بالتّحريك والعمد بالضّمّتين، وقرئ بهما جمع العمود، والظّرف حال عن الضّمير المجرور بعلى يعنى انّهم موثقون على الاعمدة الطّويلة، اوحال عن الضّمير المنصوب اى انّ النّار بابوابها مطبقة عليهم حال كونها فى مسامير من الحديد المحمى يعنى انّ الابواب تطبق عليهم ثمّ تشدّ بمسامير من الحديد، وقيل: المراد عمد السّرادق الّتى فى قوله تعالى: احاط بهم سرادقها، وقيل: المراد بالعمد الاغلال الّتى يقيّدون بها.

سورة الفيل

مكّيّة، خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّد (ص) يعنى انّ قضيّتهم مشهورة بحيث تكاد ترى لكلّ راء وان كان قد مضى زمانها، ومحمّد (ص) فتح الله بصيرته بحيث صار الماضى والآتى فى نظره كالحاضر [أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ] لخراب البيت [فِي تَضْلِيلٍ] فى الافناء والاهلاك اوفى عدم الاهتداء الى المقصد، قداجمع الرّواة انّ الّذى قصد بالفيل الكعبة هوملك اليمن، وقيل: كان من قبل النّجاشىّ ملك الحبشة على اليمن وكان حركته الى مكّة بأمره، والنّجاشىّ هذا كان جدّ النّجاشىّ الّذى كان فى زمن النّبىّ (ص) وأقرّبه، وكان اسم ملك اليمن ابرهة بن الصّباح الاشرم وكنيته ابو يكسوم بنى كعبة باليمن وامر النّاس ان يحجّوا اليها، وانّ رجلاً من بنى كنانة خرج حتّى قدم اليمن ثمّ نظر اليها فقعد فيها لقضاء حاجته فغضب ابرهة لذلك واحلف ان يهدم البيت، ثمّ خرج بجنوده ونزل على ستّة اميال من مكّة فبعث مقدّمته واصاب مقدّمته مأتى بعير لعبد المطّلب فلمّا بلغه خرج حتّى أتى القوم فاستأذن على ابرهة فأذن له بعد ماعرفوه انّه رئيس القوم فدخل عليه وهوعلى سريره فعظّمه ونزل من سريره وجلس معه ثمّ قال: ما حاجتك؟ قال: حاجتى مأتا بعير اصابتها مقدّمتك، قال: اعجبتنى رؤيتك وزهّدنى فيك كلامك، قال: ولم ايّها الملك؟ قال: لأنّى جئت لاهدم بيت عزّكم وشرفكم وجئت تسألنى حاجتك ولاتسأل عن انصرافى عن بيتكم؟! فقال: انا ربّ الابل وللبيت ربّ يمنعك منه، فأمر ابو يكسوم بردّ ابله فخرج فلمّا اصبحوا بعثوا فيلهم فلم ينبعث، وقيل: كان معهم فيل واحد اسمه محمودٌ، وقيل: ثمانية افيال، وقيل: اثناعشر: فظهر عليهم طير من قبل البحر مع كلّ ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه، وكانت ترفرف على رؤسهم وترمى فى دماغهم فيدخل الحجر فى دماغهم ويخرج من ادبارهم وينتقض ابدانهم فصاروا كما قال تعالى كعصف مأكول، ولم يبق منهم الّا رجل واحد هرب فجعل يحدّث النّاس بما رأى اذ طلع عليه طائر منها بعد ماوصل الى اليمن فرفع رأسه فقال: هذا منها وجاء الطّير حتّى حاذى رأسه ثمّ القى الحجر عليه فخرج من دبره فمات، وكان ذلك فى العام الّذى ولد فيه رسول الله (ص)، وقيل: كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة، وقيل: بار بعين سنة [وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ] ابابيل جمعٌ بلاواحد يقال: ابّل ابابيل اى فرق، اوهوجمع الابّالة بكسر الهمزة وتشديد الباء، اوجمع الابّيل كسكّيت بمعنى القطعة من الطّير، والابل والمتتابعة منها، وكان الطّير هذه الطّير المعروفة بابابيل، وفى خبر عن الباقر (ع): كان

رؤسها كامثال رؤس السّباع وأظفارها كأظفار السّباع ولا رأوا قبل ذلك مثلها ولا بعدها [تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ] معرّب «سنگ گل» [فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] كورق زرع اكله الدّود، او كزرع اكل حبّه فبقى بلاحبّ او كتبن اكلته الدّواب فدفعته .

سورة قريش

اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ] قرئ ليلاف قريش بدون الهمزة ، الافهم من دون ياء ، وقرئ ليلاف قريش مثل القراءة الاولى ايلافهم بهمزة وياء بعدها وقرئ لايلاف قريش ايلافهم فى كليهما بهمزة وياء بعدها ، والجار والمجرور متعلّق بقوله تعالى: جعلهم كعصف مأكول ، او بقوله: فعل ربّك باصحاب الفيل لان السّورة الاولى كانت فى مقام الامتنان على قريش بجعل بيتهم ومسكنهم مأمناً ، اومتعلّق بقوله تعالى [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ] يعنى لان جعل الله قريشاً ذات الفة بملوك النّواحى مثل ملك الفارس والشّام والحبشة واليمن بواسطة كونهم اهل مكّة وصاحبى بيت الله فليعبدوا ربّه قيل: كان هاشم يألف الى الشّام وعبد شمس الى الحبشة ، والمطّلب الى اليمن ، ونوفل الى فارس ، وكان تجّار قريش يختلفون الى هذه الامصار بسبب هذه الاخوّة والفتهم لملوك تلك النّواحى ، وقيل: انّما كانت قريش تعيش بالتّجارة وكانت لهم رحلتان فى كلّ سنة ، رحلة فى الشّتاء الى اليمن لانّها بلاد حامية ، ورحلة فى الصّيف الى الشّام لانّها باردة ، فلمّا قصد اصحاب الفيل مكّة اهلكهم الله لتألّف قريش هاتين الرّحلتين وكانت لايتعرّض لهم احد بسوء وكانوا يقولون : قريش سكّان حرم الله وولاة بيته ، ويجوز ان يكون اللّام للتّعجّب والعامل محذوفاً [اَلَّذِى اَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ] اخرجهم بالاطعام من جوع [وَاٰمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ] .

سورة الماعون

مكّيّة، وقيل : مدنيّة، وقيل : بعضها مكّىّ، وبعضها مدنىّ

بسم الله الرحمن الرحيم

[اَرَاَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ] قرئ ارأيت على الاصل ، واريت بلا همز وارايتك بكاف الخطاب اوالخطاب خاصّ بمحمّد (ص) اوعامّ ، وتكذيب الدّين للجهل المركّب الّذى هوداء عياء وهواصل جميع الشّرور يعنى ارأيت يامحمّد (ص) الّذى جمع بين رذائل القوى الثّلاث العلّامة والسّبعيّة والبهيميّة، ولمّا كان الجهل اصل جملة الشّرور عطف على تكذيب الدّين الرّذائل الاُخر بالفاء فقال [فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ] اى يدفع [الْيَتِيمَ]

بعنف، قيل: نزلت في العاص بن وائل، وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في ابي سفيان كان ينحر في كلّ اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه، وقيل: نزلت في رجل من المنافقين، وقيل: نزلت في ابي جهل كان وصيّاً ليتيم فأتاه عرياناً وسأله اللّباس عن مال نفسه فضربه ودفع اليتيم وضربه رذيلة الغضبيّة بل اردأ رذائلها لانّ تحقير الحقير الضّعيف ومن شأنه ان يرحم عليه وضربه ودفعه والاستكبار عليه اردأ من الاستكبار على القويّ المنيع [وَلَا يَحُضُّ عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِينِ] وهو رذيلة الشّهويّة لانّ عدم الحضّ على طعام المسكين من حبّ المال [فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ] اى لهم ولذلك عطف بالفاء لكنّه أتى بالظّاهر مقام المضمر للاشعار بانّهم ان صلّوا لم يكن صلوتهم صلوة بل كانت وبالاً عليهم ومعصية [الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلٰوتِهِمْ سَاهُونَ] اضاف الصّلوة اليهم للاشعار بانّ لكلّ انسان صلوة خاصّة به يكون تلك الصّلوة القالبيّة تذكرة لها، والمصلّي بالصّلوة القالبيّة لابدّ وان يكون متذكّراً لصلوته الخاصّة به والّا كان مستحقّاً بصلوته للويل الّذي ليس الّا للكفّار والصّلوة المخصوصة بكلّ انسان، امّا ولايته التّكوينيّة او التّكليفيّة اوذكره المأخوذ من وليّ امره اوصورة وليّ امره الّتي دخلت في قلبه مختفية فيه اوظاهرة، اوالتّوجّه الى الله، ويجوز ان يكون المعنى ويل للمصلّين الّذين يتهاونون بصلوتهم القالبيّة بعدم حفظ حدودها او بعدم حفظ مواقيتها، او بتأخيرها من اوّل اوقاتها ولكن قوله تعالى: [الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ]، النّاس، يؤيّد المعاني الاول، فانّ المرائي يأتي بها ويتمّ حدودها ويحفظ اوقاتها والّا لم يتأتّ له المراياة، وهذه من رذائل العلامة والشّهويّة [وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ] الماعون المعروف والماء وكلّ ما انتفعت به اوكلّ ما يستعار، والزّكوة، وهذه من رذائل الشّهويّة، عن الصّادق (ع): هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه، ومتاع البيت تعيره، ومنه الزّكوة، قيل: انّ لنا جيراناً اذا اعرناهم متاعاً كسروه وافسدوه فعلينا جناح ان نمنعهم؟ فقال: ليس عليكم جناح ان تمنعوهم اذا كانوا كذلك.

سورة الكوثر

مكّيّة، وقيل: مدنيّة، ثلاث آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] قد فسّر الكوثر بنهر في الجنّة وهو حوض النّبيّ (ص) عليه آنية عدد نجوم السّماء يذود[1] محمّد (ص) وعليّ (ع) عنه اعداءهما ويسقيان شيعة عليّ (ع) عنه، والكوثر في اللّغة الكثير من كلّ شيء والكثير الملتفّ من الغبار، والاسلام، والنّبوّة، والرّجل الخيّر المعطاء كالكثير مثل الصّقيل، والسّيّد، ومطلق النّهر ونهر في الجنّة يتفجّر منه جميع انهارها.

اعلم، انّ الولاية هي الكوثر باكثر معانيه وهي الّتي اعطاها بتمام حقيقتها محمّداً (ص) وبسببها اعطاه النّبوّة والرّسالة والعلم والحكم والاتباع الكثير والاولاد الكثيرين والقرآن ودين الاسلام والصّيت والسّلطنة والخير الكثير في الدّنيا والآخرة، وهي الّتي تكون بصورة النّهر والحوض في الآخرة وهي الّتي تصوّرت بصورة عليّ (ع) في الدّنيا، وقد اعطاه الله محمّداً (ص) ومنّ به عليه [فَصَلِّ لِرَبِّكَ] اى اذا كان الله اعطاك الكوثر فتوجّه وتضرّع عليه وادعه شكراً لهذه النّعمة، اوصلّ الغداة من العيد بجمع [وَانْحَرْ] بمنى، اوصلّ صلوة العيد وانحر اضحيّتك، قيل: كان

(١) ذاده، ذَوْداً = دفعه وطرده.

يحرالنّبيّ(ص) قبل انيصلّى فامر ان يصلّى ثمّ ينحر، وقيل: كانواقوام يصلّون لغيرالله وينحرون لغيرالله فأمره ان يصلّىلله وينحرلله ، وقيل: صلّ الصّلوةالمكتوبةواستقبل القبلة بنحرك فانّه يقول العرب : منازلنا تتناحر يعنى بعضها يستقبل بعضاً ، وفى خبر قال ابوعبدالله (ع) فى قوله: فصلّ لربّك وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك ، وفى خبر قال النّبيّ(ص) لجبرئيل: ما هذه النّحيرة الّتى امرنى بها ربّى؟- قال: ليست بنحيرة ولكنّه يأمرك اذا تحرّمت للصّلوة ان ترفع يديك اذاكبّرت ، واذا ركعت،واذا رفعت رأسك من الرّكوع ، واذاسجدت؛ فانّه صلوتنا وصلوةالملائكة فى السّماوات السّبع [إِنَّ شَانِئَكَ] اى مبغضك [هُوَ الْأَبْتَرُ] اى المنقطع عن الخير اوعن الولد اوعن الصّيت فى النّاس اوعن الدّين، قيل: انّ العاص بن وائل التقى رسول الله (ص) عند باب المسجد وتحدّثا واناس من قريش جلوس فى المسجد فلمّا دخل العاص قالوا: من الّذى كنت تتحدّث معه؟- قال: ذلك الابترفسمّاه ابترلانّه كان له ولداسمه عبدالله وكان من خديجة فمات ولم يكن له ابن غيره ، وكانوا يسمّون من لم يكن له ولد ابتر.

سورة الكافرون

مكّيّة، وقيل: مدنيّة ستّ آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ] روى انّ نفراً من قريش اعترضوا لرسول الله (ص) فقالوا: يا محمّد(ص) هلمّ نعبد ماتعبد وتعبد مانعبدفنشرك نحن وانت فى الامر؟ فقال: معاذالله ان اشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنانصدّقك ونعبد آلهك، فقال: حتّى انظر، فنزلت السّورة فأيس قريش من محمّد (ص) وتصديقه، وقد مضى فى الفصل السّادس من فصول اوّل الكتاب انّ القارى ينبغى ان يجاهد حتّى يشاهد او يتّحد مع خلفاءالله اومع فعل الله فيصير لسانه لسان الله اولسان خلفائه؛ فيصيرحين قراءة امثال هذه السّورة عن مخاطبات الله آمراً من الله بل يصير امره امرالله ؛ فاعلم انّ الانسان لكونه مختصراً من جميع العوالم وفيه لطائف جميع العوالم ولطائف جميع مقامات الانبياء والاولياء (ع) ينبغى ان يجاهد وقت قراءته حتّى يصير لسانه لسان الله اولسان وسائط الوحى ويصير سمعه سمع اللّطيفة النّبويّة فاذا قال: قل، يصير ذلك القول امراً من الله باللّسان المنسوب الى الله اوالى الملك المبلّغ من الله ويصير المستمع لطيفته النّبويّة فيتمثّل الامر ويخاطب كفّار وجوده من القوى البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة بعد ابائهم عن اتّباعه واصرارهم على كفرهم وعبادتهم اصنامهم الّتى هى اهويتهم وبعد دعوتهم نبيّهم الّذى هولطيفته النّبويّة الى موافقتهم فيقول: يا أيّها الكافرون [لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ] اى لااعبد فى المستقبل لانّ لا لاتستعمل فى الحال [وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ] فى المستقبل فانّ الصّيغة و ان كانت مشتركة بين الازمنة الثّلاثة لكنّها مخصّصة بالاستقبال بقرينة ما قبلها [مَا أَعْبُدُ] فى الحال اوفى الحال والاستقبال [وَلَا أَنَا عَابِدٌ] فى الماضى بقرينة مابعده، اوفى الماضى والحال اومطلقا [مَا عَبَدْتُمْ] فى الماضى [وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ] واشار بتغيير الصّيغة فى جانب الكفّار الى انّهم كانوا عابدين لاهويتهم بعبادة الاصنام واهويتهم غيرثابتة بل هى متغيّرة متبدّلة فكان معبودهم فى الامس غيرمعبودهم فى الحال والمستقبل ، و بتوافق الصّيغة فى جانب محمّد (ص) الى انّ معبوده كان فى الماضى والحال والآتى واحداً غير متعدّد ولامختلف ولايحصل تلك

اللطيفة الا بالتكرار، والوجه الاخر للتكرار ان السورة في مقام التبرّى واظهار السخط والمغايرة، والتكرار مناسب لهذا المقام، ويجوز ان يكون لفظة ما مصدرية في المواضع الاربعة اوفي الموضعين الاخيرين، والاتيان بما في قوله تعالى: ما اعبد، على تقدير كون ما موصولة دون من للمشاكلة لقوله: ما تعبدون ولان المناسب لمقام التبرّى والسخط والمحاجّة الاتيان باللفظ العام دون الخاصّ وليطابق اعتقادهم لتصوّرهم ان ربّ السماوات والارض يكون مثل اربابهم، نقل انه سأل ابوشاكر الديصاني اباجعفر الاحول عن وجه التكرار وقال: هل يتكلّم الحكيم بمثل هذا القول ويكرّر مرّة بعد مرّة؟! فلم يكن عند الاحول في ذلك جواب فدخل المدينة فسأل الصادق (ع) عن ذلك فقال: كان سبب نزولها وتكرارها ان قريشاً قالت لرسول الله (ص) تعبدا لهنا سنة ونعبدا لهك سنة؛ فأجابهم الله بمثل ما قالوا [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] ليس هذه متاركة واباحة حتى يقال: انها منسوخة بآية القتال بل هي ايضاً تهديد بليغ لهم مثل قوله تعالى: افعلوا ماشئتم.

سورة النصر

مدنيّة: ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ] قيل هذه آخرة سورة نزلت عليه (ص) كما ان اقرء باسم ربك كانت اولى سورة نزلت عليه، وقيل: نزلت في حجّة الوداع بمنى، وقيل: عاش (ص) بعدها سنتين، وقيل: مات من سنته، وقال (ص) بعد نزول السورة: نعيت الىّ نفسى، وروى انه بكى العبّاس بعد نزولها فقال: مايبكيك يا عمّ؟ قال: نعيت اليك نفسك، قال: انه لكما تقول، واستفادة نعى نفسه (ص) من السورة تكون من القرائن المنضمّة والحالية التى تكون بين المتخاطبين وان لم يكن في اللفظ مايدلّ صريحاً عليه، واعلم ان النصر والفتح يطلقان بمعناهما المصدرى ويراد بهما النصرة على الاعداء وفتح البلاد، واستعمال المجيء فيهما من باب الاستعارة وتشبيه النصرة والفتح بالجائى، ويطلقان على نصرة الانسان على اعدائه الباطنة وعلى فتح باب القلب، ويطلقان على معنى حقيقى هو الملك النازل على صدر النبى (ص)؛ وصورة ولىّ الامر النازلة على صدر السالك، وكما تكون نصراً من الله على الاعداء الظاهرة والباطنة تكون فتحاً من الله، وبها تكون الفتح الظاهر والباطن ويطلقان على النصر المطلق الذى لانصر بعده وهو النصر في الخروج من جميع قيود الامكان، والفتح المطلق الذى هو فتح الغيب المطلق وهو الخروج من مقام الامكان والعزوج من مقام الواحديّة الى الاحديّة وهو مقام القدس والتقديس، ولمّا كان النصر مضافاً الى الله والفتح مطلقاً كان المراد هذا النصر وذلك الفتح وقد يستنبط نعى نفسه (ص) من هذا فان النصر المطلق والفتح بهذا المعنى قلمّا يكون بدون وقت الارتحال [وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا] لمّا فتح الله تعالى مكّة صار جميع الاعراب في الاطراف ذليلاً منقاداً لمحمّد (ص) وكانوا يدخلون في الاسلام من دون مقاتلة ودعوة، والدين كما يطلق على الملّة وعلى الولاية التى هي الطريق الى الله بحسب التكليف والاختيار يطلق على مطلق الطريق الى الله تكويناً اوتكليفاً لذوى الشعور او غير ذوى الشعور، واذا ارتفع القيود والحدود عن نظر الكامل يرى الكلّ داخلين في دين الله يعنى في طريق السلوك الى الله بل يرى الكلّ عقلاء علماء عرفاء ساعين الى الله والى مظاهره اللطفية والقهرية ولايرى شيئاً من الموجودات

خارجاً من دین الله فانّه اذا جاء الفتح المطلق للسّالک یری جمیع الحدود والتّعیّنات مرتفعة کما قیل:

صورت خود را شکستی سوختی صورت کلّ را شکست آموختی

واذا انقلب البصر ورأی السّالک ذلک کان زمان ارتحاله الکلّیّ ونقلته العظمی قریباً فیستنبط من هذا ایضاً نعی نفسه [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] ای نزّه ربّک اولطیفتک الانسانیّة عمّا لایلیق بشأنه تعالی وشأنها ولیکن تنزیهک بالجمع بین صفات الجلال والجمال ولاتکن کموسی (ع) ناظراً الی المظاهر ولا کعیسی (ع) ناظراً الی الظّاهر، وکن ناظراً الی المظاهر والظّاهر من دون رجحان احد النّظرین الی الآخر، فانّ هذا معنی التّسبیح بالحمد یعنی اذا جاء نصر الله المطلق والفتح المطلق بحیث تری الکلّ یدخلون فی دین الله افواجاً فجاهد حتّی لایختفی الکثرات عن نظرك ولاتشتغل بالتّوحید عن حضورك، والکلّ جنودك بل تکون جامعاً بین الوحدة والکثرة والحقّ والخلق [وَاسْتَغْفِرْهُ] واطلب منه ستر الحدود حتّی لایغلب رؤیة الحدود علی رؤیة الحقّ الاوّل تعالی فی المظاهر [إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] کثیر المراجعة علی العباد، اواستغفره لجنودك ما تری علیهم من الحدود والنّقائص انّه کان توّاباً علی جمیع خلقه.

سورة تبّت

مکّیّة خمس آیات

بسم الله الرحمن الرحیم

[تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ] تبّ تبّاً وتبیباً وتباباً وتبیباً نقص وخسر، وتبّ الشّيء قطعه، ونسبة التّبّ الی یدیه لاجل قطعه حیاته الابدیّة ووصلته الاخرویّة بیدیه، ولکون اعماله الّتی هی سبب الخسران والهلاك ظاهرةً علی یدیه فی الاغلب، والجملة الاولی دعائیّة والثّانیة خبریّة اوکلتاهما دعائیّة اوخبریّة، ویکون الاولی بالنّسبة الی الدّنیا والاخری بالنّسبة الی الآخرة، او بملاحظة انّ الاولی بالنّسبة الی نفسه والثّانیة بالنّسبة الی الاغناء بالمال، وابولهب هذا عمّ رسول الله (ص) واسمه عبدالعزّی وکنّوه بتلك الکنیة لبریق وجنتیه، وأتی بکنیته دون اسمه لمراعاة الجناس مع قوله: ذات لهب، وکان شدید المعاداة لمحمّد (ص): قیل: رأیت فی سوق ذی المجاز شاباً یقول: ایّها النّاس قولوا: لا اله الّا الله تفلحوا، واذا برجل خلفه یرمیه قدامی ساقیه، ویقول: ایّها النّاس انّه کذّاب فلاتصدّقوه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هو محمّد (ص) یزعم انّه نبیّ وهذا عمّه ابولهب: یزعم انّه کذّاب [مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ] لفظة ما موصولة وهی فاعل تبّ ای تبّ الاغناء الّذی اغنی عنه ماله اومصدریّة وهی مع صلتها فاعل تبّ، اوفاعل تبّ ابولهب، وما نافیة والجملة خبریّة اودعائیّة اولفظة ما استفهامیّة [وَمَا كَسَبَ] ما موصولة اومصدریّة او نافیة او استفهامیّة ومعطوفة علی ما اغنی او مصدریّة اوموصولة ومعطوفة علی ماله والمقصود ممّا کسب ما کسبه بماله من الارباح والعرض والجاه والخدم والحشم، اوالمقصود ممّا کسب اولاده، اوالمجموع، وهذا اخبار منه (ص) بما سیقع وقد وقع الامر کما اخبر فانّه لمّا انذره النّبیّ (ص) بالنّار قال: ان کان ماتقول حقّاً افتد بمالی وولدی، فافترسه اسدٌ فی طریق الشّام وقد احدق به العیر ولم یغن عنه ماله ولا ولده، ومات بالعدسة بعد وقعة بدر بایّام معدودة وترك ثلاثاً حتّی انتن ثمّ استأجروا بعض السّودان حتّی دفنوه [سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ] ای سیقاسی حرّها [وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ

الْحَطَبِ] قرئ حمّالة الحطب بالرّفع وحينئذٍ يجوز ان يكون امرأته عطفاً على المستتر في يصلى وان يكون عطفاً على ما اغنى على ان يكون فاعل تبّ اوعلى يدا ابى لهب ويكون حمّالة الحطب على التّقادير خبر مبتدء محذوف اوصفة لامرأته اذا جعل معرفة بالاضافة ، ويجوز ان يكون امرأته مبتدءً وحمّالة الحطب خبره اوصفته ، والجملة معطوفة على واحدة من الجمل السّابقة ، وقرئ حمّالة الحطب بالنّصب حالاً اومفعولاً لمحذوف اومنصوباً على الاختصاص ، وامرأته على الوجوه السّابقة الّا انّه اذا كان مبتدءً يكون خبره بعده وسمّيت حمّالة الحطب لانّها كانت تحمل الاوزار الّتى هى وقود جهنّم بمعاداة الرّسول (ص) ، اوتحمل النّاس وتحمل زوجها على معاداة الرّسول وتجرّهم الى جهنّم بالصّدّ عن رسول الله (ص) والحمل على معاداته ، اولانّها كانت تمشى بالنّميمة بين النّاس فيوقد نار العداوة بينهم وتسمّى النّميمة حطباً لذلك ، اولانّها كانت تحمل حزمة الشّوك والخسك فتنشرها فى طريق الرّسول (ص) [فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ] المسد بالسّكون الفتل ، و بالتّحريك المحور من حديد ، وحبل من ليف اوليف المقل اومن اىّ شيء كان ، اوالمفتول المحكم الفتل من اىّ شيء كان ، وقيل : هو حبل يكون له خشونة اللّيف وحرارة النّار وثقل الحديد يجعل فى عنقها زيادةً فى عذابها ، وقيل : فى عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها فى النّار ، وقيل : كانت قلادة فى عنقها فاخرة من الجواهر فقالت : لانفقنّها فى عداوة محمّد (ص) فيكون عذاباً لها يوم القيامة ، وزوجة ابى لهب كانت بنت حرب واخت ابى سفيان وكنيتها ام جميل ولقبها العوراء : ولمّا نزلت السّورة اقبلت ولها ولولة وهى تذم رسول الله (ص) فقال ابو بكر : يا رسول الله (ص) قد اقبلت ام جميل وانّى اخاف عليك ، فقال رسول الله (ص) : انّها لاترانى فجاءت ورأت ابابكر ولم تر محمّداً (ص).

سورة الاخلاص

مكّيّة ، وقيل : مدنيّة ، اربع اٰيات ، وقيل : خمس اٰيات ، سمّيت سورة الاخلاص ، لانّ من قرأها واعتقد بها صار خالصاً من جميع انواع الشّرك ، وسمّيت سورة التّوحيد لدلالتها على التّوحيد ذاتاً ووصفاً ، ولانّ من قرأها على ما نزلت صار موحّداً ، وسمّيت سورة الصّمد ، وسورة قل هو الله ، وسورة نسبة الرّبّ ، وسورة الولاية كما تسمّى فاتحة الكتاب بسورة النّبوّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ اَللّٰهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] نزلت السّورة حين سأل المشركون رسول الله (ص) فقالوا : انسب لنا ربّك ، اوحين أتى رجلان منهم فقالا ذلك ، اوحين جاء اناس من احبار اليهود فسألوه ذلك ، اوحين انطلق عبدالله بن سلام اليه فسأل ذلك وقد نقل كلّ ذلك فى نزوله ، وقرئ احد الله الصّمد بالوصل وتحريك التّنوين بالكسر ، وقرئ احدالله الصّمد بالوصل واسقاط التّنوين تشبيهاً للتّنوين بحرف اللّين ، وقرئ بالوقف باسقاط التّنوين ، وقرئ كفواً مضمومة الفاء وبالواو وقرئ كفؤاً ساكنة الفاء مهموزة ، وقرئ كفواً مضمومة الفاء مهموزة .

واعلم ، انّ الانبياء (ع) لهم حالات بالنّسبة الى الله والى عالم الغيب وتختلف مناجاتهم لله و مخاطبات الله لهم ومخاطباتهم للخلق بحسب اختلاف احوالهم ، فانّه اذا انسلخ النّبيّ (ص) من جميع ماله من نسبة الافعال والاوصاف والذّات ولم يبق في وجوده الّا فاعليّة الله تعالى يكون مخاطبات الله له بلسانه الّذى صار لسان الله فيصير كلام الله كلاماً آلهيّاً بشريّاً ويسمّى حديثاً قدسيّاً ، واذا تنزّل عن ذلك المقام باقياً ببقاء الله متوجّهاً الى كثرات وجوده وهذا التّوجّه والالتفات يسمّى بالنّبوّة اوخلافة النّبوّة ، اومتوجّهاً الى كثرات العالم وهذا التّوجّه يسمّى بالرّسالة اوخلافة الرّسالة ، فكلّما تلقّى من الله بطريق القذف والالهام وكلّما شاهد في عالم المثال في هذه الحال اوقبل النّزول الى ذلك المقام وكلّما وجد انموذجة من مدركاته وكلّما القى اليه الملك من العلم والحكم لا بنحو الوساطة من الله كان حديثاً نبويّاً ، واذا تنزّل الى مقام البشريّة فكلّما تكلّم به من حيث تدبير الحياة الدّنيويّة من غير اظهار لحاظ الجهة الآلهيّة يكون كلاماً بشريّاً ، واذا كان خطاب الله في تلك الاحوال بتوسّط الملك المرسل من الله لتبليغ خطابه كان كلاماً آلهيّاً وكتاباً سماويّاً ، فان كان النّبيّ (ص) في مقام الانسلاخ كان الخطاب من مقام الغيب واحديّة الذّات ، وان كان في مقام النّبوّة والرّسالة كان الخطاب من مقام الظّهور والواحديّة وهو مقام الولاية ، وكان الكلام في المقام الاوّل مشتملاً على التّنزيه ونفي النّسب والاضافات ، وفي المقام الثّاني مشتملاً على الاضافات واحكام الكثرات : ولذلك سمّيت السّورة بسورة التّوحيد ، وسورة الاخلاص ، وسورة الولاية ، لانّ المخاطب بها خوطب بها حين خلوصه من شوب الكثرات وحصول مقام الوحدة له وظهوره بشأن الولاية ، وسمّيت الفاتحة بسورة النّبوّة لانّ المخاطب بها خوطب بها حين ظهوره بشأن النّبوّة فقوله تعالى : قل هو الله احدٌ خطاب من مقام الاحديّة ولذلك أتى باسمه الخالص من شوب الصّفات اوّلاً وهو لفظ هو بخلاف قوله تعالى : قل اعوذ برب الفلق ، وقل اعوذ برب النّاس ، وامثال هذين .

اعراب سورة الاخلاص

واعراب السّورة المباركة بحسب الوجوه المحتملة كثيرة : فأقول ، لفظ هو ضمير الشّأن اوضمير يشار به الى مقام الغيب لتعيّنه في الاذهان او ادّعاء تعيّنه اوهو علَم واسم لمقام الغيب ، وعلى الاخيرين فالله بدل منه اوعطف بيان اوخبر اومبتدءٌ ثانٍ ، واحد خبره والجملة خبر هو واكتفى عن العائد بتكرار المبتدء بالمعنى ، واحد خبر اوخبر بعد خبر والله الصّمد مبتدء وخبر ، اوصفة وموصوف وخبر بعد خبر اومبتدءٌ وخبره لم يلد ، وعلى تقدير كونه مبتدءً فالجملة خبر بعد خبرٍ اوحاليّة اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ عن حاله تعالى في نفسه اوعن علّة الحكم ولم يلد خبرٌ اوخبرٌ بعد خبرٍ اوحال اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ عن حاله تعالى مع غيره اوعن علّة الحكم ، واذا كان هو ضمير الشّأن فالله احد خبره والله الصّمد مبتدء وخبرٌ وخبر بعد خبر لهو اوخبر بعد خبرٍ لله اوحال اومستأنفة في مقام السّؤال عن الحال اوعن علّة الحكم او الله الصّمد موصوف وصفةٍ وخبر بعد خبر لله ، اومبتدء ولم يلد خبره والجملة خبر بعد خبرٍ لهو او لله اوحال اومستأنفة .

معنى الاحد

واحد يقال بمعنى الواحد سواء جعل مهموزاً في الاصل اوواويّاً ويوم من الايّام ، ويقال للامر المتفاقم احديّ الاحد ، ويقال : فلان احد الاحدين وواحد الاحدين وواحد الاحاد واحديّ الاحد لا مثل له ، وقد يستعمل الاحد خاصّاً بالله والوجه انّ في الاحد مبالغةً في الوحدة والبالغ في الوحدة ان لا يكون فيه شوب كثرةٍ بوجهٍ من الوجوه لا كثرة العدد ولا كثرة الاجزاء المقداريّة ولا كثرة الاجزاء الخارجيّة من المادّة والصّورة ولا كثرة الاجزاء العقليّة من الجنس والفصل اومن المهيّة والوجود ، وبهذا المعنى لا يوصف به الّا الله ، ولهذه المبالغة خصّص الاحد في اصطلاحهم بمقام الغيب الّذى ليس فيه كثرة ولا لحاظ كثرةٍ وقالوا : الاحد اسم لمقام الغيب الّذى

لااسم له ولارسم ولاصفة له ولاخبر عنه ، والواحد اسم لمقام ظهوره تعالى بأسمائه وصفاته ففي مقام الواحدية هو متكثّر بكثرة الاسماء والصّفات بحيث لاينثلم وحدته بها، وفي مقام الاحديّة لاكثرة فيه لافي الواقع ولا في العقل ولافي الاعتبار.

معنى الصّمد والصّمد بالتّحريك السّيّد لانّ الصّمد بالسّكون بمعنى القصد والسّيّد من شأنه ان يقصد، والدّائم والرّفيع والمصمت الّذى لاجوف له ، والرّجل الّذى لايعطش ولايجوع فى الحرب، خاطب الله سبحانه نبيّه (ص) فى مقام انسلاخه عن جميع الكثرات وجميع الاعتبارات بقوله : قل يامحمّد (ص) فى ذلك المقام مشيراً الى الذّات بدون اعتبار صفة من الصّفات .

تفسير السّورة هو : فانّ لفظ هواسم له تعالى مجرّداً عن جميع الاعتبارات حتّى عن اعتبار التّعيّن ، الله يعنى انّ الذّات المجرّدة عن اعتبار الصّفات عين الذّات المعتبرة باعتبار جميع الاسماء والصّفات لامغايرة بينهما الّا بالاعتبار، فانّ الله اسمٌ للذّات باعتبار جملة الصّفات ولذلك قيل : انّه امام الائمّة وقد مضى بيان لفظ الله فى اوّل الفاتحة ، احد يعنى انّه فى عين استجماعه لجملة الصّفات منزّه عن جميع الكثرات لايشوبه كثرة من كثرة الصّفات ، الله الصّمد اى السّيّد المصمود الّذى يصمده كلّ موجود وانتهى سؤدده و مصموديّته فانّه يستفاد الانتهاء فى ذلك من الحصر المستفاد من تعريف المسند ، والدّائم الّذى لايأكل ولايشرب ولاينام ، والمرتفع الّذى لارفيع فوقه، والقائم بنفسه الغنىّ عن غيره ، لم يلد بانفصال شيء منه سواء كان المنفصل ولداً مماثلاً له اوشيئاً غير مماثلٍ له فانّه لامباين له حتّى يكون منفصلاً منه اوغير منفصلٍ ، ولم يولد ولم ينفصل هو من شيءٍ من الاشياء فانّه لاشيء غيره حتّى يكون هومنفصلاً منه ومبايناً له ، ولم يكن له كفواً احد تقديم الظّرف لشرافته ، وتقديم الخبر للاهتمام بنفى الكفاءة ولمراعاة رؤس الاى ، وقدورد فى بعض الاخبار مايدلّ على اعتبار الحروف فى الاسماء ، وما يدلّ على انّ دلالة الاسماء على المسمّيات ليست بمحض المواضعة بل يعتبر المناسبات الذّاتيّة بين الاسماء وحروفها و بين المسمّيات فانّه ورد عن الباقر (ع) انّه قال: قل اى اظهر ما اوحينا اليك و نبّأناك به لتأليف الحروف الّتى قرأناها لك ليهتدى بها من القى السّمع وهوشهيد ، وهواسم مكنّى مشار به الى غائب، فالهاء تنبيهٌ على معنىً ثابت، والواو اشارةٌ الى الغائب عن الحواسّ كما انّ قولك هذا اشارة الى الشّاهد عند الحواسّ وذلك انّ الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف اشارة الشّاهد المدرك ، فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالابصار فأشرانت يامحمّد (ص) الى آلهتك الّذى تدعو اليه حتّى نراه وندركه ولاناً لهّ فيه، فأنزل الله تبارك وتعالى: قل هو فالهاء تثبيت للثّابت ، والواو اشارة الى الغائب عن درك الابصار ولمس الحواسّ و انّه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الابصار و مبدع الحواسّ ، قال (ع) : الله معناه المعبود الّذى أله الخلق عن درك مائيّته والاحاطة بكيفيّته ، و يقول العرب : أله الرّجل اذا تحيّر فى الشّيء فلم يحط به علماً، وله اذا فزع الى شيء ممّا يحذره و يخافه ، والاله هوالمستور عن حواسّ الخلق ، قال (ع) : الاحد الفرد المتفرّد ، والاحد والواحد بمعنىً واحدٍ وهوالمتفرّد الّذى لانظير له ، والتّوحيد الاقرار بالوحدة وهوالانفراد ، والواحد المتباين الّذى لاينبعث من شيءٍ ولايتّحد بشيءٍ و من ثمّ قالوا: انّ بناء العدد من الواحد و ليس الواحد من العدد لانّ العدد لايقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله :الله احدٌ اى المعبود الّذى يأله الخلق عن ادراكه و الاحاطة بكيفيّته فرد بآلهيّته متعالٍ عن صفات خلقه ، قال (ع) : وحدّثنى ابى زين العابدين (ع) عن ابيه الحسين بن علىٍّ (ع) انّه قال : الصّمد الّذى لاجوف له والصّمد الّذى قدانتهى سؤدده ، والصّمد الّذى لايأكل ولايشرب ، والصّمد الّذى لاينام، والصّمد الدّائم الّذى لم يزل ولايزال ، قال (ع) : كان محمّد بن الحنفيّة يقول : الصّمد القائم بنفسه والغنىّ عن غيره، وقال غيره : الصّمد المتعالى عن الكون والفساد ، والصّمد الّذى لايوصف بالتّغاير قال (ع) : الصّمد السّيّد المطاع

الّذى ليس فوقه آمرٌ ولاناهٍ ، قال (ع) : وسئل علىّ بن الحسين (ع) عن الصّمد فقال : الصّمد الّذى لاشريك له ولايؤده حفظ شيءٍ ولايعزب عنه شيءٌ ،وروى عن زيدبن علىّ (ع) انّه قال : الصّمد الّذى اذاارادشيئاًقال له :كن فيكون، والصّمد الّذى ابدع الاشياء فخلقها اضداداً واشكالاً وازواجاً ، وتفرّد بالوحدة بلاضدٍّ ولا شكلٍ ولامثلٍ ولاندٍّ ، وعن الصّادق (ع) عن ابيه (ع) انّ اهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علىٍّ (ع) يسألونه عن الصّمد فقال: كتب اليهم بسم الله الرّحمن الرّحيم امّا بعد فلا تخوضوا فى القرآن ولاتجادلوا فيه ولا تتكلّموا فيه بغير علمٍ فقد سمعت جدّى رسول الله (ص) يقول : من قال فى القرآن بغيرعلمٍ فليتبوّء مقعده من النّار ، وانّ الله سبحانه قد فسّر الصّمد فقال الله : قل هو الله احد الله الصّمد ثمّ فسّره فقال :لم يلد ولم يولدولم يكن له كفواً احد، لم يلد يخرج منه شيءٌ كثيفٌ كالولد وسائر الاشياء الكثيفة الّتى تخرج من المخلوقين، ولاشيءٌ لطيف كالنّفس ولاتنشعب منه البدوات كالسّنة والنّوم والخطرة والهمّ والحزن والضّحك والبكاء والخوف والرّجاء والرّغبة والسّأمة والجوع والشّبع ، تعالى عن ان يخرج منه شيءٌ وان يتولّد منه شيءٌ كثيف اولطيف ، ولم يولد ولم يتولّد من شيءٍ ولم يخرج من شيءٍ كما يخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشّيء من الشّيء والدّابّة من الدّابّة والنّبات من الارض والماء من الينا بيع والثّمارمن الاشجار ، ولاكما يخرج الاشياء اللّطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسّمع من الاذن ، والشّم من الانف، والذّوق من الفم ، والكلام من اللّسان ، والمعرفة والتّميز من القلب ، وكالنّار من الحجر، لا بل هوالله الصّمد الّذى لامن شيءٍ ولا فى شيءٍ ولاعلى شيءٍ مبدء الاشياء وخالقها ، ومنشئ الاشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشّهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً احد ، وعن الصّادق (ع) انّه قدم وفدٌ من فلسطين على الباقر (ع) فسألوه من مسائل ،فأجابهم، ثمّ سألوه عن الصّمد فقال : تفسيره فيه، الصّمد خمسة احرف، فالالف دليل على انيّته وهوقوله عزّوجلّ : شهدالله انّه لا آله الّاهو وذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواسّ، واللّام دليل على الهيّته بانّه هوالله ،والالف واللّام مدغمان ولا يظهران على اللّسان ولايقعان فى السّمع ويظهران فى الكتابة دليلان على انّ الهيّته بلطفه خافية لاتدرك بالحواسّ ولاتقع فى لسان واصفٍ ولااذن سامعٍ لانّ تفسير الآله هوالّذى أله الخلق عن درك ماثيّته وكيفيّته بحسٍّ اوبوهمٍ لابل هومبدع الاوهام وخالق الحواسّ وانّما يظهر ذلك عندالكتابة فهو دليل على انّ الله تعالى اظهر ربوبيّته فى ابداع الخلق وتركيب ارواحهم اللّطيفة فى اجسادهم الكثيفة فاذا نظر عبد الى نفسه لم ير روحه كما انّ لام الصّمد لايتبيّن ولايدخل فى حاسّةٍ من حواسّه الخمس فاذا نظر الى الكتابة ظهر له ماخفى ولطف ، فمتى تفكّر العبد فى ماثيّة الباري وكيفيّته أله فيه وتحيّر ولم تحط فكرته بشيءٍ يتصوّر له لانّه عزّوجلّ خالق الصّور فاذا نظر الى خلقه ثبت له انّه عزّوجلّ خالقهم ومركّب ارواحهم فى اجسادهم ، وامّا الصّاد فدليل على انّه عزّوجلّ صادق، وقوله صدق ، وكلامه صدق، ودعا عباده الى اتّباعه الصّدق بالصّدق ، ووعد بالصّدق دارالصّدق ، وامّا الميم فدليل على ملكه وانّه الملك الحقّ لم يزل،ولايزول ملكه ، وامّا الدّال فدليل على دوام ملكه وانّه عزّوجلّ دائم تعالى عن الكون والزّوال بل هو عزّوجلّ مكوّن الكائنات الّذى كان بتكوينه كلّ كائنٍ ثمّ قال (ع) : لو وجدت لعلمى الّذى اتانى الله عزّوجلّ حملة لنشرت التّوحيد والاسلام والايمان والدّين والشّرائع من الصّمد وكيف لى بذلك ولم يجد جدّى امير المؤمنين (ع) حملةً لعلمه حتّى كان يتنفّس الصّعداء ويقول على المنبر: سلونى قبل ان تفقدونى ، فانّ بين الجوانح منّى علماً جمّاً هاه هاه الا لااجد من يحمله الا وانّى عليكم من الله الحجّة البالغة فلاتتولّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفّار من اصحاب القبور، وعن الصّادق (ع) انّه سأله سائل عن التّوحيد فقال : انّ الله عزّوجلّ علم انّه يكون فى آخر الزّمان اقوام متعمّقون فأنزل الله

قل هو الله احدٌ والآيات من سورة الحديد الى قوله : عليم بذات الصّدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك، والمراد بالآيات من سورة الحديد آيات اوّلها الى قوله عليم بذات الصّدور فانّ الله تعالى ادرج فيها دقائق التّوحيد الّذى لا يصل اليها ادراك المتعمّقين فى التّوحيد فكيف بغيرهم ! . وسئل الرّضا (ع) عن التّوحيد فقال: كلّ من قرأ قل هو الله احد وآمن بها فقد عرف التّوحيد، قيل: كيف يقرؤها؟ قال: كما يقرؤها النّاس وزاد فيها كذلك الله ربّى مرّتين، ولمّا كان السّورة مشتملة على توحيده تعالى واضافاته وكان القارى كأنّه يقرأ بلسان الله ويأمر بلسان الله نفسه بالتّوحيد وبكيفيّة اضافاته وردعنهم بعد تمامه : كذلك الله ربّى، مرّتين ، اشارة الى امتثال امره واقراراً بتوحيده واضافاته ، ولمّا كان السّورة مشتملة على توحيده واضافاته وسلوبه روى عن الفضيل بن يسار، انّ ابا جعفر امرنى ان اقرأ قل هو الله احد واقول اذا فرغت منها : كذلك الله ربّى ، ثلاثاً ، اشارة الى الامتثال بالاقرار بالتّوحيد واضافاته وسلوبه، ولمّا كان العلوم ثلاثة بمضمون ما ورد عن النّبىّ (ص) من قوله : انّما العلم ثلاثة ؛ آية محكمة، او فريضة عادلة ، او سنّة قائمة، وتمام القرآن لبيان هذه الثّلاثة، وهذه السّورة مشتملة بايجازها على تمام الآيات المحكمات وردعنهم : انّ من قرأها كان كمن قرء ثلث القرآن، والوجه الآخر فى ذلك انّ السّالك الى الله لا يحصل له السّلوك الّا بالجذب والانسلاخ من الكثرات وبالتّوجّه الى الكثرات ، والتّوجّه الى الكثرات امّا لمرمّة المعاش اوتزوّد المعاد ، وتمام القرآن لبيان كيفيّة هذه الثّلاثة والسّورة المباركة فى مقام الجذب والانسلاخ ، والوجه الآخر انّ القرآن لاثبات الرّبّ و توحيده واثبات الخلق و تكثيرهم ، واثبات الوسائط بين الرّبّ والخلق ، والوجه الآخر انّ القرآن لبيان اضافة الحقّ الى الخلق واضافة الخلق الى الرّبّ وبيان الوسائط بين الاضافتين ، ولمّا لم يكن يتمّ سلوك السّالك الّا بطروّ حال الجذب والانسلاخ عليه فانّه لو لم يكن للسّالك حرارة الجذب جملةً ولم يتحرّك الى الله ورد عن الصّادق (ع) : من مضى به يوم واحد فصلّى فيه خمس صلوات ولم يقرء فيه بقل هو الله احد قيل له : يا عبدالله لست من المصلّين ، وليس المراد بقراءة قل هو الله لقلقة اللّسان فقط فانّها ربّما تصير وبالاً على القارى ، بل المراد توفيق الحال للقال حتّى ذاق القارى ووجد فى وجوده انموذج الانسلاخ ولهذا الوجه ورد عنه (ع) : من مضت له جمعة ولم يقرء بقل هو الله احد ثمّ مات مات على دين ابى لهب لانّ ابالهب كان فارغاً من حرارة الجذب الفطرىّ، وقد ورد فى حقّ هذه السّورة فضائل كثيرة عنهم (ع) ولفضلها لا يجوز العدول عنها فى الفريضة الى غيرها اذا شرع المصلّى فيها ، واذا صلّى ولم يقرء فى صلوته بقل هو الله احد كان صلوته ناقصة كما فى الاخبار ، وقد روى عن النّبىّ (ص) انّه قال: من قرأ قل هو الله احد مرّةً بورك عليه ، فان قرأها مرّتين بورك عليه و على اهله ، فان قرأها ثلاث مرّات بورك عليه وعلى اهله وعلى جميع جيرانه ، فان قرأها اثنتى عشره مرّة بنى له اثنا عشر قصراً فى الجنّة ، فتقول الحفظة : انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا ! فان قرأها مأة مرّة كفّر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدّماء والاموال ، فان قرأها اربعماة كفّر عنه ذنوب اربعمائة سنة ، فان قرأها الف مرّة لم يمت حتّى يرى مكانه من الجنّة اويرى له ، والاخبار فى انّها تعدل ثلث القرآن وانّ من قرأها ثلاث مرّات كان كمن قرأ القرآن كلّه كثيرة ، وروى انّه جاء رجل الى النّبىّ (ص) فشكى اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله (ص) : اذا دخلت بيتك فسلّم ان كان فيه احدٌ وان لم يكن فيه احدٌ فسلّم واقرأ قل هو الله احد مرّةً واحدةً ، ففعل الرّجل فافاض الله عليه رزقاً حتّى افاض على جيرانه ، وعن الصّادق (ع) انّه قال : من اصابه مرض اوشدّة فلم يقرأ فى مرضه اوشدّته بقل هو الله احد ثمّ مات فى مرضه وفى تلك الشّدّة الّتى نزلت به فهو من اهل النّار ، وسبب ذلك انّ هذا المبتلى لو كان بقى فطرته الّتى بها ينجذب الى عالم الآخرة والى الله يصير مرضه وشدّته لامحالة سبباً لانسلاخه وتوجّهه الى الله، وهذا الانسلاخ هو قراءة قل هو الله قرأ اولم يقرء ، واذا لم ينسلخ علم انّه لم يبق فيه الفطرة فكان من اهل النّار لانّ من لم يبق

فيه فطرة الانسانيّة كان مرتدّاً فطريّاً غيرمقبول التّوبة ، وعنه (ع) انّه قال: من يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدع انيقرأ فيدُبُر الفريضة بقل هو الله احدٌ فانّه من قرأها جمع له خيرالدّنياوالآخرة وغفرالله له ولوالديه وما ولد، اووجهه يستنبط ممّاذكرنا ، فانّ الفريضة عبارة عن التّوجّه الى الله والى الآخرة ، فاذا كان من صلّى الفريضة كما هومأمور بها لابدّ وان تنتهي به الى حالة الانسلاخ والدّخول فى دارالقلب الّتى هى دارالتّوحيد وفى ذلك الانسلاخ وهذاالدّخول خيرالدّنيا والآخرة وغفران الذّنوب له ولمن اتّصل به ؛ فجاهدوا اخوانى حتّى يكون صلوتنا باعثة لانسلاخنا من انفسنا واهويتها ومورثة لدخولنا فى دارالقلب او توجّهنا اليها ، ولانكون ممّن يصلّى والصّلوة تلعنه ، وعن ابى الحسن (ع) انّه يقول: من قدّم قل هوالله احد بينه وبين كلّ جبّارٍ منعه الله منه ، يقرأها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شرّه ، وسرّ ذلك ما ذكرنا .

سُورَةُ الفَلَق

مدنيّة، وقيل : مكّيّة ، خمس آياتٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] يعنى قل يا محمّد (ص) اذا تنزّلت الى مقام بشريّتك وصرت بحال تتأثّر ممّا يرد عليك اذا لم يكن ملائماً لك ويؤثّر فيك تصرّفات الخلق وسحرهم اعوذ برّب الفلق يعنى أنشئ العوذ بهذه الكلمة او اخبر من عوذى بهذه الكلمة حتّى تكون بذلك العوذ محفوظاً من شرّ الاشرار ، والفلق محرّكة الصّبح، او ما انفلق من عموده ، اوالفجر ، اوالخلق كلّهم اوجهنّم اوجب فيها، والمناسب ان يكون الاستعاذة فى حال نزوله (ص) الى مقام البشريّة الى ربّ الصّبح منتظراً لطلوعه وذهاب ظلمة ليلة بشريّته [مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ] أتى بلفظ ما دون من للتّعميم وأتى بلفظ خلق للاشارة الى انّ المبدعات والمنشآت والمخترعات العلويّة لاشرّيّة فيها ، واماّ المخترعات السّفليّة فهى داخلة فى الخلق [وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ] الغاسق اللّيل اذاغاب الشّفق والقمر وكلّ هاجم بضرره والمعنى اعوذ من شرّ اللّيل اذا دخل لانّ كلّ ذى شرّ فى الاغلب يظهر شرّه فى اللّيل اكثر من النّهار، اومن شرّ كلّ ما يهجم بشرّه ، وقيل: المعنى من شرّ الثّريّا اذاسقطت لكثرة الاسقام عند سقوطها ، وقيل: المعنى من شرّ الذّكر اذاقام، والغسق محرّكة ظلمة اوّل اللّيل وشيء من قماش الطّعام كالزّوان[1] ونحوه ، وغسقت عينه كضرب وسمع اظلمت اودمعت، وغسق الجرح سال منه ماء اصفر، وغسق اللّيل واغسق اشتدّت ظلمته [وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ] اى من شرّ النّفوس الّلاتى يعقدن على الشّعور والخيوط وينفثن فيها ويسحرن النّاس بها، اوالنّساء الّلاتى يفعلن ذلك [وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ] اى من شرّ من له قوّة الحسد اذا ظهر حسده فانّ الحسد المكمون لايضرّ المحسود ولايضرّ الحاسد الّا انّه نقصان فى وجود الحاسد، خصّ هذه الثّلاث بالذّكر بعد تعميم الاستعاذة من شرّ جميع ذوى الشّرور للاهتمام بالاستعاذة منها ، لانّ ضرّ هذه الثّلاث وشرّها خفيّ لايمكن التّحرّز منها فينبغى ان يتعوّذ منها بالله العليم بالخفيّات القدير على الحفظ منها ، روى انّ لبيد بن الاعصم اليهودىّ سحر رسول الله (ص) ثمّ دسّ ذلك فى بئرٍ

(١) الزّوان بكسر المعجمة وقد تضمّ حبّ يخالط البرّ .

لبني زريق، فمرض رسول الله (ص) فبيناهو نائم اذا اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وانّه في بئر كذا، فانتبه رسول الله (ص) وبعث عليّاً والزّبير وعمّاراً، فنزحوا ماء تلك البئر ثمّ رفعوا الصّخرة الّتي كانت في قعر البئر فاذاً فيه مشاطة رأس وأسنان من مشطة واذاً فيه معقد فيه اثناعشر عقد مفروزة بالابر، فنزلت هاتان السّورتان فجعل كلّما يقرأ آية انحلّت عقدة ووجد رسول الله (ص) خفّة فقام فكأنّما انشط من عقال، وروى قصّة نزول السّورتين بغير هذا الطّريق مع اختلاف في اللّفظ والمعنى، ولمّا كان المقصود من الامر بالقراءة ان يصير القارى بحال يكون لسانه لسان الله اولسان الملك النّازل من الله لا لسان نفسه ويصير سمعه سمع اللّطيفة النّبويّة فيصير في امثال هذه المخاطبات آمراً من الله للطيفته النّبويّة ويجعل عالمه الصّغير انموذجاً للعالم الكبير، جاز ان ينظر القارى حين قراءة السّورة الى عالمه واستعاذ من اهل مملكته من اعضائه وقواها ونفسه وجنودها فيقول امتثالاً لامر الله: اعوذ بربّ الفلق اى بربّ المواليد المنفلق من بدني ونفسي، او بربّ الصّبح المنفلق اوالفالق لظلمة ليل طبعي ونفسي من شرّ ما خلق في مملكتي من القوى البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة، ومن الاعضاء والآلات البدنيّة اومن شرّ الاحتجاب بالخلق عن الحقّ فانّ شرّ الكلّ من اهل العالم الكبير اوالصّغير راجع الى الاحتجاب بهم عن الحقّ، ومن شرّ غاسق اى البدن وظلماته اذا دخل ظلمته في عالم الرّوح وجعل الرّوح مظلماً بظلمانيّته، اومن شرّ امراض البدن اذا دخلت واثّرت في الرّوح، اومن شرّ القبض اوالنّفس واهويتها اذا اثّرت في الرّوح، ومن شرّ النّفّاثات اى القوى العلّامة والعمّالة الّتي تعقد في طريق السّالك وتنفث بحيلها فيها حتّى لايمكن للرّوح حلّها والتّجاوز عنها فانّ العلّامة الشّيطانيّة تحمل العمّالة على امر باطل لاحقيقة له فيجعله العلّامة بتمويهاتها بحيث لايمكن الانسان ان يتجاوز عنها ولا ان يتركها فتهوى بالانسانيّة من عالمها الى شبكة ذلك الامر فتهلكها، ومن شرّ حاسد من النّفس وقواها الّتي تتمنّى مداماً زوال النّعمة عن الانسانيّة وعدم ترقّيها الى مقام القلب ومقام الشّهود والغنى، وتتمنّى ان تكون الانسانيّة في الحجاب والبعد والعذاب مثلها اذا حسد الانسانيّة والقاها في شبائكها.

سورة النّاس

مدنيّة، ستّ آيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] لمّا كان الله تعالى شأنه امر نبيّه (ص) بالاستعاذة من الوسواس الصّادر من شياطين الجنّ والانس، وكان ذلك الوسواس لايتعلّق بغير الانسان النّاسي لذكر الله اضاف الرّبّ الى النّاس وعبّر بالنّاس للاشارة الى انّ ذلك الوسواس لايكون الّا للنّاسي؛ وربّ النّاس هو ربّ الارباب لكن باسمه المحيط بكلّ الاسماء المسخّر لكلّ الارباب وهو ربّ النّوع الانسانيّ، وهو المعبّر عنه بالرّوح وهواعظم من جبرئيل وميكائيل ولم يكن مع احد من الانبياء (ع) وكان مع محمّد (ص) ومرتبته فوق الامكان وتحت الوجوب وهي مقام علويّة عليّ (ع) والمعنى يا محمّد (ص) اخبر عن استعاذتك بالله وانشئها بلسان قالك وبلسان حالك، ولمّا كان استعاذتك من شرّ الوسواس وليس يظهر ذلك الّا في مظهر النّاس سواء كان بلسان النّاس او بلسان الجنّ في صدر النّاس كان ينبغي لك الاستعاذة بربّ النّاس مخصوصاً بخلاف استعاذتك في السّورة السّابقة، ولمّا كان يظهر اوّل الامر آثار ربوبيّته للسّالك بالتّنقيص والتّكميل والخذلان والجبران بالغفران امر نبيّه (ص) بان يعبّر عنه اوّلاً بعنوان الرّبوبيّة وابدل عنه قوله

[مَلِكِ النَّاسِ] اشعاراً بانّه تعالى فى ثانى الاحوال يظهر على السّالك ملكيّته ومالكيّته لكلّ الاشياء ، وذلك بعد الفناء التّامّ والتّقوى التّامّة وابدل عنه آخراً قوله [إِلٰهِ النَّاسِ] للاشارة الى انّه تعالى بعد فناء العبد و بقائه بعد الفناء يصير معبوداً للعبد ، وامّا قبل ذلك فمعبوده يكون اسماً من اسمائه واظهر النّاس مع انّ المقام كان مقام الاضمار اشعاراً بذمّه على نسيانه بفطرته مع انّه لاينبغى ان يكون ناسياً لربّه الموصوف بتلك الاوصاف الثّلاثة [مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ] الوسواس بكسر الواو مصدر وسوس و الوسواس بالفتح اسمٌ للمصدر و هو على معناه المصدرىّ فيكون قوله تعالى [الْخَنَّاسِ] بدلاً منه بدل الاشتمال او هو بمعنى الموسوس فيكون الخنّاس صفة له ، وسمّى الموسوس بالوسواس للمبالغة ، والخنوس التّأخّر او الغيبة ، ولمّا كان الشّيطان الموسوس من عادته التّأخّر عن الانسان او الغيبة عنه حين ذكر الله سمّى خنّاساً [اَلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ] والوسوسة حديث النّفس وحديث الشّيطان بما لاخير فيه ولانفع ، ووسوس له واليه [مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ] من تبعيضيّته او بيانيّة ، والظّرف حال من الوسواس على ان يكون الوسواس بمعنى الموسوس ، اوابتدائيّة والظّرف ايضاً حال على ان يكون بمعنى المصدر ، اوابتدائيّة والظّرف متعلّق بيوسوس اى يوسوس من جهة الجنّة والنّاس .

قد تمّ الكتاب بتوفيق الملك الوهّاب على يد مؤلّفه **سلطانمحمّد** بن حيدر محمّدبن سلطانمحمّد بن دوست محمّدبن نور محمّدبن الحاجّ محمّدبن الحاج قاسم على البيدختىّ الجنابذىّ الخراسانىّ بشّرهم الله بما بشّر به عباده المؤمنين فى الرّابع عشر من شهر صفر المظفّر من شهور السّنة الحادية عشرة بعد الثّلاثمائة بعد الالف من الهجرة النّبويّة على هاجرها آلاف التّحيّة.

والحمد لله على توفيقه للتّدبّر فى كتابه والتّفكّر فى احاديث خلفائه ، والصّلوة والسّلام على جميع خلفائه ، ولاسيّما على محمّد واهل بيته الطّاهرين خصوصاً على ابن عمّه و خليفته بلا فصلٍ و وصيّه وصهره علىّ بن ابى طالب عليهما الصّلوة والسّلام ١٤ شهر صفر المظفّر ١٣١١ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمّ طبع الكتاب بعون الله الملك الوهّاب

وكان اختتام طبعه سابع رمضان المبارك من شهور السّنة السّادسة والثّمانين بعد ثلاثمائة والف من الهجرة النّبويّة على مهاجرها وآله الف سلام وتحيّة ، وهذا من حسن الاتّفاق لانّه هو الشّهر الّذى نزل فيه القرآن فالحمد لله على ذلك وكان افتتاح طبعه فى شوال المكرّم من شهور سنة اربع و ثمانين وثلثمائة بعد الف من الهجرة.

اللّهمّ لك الحمد على ما انعمت به علينا بهذا التّوفيق فصلّ على نبيّك و آله واجعل هذا الامر منا خالصاً لوجهك الكريم وتقبّله بقبول حسن وأنفعنا به يوم لاينفع مال ولا بنون الّا من أتى الله بقلب سليم والسّلام على من اتّبع الهدى.

وكان ذلك سابع رمضان المبارك ١٣٨٦ الهجرية

و يطابقه (٢٩/٩/١٣٤٥ الهجرية الشّمسية)

فهرست السّور والمطالب

عنوان	صفحة
سورة مريم	١
تحقيق كون الكفر بارادة الله وعدم رضاه به ورضاه بالايمان	٢
بيان اتّباع احسن القول وتحقيقه	٥
الجزء الرّابع والعشرون	٨
تحقيق تبديل الارض واشراقها بنور ربّها	١٥
سورة المؤمن	١٧
تحقيق البداء ونسبة التّردّد والمحو والاثبات الى الله تعالى	٢٧
سورة حم السّجدة	٣١
الجزء الخامس والعشرون	٣٩
سورة الشّورى	٤١
سورة الزّخرف	٥٢
سورة الدّخان	٦٤
اعلم (تأويل فى معنى اللّيالى والايّام وبيان فى علّة اختلاف الاحكام والاخبار	٦٤
سورة الجاثية	٧٠
الجزء السّادس والعشرون	٧٥
سورة الاحقاف	٧٥
سورة محمّد	٨١
حديث فى احوال النّاس فى آخر الزّمان	٨٤
سورة الفتح	٨٨
شرح فى صلح الحديبيّة	٨٩
اعلم (بيان فى ذنب كلّ انسان بحسب مقامه)	٩١
شرح فى فتح خيبر	٩٥
اعلم (بيان فى شأن السّلوك وشأن الجذب)	٩٩
سورة الحجرات	١٠٠
اقسام الظّنّ وهى خمسة بحسب احكام الخمسة	١٠٣
معنى الغيبة	١٠٣
اعلم (بيان فى معنى الاسلام والايمان)	١٠٥و١٠٦
سورة ق	١٠٧
حديث فى تجدّد العوالم غير هذا العالم	١٠٨
سورة الذّاريات	١١٢
حديث فى كيفيّة وضع الارض وطبقات السّماوات	١١٢
الجزء السّابع والعشرون	١١٥
اعلم (فى معنى القدسىّ: كنت كنزاً مخفيّاً (الخ)	

عنوان	صفحة
وفى معنى ليعبدون، اى، ليعرفون)	١١٦
سورة الطّور	١١٧
سورة النّجم	١٢٠
سورة القمر	١٢٦
سورة الرّحمن	١٣١
سورة الواقعة	١٣٧
اعلم (شرح فى اصحاب الشّمال واصحاب اليمين)	١٣٨
سورة الحديد	١٤٣
الانفاق قبل الفتح	١٤٦
الجزء الثّامن والعشرون	١٥٣
سورة المجادلة	١٥٣
اعلم (بيان فى النّجوى)	١٥٦و١٥٧
سورة الحشر	١٦٠
سورة الممتحنة	١٦٨
اعلم (بيان فى البيعة وبيعة النّساء)	١٧١
سورة الصّف	١٧٢
سورة الجمعة	١٧٤
اعلم (بيان فى ايّام الاسبوع)	١٧٦
سورة المنافقون	١٧٨
سورة التّغابن	١٨٠
سورة الطّلاق	١٨٤
سورة التّحريم	١٨٧
الجزء التّاسع والعشرون	١٩٠
سورة الملك	١٩٠
سورة القلم	١٩٤
سورة الحاقّة	١٩٨
سورة المعارج	٢٠٢
سورة نوح	٢٠٥
سورة الجنّ	٢٠٨
سورة المزمّل	٢١١
سورة المدّثر	٢١٤
كلمات متغايرة من وليدبن مغيرة فى حقّ الرّسول (ص)	٢١٥
سورة القيامة	٢١٨
سورة الدّهر	٢٢١
اعلم (بيان فى تجسّم الاعمال فى الآخرة)	٢٢٢
اعلم (بيان فى مبادى سبعة)	٢٢٥

عنوان	صفحة
الجزء الثّلاثون	۲۲۸
سورة النّبأ	۲۲۸
سورة النّازعات	۲۳۱
سورة عبس	۲۳٤
سورة التّكوير	۲۳٦
سورة الانفطار	۲۳۸
سورة التّطفيف	۲۳۹
بيان فى بسط معنى التّطفيف	۲۳۹
سورة الانشقاق	۲٤۲
سورة البروج	۲٤۳
ذكر حكاية اصحاب الاخدود	۲٤٤
سورة الطّارق	۲٤٦
سورة الاعلى	۲٤۷
سورة الغاشية	۲٤۹
سورة الفجر	۲٥۱
وصف ارم ذات العماد	۲٥۲
اعلم (بيان وحديث فى حالة النّزع)	۲٥٤
سورة البلد	۲٥٥
شرح فى القوى الاربع للانسان	۲٥٦
سورة الشّمس	۲٥۷
سورة اللّيل	۲٥۸
سورة الضّحى	۲٦۰
سورة الم نشرح	۲٦۲
سورة التّين	۲٦۳

عنوان	صفحة
سورة العلق	۲٦٥
سورة القدر	۲٦٦
سورة البيّنة	۲٦۸
سورة الزّلزال	۲٦۹
سورة العاديات	۲۷۰
غزوة علىّ (ع) لاهل الوادى اليابس	۲۷۰
سورة القارعة	۲۷۱
سورة التّكاثر	۲۷۱
سورة العصر	۲۷۳
سورة الهُمزة	۲۷٤
سورة الفيل	۲۷٥
سورة قريش	۲۷٦
سورة الماعون	۲۷٦
سورة الكوثر	۲۷۷
سورة الكافرون	۲۷۸
سورة النّصر	۲۷۹
سورة تبّت	۲۸۰
سورة الاخلاص	۲۸۱
اعراب سورة الاخلاص	۲۸۲
معنى الاحد	۲۸۲
معنى الصّمد	۲۸۳
تفسير السّورة	۲۸۳
سورة الفلق	۲۸٦
سورة النّاس	۲۸۷

جمعداری اموال مرکز